

تقديم

الخوري بولس الفغالي

هذا الكتاب هو حصيلة المحاضرات التي تُلّيت في المؤتمر الكتابي الثالث الذي دعى إليه إقليمُ الشرق الأوسط في الرابطة الكتابية، منذ مساء الأحد ٣١ كانون الثاني (يناير) حتى صباح السبت ٦ شباط (فبراير) سنة ١٩٩٣.

حضر هذا المؤتمر، فضلاً عن لبنان، وفودٌ من مصر والعراق وسوريا والأراضي المقدسة. كما حضر الأب لودجر فلدكمبر، الأمين العام للرابطة الكتابية العالمية.

كان موضوع المؤتمر: الأنجيل الإزائية. وقد توزّع المحاضرون المواضيع فجاءت في خمسة أبواب. الباب الأول: حفلة الافتتاح مساء الأحد، وقد تميزت بمحاضرة الأب لاسلو صابو. والباب الثاني موضوعه متى. الثاني والثالث: مرقس ولوقا. وتدور أبحاث الباب الرابع حول المسألة الإزائية والمواضيع المرتبطة بأنجيل متى ومرقس ولوقا. أما الباب الخامس فيعالج مواضيع عامة لا تتصل مباشرة بالأنجيل الإزائية، بل بالعمل البيبلي ككلّ.

هذا في حلقات الصباح. وفي فترة بعد الظهر، تكوّنت حلقات عمل حول طرق قراءة الكتاب المقدس. وبعدها قدّم المشاركون معلومات عن نشاطهم التعليمي والرعايّي فيما يخصّ رسالة الكتاب المقدس.

عُقد هذا المؤتمر في سيدة البير بضيافة راهبات الصليب اللواتي نقدم لهن كل شكر لحسن ضيافتهن واستقبالهن. كما نشكر بصورة خاصة صوت المحبة الذي غطى أعمال المؤتمر كله، والمؤسسة اللبنانية للإرسال التي أتاحت لمئات الآلاف من المشاهدين أن يتعرفوا إلى النشاط الذي تقوم به الرابطة الكتابية والعاملون في الحقل البيبلي ودور النشر المسيحية، كما أن يشاركوا في خمس محاضرات ومناقشات طويلة حول مفهوم الكتاب المقدس عامة والأنجيل بصورة خاصة.

رعت الأمانة العامة للرابطة الكتابية هذا المؤتمر ولولا المساهمة المالية التي قدمتها الشبيبة الكاثوليكية النمساوية والعمل الملوكي^(١) لما استطعنا أن نستقبل الضيوف الوافدين من خارج لبنان، ولا أن نفتح أبواب المؤتمر إلى هذا العدد الكبير من المشاهدين. فللأمانة العامة في شخص الأب لودجر فلدكمبر شكرنا وللشبيبة الكاثوليكية النمساوية.

عرفاننا لما قدمته لنا من عون مادي من أجل خدمة كلمة الله في هذا الشرق العربي، بل في الشرق الأوسط كله.

الفصل الأول

الرابطة الكتابية الكاثوليكية

الأب لودجر فلدكمبر*

إسمحوا لي أن أقدم لكم الرابطة من زاويتين تعود عليهما مفسرو الكتاب المقدس: زاوية سنكرونية أو إجمالية، وزاوية دياكرونية أو تفصيلية: الرابطة في وظيفة التنظيم والدفع، الرابطة في وضعها الحالي وفي نموها.

أ - الرابطة كتنظيم

سنفسر في هذا السياق ثلاثة عناصر تشكل طبيعة رابطتنا. وإذا أردتم معلومات إضافية فعودوا إلى دستورنا.

يصور الدستور طبيعة الرابطة كما يلي:

☆ الرابطة هي منظمة كاثوليكية عالمية مؤلفة من منظمات تلتزم خدمة الرعاية البيبلية على المستوى الدولي والمحلي، وقد اعترفت بها السلطات الكنسية.

☆ يعترف الكرسي الرسولي بالرابطة التي تتصل به عبر المجلس البابوي لوحدة المسيحيين.

١ - الرابطة

نحن رابطة، أي تجمع من أعضاء مستقلين ينقسمون إلى فئتين: الأعضاء الكاملون والأعضاء المشاركون.

- العضو الكامل في الرابطة الكتابية الكاثوليكيّة هو الذي تعترف به الحلقة الأسقفية أو سلطة مماثلة مع مهمّة رسمية بخدمة الرعاية البيبلية. ولا بدّ له من أن يقدّم طلب إنتساب.

نجد في منطقة الشرق الأوسط أربعة أعضاء كاملين: مصر (١٩٧٩)، سورية (١٩٨٧)، لبنان (١٩٩٢) إيران (١٩٩٢). ونحن ننتظر إنضمام سائر بلدان الشرق الأوسط.

- العضو المشارك هو كل منظمة أو تجمّع يُعنى بخدمة الرعاية البيبلية. يقدّم طلباً إلى الرابطة فتوافق عليه الهيئة التنفيذية.

هناك عضوان مُشاركان في الشرق الأوسط: مركز أم الكنيسة في طبريا، مركز التكوين البيبلي «هوذا الرجل» في أورشليم. لا يلتزم هذان المركزان مباشرة بخدمة الكنيسة المحليّة، بل يضعان خدماتهما بتصرف الكنيسة الجامعة.

عدد الأعضاء الكاملين في العالم: ٧٧ عضواً.

عدد الأعضاء المشاركين: ١٧٠ عضواً.

البلدان التي تتمثل فيها الرابطة: ٩٥ بلداً.

وحسب طبيعة تنظيمنا كرابطة، يتعاون الأعضاء حسب روح التضامن والتعاقد. إنهم يشاركون في تبادل غناهم، أي إختباراتهم ووسائلهم المالية. ولكن هذا العون المتبادل لا يخلق تبعية من عضو لآخر. فالعضو لا يستطيع أن يفرض شيئاً على عضو آخر. وما يستطيع أن يصنعه عضو، لا تعمله هيئة أعلى منه.

الجمعية العامة هي أهمّ هيئة في الرابطة، وهي تنعقد مرة كل ست سنوات. تتألف اللجنة التنفيذية من تسعة أعضاء، وهي تهیء إجتماع الجمعية العامة. أما مجلس الإدارة والأمانة العامة، فهما يتحمّلان المسؤولية أمام اللجنة التنفيذية. رئيس الرابطة هو اليوم ألبرتو أبولوندي، مطران ليفورنو بإيطاليا. هو عضو فعلي في الهيئة التنفيذية مع ممثّل للمجلس البابوي لوحدة المسيحيين.

وما هو مهمّ، بل أكثر ما يهم العمل الملموس للرعاية الببيلية المحلية، هو بنية الرابطة الأفقية، أي تقسيم الأعضاء إلى مناطق وأقاليم. فالأعضاء الأربعة الكاملون والعضوان المشاركان الذين تحدثنا عنهم، يؤلفون إقليم الشرق الأوسط. كان المنسق الأول الأب انطونيوس نجيب أسقف المنيا (مصر) للأقباط الكاثوليك. وقد خلفه منذ سنتين الأب بولس الفغالي الذي تعرفونه جيداً.

يشكل إقليم الشرق الأوسط مع ثلاثة أقاليم أخرى (أوروبا اللاتينية، أوروبا الوسطى، روما) منطقة أوروبا والشرق الأوسط. تضم هذه المنطقة ٢٢ عضواً كاملاً، ٦٩ عضواً مشاركاً. أما سائر المناطق فهي: أفريقيا (٢٠ عضواً كاملاً، ٩ أعضاء مشاركين)، أميركا (مع إقليمين: ١٩ عضواً كاملاً، ٤٦ عضواً مشاركاً)، آسيا وأوقيانيا (مع ٤ أقاليم: ١٦ عضواً كاملاً، ٤٦ عضواً مشاركاً).

لا يتمّ العمل المشترك فقط بين أعضاء الرابطة في إطار المنطقة أو الإقليم من أجل حسن التنظيم وسير العمل. فأعضاء الإقليم الواحد أو المنطقة الواحدة لا ينتمون فقط إلى وضع جغرافي واحد، بل إلى إطار حضاري يجعل البلد قريباً من البلد الآخر. وبما أن أعضاء الإقليم يستطيعون أن يفهموا مشاكلهم فهماً أفضل، فهم يستطيعون أن يتعاونوا بطريقة أفضل. وهكذا يعملون معاً لكي تتجذّر كلمة الله وتتجسّد في إطار محلي.

٢ - الرابطة الكتابية

تهتم رابطتنا بالببيلية، بالكتاب المقدّس. تهتمّ بالعمل الرعائي الببيلي. وهدفها الأول أن تضع موضع العمل توصيات المجمع الفاتيكاني الثاني حول الكتاب المقدس في حياة الكنيسة. نجد هذه التوصيات في الدستور العقائدي في الوحي الإلهي (ف ٦) كما في وثائق مجمعية أخرى. والمادة الثالثة من دستورنا تصوّر هدف الرابطة كما يلي: «هدف الرابطة هو تشجيع ومساندة المنظمات الكاثوليكية التي تعمل في خدمة الرعايات الببيلية، والتي تشارك الأساقفة في مهمة جعل كلمة الله في متناول الجميع» (الوحي الإلهي، ف ٦).

ولكي ندرك هذا الهدف، أي «خدمة الرعاية البيبلية» يرتبط دستورنا إرتباطاً متيناً بهذه الوثيقة الجمعية. وهكذا نعبر عن تطلعات الرابطة بكلمات مأخوذة من دستور الوحي الإلهي.

☆ نشجع ترجمة الكتاب المقدس ونشره، «ليكون الكتاب المقدس في متناول جميع المؤمنين» (الوحي الإلهي ٢٢).

☆ نشجع دراسة البيبليا والبحث فيها واستعمالها لدى شعب الله والإكليروس الكاثوليكي، لأنه من الضروري أن يهتم بالكتب المقدسة الكهنة وسائر المؤمنين العاملين في خدمة الكلمة، وذلك بقراءة متواترة ودراسة معمقة «وأن يقتني كل المؤمنين بالمسيح، بقراءة متواترة للكتب المقدسة، معرفة يسوع المسيح السامية» (الوحي الإلهي ٢٥).

☆ نشجع العمل الرعاوي المتجذر في الكتاب المقدس. «فعلى الديانة المسيحية أن تغذيها الكتب المقدسة وتوجهها» (الوحي الإلهي ٢٢).

☆ نشجع كل الإمكانات «بحيث يستطيع أكبر عدد من خدام الكلمة بأن يقدموا لشعب الله طعام الأسفار المقدسة بصورة مثمرة» (الوحي الإلهي ٢٣).

إن هذه التطلعات الأربعة تعبر عن المجالات الأساسية في الرعاية البيبلية. وهناك مهمة أخرى تنتظرنا: نفهم أن الكتاب المقدس ليس فقط روح اللاهوت (الوحي الإلهي ٢٤)، بل أساس حياة الكنيسة كلها (الوحي الإلهي ٢٢). وبسبب الإهمال الطويل الذي لقيته البيبليا في الكنيسة الكاثوليكية، يجب أن نشدد على هذا الوعي لأهمية الكتاب المقدس لدى الإكليروس والعلمانيين. ونشير أخيراً إلى ضرورة العمل لتعميق الفكر اللاهوتي حول مكانة الكتاب المقدس في عمل الرعاية وفي مجال «البشارة الجديدة» كما قال مؤتمر بوغوتا (كولومبيا) الذي انعقد سنة ١٩٩٠.

٣ - الرابطة الكتابية الكاثوليكية

نفهم صفة «كاثوليكية» في معنيين: في المعنى «الطائفي» وفي المعنى «الأصلي»، حيث كاثوليكية تعني جامعة وشاملة.

أولاً: في معناه «الطائفي»

إن أعضاء الرابطة (كاملون ومشاركون) هم منظمات كاثوليكية. وينظر دستورنا في الوقت عينه إلى مشاركة مع جمعيات الكتاب المقدس وسائر المنظمات التي تتوخى الأهداف المماثلة (المادة ٣).

ما هي بواعث هذه المشاركة بين «الطوائف» أو «الكنائس»؟ إن أهداف الرابطة البيبلية الكاثوليكية هي عينها أهداف رابطات الكتاب المقدس. فمن أولويات جمعيات الكتاب المقدس ترجمة البيبليا ونشرها وتوزيعها. أما الرابطة الكتابية الكاثوليكية فتعنى بأن تجعل تعليم الكتاب المقدس في متناول الجميع، تعنى بقراءة البيبليا في قلب الجماعة الكنسية وفي قلب تقليدها. هي لا تتوقف فقط عند نص بيبليا، بل تدخل المؤمنين إلى عالم الكتاب المقدس وترافقهم من أجل قراءة النصوص قراءة مسؤولة ومثمرة. فالرباط بين الكتاب المقدس والتقليد، والرباط بين الكلمة والإفخارستيا هو عنصر أساسي في فهمنا الكاثوليكي للكتاب المقدس، في تقربنا من الكتاب، في عمل الرعاية البيبلية على مثال مريم العذراء التي أصغت الى الكلمة ووضعتها موضع العمل. غير أن هذا لا يمنعنا من المشاركة مع المسيحيين الآخرين، حسب توصية فاتيكان الثاني، في مجال الترجمة والنشر والتوزيع، وفي مجال الشهادة المشتركة.

ثانياً: في معناه الأصلي

قلنا أعلاه، إن جميع أعضاء الرابطة المنظمين في مناطق

وأقاليم، يحاولون أن يقتربوا من الكتاب المقدّس في إطارهم الحضاري والثقافي. من جهة، يأخذون بعين الاعتبار صعوبات الناس في قراءتهم الببيلية (مثلاً إسم اسرائيل في البلدان العربية). ومن جهة ثانية، ينطلقون من أوضاعهم الخاصة على المستوى التاريخي والحضاري، ومن مفاهيمهم السابقة، فيكتشفون وجهات من التعاليم الببيلية تغيب عن أناس يعيشون في ظروف أخرى. مثلاً، اكتشفت أميركا اللاتينية إنطلاقاً من الببيلية أهتمام الله الخاص بالفقراء. فحين نقاسم الآخرين هذا الكنز الجديد الذي نستخرجه من غنى كلمة الله، ونجعله في متناول الجميع، ندلّ على وجهة هامة من العمل الكاثوليكي في رابطتنا.

ب - الرابطة في وظيفة الدفع

أولاً: إن دستور الوحي الإلهي ينتهي بهذا التمني: وهكذا، بقراءة الكتب المقدّسة ودراستها «تكمّل كلمة الله جريها وتمجّد» (٢ تس ٣: ١)، ويملاً كنز الوحي المسلّم إلى الكنيسة أكثر فأكثر قلوب البشر. فكما أن حياة الكنيسة تنال نمواً من معايشة متواترة للسرّ الأفخارستي، كذلك يجدر بنا أن نرجو إنطلاقة جديدة للحياة الروحية حين نكرم كلام الله «الذي يبقى إلى الأبد» (اش ٤٠: ٨؛ رج ١ بط ١: ٢٣ - ٢٥) (الوحي الإلهي ٢٦).

وتبرّر هذه الرغبة بيقيننا أن كلمة الله تتضمن قوة كبيرة. فهذه الكلمة تشكّل للكنيسة عضداً وتقدّم لها عزماً. وهي تقدّم لأبناء الكنيسة متانة لإيمانهم وغذاء لنفوسهم وينبوعاً صافياً وأبدياً لحياتهم الروحية. وهكذا ينطبق ما قيل بصورة سامية على الكتب المقدسة: «كلمة الله حية وفاعلة» (عب ٤: ١٢) «وهي تقدر على أن تشيد البنيان وتؤمّن لنا الميراث مع جميع المقدّسين» (أع ٢٠: ٣٢؛ رج ١ تس ٢: ١٣) (الوحي الإلهي ٢١).

ولقد تحققت أمنية الآباء المجمعين بشكل لم يكونوا يتوقعونه أو يأملونه. فنحن نلاحظ في العالم كله جوعاً حقيقياً إلى كلمة الله لدى

العلمانيين ولا سيّما في حركات التجديد. يُترجم الكتاب المقدّس اليوم ويوزّع ويُقرأ بشكل لم يشهده تاريخ الكنيسة من قبل. وهذه الحيوية تعود بالطبع إلى الروح القدس الذي ينفخ في قلب الكنيسة كما نفخ في الوثيقة المجمعية.

ثانياً: بما أن الروح القدس لا يكفي بأن ينفخ حيث يريد، بل يستعين ببني الكنيسة، أراد أن يستعين بالكردينال بيا والبابا بولس السادس، لكي يؤسّسا سنة ١٩٦٩ الرابطة الكتابية الكاثوليكية لتضع موضع العمل التوصيات المجمعية حول الكتاب المقدس في حياة الكنيسة. ونلاحظ أن دستور الوحي الإلهي ليس فقط ثمرة مناقشات آباء المجمع، بل نتيجة خبرات تنظيمات الرعاية الببيلية.

حين تأسست الرابطة في ١٦ نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٩، تحدّث البابا بولس السادس عن رسالة الأساقفة ومهمة الرابطة التي تساعدهم فقال: «إن المجمع أبان بأوضح ما يكون أننا وإخوتنا الأساقفة في العالم أجمع مسؤولون بأن نعمل ما في وسعنا لنسهّل الطريق أمام المؤمنين ليتقرّبوا من الكتب المقدّسة. وحين يأتي أناس غيورون مثلكم (أعضاء الرابطة) لكي يساعدونا في هذه المهمة، نبتهج ونقدّم لهم شكرنا الصادق». وقال البابا يوحنا بولس الثاني كلاماً مماثلاً في خطابين وجّههما إلى الهيئة التنفيذية في الرابطة (١٩٨٣، ١٩٨٦) وفي رسالتين بعث بهما إلى الجمعية العامة في مؤتمري بنغالور (الهند، ١٩٨٤) وبوغوتا (كولومبيا، ١٩٩٠).

ثالثاً: إن الجمعية العامة التي تنعقد مرة كل ست سنوات هي مناسبة تعي فيها الرابطة نموّها وتعود إلى رسالتها في جذورها، وتواجه المهمات الجديدة بحزم وعزم. وحين نتطلّع إلى الماضي، نجد أن الجمعيات العامة كانت محطات هامة في طريق الرابطة فساعدتنا على التعرف إلى نموها.

فعلى أساس الأرقام والبلدان المشاركة، والأماكن التي عقدت فيها هذه الجمعيات، نستطيع أن نكوّن فكرة صحيحة عن نموّ الرابطة

وتوزّع أعضائها في العالم. في سنة ١٩٧٢، شارك في فيينا (النمسا) في الجمعية الأولى، عشرون شخصاً جاء معظمهم من أوروبا. بعد ست سنوات (١٩٧٨) التّأمت الجمعية في مالطة، وكان عدد المشاركين ٦٧ شخصاً آتين من ٤٤ بلداً. وانعقدت الجمعية الثالثة سنة ١٩٨٤ في بنغالور (الهند) مع ١١٩ مشاركاً آتين من ٥٣ بلداً. والجمعية الأخيرة التي انعقدت في بوغوتا (كولومبيا) سنة ١٩٩٠ ضمت ١٤٠ مشاركاً جاؤوا من ٧٠ بلداً.

ولكننا لا نستطيع أن نعبر عن نمو الرابطة وحيويتها بالأرقام. فحماس المشاركين وتجنّدهم لكلمة الله هما جزء لا يتجزأ من هذه المشاعر القوية التي جمعتها من مشاركتي في هذه الجمعيات. ويستطيع أن يشهد على ذلك المطران انطونيوس نجيب والأب متري هاجي اثناسيو.

وينكشف توسع آخر في مواضيع الجمعيات العامة، أي تفهّم أفضل للمضامين المتعددة لكلمة الله، للبيبليّا، للرعاية البيبيلية في الكنيسة ومن أجل الكنيسة.

في الجمعيتين الأوليين برز دورُ الكتاب المقدس وعملُ الرعاية البيبيلية في حياة الكنيسة. اهتمّت الجمعية الأولى (١٩٧٢) بصياغة دستور الرابطة. إنعقدت في فيينا مع تقليدها الريادي في المجال البيبلي والليتورجي منذ أيام ييوس بارش فكان موضوعها: «البيبليّا والليتورجيا». وفي سنة ١٩٧٨ (مالطة) توقف المؤتمرون حول موضوع: «الروحانية البيبيلية والتعليم البيبلي».

وحدث تبدّل سنة ١٩٨٤ مع موضوع بنغالور: شعب الله النبوي: «يا ليت جميع شعب الله أنبياء!» إنفتحت الطريق إلى الكتب المقدسة أمام شعب الله. فشعب الله الذي تغذى بالكتب المقدسة، سيكون شعباً نبوياً يُعلن البشارة ويندّد بما يعارضها. وهكذا يُحمل الإنجيلُ إلى كل طبقات البشريّة، فتتحول البشريّة من الداخل وتتجدد: «ها أنا أجعل كل خليفة جديدة». حين تكلمت جمعية بنغالور

عن «الرسالة البيبلية في مهمة الكنيسة الإنجيلية»، وعن مكانة الكتاب المقدس «في قلب عمل الكنيسة الإنجيلي»، كانت قد هيأت الطريق أمام موضوع اجتماع بوغوتا: البيبليا والتبشير (الأنجلة أي نشر الإنجيل) الجديد: «ها أنا أصنع كل شيء جديداً» (رؤ ٢١: ٥).

* ألقى الأب فلادكمبر محاضراته في اللغة الفرنسية فنقلها الأب بولس الفغالي الذي قدّم المحاضر. مولود سنة ١٩٣٧. راهب في جمعية الكلمة الإلهية (Société du Verbe Divin (S V D). تعلم في المعهد البيبلي في رومة وحاز على شهادة دكتورا مع دراسة عن الصلاة في إنجيل لوقا^(١). عمل مرسلًا في الفلبين وأسس هناك مركزاً بيبلياً اسمه: مركز يوحنا بولس الأول. هو أمين عام الرابطة الكتابية الكاثوليكية العالمية منذ سنة ١٩٨٢. ومركزه في شتوتغارت من أعمال ألمانيا.

L. FELDKÄMPER, Der betende Jesus als Heilsmittler nach Lukas. St(١) Augustin, 1978.

الفصل الثاني

أهداف الرابطة، أعمالها وتطلعاتها

الأب بولس الفغالي*

ماذا عساي أقول بعد الذي قاله الأمين العام للرابطة الكتابية؟ سأقول في العربية ما قاله في الفرنسية، وأشدّد على بعض الأمور التي ما تزال ملتبسة على البعض منا فيما يخص رسالة الكتاب المقدس.

١ - أهداف الرابطة

قبل أن أتحدث عن أهداف الرابطة أذكر بهويتها: تجمّع يتألف من تنظيمات كاثوليكية تهتم برسالة الكتاب المقدس. إنطلقت سنة ١٩٦٩، وما زالت في انطلاقتها وهي تتوخّى أن تصل إلى كل بلد من بلدان العالم، بل إلى كل معهد ورعية ومجموعة مهما كانت صغيرة.

أما أهدافها فهي أربعة:

الأول: الاهتمام بترجمة الكتاب المقدس وطبعه ونشره وتوزيعه وذلك بالمشاركة مع سائر الطوائف المسيحية. وهذا ما تم بالنسبة إلى الشرق الأوسط. شارك المطران أنطونيوس نجيب في ترجمة العهد الجديد، والأب بولس الفغالي في ترجمة العهد القديم، شاركا مع جمعيات الكتاب المقدس. أما الهدف من كل هذا العمل فهو جعل الكتب المقدسة في متناول الجميع. أسلوب سهل على مستوى اللغة والكتابة. سعر معقول على مستوى وصول الكتاب المقدس إلى جميع الناس حتى الفقراء منهم.

الثاني: نشر التعليم البيبلي على مستويين: تقديم تفاسير للكتب المقدسة. وهذا ما تقوم به الرابطة الكتابية بعد أن نشرت تفسير إنجيل يوحنا. وهي تستعد لنشر تفسير لوقا. هذا عدا عن المجموعات التي تصدرها مختلف دور النشر. والمستوى الثاني هو تسهيل قراءة الكتاب المقدس لشعب الله من كل الأعمار. لهذا تفرح الرابطة حين تعرف بما ينظم من سهرات إنجيلية وحلقات دراسية ورياضات ولقاءات. كما تفرح بما يصدر من كتب ومجلات تتوجه إلى كل الأعمار. وأخيراً تفرح بما يقدمه الراديو والتلفزيون والصحف من تسهيلات ليتنشر كلام الله انتشاراً لم تعرفه وسائل النقل في الكنيسة في الأيام الماضية.

الثالث: تشجيع المؤمنين على قراءة الكتاب المقدس. لقد عرف العالم الكاثوليكي فترة طويلة كان فيها الكتاب المقدس مهملاً. وسيطرت في محيطاتنا العبادات التقوية على حساب الليتورجيا، فصارت كلمة الله المكتوبة على هامش اجتماعاتنا وصلواتنا الخاصة. لهذا، لا بد من العودة إلى الكتاب المقدس نقرأه أفراداً وجماعات، فيصبح الأساس في صلاة العائلة والمرجع في اجتماعات الحركات الرسولية والرعاية.

الرابع: تشجيع المشاركة في العمل بين شراح الكتاب المقدس ومفسريه من جهة، وبين الرعاة الذين يحاولون الاتصال بشعب الله ونقل كلمة الله بلغة يفهمها الشعب. هناك البحث العلمي الذي يكتشف يوماً بعد يوم غنى الكتاب المقدس، وهناك النشاط الرعائي الذي يستفيد من الأبحاث العلمية. فالرابطة الكتابية لا تكتفي بنشر الكتاب المقدس وتوزيعه، بل هي تقدم الأساليب من أجل قراءته داخل الكنيسة وداخل التقليد الذي يرتبط بالآباء فيصل إلى العاملين في إطار كنسي.

٢ - أعمال الرابطة

إنطلقت الرابطة سنة ١٩٦٩ وعرفت جمعيتين عامتين قبل أن تصل إلى الشرق. المؤتمر الأول في فيينا (١٩٧٢) والثاني في

مالطة (١٩٧٨). أول من نسّق العمل في إقليم الشرق الأوسط كان الأنبا أنطونيوس نجيب، مطران المنيا (مصر) للأقباط الكاثوليك. وفي ١١ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٩١ تسلم المشعل الأب بولس الفغالي في اجتماع عقد في باريس بينه وبين الأمين العام لودجر فلدكمبر.

تنظّم مؤتمر أول في لارناكا سنة ١٩٨٥، فكان مناسبة تعارف وتبادل خبرات بين العاملين في رسالة الكتاب المقدس. في سنة ١٩٨٧، قام الأمين العام بزيارة لبلدان الشرق الأوسط. رافقه في تجواله المطران أنطونيوس نجيب الذي كان بلده أول من انتمى إلى الرابطة سنة ١٩٧٩. على أثر هذه الزيارة، إنضمت سورية إلى الرابطة الكتابية من خلال لجنة الكتاب المقدس برئيسها المطران أنطون طرييه وأمين سرها الأب متري هاجي أثناسيو. كما انضم إليها عضوان مشاركان يقيمان في الأراضي المقدسة (أورشليم، طبريا).

وانعقد المؤتمر الثاني في لارناكا سنة ١٩٨٨ حول موضوع: القراءة المسيحية للعهد القديم. شارك فيه عدد من أساتذة الكتاب المقدس في بلدان الشرق الأوسط. ولكن تأخرت أعماله ولم تطبع قبل سنة ١٩٩١.

كانت محاولة لعقد مؤتمر ثالث في لارناكا حول العهد الجديد. أرسلت الإستمارات وتنظّم العمل. ولكن الوضع في الشرق الأوسط جعل المنشق يُلغي هذا الاجتماع.

سنة ١٩٩٢، انتمى إلى الرابطة عضوان جديدان هما إيران ولبنان. ونحن بانتظار العراق والأردن...

أصدرت الرابطة سنة ١٩٩٢: إنجيل يوحنا: دراسات وتأملات، وهي تستعد لإصدار الجزء الأول من إنجيل لوقا. كما أصدرت العدد الأول من النشرة الإخبارية (في اللغة الفرنسية والعربية). والعدد الثاني هو بين أيديكم.

وتفرح الرابطة بالمشاركة في العمل البيبلي على مستوى الشرق: تبادل بين لبنان وسورية، بين العراق ولبنان، بين لبنان ومصر... بانتظار تبادلات أخرى. لا شيء يوقف مسيرة كلمة الله، فهي لليهودي واليوناني، للأعجمي والأسكوتي، للرجل والمرأة، للعبد والحر (غل ٣: ٢٨؛ كو ٣: ١١).

٣ - تطلّعات الرابطة

تطلّع الرابطة إلى يوم تصبح الكتب المقدسة في متناول الجميع، تصل كلمة الله إلى البشر في لغتهم وحياتهم وحضارتهم وطريقة عيشهم. وهي تتوخى العمل على ثلاثة مستويات.

المستوى الأول: مستوى البحث العلمي. وهو الذي يقوم به أساتذة الكتاب المقدس في مختلف المعاهد التي تتوزع الشرق العربي من العراق إلى مصر، من سورية إلى لبنان والأراضي المقدسة... وربما إلى أبعد من ذلك. وكم تتمنى الرابطة من هؤلاء الباحثين أن لا ينقلوا الغرب بما فيه، أن لا ينقلوا إلى الشرق مشاكل الغرب من مدارس تكوينية وتدوينية، بل أن يستقوا من الغرب غنى أبحاثه فيمضغوها ويقدموها إلى الشرق في لغة الشرق وحضارته. ولا ننسَ غنى الآباء القديسين في تقاليدنا.

المستوى الثاني: مستوى العاملين في التكوين البيبلي. هم مرشدو الجمعيات والمنظمات الذين يقدمون الكتاب المقدس في إطار خاص لأشخاص يكرسون وقتاً هاماً للتعمق في كلام الله. يعظون الرياضات، يقومون باللقاءات، ينظمون الندوات. عددهم كبير جداً وهم بحاجة إلى التعاطي الدائم مع الأسفار المقدسة. يجب أن لا يقولوا يوماً: نحن لسنا بمختصين، فما نعرفه يكفي. فالمسيرة مع الله في كلامه مغامرة لا تنتهي، والويل لمن ينسى قول الإنجيل: «نحن عبيد بطالون». الويل لمن يتجاسر ويقول: «فعلنا ما يتوجب علينا» فلم يبقَ لنا شيء نعمله (لو ١٧: ١٠)!

المستوى الثالث: هو مستوى العمل الشعبي في المدارس والرعايا، مع الكبار والصغار، أكان الوعظ أو التعليم المسيحي أو السهرات الإنجيلية. لن نقبل أن يقال: «الأطفال طلبوا خبزاً، ولم يكن من يكسره لهم» (مرا ٤: ٤). إن أكبر عدد من شعب الله ينتظر هذا الخبز، وهذا يعني أن مسؤولية الكنيسة التعليمية كبيرة. كيف نسمح لنفوسنا بعظات محض أخلاقية لا تركز على عمق كلام الله؟ كيف نقبل بتعليم مسيحي (أو مدارس الأحد) يكون تردداً لما نقرأه في كتاب ملخص، فلا تنعشه حياتنا المسيحية وصلاتنا التأملية وبحثنا وتعمقنا في الأسفار المقدسة؟

على هذه المستويات الثلاثة تقف الرابطة الكتابية وهي تحاول أن تشجع العاملين في رسالة الكتاب المقدس في كل المجالات. وبقدر ما يكون اتصال بين هذه المستويات تبلغ الرابطة أهدافها، وتصبح كلمة الله في متناول الجميع، فتتابع جريها ولا تتوقف.

* منسق الرابطة الكتابية في إقليم الشرق الأوسط منذ شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٩١.

الفصل الثالث

المحاضرة الإفتاحية

الأب لاسلو صابو*

دعانا المجمع الفاتيكاني الثاني إلى أن نحيا إيماننا بصورة متحركة، لا بصورة جامدة. أن نحياه كتاريخ يتضمن تقدماً حقيقياً، ونضوجاً يهيئنا لعودة المسيح الإسكاتولوجية. فيذكرنا الدستور العقائدي في الكنيسة بأن لا نتعامل بشكل متحجر مع صورة جسد المسيح الكنسي. فهذه الصورة تكتمل في صورة شعب الله خلال مسيرته. وفي هذا المنظار عينه، لا يُعتبر الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) مجموعة من التعاليم أو صرحاً بسيطاً من صروح الإيمان. إنه بالأحرى تعبير حيّ عن تاريخ الخلاص ونداء يتوجّه إلى الإنسان في كل عصر. إنه دعوة تحقق موقعنا وتدخلنا في المسيرة التاريخية للتدبير الإلهي.

ويذكرنا الدستور في الوحي الإلهي: «يعود إلى الأساقفة الموكلين على التعليم الرسولي، أن يُعلّموا المؤمنين الموكلين إلى عنايتهم كيف يستعملون الكتب المقدسة استعمالاً لائقاً وصحيحاً». ويقول الدستور أيضاً: «إن من حق المؤولين للكتب المقدسة... أن يعرفوا بشكل عميق معنى الكتاب المقدس. وهكذا ينضج حكم الكنيسة بدراساتهم التي تهيم هذه النضوج بشكل من الأشكال» (١٢/٣). هذا بالحقيقة ما نحاول أن نسعى إليه مع العاملين في الكتاب المقدس، المجتمعين في هذا المؤتمر الذي تنظمه الرابطة الكتابية.

لا شكّ في أننا لا نركز بالتأويل في الرسالة البيبلية، بل نُعلن يسوع المسيح. بل إن يسوع يُعلن عن نفسه. «أما كان قبلنا يضطرم في داخلنا حين كان يكلمنا في الطريق ويفتح لنا الكتب» (لو ٢٤: ٣٢)؟ هذا اللقاء الشخصي بالقراءة المباشرة، بالتعليم والتأمل وبالوعظ الليتورجي يبقى شيئاً لا غنى عنه. والتعليم الجديد «تعليم الكنيسة الكاثوليكية» يطلب أن يكون «التقرب من الكتاب المقدس مفتوحاً بصورة واسعة أمام المسيحيين» (١٣١/٣). إلا أن عصرنا اكتشف اكتشافاً أفضل أن قراءة النص وتأويله ليسا عملاً سهلاً. لهذا لا بدّ من تنشئة المسيحيين على أساليب القراءة الجديدة، إذا ما أرادوا أن يُدركوا إدراكاً أفضل ما تعلنه نصوص دُوت منذ زمن بعيد، وأن يفهموا هذه النصوص بالنظر إلى الزمن الحاضر الذي نعيش فيه. لا نريد أن نستبق في هذه المحاضرة الإفتتاحية، الأعمال المتنوعة والمعتمة التي سيقدمها زملاؤنا. ولكن أوّد أن أعرض نقطتين تدفعنا إلى تفكير لاحق:

الأولى: مقابلة وضع الكتب المقدسة في العقيدة الإسلامية وفي الإيمان المسيحي.

والثانية: تأمل عملي في تجذّر العهد الجديد في العهد القديم.

أما فيما يتعلّق بالإسلام، فإني أعود إلى اجتماع آخر للرابطة الكتابية، إلى لقاء منسقي أوروبا والشرق الأوسط، الذي انعقد في مالطة في الأول من تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٩٢. فقد عرض المشاركون من الشرق الأوسط طريقة إيصال كلمة الله إلى العالم الإسلامي. وفي هذا المجال أُشير إلى أن معهد الدراسات الإسلامية المسيحية في جامعة القديس يوسف في بيروت، يهيء بإدارة الأب أغوستين دوبره لاتور كتاباً في اللغة العربية، يشارك في أعماله مسلمان (أهيف سنو، نائلة فاروقي) ومسيحيان (رولان مينيه، لويس بوزيه). تأسف الأب مينيه لأنه لم يستطع إن يلجّي دعوتكم. حين قرأت مقدمات هذا العمل الجماعي، وجدت بعض الأنوار المفيدة من أجل بحثنا البيبلي.

إن التقابل مع العالم الإسلامي يُساعدنا على أن نتبين تبييناً أفضل الوضع الحقيقي لكلمة الله في الكتاب المقدس. فالوحي كما تعرفون، يكمن بالنسبة إلى المسلمين في كتابة «تُملَى» أو «تُنزل» حرفياً على شخص مختار. ويكون الدور الوحيد لهذا الشخص بأن «ينقل» هذا الكلام بأمانة إلى البشر، وذلك دون أن تتدخل شخصيته أو محيطه الثقافي في شكل من الأشكال. أما بحسب إيماننا، فالوحي يرتبط بعمل الله في التاريخ المعاش. وهكذا ينكشف تعليم الخلاص في سفر الخروج مثلاً، وفي العهد الجديد بصورة سامية بفضل تدخل الله في يسوع المسيح، الكلمة المتجسد. وتفسّر الأحداث المؤسّسة فيما بعد بكلمة ملهمة يُلقِيها شهودٌ عاشوا في التاريخ، وتدوّن في النهاية بيد الكنيسة في مجموعة الأسفار المقدسة. وبمختصر الكلام نقول: نقل حرفي محض بالنسبة إلى المسلم، تقليد يحمل التفسير بالنسبة إلى المسيحي. نحن نعلم أن التقليد الكنسي يفسّر تعليم يسوع على ضوء حدث الفصح وبإلهام من الروح القدس.

ونستنتج بصورة عملية أن الأصولية الحرفية في بعض الشيع المسيحية التي انتشرت انتشاراً واسعاً في الشرق الأوسط، هي قريبة جداً من العقلية الإسلامية حين تكفي بقراءة النصوص المقدسة دون الاهتمام باللغة الأصلية، بالسياق والقرائن، بالفنون الأدبية، دون الاهتمام بالمحيط الكنسي الذي دُوّن فيه هذه النصوص. وتعرض نحن الكاثوليك لخطر أصولية ببيلة يشير إليها أساقفة فرنسا في نشرة أمانة السر، في عددها السابع عشر (باريس، ١٩٨٧).

وتودّ مثل هذه الأصولية، أكانت بسيطة أم علمية، أن تختصر المسافة بين التاريخ المعاش والخبر الملهم الذي يرويه. وهكذا تتجاهل عنصراً رئيسياً تعتبره شراً كبيراً، هو عامل الوقت. فمن الفترة التي تَبَعَتْ الحدث الفصحي إلى تدوين الإنجيل الأخير، تعرّفت الكنيسة حقاً إلى عمل الروح القدس. فحين يقول المسيح (يو ١٦: ١٣) إن الروح يقود التلاميذ، بعد ذهابه، إلى الحقيقة

كلها، فقد كرس بنفسه «الزمن» باسم الروح القدس، على أنه الموضع الخاص الذي فيه ينكشف المضمون العميق للأحداث الماضية. أجل، إن التأويل الحديث يذكر المسيحيين بالقيمة الإيجابية للزمن: زمن الأحداث المؤسّسة، زمن الشهود الأولين، زمن التدوين الأخير للأسفار المقدسة. وبقدر ما يتقدّم البحث التأويلي، نتعرف بصورة أوضح (في التقليد الحي) إلى نشاط الروح القدس. وهكذا تصل إلينا كلمة الله عبر تاريخ حقيقي حيث كل شيء هو من الله وكل شيء هو من الإنسان بشكل لا ينفصل.

* * *

وننتقل إلى النقطة الثانية المرتبطة بالوضع الحالي، فنكتفي بوضع كلمات لنشدّد على تجذّر العهد الجديد في العهد القديم. لا بدّ من العودة إلى هذا الكلام لأن عدداً من التيارات الإيديولوجية السياسية المنتشرة في الشرق الأوسط تريد أن تجعل الكتاب المقدس كله على هامش المجتمع، أو هي تريد أن تمنع قراءته لألف سبب وسبب: إمّا خوفاً من تأثير صهيوني، وإمّا رغبة في إبراز الديانات الفينيقية (الكنعانية) القديمة. وهناك سوء تفاهم عام على مستوى التعليم: فغالباً ما تُنسب الكتب «السماوية» على التوالي إلى اليهودية والمسيحية والإسلام. وتُقسم بحسب تسميتها إلى «توراة وإنجيل وقرآن». فإذا عنت التوراة العهد القديم بعد أن يفصل عن العهد الجديد، يصل هذا الاستعمال إلى ربط العهد القديم باليهود، ويحدّ من مجال رسالتنا البيبلية. وستستولي الشيع سريعاً على مجال تخلّينا عنه. ثم إن التعليم الجديد للكنيسة الكاثوليكية يحذّرنا من التجربة المرقيونية التي تهمل العهد القديم (رج عدد ١٢٣).

ولكن يكفي أن نفتح الإنجيل لندلّ المؤمنين على أن يسوع نفسه ربط العهدين برباط لا ينفصم. فإذا أردنا أن ندرك سرّ المسيح، وجب علينا إذن أن نأخذ بعين الاعتبار المنظار النبوي الذي يجعل نفسه فيه. فإن طريقة التعبير عنده تُشير دوماً إلى مجمل تدبير الخلاص. هو لا

يُعلن تعليمًا منفصلاً عن الزمن (لا زمني)، بل يُتم تاريخاً لا يخرج عن تاريخ العالم ولا يبدو عرضياً بالنسبة إليه. وتجسده يعني دخولا في الحضارة كبراً. ولقد ظل المسيحيون الأولون متعلقين تعلقاً عميقاً بالعهد القديم، كما يبين ذلك سفر الأعمال. لقد فهموا بشارة المسيح جواباً على رجاء تاريخي وتتميماً لوعده أعلن في الزمن.

ففي خبر تلميذَي عماوس، الذي لا يمكن أن ننساه، نعرف مرتين أن يسوع «فتح أذهانهم على الكتب وقال لهم: هذا ما كتب: كان على المسيح أن يتألم ويموت» (لو ٢٤: ٢٥ - ٢٧، ٤٤ - ٤٨). شريعة موسى والأنبياء والمزامير... هذا هو العهد القديم كله الذي يستنير بنور القائم من الموت ليفسر سر الفصح عينه. نحن هنا أمام ملخص لتاريخ الخلاص كله: لم يفلت أي من الأبرار القدماء من شريعة المحنة المؤلمة (إبراهيم، موسى، داود أو إرميا). ويسوع أيضاً يجمع مصير كل هؤلاء ويأخذه في قلبه فيجواب مع كل صرخات الضيق هذه ويمنح الجميع الفداء عبر المحنة.

وبالنسبة إلى الإنجيليين، تجمعت ذكريات حياة يسوع على الأرض حول كلمات وصور مأخوذة من العهد القديم. وإذا أراد الشهود الملهَمون أن يفهمونا من هو يسوع، لم يحتاجوا إلى كلام جديد: كفاهم أن يقدموا لنا استشهادات من العهد القديم. والمسيحي الذي يريد أن يدرك أعماق التعليم لا يستطيع إطلاقاً أن يتجاهل هذا البعد البيبلي في الإنجيل.

وإذا عدنا إلى دستور الوحي الإلهي نجد فيه هذا القول المشهور للقديس أغوستينوس: «اختفى العهد الجديد في العهد القديم، وانكشف العهد القديم في العهد الجديد» (١٦/٤). وهناك تأكيدان في هذا الدستور لا تفصل بينهما إلا بضعة سطور: «تحتفظ أسفار العهد القديم بقيمة خالدة» (١٤/٤). «مع أنها تتضمن الناقص والعابر» (١٥/٤).

وهذا ما يُعدنا بشكل جذري عن تجربة الأصولية البيبلية. فإذا

أراد المسيحي أن يثبت البُعد الدقيق لنص ملهم، وقيمته العابرة أو الثابتة، وحقيقته التي تبقى آنية، وجب عليه أن يجعل كل سفر وكل قسم من الكتاب المقدس في مجمل الوحي، آخذاً بعين الاعتبار طابعه المتدرّج الذي يصل إلى الإنجيل. وهكذا يستطيع أن يتجاوز حرف النص فيكتشف الروح الذي يُعطيه دوماً معنى جديداً.

* * *

لهذه الأسباب التي غابت عن هؤلاء وأولئك، جهل المفسّرون واللاهوتيون والمعلّمون الروحيون بعض المرات النتائج التي وصل إليها هؤلاء، والتساؤلات التي طرحها أولئك. لهذا يبدو لنا من الضروري أن نتحقق شميّلة (نظرة شاملة)، لا توافقاً كلامياً وتناسقاً فحسب، بين ما وصل إليه التفسير الحديث وسائر متطلبات الحياة المسيحية في مجال التعليم كما في مجال التقوى والروحانية. هذه الشميّلة المثمرة هي ما يطلبه دستور الوحي الإلهي وتعليم الكنيسة الكاثوليكية الجديد.

* تلاها الأب صابو في الفرنسية ونقلها إلى العربية الأب بولس

الفغالي.

* قدّم الأب أيوب شهوان أمين سر جامعة الروح القدس (الكسليك)

الأب صابو بأنه: عالم في مجال التفسير الكتابي، عضو في التجمع الفرنسي الكاثوليكي لدراسة الكتاب المقدس، عضو في التنظيم الدولي لدراسة العهد القديم، أستاذ الكتاب المقدس في لبنان منذ سنة ١٩٥٧ في جامعة القديس يوسف، ومنذ سنة ١٩٧٢ في الجامعة الحبرية (الكسليك)، ومنذ سنة ١٩٨٠ في معهد القديس بولس (حريصا). كتب مقالات عدة في المجلات وهو يعيّد هذه السنة يوبيله الذهبي كراهب في الرهبنة اليسوعية.

ملحق

تلميذا عماوس

يوسف ضرغام
مطران مصر للموارنة

طريقهما مسيرة مع الرب .

هو لم يأت إليهما بالبروق والرعود وصوت البوق، بل كمسافر عادي، كأى شخص نلتقيه على دروبنا. ومن لم ينتبه إلى حضوره، قد يمرّ به مرور الكرام. هو الرب الآتي دوماً، السائر على طرقاتنا يومياً. هو الفقير الذي يفتح يده لينال صدقة. وهو المريض الذي يحتاج إلى من يعزّيه في آلامه. وهو الخاطيء الذي ينتظر من يخلصه من خطاياه. هو تلك الأم التي فقدت ولدها ولا من يقول لها كلمة تعزية. هو السجين الذي لا يزوره أحد في سجنه... هو كل مظلوم ومحروم ومتألّم وخاطيء.

هلاً فكّرنا بيسوع كل مرة التقينا أحد هؤلاء.

إنه معنا على الطريق. يقول لنا: «من سخرّك ميلاً إمّش معه ميلين». ألم يصنع هو هكذا على الأرض: السير مع الناس، مع المخلع والأعمى والسامرية وزكّا وغيرهم...

تلميذا عماوس لم نعرفهما إلا بهذا الاسم. مجهولان وإن عرفنا أن أحدهما يدعى كليوباس. لقد أصبحا مثالين لكل لقاء حقيقي

بالرب. لقاء يبدأ بالكلمة وينتهي بالافخارستيا؛ الإيمان من السماع ثم الاتحاد. علاقة حب بين يسوع وتلاميذه. يريد القائم من الموت أن يعرفه انطلاقاً من سر الافخارستيا. والافخارستيا نستعد لها بسماع كلمة الله التي تقود إلى المسيح الحي؛ الكلمة تشهد للمسيح القائم من الموت بينما الافخارستيا تجعله حاضراً.

يسوع يريد أن يُظهر حضوره الروحي بكثير من الحنان والحب، بواسطة سماع الكلمة وقبول الأسرار.

إنه حدث هام، لقاء يغيّر مجرى الحياة. حدث هو منعطف في حياة التلميذين اللذين عادة أدراجهما إلى أورشليم ليشيرا الرسل بعد يوم متعب من السير. اللقاء بيسوع هو الحدث الأساسي في حياة كل مؤمن. يسوع هو الحدث. مجيئه يخلق الجديد؛ إنه البشارة والقوة والحياة والفرح. إنه حدث كل زمان ومكان وحياة كل انسان. لأنه قام وهو حي إلى الأبد ونحن دائماً بانتظاره: «تعال أيها الرب يسوع». وهو يجيب: «هأنذا واقف على الباب أقرعه. فإن سمع أحد صوتي وفتح الباب دخلت إليه لأتعشى معه وهو معي».

ونحن، ألا يحترق قلبنا في داخلنا عند سماع كلماته؟ إن كلامه نار ونور. لم يقل يسوع لهما من هو. فراحا يكتشفانه من كلامه ثم من كسر الخبز. هو يريد أن يحملهما على الإيمان: «طوبى للذين لم يروني وآمنوا».

نحن أيضاً لا نرى بعين الجسد لكننا نؤمن بكلامه وعند قراءة الكتب التي إنما تتكلم عليه.

وإن ساورتنا الشكوك يوماً، فيسوع يهدئ قلقنا كما هدأ قلب التلميذين، يرد لنا الثقة به وبذواتنا. فقد دخل إليهما، إلى قلوبهما قبل أن يدخل البيت: «حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أكون بينهم».

هذا هو يسوع الآتي لا بالمجد والعظمة بل بهدوء المساء، بسكون الليل، في ساعات القلق... يبرد قلوبنا، يعزي نفوسنا، يملأنا فرحاً ورجاءً وحماساً لحمل الشهادة إلى أقاصي الأرض.

الفصل الرابع

إنجيل متى

يوسف ضرغام*

مقدمة:

تُعلنُ بشارَة متى أن يسوع هو المخلص الموعود به في العهد القديم، وتتوجّه إلى اليهود أولاً ثم إلى الوثنيين. وهذا المخلص هو المعلم الأعظم الذي له حق تفسير موسى والأنبياء، لا بل إنه أعظم من موسى والأنبياء الذين جاء يكمل تعاليمهم بما له من سلطان في السماء وعلى الأرض، كما جاء يبشّر بملكوت الله. فهو الملك الذي يجلس على عرش داود أبيه ولن يكون لملكه إنقضاء. وإنجيل متى هو إنجيل هذا الملكوت، كما نتبيّن ذلك من كثرة إستعمال هذه الكلمة ومن تصميم الكتاب الذي يدور على فكرة الملكوت.

تصميم الكتاب:

يتفق المحلّلون في غالبيتهم، على تقسيم هذا الإنجيل إلى مقدمة وقسمين أساسيين:

- المقدمة (ف ١ - ٢) تشدّد على سر يسوع: من هو وما هي رسالته، على ضوء القيامة؟ وهذا ما دعوه «إنجيل الطفولة».

- القسم الأول: يسوع ينادي بملكوت الله ويمهّد للكنيسة (ف ٣

- ١٦).

لقد أتى الملكوت. يسوع يُرسل تلاميذه ليبشّروا كما يبشّر هو.
القسم الثاني (ف ١٧ - ٢٨): الجماعة في ملكوت الله. إنتقال هذا
الملكوت من الشعب اليهودي إلى الكنيسة. إفتتاح الملكوت في سر
الفصح، موت وقيامة السيد المسيح.
مؤلف الكتاب:

وصل الينا إنجيل متى باليونانية وفي رأس النص عبارة «كتاب
متّى». وإسم متّى وارد في لوائح الرسل الإثني عشر كلّها (متّى ١٠/٣؛
مر ٣/١٨؛ لو ٦/١٥؛ رسل ١/١٣). ويوضح هذا الإنجيل أن متّى
المُراد هنا هو متّى العشّار الذي دعاه السيد المسيح وكان جالساً إلى مائدة
الجباية (متّى ٩/٩...).

هناك نوعان من الشهادات لنسبة هذا الإنجيل إلى متّى:

١- شهادة خارجية: يذكر بابياس، مطران هيرابوليس، في أوائل
القرن الثاني، أن متّى «رتّب الأقوال في اللغة العبرية العامية وفسّرها كلّ
واحد قدر المستطاع». هذا ما كتبه أوسابيوس في تاريخ الكنيسة عن
بابياس، وهذا ما تبنّاه التقليد منذ بداية القرن الثالث (إيريناوس
وأوريجانوس وترتليانوس). ويضيف إيريناوس أن إنجيل متّى وُضع يوم
كان بطرس وبولس في روما أي ما بين سنة ٦٠ و٦٢. هذا بالنسبة إلى
متّى الآرامي.

٢- شهادة داخلية: أسلوب إنجيل متّى خاص به. أسلوب سامي
مأخوذ من تقليد سابق مع تفسير جديد. عبارات سامية (ملكوت
السموات، أبي الذي في السموات، أتمّ الشريعة، الناموس
والأنبياء...). كما يمتاز باستعمال العهد القديم إستعمالاً واسعاً
واستشهاده به على الطريقة اليهودية التي كانت تراعي الحرف الذي تعتبره
مقدّساً (ليتم ما قيل على لسان النبي...). فالكاتب سامي يراعي
التقليد اليهودي ويكتب لجماعة مسيحية من أصل يهودي. فهناك صلة
قوية بالتوراة وروابط قوي بين شعب العهد القديم وشعب العهد الجديد.

٣- إنجيل متى اليوناني وضعه تلميذ لمتى حافظ على روح معلمه واحتفظ بإسم المؤلف الأول. وقد وُضع بين سنة ٨٠ و ٩٠ أي بعد خراب أورشليم ودمار الهيكل. وذلك في سوريا وعلى الأرجح في أنطاكية حيث يشهد به اغناطيوس الإنطاكي في أوائل القرن الثاني وحيث كان المسيحيون قد لجأوا بعد خراب أورشليم.

جماعة متى :

بعد حرب سنة السبعين التي دمرت الهيكل، هرب اليهود من أورشليم ولجأ قسم منهم إلى مدينة جنينا، جنوبي يافا. هناك راح الفريسيون يحدّدون النشاطات الدينية، ويفضّون الخلافات القائمة بين مدارسهم، ويضعون تقويماً جديداً موحّداً لأعيادهم، ويقرون ليتورجيا المجامع، ويحدّدون كتبهم القانونية، ويدوّنون الشريعة التقليدية ويعلنون شأن الربانية الخ... إنها نهضة شاملة حملهم عليها تحدي الوثنية والغنوصية والمسيحية.

قامت جدالات بين اليهود والمسيحيين، وشعر هؤلاء بعداوة اليهود لهم ومحاربتهم علناً في صلواتهم. فأخذوا يبتعدون عن المجمع شيئاً فشيئاً. لهذا يتكلم متى عن «مجامعهم» (٢٤/٤)، ولكنّه لا يدعو إلى البغض أو الإنتقام أو العنف. بل يدعو إلى محبة الأعداء واليهود منهم (٤٤/٥). وإنجيل متى أكثر من سواه، يندّد بالفريسيين: «الويل لكم». ويهدّدهم بسوء المصير: «ها إن بيتكم يُترك لكم خراباً» (٢٨/٢٣) أو: «ملكوت الله يُنزع منكم» (٤٣/٢١) أو: «أبناء الملكوت يُطرحون خارجاً» (١٢/٨). فهذا الشعب مسؤول عن موت البريء، ولا يتنصّل من هذه المسؤولية، كما لا يخاف القصاص فيقول: «دمه علينا وعلى أبنائنا» (٢٧/٢٣-٢٥). لذا ففي الدينونة سيكون «حظ سادوم وعمورة أفضل من حظّه» (١٥/١٠).

هذه النقمة على اليهود تبدو منذ بدء الإنجيل. فبينما مولد يسوع، في إنجيل لوقا يحمل الفرح والإبتهاج، نرى يسوع الطفل يهدّده شعبه في

شخص هيرودس فيلجاً على الهرب. إنجيل متى إنجيل منفتح، منذ البدء، على الوثنيين الذين قبلوه في شخص المجوس.

هذا يدل على أن هذا الإنجيل وُضع بعد سنة السبعين. واضعه مسيحي من أصل يهودي يعرف العهد القديم والعادات اليهودية ويكتب لمسيحيين من أصل يهودي، هم تلاميذ المسيح. فجاء الكتاب في إطار يهودي بتعاليمه الإخلاقية والعملية. شريعة موسى لا تزال قائمة، إنما يُنظر إليها بعيون جديدة وقد جاء السيد المسيح ليوصلها إلى كمالها. الصلاة والصوم والصدقة قِيمٌ تتبناها المسيحية لكنها تُضفي عليها روحاً جديدة. العهد القديم بتوراته وأنبيائه لا يزال محترماً: «حرف واحد من الناموس لا يسقط» (١١/٥). لكن على هذا العهد أن يصل إلى كماله (١٧/٥). متى يأمر المسيحيين بسماع كلام الفريسيين، لكنه يحذّرهم من سلوكهم: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فافعلوا كل ما يقولونه لكم لكن مثل أعمالهم لا تعملوا» (٢٣/١ - ٣).

كتاب الكنيسة:

كان إنجيل متى الإنجيل الأكثر استعمالاً في القرنين الأول والثاني، أي من أغناطيوس الأنطاكي حتى إيريناوس أسقف ليون. هو كتاب في خدمة الكنيسة، كتاب كرازة، رفيق المبشرين، كما هو كتاب السلطة الكنسية. واضعه إنجيلي وواعظ وراعي. وقد استعملته الكنيسة نظراً إلى تشديده على الناحية الجماعية للكنيسة. فيسوع يعلم ويعمل داخل الجماعة. إنه إنجيل وُضع في الكنيسة وللكنيسة. وهو يعبر عن تقليد طويل يرقى إلى أحداث حياة يسوع، ويمتد إلى حياة الجماعة في أواخر القرن الأول. إنه كتاب أناس يعيشون إيمانهم في تقليد كنسي حي.

الكنيسة التي يكتب لها متى إنجيله تبدو شبيهة بكنيسة اليوم بتنظيمها وطقوسها وتقاليدها، كنيسة تتجدد بتركيز إيمانها على سيدها القائم من الموت وهي تريد أن تكون كنيسة من أجل العالم. طقوسها الثلاثة، العماد والتوبة والإفخارستيا تنظمت إلى حد بعيد. أصبحت تعمّد باسم الآب والإبن والروح القدس، لا باسم يسوع كما نرى في

سفر أعمال الرسل (٣٨/٢). والرب أعطى رسله سلطان الحل والربط ليكملوا من بعده خدمة غفران الخطايا. كما أولاهم أن يقدسوا الخبز والخمر فيحولوه إلى جسده ودمه. ولهذه الكنيسة هيكلتها ووظائفها:

- هناك الأنبياء: «إحذروا الأنبياء الكذبة» (١٥/٧ - ٢٣). إذن، هناك أنبياء حقيقيون (٣٤/٢٣) يضطهدهم اليهود (لو ١١/٤٩)، أنبياء جوارون يزورون الكنائس ويعيشون من عملهم الرسولي (١٠/٤١) والكنائس تستقبلهم وتهتم بمعيشتهم.

- هناك أيضاً الكتبة (٣٤/٣) الذين أرسلهم يسوع بعد قيامته (٥٢/١٣) ووضع بين أيديهم كنز تعاليمه يطبقونه وينقلونه دائماً طبقاً للظروف. وكل كاتب، ومتى هو أحدهم، يُخرج من ذخائره جدداً وقدماء (٥٢/١٣)، وله في الكنيسة دور تعليمي وتنظيمي.

- وهناك دور خاص ببطرس (١٨/١٦ - ١٩). فهو أساس الكنيسة وبيده سلطان الحل والربط. وهو الشاهد لتعليم الرب يشرحه ويعبر عن شهادة الرسل، وله أن يطبق التعاليم بحسب الظروف. وظيفته بين إخوته الرسل فريدة. هو يسأل المسيح يجيب الرسل (١٥/١٥؛ ١٧/٢٤؛ ٢١/١٨). إنه يمثل الباقي وأسئلته هي أسئلتهم والأجوبة للجميع. إنه مثال التلميذ الذي تتلمذ على سيده وهو يمثل ضعف التلميذ وعظمته (٢٢/١٤ - ٢٣). وككل رسول هو يتأرجح بين الشك واليقين وباستطاعة كل مؤمن أن يتخذه مثلاً لإيمانه: «إيماني إيمان بطرس».

وجماعة متى تجابه تحديات: تريد أن تبقى أمينة لسيدها، ولكنها تدافع عن الحقيقة المهددة. فالفريسيون يحاربونها والأنبياء الكذبة يحاولون فرض نظرياتهم الخاطئة. من جهة ثانية، ضَعُف حماسُ الزمن الأول، وطال الإنتظار لعودة المسيح، وصار على المؤمن أن يعيش إيمانه في ظروف يومية عادية. الفتور واللامبالاة طغيا على عقول الكثيرين. لهذا يشدد متى على الثبات والأمانة والصبر: «من يصبر إلى المنتهى يخلص» (١٣/٢٤). من هنا أيضاً ترد العبارة: «يا قليلي

الإيمان» (٢٦/٨ ؛ ٣١/١٤). أو: «لو كنتم تؤمنون» (٢١/٢١). كلام موجّه للذين لا يعيشون إيمانهم في ظروفهم ووسط الأحداث اليومية. كما أنه يتكلّم على الأحداث العتيدة: «ستقوم أمة على أمة ومملكة... ويسلمونكم» (٢٤). هذا عدا عن الأضاليل التي سينشرها الأنبياء الكذبة (١٧/٥).

إنجيل متى هو إحياء لتقليد عريق وصحيح، وفي الوقت عينه هو وصف لولادة كنيسة جديدة. نهاية الإنجيل تدل على قدرة يسوع. إرساله للتلاميذ ووعدّه بالبقاء معهم يدل على أنه ملك الكون، سيد التاريخ، رب الزمان والمكان. فهو يدعو الناس أجمعين. وإنتماؤه اليهودي لم يحدّ من نظرتة الرسولية الشمولية. فهو مع الكنيسة الجامعة الكبرى التي وعدّها بالعون لتكمل رسالتها.

كنيسة يسوع مضطهدة من قبل المجمع اليهودي، وهي تدافع عن تعاليمها وعن طريقة عيشها مرتكزة على ما علمها سيّدّها سابقاً. فهو وحده المعلم وهو المثال والأنموذج: «تعلّموا مني» (٢٩/١١)؛ «قيل لكم وأنا أقول لكم» (٢١/٥). نجد في هذه الكنيسة الأخيار والفاترين (٣٦/١٣ - ٥٠). لأنّ المحبة قد فترت (١٢/٢٤)، وأصبح أعداء الإنسان أهل بيته (٣٦/١٠). وبدأ التلاميذ يتساءلون: «من هو الأكبر» (٢٢/٢٠)؟ لكل هذا يحث متى على التواضع والمحبة والشفقة نحو الفقراء وروح الخدمة والإصلاح الأخوي (٢٦/٢٠ - ٢٨ ؛ ١٥/١٨ - ١٨). وتجاه إبطاء المسيح عن المجيء، يأمر بالسهر والصلاة (٤٢/٢٤).

من هنا ضرورة إعطاء التلاميذ دستوراً للحياة جديداً، برنامج عمل متكامل، فيه التعليم العقائدي، ومنهج السلوك، والحياة الطقسية والإهتمام بالصغار والمساخة...

لقد أرسى متى أسس الكنيسة مقابل الشعب الإسرائيلي. إنه يدعونا إلى السير وراء يسوع الناصري، سيد الكنيسة، عمانوئيل، حتى إنقضاء العالم. فهو في بدء الإنجيل «عمانوئيل» (٢٢/١ - ٢٣)، وهو في

النهاية «أنا معكم» (٢٨/٢٠). إنجيل متى يعني حياة الكنيسة: تأسيسها ودعوتها ورسالتها. حياتها لا تنفصل عن حياة المسيح، والكلام على المسيح لا ينفصل عن الكلام على الكنيسة.

إنجيل متى ينطلق من التناقض القائم بين إثنين: تلاميذ المسيح واليهودية المتمثلة برؤسائها. فالتلاميذ يقبلون المسيح وتعاليمه، واليهود يرفضونه ويقتلونه. التلاميذ هم صورة الكنيسة أي جماعة المؤمنين بالمسيح. لقد رافقوا يسوع الناصري وتعلموا منه. والتلاميذ هم أيضاً جميع الذين يتبعونه إلى منتهى الدهر. والتلميذ هو رسول إلى كل الشعوب، والتلاميذ التقوا سيدهم القائم من الموت في الجليل، جليل الأمم، جليل الوثنيين. إلى هناك دعاهم، ومن هناك بدأت المسيرة إلى العالم كله. هنا بدأ زمن الكنيسة. ومن هنا تُرسل وتنتشر حتى أقاصي الأرض وحتى انتهاء العالم. لا عزلة ولا تقوقع، بل إنفتاح على العالم كله.

هذا أول ما يسترعي إنتباه القارئ لإنجيل متى: لا نكون مسيحيين من دون كنيسة، ولا تكون كنيسة إلا من أجل العالم.

آنية إنجيل متى:

كنائسنا حقائق بشرية إجتماعية يجب تنظيمها من الداخل لكي تعيش تقاليدها. كما عليها أيضاً أن تنفتح على العالم تلبية لأمر سيدها القائم من الموت. لا نكون مسيحيين إلا في الكنيسة حيث نقبل الرسالة ونفهم الإنجيل. كما أن هناك ضرورة الإتحاد بين الكنائس التي مزقتها الإنقسامات. إنجيل متى إنجيل كنسي، هو ثمرة إختبار حياة مشتركة، وهذا ما يجعله قريباً منا. فمن كان للمسيح عاش في جماعة ليتورجية منظمة، حيث يجد الفرح في الصلاة والمحبة، وحيث يبلغ هذا الفرح ذروته في الأفخارستيا التي تجمعنا في جسد واحد. هناك الحياة، وهناك الإنفتاح، وهناك إستقبال جميع الناس. في الكنيسة نقبل الأسرار، في الكنيسة نصير ونبقى مسيحيين. لذا وجب أن تكون جماعتنا متماسكة، واحدة وسط التنوع. وحدتها علامة محبتها ونبع فرحتها. الفرح الذي يحتاج إليه العالم هو فرح المسيح الذي لا يُنزع منكم.

إنجيل متى إنجيل وحدة الجنس البشري. فهو منفتح على اليهود وعلى الوثنيين. فالسيد لا ينسى الخراف الضالة من آل إسرائيل (٦/١٠). لكنّه يدعو إلى تخطي الحدود الجغرافية والعرقية. فبعد قيامة الرب، إنفتحت جميع الحدود وسقطت كل الحواجز. القبر المفتوح ربط بين اليهود والأمم، ووحد بين أعضاء البشرية الموزعين في سائر أقطار المعمورة.

إنجيل متى لا يزال إلى اليوم، وسيبقى إلى الأبد يُقرأ في الجماعة الكنسية، منطلقاً من حياة كل جماعة داخل تقليد كنسي حي. فهو ليس فقط قصة حياة يسوع المسيح التي انتهت بقيامته وصعوده إلى السماء. بل هو قصة تهمّ الكنيسة كلها في كل زمان ومكان. إتباع التلاميذ ليسوع هو صورة لاتباعنا له. يُجبر متى قصة يسوع على الأرض في جماعة معرّضة للمصاعب والتساؤلات والإضطهادات. إنها جماعة منظمة تريد أن تجدد أطرها وتفكيرها لكي تتوجّه إلى العالم. ألفا سنة من التقليد غنى وافر وحمل ثقيل في الوقت معاً. هذا هو إختبارها. هي تشعر بأنها إسرائيل الجديد المتجذر في القديم، وبأن يسوع هو موسى الجديد الذي جاء لا ليحل، بل ليكمل (١٧/٥). إنها كنيسة من أجل العالم. همّها تجديد هيكليتها وتنظيم طقوسها والتبشير «حتى أقاصي الأرض» (١٩/٢٨).

متى يعطي المسؤولين في الكنيسة روح الحياة الجديدة المبنية على المحبة. الصغير فيكم هو الكبير، إنتهبوا إلى الصغار، ساعدوا الخراف الضالة، صالح أخاك، أي إربحه. إغفروا، سامحوا لتبقى الكنيسة متناغمة، متماسكة، فهي مؤسسة على حضور المسيح فيها بتعاليمه وأسراره وروحه، وبحضوره في كل واحد من الإخوة.

إنجيل متى هو نقيض الفردية والأنانيّة. يسوع يدعو وجواب الإنسان هو الإيمان. لكن الإيمان لم يكن يوماً قضية فردية. الإيمان يخلق جماعة والجماعة لا تتفوق. جماعة الرسل إنفتحت على العالم بسرعة مذهلة.

هذا ما يذكّرنا به متى، وهذا هو عمل القائم من الموت والباقي معنا إلى النهاية.

إنجيل متى يطرح علينا اليوم الأسئلة التالية:

- من هو الأكبر؟ كم مرة يجب أن تغفر؟ هل يجوز الطلاق؟
- ماذا نعمل لنرث الحياة الأبدية؟ هل يجب دفع الجزية لقيصر؟ هل أنت ملك اليهود؟

- هل ستبقى الكنيسة محصنة وراء أسوار من الفرائض والطقوس، أو ضمن دور الصلاة والعبادة؟ هل ستفتح أبوابها للخارجين؟ هل ستصبح كنيسة الصغار والمستضعفين؟ هل ستبادر إلى إرساء أسس عدالة إجتماعية جديدة؟ هل ستبقى مرتبطة بحرف الشريعة؟ أم هل ستلج إلى الأعماق، إلى عمل الروح في القلوب، إلى المساهمة مع ذوي الإرادة الحسنة في بناء عالم أفضل، أكثر عدالة ومحبة؟

لا شكّ في أنه كان يوجد إيمان في إسرائيل، لكن السيد وضع هذا الإيمان خارج جدران اليهودية، وغير مفهوم الشريعة. وكل من يتبع السيد المسيح يجب أن يتغير. حياتنا الرتيبة تتطلب تبديلاً جذرياً، فهل نحن مستعدون لهذه النقلة، لهذه الثورة على الذات؟ كنا إلى أمس القريب نكتفي من الدين بالممارسة والحفاظ على مواسم الأعياد والأصوام والتعليم المسيحي في المدارس... إيمان صحيح لكنّه غير كاف، إيمان معرض للجفاف فالموت إن لم يتغذّ من روح الرب، روح المحبة والعدالة وإحترام الإنسان. نحن بحاجة اليوم إلى الخروج من الأسوار، إلى لقاء أناس لا دين لهم ولكنهم يبحثون عن حل لمشاكل الحياة والإنسان. عملنا رائع ولكنّه مخيف. يبدو وكأنه سوف يهدم كل شيء عندنا.

إنجيل متى يساعدنا ضد التوقع كما ضد الإرتجال والخطر. تحقيق الرجاء بالمسيح يقتضي دائماً تحطّي حدودنا الضيقة والمسيرة إلى حيث حرية أبناء الله. هناك مجازفة وحمل مسؤوليات وإمكانية إكتشاف طرق جديدة.

إنجيل متى إنطلاقة قوية وإحترام للتقديم في الوقت معاً، للتقديم الصحيح، قديم الروح، الذي رفّ على المياه في بدء الخليقة، والذي لا يزال يجدّد وجه الأرض. فالسيد المسيح يحترم الشريعة لكنّه يبقى حراً

تجاهها. محبته لله مطلقة إنما من خلال شريعة باطنية هي شريعة الروح الذي يحرّر. فهو يشكو كل خبث ورياء ويريد أن يضع الكلام في حيّز التطبيق كيلا يفقد معناه. فهناك علاقة بين ما يفكر به وما يقول، وبين ما يقول وما يعمل. في المسيح يصبح حب الله وعدالته أموراً معيوشة، وهذا يتطلب من التلاميذ صلاة ومثابرة وجهاداً. لكنّه وعدهم بأن يكون معهم حتّى انتهاء العالم. إرسال الرسل إلى العالم هو إرسال الجماعة المسيحية على مر العصور، هو إرسالنا نحن. تعرف جماعة متى أنّها ليست الملكوت بل هي علامة الملكوت في العالم. هي المركز الذي فيه يمارس ابن الإنسان سلطانه كربّ. ومن هنا يتسع وسع الكون كله. يجب أن تعيش كنيسته ساهرة منتظرة. فهي جماعة أتباع يسوع الذين يعيشون وفق إرادة سيدهم في الخدمة المتبادلة والحب والغفران. إنها مسافرة على متن مركب سريع العطب حيث التجارب والصعوبات والعواصف. لكنّها تعلم أن الله ينتصر فيها بموته وقيامته، وهي تعلم أن إطمئنانها يعود إلى أن الله أصبح في المسيح إلى الأبد عمانوئيل إلّهنّا معنا.

* مطران مصر والسودان للموارنة والزائر الرسولي لموارنة أفريقيا.

ولد المطران يوسف ضرغام في عبرين (البترون) سنة ١٩٣٠.

رسم كاهناً سنة ١٩٥٩ ومطراناً سنة ١٩٨٩.

- حاز على اجازة في اللاهوت من جامعة القديس يوسف - بيروت وعلى

دكتورا في الآداب من جامعة السوربون، في باريس.

- مؤلفاته: مدخل إلى الكتاب المقدّس، في الكنيسة نحيّا لأجل المسيح،

حياة أبناء الله، الكتاب المقدّس تعليم وحياة. نقل عن الفرنسية

كتاب «نؤمن» في جزئين.

الفصل الخامس

جماعة متى

* الخوري مكرم قزاح

بات من المعروف أن الإنجيل بحسب القديس متى كان الأكثر قراءة ورواجاً في الأجيال المسيحية الأولى، بل وفي الأجيال اللاحقة، لما يتميز به من بُعد كنسي وتعليمي. كيف لا والكنيسة أحوج ما تكون إلى أقوال السيد المسيح وتعاليمه الإلهية تستند إليها خصوصاً في فترة نشأتها الأولى وإطالتها الفتية على الأمم. فكان لهذا الإنجيل، ولا يزال، الأثر الأكبر في تعرّفنا إلى وجه السيد المسيح، يطبعنا بطابع صفحاته الخاصة وملامحه المميزة. والكنيسة على سبيل المثال، تتلو صلاة «الأبانا» كما وردت في متى. والتطويبات التي نشأنا عليها كدستور لحياتنا المسيحية هي التي دوّنها متى. وكذلك الحال مع نسب يسوع والكثير من الروايات والأمثال الواردة في هذا الإنجيل.

أصل جماعة متى ومعاناتها

فما هي هذه الجماعة التي ترعرع في وسطها هذا الإنجيل، وتكون كبشرى واحتفال وتعليم قبل أن يدوّن في كتاب؟ ما كانت معاناتها وهواجسها وتطلعاتها؟ وما كان جواب كاتب هذا الإنجيل الذي أجمع التقليد الكنسي على أن ينسبه إلى متى؟ أسئلة كثيرة سنحاول الإجابة عليها بإيجاز نظراً إلى ضيق الوقت المتاح لنا.

يُجمع الشراح على أن هذه الجماعة هي من أصل يهودي. إنتمت

إلى كنيسة سوريا أو فلسطين، وكانت تعاني في العمق من أزمة في الهوية والمصير، خصوصاً بعد الطلاق النهائي الذي تمّ وتبّنت في الثمانينات بين اليهودية والمسيحية.

مجمع يمنية

كان يهود فلسطين، في القرن الأول الميلادي، يزرعون تحت نير الاحتلال الروماني حتى صمّموا، سنة ٦٦م، على الانتفاضة بقيادة حزب الغياري. فاستولى تيطس، ابن الأمبراطور فسباسيان، سنة ٧٠م، على أورشليم بعد حصار دام ومرير، تمّ على أثره تدمير الهيكل تدميراً نهائياً وتشريد من بقي حياً من سكان المدينة.

قضى تيطس على مدينة أورشليم وهيكلها، لكنه لم يستطع القضاء على اليهودية. فإذا هي تنتفض، وقد تطهرت، وتقوم من تحت الأنقاض والرماد، بفضل حزب الفريسيين والربّان يوحنا بن زكي. وكان هذا الأخير، قبيل حصار أورشليم، قد قام بتأسيس مدرسة في يمنية، بالقرب من تل أبيب الحالية. وبعد حصول الكارثة ببضع سنوات، أي حوالي الثمانين م، نرى الفريسيين يلتزمون بمجمع في يمنية بالذات، بقيادة يوحنا بن زكي، أرادوه تأسيساً لليهودية بوجهها الجديد، كما ستستمر إلى أيامنا هذه: أعادوا تحديد الهوية وتنظيم الصفوف والمؤسسات وتصويب الأهداف لانطلاقة جديدة تتناسب ومرحلة ما بعد دمار الهيكل. فأصبحت التوراة محور الديانة اليهودية وأساسها بدلاً من الهيكل وتقادمه.

خطر ان

وكان، إذ ذاك، على اليهود مجابهة خطرين، أولهما داخلي والآخر خارجي.

ففي الداخل، وجدوا أنفسهم أمام انقسامات وانشاقات أسهمت في ما أسهمت في خراب أورشليم. فكان لا بد من فرض رزنامة واحدة موحّدة للأعياد اليهودية من جهة، وتوحيد الاحتفالات الطقسية

في المجامع من جهة أخرى. كما كان لا بدّ من تحديد قانونية الكتب المقدسة. فاعتُبرَ قانونياً ما كُتِبَ بالعبرية دون سواها؛ فيما كان المسيحيون يعترفون بقانونية الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية.

وفي الخارج كانت المسيحية هي التي تشكّل الخطر الأدهى. فقد تجمع المسيحيون. بعد هروبهم من أورشليم، في بلا^(١)، عبر الأردن، جنوبي بحيرة طبريا، كما كانت لهم تجمعات هامة في الجليل. فقرّر الملتئمون في مجمع يمنية اتخاذ سلسلة من التدابير لمجابهة الخطر المسيحي، أبرزها إلقاء الحرم على المسيحيين بطردهم من المجامع، مع إضافة مباركة جديدة، هي أشبه باللعنة، إلى البركات الثمانية عشرة، المعروفة بالعبرية بـ«شمونة عسره» وهاكم ترجمتها:

لا يكون رجاء للكفار (منيم). إقتلغ، يا ربّ سريعاً، في أيامنا، مُلك المتكبرين والنصارى والهراطقة. فليبادوا بلحظة، وليُمحوا من سفر الأحياء، ولا يُكتبوا مع الأبرار. مبارك أنت يا من تُحني المتكبرين».

والمتكبرون والهراطقة هم، طبعاً، النصارى. طُردوا من المجامع ومُنعوا من التكلم فيها، كما كان يفعل بولس، مثلاً، في رحلاته الرسولية، أيام السبت (أعمال ١٣/١٤). ولذا نرى يسوع، في الإنجيل بحسب متى، يتكلم عن «مجامعهم»، أي عن مجامع اليهود (٣٥/٩؛ ١٧/١٠، ٣٤/٢٣)، وكأن الطلاق حاصل بين الديانتين قبل موته وقيامته، كما نراه يميّز بين الصلاة المسيحية والصلاة في المجامع (٥/٦) وبين تعليمه وتعليم كتبتهم (٢٩/٧) وبين نيره اللطيف الخفيف وبين نيرهم (٢٩/١١ - ٣٠).

عواقب النبذ

إن عواقب هذا النبذ كانت وخيمة على المسيحيين الذين كانوا، إلى حينه، يُعتبرون شيعة من شيع اليهودية. وكان اليهود، آنذاك، على الرغم من كل شيء، يتمتعون بامتيازات لا يستهان بها داخل العالم

الروماني، من أهمها: عدم دفع الجزية بكليتها إلى رومة، وإعفاؤهم من الخدمة العسكرية وعما ينجم عنها من الاعتراف بالأمبراطور كإله والسجود له. هكذا، أصبح لزاماً على المسيحيين، بعد أن طردوا وفُصلوا، أن يخضعوا، مرغمين، لكل هذه المضايقات التي تتنافى وجوهر معتقداتهم، كالسجود لقيصر وحمل السلاح. ووجب عليهم دفع الجزية التي ترهق كاهلهم - وهم في غالبيتهم من الطبقات الشعبية - وإلا طالتهم أشد العقوبات وحلت بهم أبشع ألوان التنكيل والتعذيب. وهكذا تحولت المجامع اليهودية في جميع أنحاء حوض البحر المتوسط، إلى منابع للتحريض على شتى أنواع الاضطهادات ضد المسيحيين، على حد تعبير ترتوليانس. وبعد أن اعتاد المسيحيون العيش في حضن اليهودية الدافئ حيث ينعمون بالامتيازات ذاتها، نراهم يواجهون، غُزلاً، وُضعهم الجديد المليء بالصعوبات والمخاطر، مع ما ينجم عن ذلك من تساؤلات عن المصير تطرح نفسها في وضع كهذا.

البُعد الفصحي

وفي خضم هذا الوضع المتوتر والمُقلق، سيقوم متى بمحاولة للإجابة عن تساؤلات جماعته هذه المصيرية، مبيّناً لهم أن كنيسة المسيح لا يسعها أن تكون إلاً فصحية في جوهرها ومسيرتها، وأن التوتر الذي تعيش هو شكل من أشكال الحياة بما تنطوي عليه من موت وقيامة على خطى سيدها، قاهر الموت والجحيم بقيامته، والقادر وحده أن يُضفي على التوترات بُعدها الفصحي، أي أن يحولها إلى انشداد مليء بالرجاء. كيف لا وهو العمانوئيل، الحاضر أبداً وسط كنيسته إلى منتهى الدهور على حسب وعده لها.

ويقف، إذ ذاك، كل حضور كنسي بين نقيضين يهددان كل جماعة مسيحية: الإنعزال والتقوقع على الذات من جهة، والذوبان من جهة أخرى. وكلاهما شرّ قاتل. فالإنعزال يُلغي الرسالة التي من أجلها انتدبنا القائم من الموت بقوة روحه القدوس. والذوبان يقضي على

هوية الكنيسة، فلا تعود جماعة العمانوئيل. ويبقى المطلوب واحداً، لا غير: حضور أصيل، هو حضور الملكوت بالذات وسط عالم أرادته الآب السماوي مكاناً لتجلي وحيدته. «فحيث المسيح، هناك يكون الملكوت»، على حد قول القديس أمبروسيوس.

محوران

لذا نرى الإنجيل بحسب متى يدور حول محورين أساسيين يعكسان هذه التوترات المطلوب تحويلها انشداداً وشهادة:

- المحور الأول: ويدور حول الكنيسة وإسرائيل التي كانت إليه تنتمي. ويحتوي على السؤال الجوهرى التالي: من هي الكنيسة بالنسبة لإسرائيل؟ والجواب على هذا التساؤل يأتي، لا محالة، من خلال نظرة إلى المسيح (كرستولوجيا)، أي من خلال توضيح لهوية المسيح وفهم لرسالته. ويبقى، اليوم، السؤال ذاته مطروحاً: من هي الكنيسة بالنسبة إلى العالم الذي تعيش فيه؟ والجواب يبقى هو هو، أي كرسولوجي.

- والمحور الثانى: يدور حول ماهية الكنيسة التي تنتظر عودة سيدها المنتصر على الموت ليدين الأحياء والأموات. والجواب يأتي هنا من خلال نظرة نهوية، أي إسكاتولوجية، حيث يتزامن الماضى والحاضر والمستقبل ويتفاعلون بقدر ارتباطهم بالملكوت وتجلياته. فالكنيسة تعيش مسيرة لا تكلّ نحو تمام الملكوت.

وحين نتمعن في هذين المحورين، الكرسولوجي والنهوي، نتمكن من أن نستشف سر الكنيسة، كما فهمه متى، أي كنيسة العمانوئيل، كنيسة الرب (البعد الكرسولوجي) والديان (البعد النهوي).

إنشدادان

وإذا بنا أمام انشدادين^(٢) يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بهذين المحورين ويعتبران نتيجة لهما:

الأول رسولي، بمعنى الإرسال^(٣)، أي انشداد بين دعوة الجماعة المسيحية إلى الشمولية بانفتاحها على الأمم، وبين تجذرها الأصلي في اليهودية.

والثاني نهيو، كون الكنيسة جماعة الملكوت وزرع منه في قلب العالم.

وهكذا لا تستطيع الجماعة المسيحية أن تكون وتحيا دون هذين البعدين أو الانشداين: الشمولي والنهيو، لكي تصبح جماعة تلمذة وإرسال، وإلا بطلت أن تكون فصحية. هذا يعني أن الكنيسة لا تستطيع أن تكتشف حقيقتها هذه إلا من خلال وعيها لمتطلبات الملكوت المتجسد والمتجلي في شخص المسيح من جهة، ولفرادتها تجاه اليهودية المتصلبة في وجهها - أو العالم الذي تعيش وسطه - من جهة أخرى، إذ إنها جماعة العمانوئيل، الله معنا.

عمانوئيل أو الله معنا

هذا هو بالفعل الموضوع الأساسي الذي يجتاح الإنجيل بحسب متى بأكمله، ويسكن حياة الكنيسة بكليتها. وعندما تلتفت الكنيسة إلى الماضي لتفهم حاضرها وتفتح على المستقبل، تحدّق في العمانوئيل لتسمع له، فتتبعه دون أدنى تردّد في مسيرته الفصحية.

وهكذا نرى متى يفتح في البيان ليوسف سلسلة من الاستشهادات الكتابية اتفق الشراح على تسميتها استشهادات تنميمة^(٤) لنبوءات العهد القديم، وعددها عشرة (١/٢٢ - ٢٣؛ ٢/١٥؛ ٢/١٧ - ١٨؛ ٢/٢٣؛ ٤/١٠ - ١٤؛ ٨/١٧؛ ١٢/١٧ - ٢١؛ ١٣/٣٥؛ ٢١/٤ - ٥؛ ٢٧/٩ - ١٠). والاستشهاد التتيمي الأول (١/٢٢ - ٢٣)، في بدء الإنجيل، هو للنبي أشعيا عن حبل العذراء التي ستلد ابناً يُدعى عمانوئيل أي الله معنا. ويوازيه، في ختام الإنجيل، تأكيد للمسيح القائم من بين الأموات، يتوجّ به وصيته الأخيرة لتلاميذه بقوله: «وهاءنذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم» (٢٨/٢٠).

هذا هو بالفعل المحور الرئيسي الأساسي للإنجيل الأول: أن يكون - الله - معنا، حاضراً بيننا في شخص يسوع المسيح، فهذا حضور خلاص وتأليه. هو الضمانة الوحيدة، لا غير، والأكيدة لكنيسته، ضمانه بقاء وخصب رسولي في نقلها بشرى هذا الحضور بالذات إلى العالم أجمع.

ويتضح لنا حين نقرأ متى أن هذا الحضور (كون - الله - معنا) لا يعاش بانتظار قريب لعودة المسيح المتجلي مجدداً. إنه يعاش من خلال سهر يقظ ودائم: «إسهرُوا وصلُوا»، ومن خلال ضرورة الإلتزام بحيثيات حياة كنسية وسط العالم، هي بمثابة تجسيد لمتطلبات الملكوت الحاضر والموعود به في أن: «أنتم ملح الأرض... أنتم نور العالم».

اللقاء الأخير وفهم سر المسيح

يدعونا متى إلى فهم هذه الأمور وعيشها بعودتنا إلى خاتمة الإنجيل كما يرويها. إنها الخلاصة والعصارة والمفتاح لقراءة كل ما سبق قراءة صحيحة.

يُنهي متى كتابه بلقاء وحيد وفريد للمسيح القائم من الموت بتلاميذه، به يتكشف الماضي، ويتمهد المستقبل، ويتصف حاضر كل مؤمن. فمتى لا يضع حداً لزمن المسيح؛ بل بالعكس، ينبىء بانبلاجه ويبشر بامتداده إلى مدى الدهور (٢٨/٢٠).

فلسنا هنا أمام مرحلة لاحقة^(٥) تتبع ما سبق^(٦) نحن أمام واقع علوي^(٧) يتجلى في السفلي^(٨)، أي في أرض البشر.

ففي هذا الظهور الأخير نحن أمام تجلٍ للمسيح في مجده يدل على التواصل الحاصل في شخصه بين ماضي الله مع شعبه في العهد القديم وحاضره المتجلي خلاصاً وإرسالاً في الكنيسة. فالتاريخ يبقى ويتجلى في الأساس عهداً بين الله والناس. والمسيح المنتصر على الموت أصبح هو العهد الأبدي والحضور الدائم والشراكة الفصحية بين الله والبشر.

موعد سجود وإرسال

يسوع هو عمانوئيل. الله معنا، وإلى الأبد. وحضوره كذلك أبدي، إذ أصبح حضورَ القائم من بين الأموات والمتجلي في كنيسته التي هي على موعد دائم معه. إنها تذهب إلى حيث يأمرها هو، فتلتقيه عند بوابة الأمم، في الجليل (١٦/٢٨): «فذهبوا إلى الجليل، إلى الجبل الذي أمرهم يسوع أن يذهبوا إليه».

غريب وجميل أن يختار رب المجد مكان تجليه الفصحي عند بوابات العالم ومعابره، كما اختار أيضاً أن يتجلى بصورة خاصة في إخوته الأصاغر إلى أن يعود دياناً على السحب: «الحق أقول لكم: كلما صنعتُم شيئاً من ذلك لواحد من إخواني هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتُموه» (٤٠/٢٥).

وهناك، في الجليل، وليس في أورشليم، تسجد الجماعة لربها: «فلما رأوه سجدوا له» (١٧/٢٨). فهم قبل كل شيء جماعة سجود وتلمذة (وكلنا يعلم أهمية فعل «سجد» عند متى: ١٣ مرة، مقابل ٢ عند مرقس و٣ عند لوقا)، رغم قلة إيمانهم والشكوك التي تهدد مسيرتهم الفصحية: «ولكن بعضهم ارتابوا» (١٧/٢٨)^(٩).

فيدنو، عندئذ، السيد المسيح من الجماعة، وهو المبادر أبداً إلى الدنو، كما أنه المبادر إلى الإرسال؛ فدُنُوهُ هو حضور الممجد في سبيل الإرسال: «فدنا يسوع وكلمهم قال: إني أوليت كل سلطان في السماء والأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم... وهاءنذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم» (١٩/٢٨ - ٢٠). فلا إرسال في متى، خلافاً لمرقس ولوقا، قبل القيامة، إذ إن الإرسال هو نتيجة لحضور المسيح الفصحي وسط الجماعة. ففي لوقا مثلاً، نرى الإثنين والسبعين يذهبون مرسلين من قبل المسيح. ثم يرجعون إليه فرحين ليخبروه بما جرى (لوقا ١٠/١، ١٧). بينما لا نرى أبداً في متى الاثني عشر

ينطلقون بعد عظة الإرسال (متى ١٠). فالسيد المسيح هو الذي ينطلق، وكأنه وحده، فيكتب متى قائلاً: «ولما أتم يسوع وصاياه لتلاميذه الإثني عشر، ذهب من هناك ليعلم ويبشر في مدنهم» (١/١١). كما أن كلمة «رسل» لا ترد في متى إلا مرة واحدة في كل إنجيله: «وهذه أسماء الرسل الإثني عشر: أولهم سمعان الذي يقال له بطرس...» (٢/١٠).

وهذا الحضور يتطلب أيضاً، في ما يتطلب، حفظ الوصايا، أي مسلكية تليق بأبناء الملكوت: «وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به» (٢٠/٢٨). إن حفظ الوصايا يصبح ممكناً بسبب هذا الحضور بالذات، حضور من «أولي كل سلطان في السماء والأرض» (١٨/٢٨).

وهذا السلطان الذي يملأ السماء والأرض، هو أيضاً مالىء الزمان بكليته: «وهاءنذا معكم كل الأيام إلى نهاية العالم» (٢٠/٢٨).

ومهمة التلاميذ المتجلية إرسالاً بين هذين «الكليين» - كل السلطان وكل الأيام - هي أيضاً انشداد دائم ومتواصل بين «كليين» آخرين وشاملين:

- يجب تلمذة كل الأمم: «فاذهبوا وتلمذوا كل الأمم وعمّدوهم...» (١٩/٢٨).

- تشمل هذه المهمة كل الوصايا التي أوصى بها من أولي كل السلطان: «وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به» (٢٠/٢٨).

هوية العمانوئيل

من هنا السؤال الأساسي والجوهري الذي يطرح نفسه لا محالة: من هو هذا الشخص الذي يتطلب طاعة كهذه من خلال اتباع كلي وغير مشروط له؟

إنه، طبعاً، ابن الله الحي (١٦/١٦)، كما أنه هو إسرائيل

الحقيقي والمسيح المنتظر. إنه يجسّد الملكوت بأقواله وأعماله، أي بشخصه، ويعيد تاريخ شعبه لتحقيق به كل الوعود. إنه يجعل من تلاميذه جماعة الملكوت، يوليهم كل سلطانه دون أي انتقاص لتجسد دينامية هذا الملكوت في قلب العالم. ليست الجماعة هي الملكوت، بل جماعة الملكوت وزرع منه في حقل العالم (٣٦/١٣ - ٣٨)، وهي في مسيرة إلى اكتماله. إنها مشدودة بكل كيائها ورسالتها إلى تجلي هذا الملكوت الذي يبقى علة وجودها الوحيد، كما هو دينوتها وله تشهد.

الخصوم

معالم الخصوم ومواقفهم واضحة. إنهم جماعة الفريسيين والشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة (أنظر متى ٢١/١٦؛ ٢١/٢١؛ ٤٥؛ والفصل ٢٣ بأكمله)، الذين سيؤول بهم المطاف إلى التآمر على المسيح وقتله.

الجموع

أما الجموع، فهي في اندهاش أمام أقوال السيد المسيح وأعماله. تتبعه لما ترى فيه من أعمال قوى. ولنا في متى ٢٩/١٥ ملخص بليغ عن حالة الجموع هذه حين يكتب:

«فأنت إليه جموع كثيرة ومعهم عرج وعمي وكسحان وخرس وغيرهم كثيرون، فطرحوهم عند قدميه فشفاهم. فتعجب الجموع لما رأوا الخرس يتكلمون والكسحان يصحّون والعرج يمشون مشياً سوياً والعمي يبصرون. فمجدوا إله إسرائيل».

كما نرى هذه الجموع في متى ٢٨/٧، «معجبة بتعليمه، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان لا مثل كتبتهم».

ولكنها، في آخر المطاف، ستقلب في غالبيتها على من تبعت، لأنها بطبيعتها متبدّلة ومتقلبة.

ففي يوم الشعانين، ترخّب الجموع بالمسيح ملكاً. يقول متى

بهذا الصدد: «وكانت الجموع التي تتقدمه والتي تتبعه تهتف: «هوشعنا لابن داود» (متى ٢١/٨ - ٩).

«ولكن عظماء الكهنة والشيوخ أقنعوا الجموع بأن يطلبوا برأبا ويهلكوا يسوع»، وصاروا «يبالغون في الصياح» على حد تعبير متى، طالبين من بيلاطس أن يصلب المسيح. وكانوا يقولون: «دمه علينا وعلى أولادنا» (متى ٢٧/٢٠ - ٢٦). وهذه الآية خاصة بمتى.

وهكذا تنقلب الآية. فبينما نرى في بدء الإنجيل بحسب متى (٢/١٧ - ١٨)، الملك هيرودس، يقتل أطفالاً من بني إسرائيل نرى في نهاية الإنجيل (٢٧/٣ - ٢٦) بني إسرائيل يقتلون الملك، يسوع. ولكن بقتلهم هذا الملك، يؤول بهم المصير إلى الانتحار على مثال يهوذا الذي صار رمزاً لمصيرهم.

وفي آخر المطاف وفي العمق، إن ما يميّز حالة الجموع، هو أنها لا تتبع السيد المسيح في مسيرته الفصحية، بل تبقى خارجها، أي على هامشها أو تعود فتتقلب وتظهر له العداء. ولكن يرتد في قلب الجموع تلميذٌ ينتظر من يوقظه لينطلق بدوره في مسيرة فصحية، على خطى السيد المسيح. على مثال أعمي أريحا اللذين تبعاً حالاً يسوع عندما انفتحت أعينهما على بهاء جماله (٢٠/٣٤). مسؤولية يسوع هي بالذات مسؤولية التلاميذ تجاه الجموع.

التلاميذ

أدرك متى أن الوجود المسيحي هو بجوهره تتلمذٌ دائم للرب يسوع واتباع فصحى له في قلب عواصف هذا العالم وتقلباته (أنظر متى ٨/٢٣ - ٢٧، حيث التلاميذ هم الذين يتبعون المسيح في صعوده إلى السفينة).

إن ما يربط المسيح بتلاميذه يتعدى العلاقة التي كانت تربط «الرابي» بتلميذه.

صحيح أن يسوع هو المعلم (١٠/٢٤ - ٢٥؛ ٢٦/١٨)؛ بل

المعلم الأوحـد (٨/٢٣) والمرشد الأوحـد (١٠/٢٣)، وهذه الكلمة، «مرشد»، هي خاصة بمتى. ولكن لا نرى أبداً في متى أحداً من التلاميذ أو من المؤمنين - من هم على وشك الانتقال إلى حال من التلمذة باتباعهم ليسوع - يتوجهون إليه بأحد من هذين اللقبين: «معلم» أو «مرشد». بل بدعونه بلقب «رب»^(١٠) ورب فقط، مع كل ما لهذه الكلمة من معانٍ وأبعاد، إذ إن المسيح أصبح رب حياتهم ومسيرتهم. والعلاقة به لم تعد مجرد علاقة تلميذ بمعلمه أو عبد بسيده، بل أصبحت علاقة الرب بتلاميذه.

أمّا الخصوم، في المقابل، أو من يرفض لسبب أو لآخر، التلمذ للسيد المسيح، كالشباب الغني (١٦/١٩)، فهم يتوجهون إليه بلقب «معلم»، ومعلم فقط، إذ لا يرون فيه أكثر من معلم. قارن، مثلاً، بين الكاتب والتلميذ في متى ١٩/٨ - ٢٢، حيث الكاتب يدعو يسوع: «يا معلم»، والتلميذ يدعو: «يا رب».

يبقى «يهوذا الإسخريوطي ذلك الذي أسلمه» (٤/١٠). هو وحده يتفرد ويلقب يسوع «برابي» (٢٥/٢٦، ٤٩)، تلك الكلمة المحظورة تدوالها إطلاقاً في قلب جماعة التلاميذ: «أما أنتم فلا تدعوا أحداً يدعوكم «رابي» لأن لكم معلماً واحداً وأنتم جميعاً إخوة» (٨/٢٣).

فالرابي يفسر التوراة ويقود تلامذته إلى الشريعة التي هي التعبير الكامل والشامل عن إرادة الله. بينما يسوع هو المحور ويطلب من أتباعه التعلق به شخصياً وبه وحده (٣٧/١٠ - ٣٨؛ ٢٤/١٦ - ٢٦؛ ٢٧/١٩ - ٢٨). هو البرّ بكماله. هو الشريعة الواجب اتباعها؛ ونعرف تأثير فعل «تبع» في متى وأهميته (يكرر ٢٥ مرة). وهذا الاتباع يتجلى تطابقاً كلياً بين الرب وتلميذه حيث يبقى هذا التطابقُ التحديد الأساسي لكل تلمذة:

«ما من تلميذ أسمى من معلمه، وما من خادم أسمى من سيده. فحسب التلميذ أن يصير كمعلمه والخادم كسيده»؛ فيصبح التلميذ إذ ذاك من «أهل البيت» (٢٤/١٠ - ٢٥).

ولذا نرى الرب يسوع يولي سلطانه، كل السلطان، الذي هو سلطان الملكوت، لتلاميذه بفعل هذا التطابق بالذات الحاصل بينه وبينهم. فيتفوهون بالأقوال ذاتها ويقومون بالأعمال ذاتها، أي بأقوال الملكوت وأعماله:

«ودعا تلاميذه الإثني عشر، فأولاهم سلطاناً يطردون به الأرواح النجسة ويشفون الناس من كل مرضٍ وعلة... ثم أوصاهم قال: إذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل، وأعلنوا في الطريق أن قد اقترب ملكوت السموات» (١٠/١ - ٧). راجع بدء بشارة يسوع حيث نراه ينادي فيقول: «توبوا، قد اقترب ملكوت السموات» (١٧/٤). فلا داعي للخوف في وجه المضايقات والشدائد: «فلا يهتمكم حين تتكلمون أو ماذا تفعلون. فسيُلقى إليكم في تلك الساعة ما تتكلمون به. فلستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم يتكلم بلسانكم» (١٩/١٠ - ٢٠).

وهكذا يفتح الإرسال، بفعل هذا التطابق بين الرب والتلاميذ، على بعده الثالوثي وعلى شمولية الأمم: المسيح يُرسلُ، وروحُ الآب يتكلم بلسان المرسلين. العماد سيتم، وقت الإرسال، بعد قيامة المسيح، «باسم الآب والابن والروح القدس» (١٩/٢٨)، وليس فقط باسم يسوع المسيح كما هو الحال في أعمال الرسل:

«إني أوليت كل سلطان في السماء والأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس...» (١٨/٢٨ - ١٩).

الوثنيون

«تلمذوا جميع الأمم». هذه هي وصية القائم من الموت. ونرى بوادر قوافلها في غير صفحة من صفحات الإنجيل.

فيظل علينا الوثنيون، بادئ ذي بدء، في وجه المجوس، وهم طليعة الساجدين في الإنجيل. أتوا ليسجدوا أمام المولود الجديد، بينما هيرودس الملك يحاول قتله، وعظماء الكهنة وكتبة الشعب يتجاهلونه بانتظار ساعتهم.

وفور دخول المجوس إلى أورشليم، نراهم يطرحون السؤال المصيري الذي من أجله قدموا من المشرق والذي سيضطرب له هيرودس ومعه المدينة كلها. والسؤال هو كما جاء في النص اليوناني:

«أين هو المولود ملك اليهود» (٢/٢)؟

ولن يتجلى لنا الجواب واضحاً إلاّ من أعلى الصليب، لأنه لا يستطيع أن يكون إلاّ فصيحاً. «وضعوا فوق رأس المسيح المصلوب علة الحكم عليه، كُتب فيها:

«هذا هو يسوع ملك اليهود» (٣٧/٢٧).

وكما كان الأمر في المهد، كذلك سيكون عند الصليب. فنرى وثنيتين أيضاً، أي قائد المائة والرجال الذين كانوا معه، يعترفون بالمصلوب رباً وإلهاً، إذ قالوا: «كان هذا ابن الله حقاً» (٥٤/٢٧). بينما كان المارة مع عظماء الكهنة والكتبة والشيوخ يشتمونه ويسخرون به (٣٩/٢٧ - ٤٤). ولا ننسى شاهدين وثنيتين آخرين من كبار الشهود:

أولهما، قائد المائة في كفرناحوم الذي يبرز متى إعجاب يسوع بإيمانه: «الحق أقول لكم: لم أجد مثل هذا الإيمان في أحد من إسرائيل. أقول لكم: سوف يأتي أناس كثيرون من المشرق والمغرب، فيجالسون إبراهيم وإسحق ويعقوب على المائدة في ملكوت السموات، وأما بنو الملكوت فيُلقون في الظلمة البرانية، وهناك البكاء وصريف الأسنان» (٨/٥ - ١٣).

وثانيهما، المرأة الكنعانية، بنت شعبنا وأرضنا، التي أتت هي تسجد له: «جاءت فسجدت له وقالت: أغثني يا رب!» وبعد الحوار الشهير، يجيبها يسوع: «ما أعظم إيمانك أيتها المرأة، فليكن لك ما تريد» (١٥/٢١ - ٢٨).

هـاءنذا معكم

فالتلمذة للمسيح تبقى هي الأساس في جماعة متى، وهي التي تعود إلى السجود (الانشداد النهوي أو البُعد الإسكتولوجي). كما إلى الإرسال (البُعد الكرستولوجي)، إنها اعتراف بيسوع رباً دائماً الحضور وسط الجماعة. كما أنها عيش لمتطلبات الملكوت إلى أن يعود المسيح في المجد ليدين العالم، بدءاً بتلاميذه. «ليس من يقول لي: يا رب، يدخل ملكوت السموات، بل من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات» (٢١/٧).

وهكذا، منذ الصفحات الأولى من الإنجيل حتى آخرها، يبقى السيد المسيح القلب والمحور. فمتى يبدأ روايته للإنجيل بالاستشهاد التتيمي لنبوء أشعيا عن العمانوئيل، الله معنا، كما رأينا، مع بشارة الملاك ليوسف. وهكذا ننطلق سوية في مسيرة فصحية تنتهي بنا إلى ظهور المسيح الأخير في الجليل لانطلاقة جديدة، تتحول إلى انطلاقة كنسية. في متى تفتح الكرستولوجيا^(١١) على الإكليسيولوجيا^(١٢)، وهي مرتبطة بها ارتباطاً عضوياً بتأكيد المسيح أنه سيقى مع كنيسته طوال الأيام إلى نهاية العالم (٢٠/٢٨).

فنرى أنفسنا أمام كتاب يوصلنا من الله («الله معنا، عمانوئيل»، في بدء الإنجيل، ١/٢٣)، إلى المسيح («هـاءنذا معكم»، ٢٨/٢٠)، في نهايته. وقد ألفنا الطريق المعاكس الموصل من المسيح إلى الله وليس من الله إلى المسيح. إنه كتاب كرستولوجي أكثر مما هو لاهوتي بالمعنى الحصري للكلمة. أي شهادة من الآب لابنه الأوحد في الروح القدس (أنظر الولادة، العمداد، التجلي، الخ...).

والهدف من تكوين الجماعة، كجماعة تلمذة وإرسال في خدمة الملكوت، كما تبدو لنا في متى، هو إشراكها في شهادة الآب لابنه يسوع في الروح القدس: «فلستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم يتكلم بلسانكم» (١٠/٢٠). وهذا هو علة وجود كل جماعة كنسية.

بدايتان

وإذا بنا، بعد روايات الطفولة، أمام بدايتين في إنجيل متى، ذات أهمية كبرى لانطلاقة جديدة في كل مرة وكلتاها تبدأن بالآية ذاتها. نحن لا نجدهما في مكان آخر: «من ذلك الحين بدأ يسوع...».

نقرأ الأولى في متى ١٧/٤، بعد اعتماد يسوع وتجربته في الصحراء: «وبدأ يسوع من ذلك الحين ينادي فيقول: توبوا، قد اقترب ملكوت السموات». إن هذا «البدء» هو بدء لاهوتي، بدء الإعلان لبشارة الملكوت في تاريخ البشر؛ وهو إعلان يتوجّه إلى الجموع.

والثانية نقرأها في متى ٢١/١٦، بعد شهادة بطرس بلاهوت يسوع في قيصرية: «وبدأ يسوع من ذلك الحين يظهر لتلاميذه أنه يجب عليه أن يذهب إلى أورشليم ويعاني آلاماً شديدة من الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة ويُقتل ويقوم في اليوم الثالث». وهذا «البدء» هو أيضاً بدء لاهوتي، لكنه موجه هذه المرة إلى التلاميذ. إنه البدء بإعلان موته وقيامته، أي بكشف أبعاد مسيرته الفصحية لتلاميذه لإشراكهم فيها.

وفي هاتين المجموعتين أوجهٌ شبه عميقة، وحلقات مماثلة تكمل بعضها البعض، كما سيتضح لنا.

وحي وتجربة

ففي الحالتين وحيٌّ وتجربة.

أما الوحي فمن الآب:

- في العمداد، يشهد صوت الآب أن يسوع هو ابنه ويتوجه الصوت إلى الحاضرين («هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت»، ١٧/٣)، لا إلى المسيح كما في مرقس ولوقا: «أنت إبنِي الحبيب، عنك رضيت» (مر ١١/١؛ لوقا ٣/٢٢).

- وفي قيصرية، يشهد التلاميذ، بلسان بطرس، ولكن بوحي من

الآب («ليس اللحم والدم كشفنا لك ذلك، بل أبي الذي في السموات»)، يشهدون بأن يسوع هو المسيح، ابن الله الحي (١٦/١٦ - ١٧). وهذه الشهادة ستبقى قمة كل شهادة واعتراف في الكنيسة إلى المنتهى.

وفي الحالتين أيضاً تلي الشهادة تجربة:

- في الصحراء، يُجَرَّب يسوع عن يد الشيطان، بعد اعتماده في الأردن.

- وفي قيصرية، يجَرَّب عن يد بطرس، بعد انبائه الأول بموته وقيامته.

ولكن الفارق بين تلك الحالتين هو أنه في البدء الأول (أو المرحلة الأولى)، لا يزال يسوع وحده وبمفرده. فلم تتكون بعدُ أية جماعة تحيط به وترافقه في تجواله الرسولي. فالآب هو الذي يشهد مباشرة في العماد: «هذا هو ابني الحبيب» (١٧/٣). والشيطان هو الذي يجرب مباشرة في البرية: «فدنا منه المجرب وقال له...» (٣/٤).

دور الجماعة

ثم ينطلق يسوع، بعد انتصاره على الشيطان، ليعلن اقتراب الملكوت بشخصه ويعيد توجه شعبه نحو هذا الملكوت: «وبدأ يسوع منذ ذلك الحين ينادي فيقول: توبوا، فقد اقترب ملكوت السموات» (١٧/٤).

ويبدأ رسالته هذه باختياره لتلاميذه الإثني عشر، فتتكوّن بهم نواة كنيسة المزمعة أن تشاركه في نقل بشرى الملكوت إلى جميع الأمم. وينفرد متى بين الإنجيليين الأربعة باستعماله لفظة «كنيسة» (إكليسيا، في اليونانية) إذ إن الكرستولوجيا، كما رأينا عند متى، لا يمكن فصلها قطعاً عن الإكليسيولوجيا، ونرى المسيح في قيصرية بالذات يتكلم عن الكنيسة بصيغة المتكلم، فيقول لبطرس: «أنت صخر وعلى

الصخر هذا سأبني بيعتي» (١٦/١٨). إنها بيعته التي سيبقى وسطها إلى المنتهى، فلن تقوى عليها أبواب الجحيم.

وهكذا نصل إلى البدء الثاني أو المرحلة الثانية، حيث تكونت الجماعة، ومن وسطها، بدأ بطرس يبرز كرئيس لها.

فنى الكنيسة، بلسان بطرس، هامة الرسل، تشهد هي الآن للمسيح، في نواحي قيصرية فيلبس، وتكشف للعالم هويته: «أنت هو المسيح ابن الله الحي». طبعاً قالت ما قالت بإلهام من الآب. أو بالحري، نرى الآب يواصل شهادته لابنه بواسطة الجماعة ومن خلالها.

والجماعة، بلسان بطرس، هي التي تجرب سيدها أيضاً، وذلك بإلهام من الشيطان. أو بالحري، هو الشيطان الذي يجرب المسيح من خلال الجماعة وبواسطتها: «فانفرد به بطرس وجعل يعاتبه فيقول: حاشى لك يا رب! لن يصيبك هذا» (١٦/٢٢)!

وهكذا نرى الجماعة ذاتها تتحوّل إلى مكان للشهادة كما إلى مكان للتجربة. فهي التي ستشهد للمسيح منذ الآن أو ستجربه وتعرقل مسيرته الخلاصية بتحولها إلى شيطان.

إذهب ورائي

يبقى طبعاً فارق أساسي وجوهري ما بين الجماعة وبطرس من جهة، والشيطان من جهة أخرى.

ففي البرية يطرد المسيح الشيطان المجرب بقوله: «إذهب يا شيطان» (٤/١٠)!

بينما، في قيصرية، نرى يسوع يلتفت ويقول لبطرس: «إذهب خلفي (ورائي)، يا شيطان! فأنت لي حجر عثرة، لأن أفكارك ليست أفكار الله، بل أفكار البشر» (١٦/٢٣).

ويلي ذلك، مباشرة، ما يطلب من أتباع يسوع كشرط لا بدّ منه للتلمذة: «ثم قال يسوع لتلاميذه: من أراد أن يتبعني (يسير ورائي)، فليزهد في نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (١٦/٢٤).

فالجماعة تتحول إلى صخرة يستطيع السيد المسيح أن يبني عليها

بيعته، فلن تقوى عليها أبواب الجحيم، وإلى جماعة شهود، بقدر ما تتلمذ له، أي تقبل أن تسير وراءه وتتبعه في مسيرته الفصحية، وهي تحمل الصليب معه فتقبل أن تكون بحال اهتداء واقتداء دائم. كما أنها تستطيع أن تتحول إلى حجر عثرة وإلى شيطان يعرقل مسيرة الخلاص كلما رفضت الانصياع لتعاليمه ومتطلبات الملكوت الذي يجسد. ولذلك، ليست بمنأى عن الدينونة، بل سندان هي أيضاً على نوعية ثمارها وشهادتها: «كل شجرة لا تثمر ثمراً طيباً تقطع وتلقى في النار. فمن ثمارهم تعرفونهم» (١٩/٧ - ٢٠).

عندك أقيم الفصح

وفي الختام، إن الجماعة كما يراها متى هي أيضاً مكانٌ للاحتفال الفصحي، فيها يُنهي يسوع فصح العهد القديم إذ يحتفل به كمسيح لليهود، ويبدأ فصحا جديداً بدمه، كرب، لعهد جديد:

وفي أول يوم من الفطير، دنا التلاميذ إلى يسوع وقالوا له: «أين تريد أن نعدَّ لك لتأكل الفصح؟» فقال: «إذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقلوا له: يقول المعلم: إن أجلي قريب، وعندك أقيم الفصح مع تلاميذي». ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدّوا الفصح (١٧/٢٦ - ١٩).

إن الدعوة ذاتها لا تزال مفتوحة، يوجَّهها السيد المسيح إلى كل واحد منا وإلى كل جماعة من جماعاتنا. نعم، «عندك أقيم الفصح مع تلاميذي... حتى ذلك اليوم الذي فيه آكله وأشربه معكم جديداً في ملكوت أبي» (١٨/٢٦ - ٢٩).

أنحنُّ على استعداد، أفراداً وجماعات، لهذا اللقاء الفصحي بالعمانويل كما يتجلى لنا في متى؟ هنا يكمن السؤال.

الحواشي

- (١) Pella وهي إحدى المدن العشر (ديكابوليس) التي بناها يومبيوس حول بحيرة طبريا.
 (٢) tension
 (٣) tension missionnaire
 (٤) citations d'accomplissement
 (٥) un après
 (٦) un avant
 (٧) un en haut
 (٨) un en bas
 (٩) Distazo: يرد هذا الفعل مرتين فقط في العهد الجديد. والمرتان في متى: هنا (١٧/٢٨) وفي متى ٣١/١٤ حيث شك بطرس وهو يمشي على المياه للملاقاة ربه. ولهذا المشهد في متى بُعدٌ فصحي واضح. كما أن «قلة الايمان» هي التوبيخ الأكبر الذي يؤنب به المسيح تلاميذه في متى.
 (١٠) ٢٢/١٦؛ ٢٧، ٢٥، ٢٨/١٥؛ ٣٠، ٢٨/١٤؛ ٢٧/١٣؛ ٢٨/٩؛ ٢٥، ٢١، ٨، ٦، ٢/٨
 ١٧/١٨؛ ١٥، ٤/٢٠؛ ٣١، ٣٣، ٣٠/٢١؛ ٣٠/٢٥؛ ١١/٢٠، ٢٢، ٢٤، ٣٧، ٤٤/٢٦
 ٢٢.
 (١١) الكلام عن يسوع المسيح (كرستوس).
 (١٢) الكلام عن الكنيسة (إكليسيا).
 * الخوري مكرم قزاح. ولد في بكفيا سنة ١٩٣٧.
 - رسم كاهناً سنة ١٩٦٩.
 - خادم رعية مار أشعيا المارونية، ومسؤول عن التنشئة الروحية في الإكليريكية البطريركية المارونية، غزير.
 - يدرّس الكتاب المقدس في مركز أنطلياس للتنقيف الديني العالي.

الفصل السادس

الخطب في إنجيل متى

الأب يوحنا الخوند*

مقدمة

يتفرّد إنجيل متى الحالي بميزات أدبية لاهوتية، أهمها جمعُ أحداث حياة يسوع في مجموعات كبرى، وجمعُ أقواله وخطبه في مجموعات كبرى أخرى، أهمها خطب خمس، تَظْهَر للقارئ المتأمل المدقق كالعمود الفقري لجسم الإنجيل كلّهُ.

الخطبة الأولى، خطبة الجبل (٥ - ٧).

الخطبة الثانية، خطبة الرسالة (١٠).

الخطبة الثالثة، خطبة الأمثال (١٣).

الخطبة الرابعة، خطبة الكنيسة (١٨).

الخطبة الخامسة، خطبة النهايات (٢٤ - ٢٥).

نتوقّف عند هذه الخطب الخمس الكبرى المميّزة لإنجيل متى الحالي، لنرى فيها أيضاً ميزاتٍ أربع كبرى:

الميزة الأولى: كلّ خطبة هي مجموعة خطب.

الميزة الثانية: كلّ خطبة تتناول موضوع «ملكوت الله».

الميزة الثالثة: كلّ خطبة تسبقها مجموعة أحداث كبرى تمهد لها.

الميزة الرابعة: كلّ خطبة تُختَم بعبارة واحدة.

الميزة الأولى: كل خطبة هي مجموعة تُخَطَّب:

قالها يسوع في أمكنة وأزمنة وظروف عدّة ومختلفة، ووجهها إلى فئات وجماعات من الناس عديدة ومختلفة، وعالج فيها مواضيع وأموراً عدّة ومختلفة.

(١) الخطبة الأولى: تقع في ثلاثة فصول (٥، ٦، ٧)، تذكر مقدّماتها (١/٥ - ٢) أنها موجّهة إلى التلاميذ، وتذكر خاتماتها (٧/٢٨ - ٢٩) أنها موجّهة إلى الجموع. أمّا نصّ الخطبة فهو مجموعة من ٢٣ مقطعاً، يؤلّف كلّ منها وحدة أدبية مستقلة كاملة، تتوالى كلّها بانتظام كلّ دون أيّ فاصل، ويخطب فيها يسوع منتقلاً بعفوية تامّة من مقطع إلى آخر، ولا أحد من السامعين يقاطع.

إذا قارناً متى (٥ - ٧) بمرقس ولوقا، وجدنا من أصل ١١١ آية، ٧٧ آية، في لوقا، أي الثلثين، و١٦ آية في مرقس أي السبع. وإذا أمعنا أكثر وجدنا أن مقاطع الخطبة لا تَرُدُّ في مرقس ولوقا في الترتيب عينه، بل نراها متفرقة موزّعة في ظروف وأمكنة وأزمنة مختلفة وموجّهة إلى أشخاص عديدين مختلفين: متى ٥، نجد مقاطعه موزّعة في ستة فصول من مرقس، وفق هذا الترتيب ٩/٤/١٣/١١/٩/١٠، وموزّعة في تسعة فصول من لوقا، وفق هذا الترتيب ٦/١٤/٨/١١/٢١/١٦/١٢/١٦/٦، ومتى ٦، نجد مقاطعه موزّعة في خمسة فصول من لوقا، وفق هذا الترتيب ١١/١٢/١١/١٦/١٢ ولا نجد منها في مرقس سوى آية واحدة (١١/٢٥)؛ ومتى ٧، نجد مقاطعه موزّعة في سبعة فصول من لوقا، وفق هذا الترتيب ٦/١١/٦/١٣/٦/١٣/٦، ولا نجد منها في مرقس سوى آيتين (٤/٢٤؛ ١/٢٢).

نستنتج من المقارنة أن مقاطع الخطبة موزّعة في مرقس ولوقا بدون أيّ علاقة بالبتّة، في ظروف وأمكنة عدة من حياة يسوع التبشيرية، وقد قال يسوع بعضها لتلاميذه، وبعضها للجموع والبعض الآخر للجميع

علي حدّ سواء. تلك المقاطع جمعها كاتب إنجيل متى الحالي، بأسلوبه الشخصي، ووفق تصميمه الخاص، في خطبة واحدة، ضمنها أهم ما علم يسوع، وأهم مقومات الدعوة المسيحية، وفصائل أبناء الملكوت الجديد.

(٢) الخطبة الثانية: تقع في فصل واحد (١٠). تذكر مقدّماتها (١/١٠ - ٥)، وخاتمها (١/١١) أن يسوع وجهها إلى الرسل الإثني عشر، وهي وصيته لهم، يوم دعاهم وأتاهم سلطانه وأرسلهم. أمّا نصّ الخطبة فهو مجموعة من سبعة مقاطع، يؤلف كلّ منها وحدة أدبية كاملة مستقلة، يخاطب فيها يسوع تلاميذه، منتقلاً بعفوية تامة من مقطع إلى آخر، دون أيّ فاصل ودون أن يقاطعه أحد من تلاميذه.

إذا قارنا متى (١٠) بمرقس ولوقا، وجدنا من أصل ٤٣ آية، ٣٩ آية في لوقا، وفق هذا الترتيب ١٠/٩/٦/٩ / ٢١/١٢/٨/٢١ / ٩/١٢/١٤/٩/١٧/٩، وفي مرقس ٢٠ آية وفق هذا الترتيب ٦/٣/٦ / ٩/٨/٤/١٣/.

نستنتج من المقارنة أن كاتب إنجيل متى الحالي قد جمع في خطبة واحدة، كلّ تلك النصوص المفرقة والموزعة في مرقس ولوقا، بأسلوبه الشخصي، وفق تصميمه الخاص، وجعلها وصية يسوع لرسله، وبرنامج رسالتهم في متابعة رسالة ملكوته الجديد.

(٣) الخطبة الثالثة: تقع في فصل واحد (١٣)، وهو مجموعة من ١٤ مقطعاً، يؤلف كلّ منها وحدة أدبية كاملة مستقلة، يخاطب فيها يسوع تلاميذه تارة، وتارة الجموع. ويقاطعه مرة تلامذه بسؤال، ويسبق يسوع مرة أخرى التلاميذ بجواب، ويقاطعه الإنجيلي مرّات بمثل هذه العبارة «وضرب لهم مثلاً آخر قال».

إذا قارنا متى (١٣) بمرقس ولوقا، نجد من أصل ٥٣ آية ١٨ آية في لوقا، موزعة في أربعة فصول، وفق هذا الترتيب ٨/١٠/٨/١٣، و٢٥ آية في مرقس وفق ترتيب الفصل الرابع، ولكن بعضها في سياق متواصل وبعضها متقطع.

نستنتج من المقارنة أن كاتب إنجيل متى الحالي قد جمع هنا أيضاً في خطبة واحدة، مجموعة خطب من أمثال قالها يسوع في مناسبات عدّة مختلفة، جمعها الإنجيلي، وفق أسلوبه الشخصي المميّز، وتصميمه الخاص، لتكون خطبة توضح مفهوم سرّ ملكوت يسوع الجديد.

(٤) الخطبة الرابعة: تقع في فصل واحد (١٨)، من سبعة مقاطع. تذكر المقدّمة (١/١٨) سؤالاً من التلاميذ عن الأعظم في ملكوت السماوات، ثمّ يروح يسوع في جوابه يتابع الحديث حتّى يقاطعه بطرس في ١٨/٢١ - ٢٢، ليسأله عن الغفران.

إذا قارنا متى (١٨) بمرقس ولوقا، نجد من أصل ٣٥ آية، ١١ آية في مرقس، وفق هذا الترتيب ٩/١٠/٩، وفي لوقا ١٦ آية وفق هذا الترتيب ٩/١٨/١٤/١٧/١٥.

نستنتج من المقارنة، أسلوب متى نفسه، الذي يجمع في خطبة واحدة مقاطع عدّة، كانت أقوالاً وخطباً ليسوع متفرقة، أدخلها في تصميمه الخاص، لتكون خطبة تحدّد مسيرة التلاميذ، أبناء الملكوت الجديد.

(٥) الخطبة الخامسة: تقع في فصلين (٢٤ - ٢٥). تذكر مقدّماتها (١/٢٤ - ٣) أن تلاميذ يسوع خلّوا به وسألوه عن الهيكل وعن مجيئه ونهاية العالم. وتذكر خاتماتها (١/٢٦) أن يسوع خاطب تلاميذه وحدهم. أمّا نصّ الخطبة فهو مجموعة من ١٤ مقطعاً، يؤلّف كلّ واحد منها وحدة أدبية كاملة مستقلة، تتوالى كلّها على لسان يسوع بانتظام كلّ دون أيّ فاصل ولا أيّ تقاطع.

إذا قارنا متى (٢٤ - ٢٥) بمرقس ولوقا، نجد من أصل ٥١ آية في الفصل ٢٤، في مرقس ٣٣ آية، كلّها في الفصل ١٣ وفق الترتيب عينه، وفي لوقا ٤٣ آية موزعة بين الفصول ١٢/١٧/٢١؛ ونجد من أصل ٤٦ آية في الفصل ٢٥، في مرقس آيتين فقط، وفي لوقا ١٢ آية في الفصلين ١٣ و ١٩.

وهذا أيضاً دليل آخر واضح على أسلوب كاتب إنجيل متى الحالي، الذي جمع في خطبة واحدة، هنا أيضاً، كلام يسوع عن حدثين هامّين، دمار أورشليم سنة ٧٠، ونهاية العالم لدى مجيء يسوع دياناً، جمعها ليعلن حلول ملكوت يسوع الجديد الروحي محلّ الملكوت القديم الزمني. الميزة الثانية: كلّ خطبة تتناول موضوع «ملكوت الله» الآتي في يسوع:

تتناوله من ناحية معيّنة، وفي صورة تصاعدية متكاملة، الفكرة العامة في الخطب الخمس هي أن يسوع قد أسّس ملكوت السماوات الحقّ الجديد على الأرض:

(١) الخطبة الأولى (٥ - ٧)، خطبة الجبل، في تصميم الإنجيلي، هي شرعة ملكوت يسوع الجديد. على جبل سيناء، أعطى الله موسى الرصايا العشر، فاتحة الشريعة القديمة، وخُلاصَتها. وعلى جبل علم يسوع التطويبات فاتحة تعليمه وخُلاصَتُهُ.

لقد اعتنى متى في تأليف الخطبة الأولى كلّ العناية، فجعل الطوبيات (٣/٥ - ١٢) فاتحتَها، ومثّل الباني العاقل والباني الأحمق (٧/٢٤ - ٢٧) خاتمَتها. الطوبيات الثماني الأولى (٣/٥ - ١٠)، فاتحة خطبة الجبل، تؤلّف وحدة أدبية لاهوتية متماسكة، تبدأ وتنتهي بالعبارة «فإنّ لهم ملكوت السماوات». ومثّل الباني العاقل والأحمق (٧/٢٤ - ٢٧) خاتمة الخطبة، تعليم حكمي، يقتضي من أبناء الملكوت التصرف بحكمة في بناء صرح إيمانهم على تعاليم يسوع الراسخة.

أمّا نص الخطبة فرتبّه متى في ثلاث مجموعات، وفي كلّ مجموعة نظم سبعة مقاطع كما يلي:

المجموعة الأولى (متى ٥)

في هذه المجموعة يكمل يسوع التوراة القديمة مُلزمًا تلاميذه ببرّ يربو على برّ الكتبة والفريسيين (٢٠/٥)، ويتصرف بخالف تصرف الوثنيين (٤٧/٥)، لدخول ملكوت الله. «ومن أبطل إحدى الوصايا الصغرى... يدعى الأصغر في ملكوت الله، أما الذي يعمل ويعلم فكبيراً يدعى في ملكوت الله» (١٩/٥).

في هذه المجموعة يلزم يسوع تلاميذه بممارسات جوهرية، واتخاذ مواقف جذرية من كلّ ما يشتهي الإنسان، ليسمى أولاً للملكوت الله وبرّه (٣٣/٦)، ويحقق في حياته ملكوت الله الجديد (١٠/٦).

المجموعة الثانية (متى ٦)

١/٦ - ٤ في الصدقة
٥/٦ - ١٥ في الصلاة
١٦/٦ - ١٨ في الصوم
١٩/٦ - ٢١ الكنز الخفي
٢٢/٦ - ٢٣ سراج الجسد والعين
٢٤/٦ - الله والمال
٢٥/٦ - ٣٤ - لا تهتموا باللباس والطعام

المجموعة الثالثة (متى ٧)

في هذه المجموعة يُخرجُ يسوع المؤمنَ به من عزلة «أنا» هُ، ويدخله في ثنائية وجوده مع الله والقريب، قولاً وعملاً، لدخول ملكوت السماوات الجديد (٢١/٧).

١/٧ - ٥ لا تدينوا
٦/٧ - اللآلئ والخنازير
٧/٧ - ١١ سلوا تعطوا
١٢/٧ - إفعلوا للناس
١٣/٧ - ١٤ بابان وطريقان
١٥/٧ - ٢٠ الشجر والثمر
٢١/٧ - ٢٣ قولوا واعملوا

فخطبة الجبل (متى ٥ - ٧) هي مختصر التعليم المسيحي في الجماعة المسيحية الأولى، والمثال الأعلى للحياة المسيحية. لا ذكّر فيها للثالوث والصليب والافخارستيا والكنيسة والروح القدس... لكنها تحوي أهم ما علّم يسوع، أهمّ مقومات الدعوة المسيحية، وفضائل أبناء الملكوت: إنّها حقاً شرعة الملكوت الجديد.

٢) الخطبة الثانية (١٠)، في تصميم الإنجيلي، هي خطبة الرسالة. بعد أن أعلن يسوع، في الخطبة الأولى، برنامج رسالته، شرعة ملكوته

الجديد، إختار إثني عشر رسولاً، عليهم تقوم كنيسة العهد الجديد قيام جماعة العهد القديم على أولاد يعقوب الإثني عشر (متى ١٩/٢٨)، وأشركهم في رسالة ملكوته، وآتاهم سلطاناً على كلّ روح نجس وكلّ مرض ووهن، ووصّاهم ثمّ أرسلهم ينادون: «ملكوت الله أقبل» (٧/١٠)، كما نادى هو (٤/١٧)، ونادى المعمدان مهياً لمجيئه (٣/٢).

إعنتى الإنجيلي في تأليف هذه الخطبة، فرتّبها في مجموعة مقاطع سبعة، كما يلي:

- ١/١ - ٤ إختيار الرسل
- ١٠/٥ - ١٥ بعثة الرسل
- ١٠/١٦ - ٢٥ نجاج بين ذئاب
- ١٠/٢٦ - ٣٣ لا تخافوا
- ١٠/٣٤ - ٣٦ السيف لا السلم
- ١٠/٣٧ - ٣٩ حبّ يسوع أوّل
- ١٠/٤٠ - ٤٢ من يقبلكم يقبلني

يساوي يسوع رسله بنفسه، لأن الرسول مساوٍ لمُرسِله، كما هو مساوٍ للآب مُرسِله، في رسالة الملكوت الواحدة.

٣) الخطبة الثالثة (١٣)، في تصميم الإنجيلي، هي خطبة الأمثال، يمثل فيها يسوع سرّ ملكوته الجديد. تبدأ الخطبة بالتشديد على الأمثال، وهي طريقة تعليم حيّة تصويرية، وأردّة في الأدب الحكمي التوراتي القديم، اتخذها يسوع أيضاً، ليقرب بها من الأفهام سرّ ملكوته الجديد. وتنتهي بمثل الكاتب اليهودي العالم بالتوراة (١٣/٥١ - ٥٢) إذا ما دخل ملكوت يسوع، يجمع في رؤية إيمانية موحّدة، جديد المسيحية وقديم اليهودية.

بعد أن أعلن شرعة ملكوته، وأشرك في رسالته رسله، يبيّن يسوع في أمثال سبعة، سرّ هذا الملكوت:

المثل الأول، مثل الباذر (١٣/٣ - ٩)، يُظهر يسوع متفائلاً بتحقيق ملكوته، كالباذر الواثق من غلّة أرضه، رغم كلّ الأخطار، وهكذا ستنتصر بُشرى الملكوت في النهاية رغم كلّ العقبات.

المثل الثاني، مثل الزّؤان (١٣/١٤ - ٣٠) يُظهر الفرقَ بين رسالة يسوع ورسالة المعمدان الذي بشرَ بيسوع يضع الفأسَ على أصل الشجر، وينقي البيدر من التبن ليحرقه؛ أمّا يسوع فأتى رفيقاً صبوراً، لا يحمل فأساً، ولا يُحرق شَريراً، بل يؤاكل الجبّة والخطأة، ويرى أن يعايش المؤمنَ غيرَ المؤمن، ويبقى صالحاً مؤمناً حتّى اليوم الآخر.

المثل الثالث، مثل حبة الخردل (١٣/٣١ - ٣٢)، يُظهر ملكوت يسوع وهو ينمو كحبة خردل؛ يبدأ صغيراً حقيراً ثمّ يتخذ حجمَ الكون.

المثل الرابع، مثل الخميرة (١٣/٣٣)، يكشف سرّ الملكوت كالخميرة؛ يبدأ صغيراً لا يُرى ولا يشعر به أحد، ثمّ يظهر قوّة إلهية تخمّر الإنسانية بأسرها.

المثلان الخامس والسادس، مثلاً الكنز واللؤلؤة، يُظهران ملكوت يسوع قيمةً فريدة، خفية، ولكن إذا اكتشفتْ تُحدثُ فرحاً فائقاً، فيضحي الإنسان في سبيل الحصول عليها بأغلى ما يملك.

والمثل السابع، مثل الشبكة (١٣/٤٧ - ٥٠)، يكشف سرّ الملكوت، كما مثل القمح والزّؤان، فإنه يضمّ الصالح والشرير، ولا يتمّ الفصل إلّا في اليوم الآخر.

للأمثال السبعة مغزى واحد: سرّ ملكوت يسوع الجديد. إنه روحي داخلي لا ملكوت خارجي زمني سياسي، على ما كان يتوقّعه اليهود معاصروه.

(٤) الخطبة الرابعة (١٨)، في تصميم الإنجيلي، هي خطبة الكنيسة. تبدأ بسؤال التلاميذ عن الأعظم في ملكوت السماوات (١/١٨)،

وتنتهي بمثل العبد القاسي (٢٣/١٨ - ٣٥) عن الغفران الكامل في ملكوت يسوع الجديد، الذي يتحقق في الجماعة المؤمنة.

رتّب الإنجيلي سبعة مقاطع جعلها خطبة واحدة، كما يلي:

- ١/١٨ - ٥ مَن الأعظم
- ٦/١٨ - ١١ مُسَيِّبُ الزَّلَّات
- ١٢/١٨ - ١٤ النعجة الضالّة
- ١٥/١٨ - ١٨ كيف تُصلح أخاك
- ١٩/١٨ - ٢٠ صَلُّوا معاً
- ٢١/١٨ - ٢٢ إغفروا دون حساب
- ٢٣/١٨ - ٣٥ مَثَلُ الغفران الكامل

جمع الإنجيلي هذه المقاطع خطبة واحدة، يخاطب بها يسوع تلاميذه، نواة كنيسته، ويحدّد فيها مسيرة أبناء الملكوت.

٥) الخطبة الخامسة (٢٤ - ٢٥)، في تصميم الإنجيلي، هي خطبة النهايات. في المقدّمة (١/٢٤ - ٣) ذكّر لدمار هيكل أورشليم، عاصمة الملك اليهودي، وهو علامة لمجيء الرب يسوع منتصراً، وحلول ملكه الروحي النهائي محلّ الملك الزمني. وفي المقطع الأخير (٣١/٢٥ - ٤٦) وصّفَ ليوم الدين، فيه يأتي المسيح يسوع ملكاً ممجّداً ليدين، ويورث الصالحين، مُباركي أبيه، الملكوت المعدّ لهم منذ إرساء العالم (٣٤/٢٥).

رتّب الإنجيلي الخطبة في مجموعتين، وكلّ مجموعة في سبعة مقاطع، كما يلي:

المجموعة الأولى:

- ٤/٢٤ - ٨ فاتحة المخاض
- ٩/٢٤ - ١٤ إضطهاد المبشرين بالإنجيل
- ١٥/٢٤ - ٢٢ المحنة الكبرى
- ٢٣/٢٤ - ٢٥ المسحاء الكذّابون

٢٨ - ٢٦/٢٤ مجيء ابن الإنسان كالبرق
 ٣١ - ٢٩/٢٤ مجيء ابن الإنسان في المجد
 ٣٣ - ٣٢/٢٤ مَثَلُ التينة

المجموعة الثانية

٣٦ - ٣٤/٢٤ تحقيق قريب أكيد ومفاجيء
 ٤١ - ٣٧/٢٤ مَثَلُ أَيَّامِ الطوفان
 ٤٤ - ٤٢/٢٤ مَثَلُ رَبِّ الْبَيْتِ السَّاهِرِ
 ٥١ - ٤٥/٢٤ مَثَلُ الْقِيَمِ الْأَمِينِ
 ١٣ - ١/٢٥ مَثَلُ الْعِذَارَى
 ٣٠ - ١٤/٢٥ مَثَلُ الْوِزْنَاتِ
 ٤٦ - ٣١/٢٥ يومُ الدين

كلّ هذه المقاطع تشدّد على «المجيء»، والكلمة في الأصل اليوناني^(١) تعني الحضور. كان العالم اليوناني الروماني يستعملها ليعبّر بها عن مجيء الملوك ودخولهم الإحتفالي إلى عاصمة ملكهم، مع ما يرافق ذلك من ولائم وخطب وهدايا ووعود ومشاريع. وكان يُعبّر بها أيضاً عن مجيء الآلهة في ظهورات خاصّة، ومواكب فخمة. فقد استعمل المسيحيون الأولون الكلمة كتعبير تقنيّ عن مجيء المسيح للمجد (متّى ٢٤/٢٧، ٣٧، ٣٩؛ ١ تس ٢/١٩؛ ١ قور ١٥/٢٣)، عن مجيئه الأخير، وعن أيّ مجيء، لأنه حاضر أبداً في كنيسته، مقيم فيها ملكوته الجديد، على أنقاض ملكوت الأرض.

أمّا دمار الهيكل وظهور المسحاء الكذابين وحدوث الحروب والمجاعات والزلازل، وزعزعة عناصر الكون كالشمس والقمر والكواكب، فهي صور مألوفة في الأدب الرؤيوي، ولكن الإنجيلي متّى يرفض أن يرى فيها علامات مباشرة لنهاية العالم، أو وصفاً واقعياً دقيقاً

لمجيء الرب الأخير، بل هي آلام مخاض تسبق ولادة عالم جديد، وتعبير نبوي عن خطورة عمل الله الخلاصي، وكأنه يُعيد الكون إلى العدم ليخلقه من جديد.

الميزة الثالثة: كل خطبة تسبقها مجموعة أحداث كبرى، تمهّد لها، في صورة مباشرة.

يتفرّد متى بجمع أحداث حياة يسوع العلنية في خمس مجموعات كبرى، تمهّد للخطب الخمس، موضوعها شخصية يسوع الملك الجديد.

(١) خطبة الجبل:

تمهّد لها مجموعة أحداث في الفصلين (٣ - ٤). تصف شخصية يسوع وجوهر رسالته من خلال شهادة المعمدان (١/٣ - ١٢)، وشهادة السماء (١٣/٣ - ١٧)، وقهر يسوع لِسَاسِ إبليس كُلِّهَا (١/٤ - ١١)، وتحوّله مبشراً بالملكوت حول البحيرة، وشافياً كل مرض (١٢/٤ - ١٧)، ودعوته للتلاميذ الأربعة الأوائل (١٨/٤ - ٢٢)، وثافت الجموع عليه من كل صوب (٢٣/٤ - ٢٤).

تلك شخصية يسوع الفريدة ترسمها مجموعة الأحداث (٣ - ٤)، فتمهّد مباشرة لسماع تعاليمه السامية في خطبة الجبل، حيث أعلن شرعة ملكوته الجديد.

(٢) خطبة الرسالة:

تمهّد لها مجموعة أحداث في الفصلين (٨ - ٩)، حيث يتفرّد متى بجمع عشر آيات أتاها يسوع، فأظهر فيها سلطانه على الكون، وعلى الأمراض جميعها، وعلى الموت، وعلى الشيطان، وبين أن ملكوت الله حاضر حالاً في شخصه، وهذا بدء إنتصار روح الله القدوس الحالّ فيه على قوّات الشرّ والخطيئة في الناس، وذلك كمقدمة لانتصاره الأخير بقيامته من بين الأموات. في الفصلين (٨-٩) يهتف يسوع بتلاميذه الذين اختارهم وأوصاهم بما يعملون، وأرسلهم في الفصل ١٠، خطبة الرسالة.

(٣) خطبة الأمثال :

تمهّد لها مجموعة أحداث في الفصلين (١١ - ١٢)، تعبّر عن الطابع الروحي لرسالة يسوع، رسالة لم يفهمها مَنْ كانوا ينتظرون مسيحاً زمنياً، أمثال المعمدان (١١/٢ - ١٩)، وسكّان مدن البحيرة (١١/٢٠ - ٢٤)، والفريسيّين والرؤساء (١٢/١ - ٤٥)، حتّى سمّوه بعزل زبول (١٢/٢٣ - ٣٢)، وهم يدّعون أنهم حكماء. لكنّ سرّ ملكوت يسوع، ربّ الرّفق وتواضع القلب (١١/٢٨ - ٣٠)، وعبد الله الحليم الحنون الذي يصلّ بالحكم إلى النصر (١٢/١٥ - ٢١)، قد كشفه الله للأطفال البسطاء تلاميذه (١١/٢٥ - ٢٧)، وللسامعين كلمته العاملين بمشيئة الله (١٢/٤٦ - ٥٠).

(٤) خطبة الكنيسة :

تمهّد لها مجموعة أحداث في الفصول (١٤ - ١٧)، وهي مرحلة جديدة حاسمة في حياة الرب. نراه يعتزل الجموع لكي يتفرّغ لتلاميذه يعلمهم ويُعدهم ليومه الكبير. هي مرحلة تأسيس الجماعة المسيحية برئاسة بطرس. لذلك جمع الإنجيلي، بأسلوبه الشخص وتصميمه الخاص، في هذه الفصول معظم المعطيات الإنجيلية التقليدية في حياة الرب لقيام الكنيسة، كما هو يريدّها:

* مقطع الخبز (١٤/١٣ - ١٦/١٢) يدور موضوعه على الخبز والطعام، وله أهميّة كبرى بالنسبة إلى الخبز الأفخرستي، غذاء الكنيسة. وذكّر أعجوبة تكثير الخبز مرتين برهاناً على أن حياة الكنيسة محورّها مائدة الرب. والخبز لا يرمز إلى الأفخارستيا فحسب، بل إلى التعليم والعقيدة التي تقوم عليها كنيسة المسيح (رسل ٢/٤٢).

* دور الرسل وبطرس في بنية الكنيسة، تركّز عليهم الفصول (١٤ - ١٧)، وعلى علاقتهم الحميمة بشخص يسوع، وإيمانهم به أنه المسيح ابن الله الحي، لأن الجماعة المسيحية ليست فوضوية، بل هي ذات سلطة متسلسلة من المسيح إلى الرسل إلى جميع المؤمنين.

* يسوع المعلم والمتألم: بعد إعلان بطرس لمسيحانية يسوع، يبدأ يسوع لأول مرة يعلن سرّ آلامه وموته وقيامته في أورشليم. لا تقوم الكنيسة على يسوع معلماً فحسب، بل أيضاً متألماً مصلوباً مائتاً وحيّاً قائماً إلى الأبد.

(٥) خطبة النهايات، تمهّد لها مجموعة أحداث في الفصول (١٩ - ٢٣). وهي مرحلة جديدة في حياة الربّ يسوع، ينتقل فيها من الجليل إلى أورشليم، ويدخل تلاميذه معه في تطوّرات الأزمنة الأخيرة، التي تروح تشبّك وتتعمّد من فصل إلى آخر حتّى تبلغ ذروتها في خطبة الويلات (٢٣) ثم في خطبة النهايات (٢٤ - ٢٥). يشدّد فيها يسوع على مقتضيات الملكوت الصعبة: يحرم الطلاق (١٩/٣ - ٩)، ويتكلّم بوضوح على البتولية الاختيارية الكاملة من أجل الملكوت (١٩/١٠ - ١٢)، ويلزم تلاميذه بالكفر بالنفس والتجرّد عن المال والإحسان للفقراء كشرط جوهري لدخول الملكوت (١٩/١٦ - ٣٠) ويعلن للمرة الثالثة عن آلامه وموته وقيامته (٢٠/١٧ - ١٩)، ويضع شروطاً قاسية على من يريد الجلوس عن يمينه ويساره في ملكه (٢٠/٢٠ - ٢٨).

يصل إلى أورشليم فيتوجّه توّاً إلى الهيكل، ليظهره معلناً أن يوم التجديد الروحي قريب (٢١/١ - ١٧). وتأتي الجدالات الخمسة لتدلّ على حكمة يسوع وقوّته الباهرة التي لا يقدر الرؤساء والسيّوخ والفريسيون والكتبة على مقاومتها:

- جدال حول سلطة يسوع (٢١/٢٣ - ٢٧)
- جدال حول الجزية لقيصر (٢٢/١٥ - ٢٢)
- جدال حول القيامة (٢٢/٢٣ - ٣٤)
- جدال حول أعظم الوصايا (٢٢/٣٥ - ٤٠)
- جدال حول المسيح ابن داود وربّه (٢٢/٤١ - ٤٦)

وفي ترتيب متى، أمثال جديدة أربعة يبيّن يسوع فيها أن الله رذل شعبه القديم، واختار بدلهم شعباً جديداً من جميع شعوب الأرض:

- مثل التينة (٢١/١٨ - ٢٢)
- مثل الإبنين (٢١/٢٨ - ٣٢)
- مثل الكرّامين القتلة (٢١/٣٣ - ٤٦)
- مثل عرس ابن الملك (٢٢/١ - ١٤)

وتنتهي مجموعة الأحداث هذه بويلات سبعة في أورشليم إلى الكتبة والفريسيّين مباشرة، نشر فيها خبثهم ورياءهم (٢٣/١ - ٣٦). ويختم بنداء أخير يائس يُنذر بالدمار التامّ أورشليمَ وبنيتها (٢٣/٣٧ - ٣٩). وهكذا تمهّد مجموعة الأحداث (١٩ - ٢٣) لخطبة النهايات (٢٤ - ٢٥).

الميزة الرابعة: كلّ خطبة تختّم بعبارة واحدة:

منذ بدء حياة يسوع العلنية (فصل ٣) حتى يومين قبل آلامه (٢٦/١ - ٢) جمع الإنجيلي أحداث حياة يسوع وخطبته في لوحات خمس كبرى نتيّن فيها تصميماً واحداً: في كلّ لوحة خطبة، وكلّ خطبة تمهّد لها أحداث. وموضوع الأحداث والخطبة واحد وهو ملكوت الله الآتي في يسوع. وكلّ لوحة تختّم بعبارة واحدة، وهي حرفياً: «وصار عندما أكمل يسوع هذه الكلمات...»

اللوحه الأولى، شرعة الملكوت (٣ - ٧)، تختّم بعبارة: «ولما فرغ يسوع من هذه الكلمات، عَجِبَتْ من تعليمه الجموع، لأنه كان يعلمهم كذي سلطان، لا مِثْلَ كَتَبَتِهِمْ» (٧/٢٨ - ٢٩).

اللوحه الثانية، رسالة الملكوت (٨ - ١٠)، تختّم بعبارة «ولما فرغ يسوع من وصاياه إلى تلاميذه الإثني عشر إنتقل من هناك يعلم في مدن اليهود ويبشّر» (١١/١).

اللوحه الثالثة، سرّ الملكوت (١١/٢ - ١٣/٥٣)، تختّم بعبارة «ولما فرغ يسوع من هذه الأمثال، إنصرف من هناك» (١٣/٥٣).

اللوحه الرابعة، جماعة الملكوت (١٣/٥٤ - ١٩/١)، تختّم بعبارة «ولما فرغ يسوع من هذه الكلمات، ترك الجليل وجاء ضواحي اليهودية في عبر الأردن» (١٩/١).

اللوحة الخامسة، مجيء الملكوت (١٩ - ٢٥)، تُخْتَم بعبارَة «ولما فرغ يسوع من كلّ هذه الكلمات، قال لتلاميذه: تعلمون أنّ الفصح واقع بعد يومين، وأنّ ابن الإنسان يُسَلِّم لكي يُصَلَّب» (٢٦/١ - ٢).

خاتمة:

إلى تلك اللوحات الخمس المؤلّفة كلّها من أحداث وخطب وعبارَة خاتمة واحدة، من الفصل ٣ حتّى ٢٥، أضفّ لوحة إنجيل الطفولة (١ - ٢)، ولوحة إنجيل الآلام والموت والقيامة (٢٦ - ٢٨)، ترّ أنّ متى يروي حياة يسوع في سبع لوحات متتالية، متكاملة، متصاعدة، وكأنّها عمل مسرحيّ كبير في سبعة فصول، بطلها يسوع، وموضوعها واحد: يسوع هو الملك المخلّص الموعود!

* الأب يوحنا الخوند. ولد سنة ١٩٣٦ في صيدون (قضاء جزين).
- رسم كاهناً سنة ١٩٦٤. حاز على الإجازة في العلوم الكتابية من المعهد البيبلي البابوي في روما. ثم على دبلوم في العلوم الكتابية من مدرسة الكتاب المقدس والآثار التابعة للآباء الدومنيكان في القدس.
يدرس مادة العهد الجديد في كلية اللاهوت الحبرية في جامعة الروح القدس. أهم إنجاز في حياته: نقل الأناجيل وأعمال الرسل والرسائل والرؤيا.

الفصل السابع

الأمثال في انجيل القديس متى

الخوري نعمة الله الخوري*

المثل هو طريقة تعليمية تلفت انتباه الناس إلى حقائق سامية بعيدة عن متناولهم. فنانان النبي جعل الملك داود يعترف بخطيئته بعد أن روى له قصة رجل ظالم (٢ صم ١٢/١ - ٥). من الملاحظ أن العقلية الشرقية تتعامل بشغف مع طريقة التعليم بالأمثال، لذلك نجد دوماً ذكر التشابه والأمثال عبر العهد القديم وبالتالي في تعليم السيد المسيح.

عرض القديس متى جزءاً من أمثال المسيح في المواقع التالية:

في الفصل ١٣ جمع سبعة أمثال (الزراع، الزؤان، حبة الخردل، الخميرة، الكنز، اللؤلؤة، الشبكة).

أما في الفصول ٢٠ - ٢٢، فقد عرض متى القسم الثاني من أمثاله: (العملة وأجرتهم، الإبنين، الكرامين القتلة، وليمة الملك).

ثم عرض في الفصلين ٢٤ - ٢٥ القسم الثالث من أمثاله: (الوكيل الأمين، العذارى، الوزنات).

سنحاول أن نعرض المعنى العام لهذه الأمثال، وأن نبين الترابط فيما بينها لنستنتج مغزاها وهدفها التعليمي.

أولاً: أمثال القديس متى في الفصل ١٣.

هناك ارتباط وثيق بين مضمون تعليم الأمثال في هذا الفصل وبين

موضوع الحلقة الإخبارية التي تسبقه. إن الفصلين ١١ - ١٢ من إنجيل متى يتضمنان رفض اليهود للمسيح الذي أسس ملكوت الله. فقد اشتكى يسوع من غباوة البشر الذين يتوجّه إليهم، واتهمهم بأنهم لا يفهمون رسالته ولا يؤمنون به (متى ١١/١٦ - ٢٤؛ ١٢/١٢ - ١٤؛ ٢٤/١٢ - ٢٥).

وما يلفت انتباهنا هو أن يوحنا المعمدان نفسه شكّ برسالة المسيح، فأرسل تلاميذه يسأل: هل أنت المسيح أم ننتظر آخر (متى ١١/٢ - ٦)؟ لذلك شكر يسوع الله لأنه أخفى أسرار ملكوت الله عن الحكماء وأظهرها للأطفال (متى ١١/٢٥ - ٢٧).

في هذا الإطار كتب متى الفصل ١٣ من إنجيله، فعرض سبعة أمثال، موضوعها العام: سر ملكوت الله يتحقّق في نهاية الأزمنة، ولكنه حاضر منذ الآن. إن ملكوت الله هو مستتر في قرار الله الخلاصي، ولكنه ظاهر في شخص يسوع. وقد حاول أن يشرح أسرار هذا الملكوت لليهود فلم يقبلوه ولم يفهموه. لذلك عمد إلى شرح أسرار الملكوت بواسطة الأمثال.

١ - إن مثل الزارع (متى ١٣/٣ - ٩) يعرض في قسمه الأول فشل الزرع، فقد أكلت الطيور بعض الحب وأحرقت الشمس قسماً منه، وخنق الشوك القسم الآخر. هذه إشارة إلى المقاومة التي واجهها يسوع من الشعب اليهودي، حين أسس ملكوت الله. إن العنصر المشترك لكل هذه الخسارات هو أنها نتيجة عنصر مدمر، يبید نمواً كان قد بدأ. ولكننا نلاحظ في نهاية المثل النجاح الباهر الذي حققه قسم من الزرع، هذا النجاح يجعلنا ننسى الخسارات المتلاحقة في الآيات السابقة. ويعلمنا هذا النجاح أنه يوجد حتماً حصاد بالرغم من الخسارات الملحوظة. لقد فهم التلاميذ أن تأسيس ملكوت الله يصطدم بصعوبات واعتراضات، وأن بداياته ليست ناجحة تماماً. ولكن المثل يوضح أن المسيح يقوم بعمله وسط صعوبات كثيرة، غير أنه سينتصر في النهاية.

٢ - أما مثل الزّؤان (متّى ٢٤/١٣ - ٣٠) فإنه يشدّد على كيفية تعايش الأبرار مع الأشرار في هذا العالم. لقد تمّ اكتشاف الزّؤان المبدور خفية، واقترح الخدم اقتلعه، غير أن صاحب الأرض رفض وترك كل شيء على حاله. إننا نلاحظ لدى التلاميذ هذا التساؤل: كيف يسمح الله بنموّ الأشرار على الأرض دون معاقبتهم هنا؟ هكذا تذرّ أيوب (٧/٢١ - ٨؛ ٢٨ - ٣٣) وهكذا تشكّى صاحب المزامير (مز ٩/٢٢ وما يليه).

إن ازدهار الأشرار وتكاثر المظالم التي يتعرّض لها الأبرار هما تناقض لا يمكن فهمه، وهما يؤثران على الايمان بملكوت الله الذي أسسه يسوع. لذلك عرض يسوع هذا المثل، وشدّد على رفض اقتلاع الزّؤان. طلب منا أن نرفض الحل السهل ودعانا إلى الصبر والتحمّل حتى يأتي الحلّ في النهاية في وقت الحصاد.

إذا حاولنا مقارنة مثل الزارع بمثل الزّؤان، لاحظنا بينهما تشابهاً واضحاً. فالمثلان يعالجان قلة الصبر بالنسبة إلى الملكوت: من ناحية يؤكد مثل الزارع أنه يجب أن يُفقد قسمٌ كبير من الزرع. ومن ناحية أخرى يعلمنا مثل الزّؤان أنه لا يجب استباق الأوقات حتى نلغي أعمال الشرير قبل ساعة الحصاد.

إن الفكرة الجديدة التي يطرحها مثل الزّؤان هي التالية: ألا يمكن ابعاد هذه المقاومة للملكوت؟ يأتي الجواب بطلب الانتظار، لأن المسيح الزارع الاسكاتولوجي للملكوت الله سيبيد الأشرار يوم القضاء.

٣ - وإذا قرأنا مثل حبة الخردل (متّى ١٣/٣١ - ٣٢) نرى تطابقاً واضحاً مع تعليم مثل الزارع. فكما أن الزرع الجيد أعطى مئة وستين وثلاثين، كذلك يعلمنا مثل حبة الخردل أن قوة الله تظهر ببدايات متواضعة تكاد لا تُذكر. فالذين يتعجّبون من رؤية ملكوت الله يصيب القليل من النجاح في العالم، سيلاحظون أن النتيجة ستكون كبيرة والنجاح سيكون باهراً: إن حبة الخردل أصبحت شجرة تعشّش طيور السماء في أغصانها.

٤ - ولمثل الخميرة (متى ١٣/٣٣) نفس المغزى: إن كمية الخميرة القليلة تخمّر الدقيق كله.

٥ - ونلاحظ في مثلي الكنز واللؤلؤة (متى ١٣/٤٤ - ٤٦) أن الرجلين وجدا كنزاً مخبأً. إن ملكوت الله هو مهم جداً في حياتنا وهو مخبأً، فلا يجده إلا عدد قليل من الناس. ولكن الذين وجدوه تركوا كل شيء وامتلكوا ذلك الملكوت.

٦ - وفي نهاية الفصل ١٣ يعرض لنا القديس متى مثل الشبكة بألفاظ شبيهة بتعابير مثل الزؤان، فنلاحظ تطابقاً بين تعليم هذين المثليين مع فارق طفيف. استبدل متى فكرة الحقل والزرع بفكرة البحر والشبكة، لأن فكرة الشبكة هي أكثر ديناميكية. فبدل الانتظار الطويل في مثل الزؤان نرى هنا أن الشبكة قد سُحبت بسرعة والسماك فصل فوراً.

باختصار، عرضَ القديس متى في هذا الفصل تعليماً كاملاً ومفصلاً عن الأمثال فأورد سبعة أمثال، وأرفقها بشرح مفصّل لمثلي الزارع والزؤان. كما شرح سبب استعمال يسوع للأمثال. هذا دليل على أن الفصل ١٣ من متى هو وحدة متكاملة حول موضوع واحد يشرح فيه متى الأمثال من مختلف جوانبها.

هذه المجموعة من الأمثال التي عرضناها تشبه نمو ملكوت الله في العالم بنمو الزرع في الحقل وسط صعوبات مختلفة (الزارع). ولكن ملكوت الله سينتصر في النهاية (حبة الخردل، الخميرة). فيجب الانتظار والهدوء (الزؤان). والمطلوب أن نترك كل شيء لنمتلك هذا الملكوت (الكنز واللؤلؤة).

ثانياً: أمثال القديس متى في الفصول ٢٠ - ٢٢.

عرض القديس متى القسم الثاني من أمثاله في الحلقة الإخبارية (الفصول ١٩ حتى ٢٢) التي تحضر موضوع الخطاب الخامس (الفصلين ٢٤ - ٢٥).

إن موضوع هذه الحلقة يدور حول التصادم المتصاعد بين يسوع والفرّيسيّين. كشف مكرهم، فبدأ يستبعد الشعب اليهودي وعبادته، ليحلّ محله شعب جديد.

١ - في مثل العملة وأجرتهم (متّى ١٦/٢٠ - ١٦) نجد اعتراض العمال على رب البيت الذي ساوى العمال الذين عملوا ساعة واحدة بالذين حملوا ثقل النهار وحرّه. إن الجواب يشدّد بوضوح على أن رب الكرم لم يظلم أحداً. إنه صاحب سلطان مطلق، ولكن هذا السلطان يركز على طيبة قلبه. لم يرفض هؤلاء العمال طيبة قلب رب البيت بسبب تفكيرهم بالعدالة كما يعتقدون، بل لأن الحق قد أعمى قلوبهم. تعلّمنا هذا المثل أن حب الله يتخطى قوانين العدالة، ويكشف عن الطيبة اللامتناهية لله الذي يقبل بواسطة يسوع المسيح هؤلاء الذين جاؤوا متأخرين إلى ملكوت الله.

٢ - إن مثل الإبنين (متّى ٢٨/٢١ - ٣٢) يعرض قسمين من الشعب على أيام المسيح: الأبرار وهم زعماء الشعب اليهودي الذين سمعوا كلام الله وقبلوه ولكنهم لم يعملوا بموجبه، والخطاة الذين رفضوا إرادة الله وعاشوا بعيداً عنه، لكنهم في النهاية قبلوا مشيئة الله وآمنوا بالمسيح.

لقد عرض يسوع في هذا المثل طريقة جديدة في التصرف مع الله، تسمح للإنسان بالدخول إلى الملكوت. وهذه الطريقة هي الإيمان بيوحنا المعمدان وبالتالي الإيمان بيسوع. إن الإيمان والتوبة يجعلان أبواب الملكوت تنفتح للناس سواء أكانوا يهوداً أم وثنيين.

٣ - أما مثل الكرّامين القتلة (متّى ٣٣/٢١ - ٤٦) فإنه يؤكّد أن الله اختار الشعب اليهودي وأعطى المسؤولية للكهنة والكتبة والفرّيسيّين الذين خانوا العهد مع الله. إن إرسال الأنبياء بتواتر يدلّ على استمرارية تصميم الله الخلاصي، ولكن اليهود رفضوا مشيئة الله. ثم إن قتل الابن الوحيد الذي يدلّ على يسوع المسيح، يعني الرفض النهائي والأخير لإرادة الاله، لذلك عاقبهم الله وانتزع منهم مسؤوليتهم على شعب الله

وأعطاهما إلى كرامين جدد، إلى الرسل، الذين قاموا بمسؤوليتهم على أكمل وجه وأعطوا الله الثمر في حينه.

٤ - وإن مثل وليمة الملك (متى ١/٢٢ - ١٤) يكشف بوضوح أن يسوع يتوجّه إلى اليهود الذين رفضوا دعوة الله، ثم يعود إلى الوثنيين الذين قبلوا إرادة الله ودخلوا في ملكوته.

والتعليم الجديد الذي يعرضه المثل هو التالي: يوجد بين الفقراء والمساكين الذين قبلوا الدعوة أناس طيبون كما يوجد أناس أشرار، فلا يكفي أن ننال نعمة الدعوة إلى الخلاص، وأن ندخل بيت الله، بل يجب أن نستعدّ لتلبية هذه الدعوة.

لقد عانت الكنيسة الأولى الأمرين بسبب الصعوبات الناجمة عن انضمام الوثنيين إلى الكنيسة. وقد عُقد مجمع أورشليم لهذه الغاية. فتحت الكنيسة أبوابها للوثنيين، فأصبح الأولون آخرين والآخرون أولين.

ثالثاً: أمثال القديس متى في الفصول ٢٤ - ٢٥

رفض يسوع بشكل قاطع الافصاح عن الساعة، ودعا المؤمنين للاستعداد التام: أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد (متى ٣٦/٢٤). وشبه مجيء ابن الإنسان بأيام نوح. هذا التقارب بين أيام نوح وأيام ابن الإنسان يؤكد أن الناس الذين عاشوا في هاتين الحقتين جهلوا التهديد الخطير الذي يحيط بهم. إن القضاء سيكون مفاجئاً وسريعاً، ولن تكون هناك أية وسيلة للبشر للاستعداد. وكما هلك الجميع على أيام نوح ونجا هو وعائلته من الطوفان بسبب استعداده وقبوله كلام الله، هكذا سيهلك اليهود وسيتمّ تدمير الهيكل، فلا يبقى إلاّ البقية الباقية التي ستنجو. لا يبقى إلاّ مجموعة المؤمنين المستعدين لمجيء ابن الانسان.

نلاحظ أن القديس متى عرض القسم الثالث من أمثال المسيح (الوكيل الأمين والوكيل الخائن، العذارى، الوزنات) في إطار

وصفه للكارثة النهائية: إن الله سيترك شعبه القديم وسيستبدله بشعب جديد.

١ - إن مثل الوكيل الأمين (متى ٢٤/٤٥ - ٥١) يعالج فكرة اليقظة الموجودة في النص السابق ويوسعها ويوضحها. يقول المثل إنها يقظة فاعلة، انها تتميم أمين للمهمة المطلوبة. وبالتالي إن ما دفع الخادم الشرير إلى إهمال واجباته، هو أنه اقتنع أن لديه الوقت الكافي ليلهو. كما أن تأخر مجيء معلمه وضع فيه شكاً واستقلالية خطيرة إلى حد أنه رفض وجود معلمه، لذلك سيخضع للعقاب.

٢ - أما مثل العذارى (متى ١/٢٥ - ١٣) فهو يحمل تعليماً واضحاً حول الاستعداد واليقظة لمجيء العريس السماوي. إن المعلم قد يتأخر مجيئه، والمؤمن يجهل الساعة. لذلك يطلب المثل منا السهر وتتميم الرسالة بأمانة، كما أنه يطلب التحلي بالحكمة وبعد النظر ورؤية المستقبل وانتظار الحدث العظيم بانتباه تام.

هذا الجو العام سيطر على الكنيسة الأولى. وقد كتب القديس بولس الى أهل تسالونيكى (١ تسا ١٣/٤ - ١٨) الذين استغربوا وفاة أحد المؤمنين: «إننا نحن الذين نبقى أحياء نُخطف معهم في السحب لنلاقي ربنا في الهواء». إن سمع انسان كلام المسيح وقبله، فان كل حياته تتوجه نحو المستقبل كما أن كل تخطيطاته وأفكاره وحياته تجدد معناها في الحدث القريب الموجود أمام الباب.

٣ - ونجد في مثل الوزنات (متى ١٤/٥ - ٣٠) تكراراً لفكرة اليقظة والأمانة. إن الخادم الأمين هو شبيه بالخادم الذي نال الوزنات الخمس. وما يلفت انتباهنا هو التشديد على العبد الكسلان الذي يتجاهل مجيء سيده. لذلك فالعقاب الذي ينتظره سيكون كبيراً.

في الختام نقول إن الطرق مختلفة لفهم الأمثال وشرحها. فبعضهم يفتشون عن الحقيقة التاريخية التي استوحى منها يسوع أمثاله. إن مثل الكرامين القتلة يمكن فهمه بالعودة إلى التاريخ حيث كان اقطاعيون أجانب يملكون مساحات من الأراضي في الجليل. وهذا يعني أنه في

حال وفاة الإقطاعي ومن يرثه، يصبح الحقل ملكاً لمن يعتني به. وقد طبق المسيح هذا الواقع التاريخي على علاقة الناس بالله. كما أنه يمكننا اعتماد شرح الرموز في الأمثال رمزاً رمزاً. وهذه الطريقة اعتمدها يسوع في شرح مثلي الزارع والزوّان. ويمكننا وضع المثل في إطاره المباشر وفي إطار الانجيل العام وقد اعتمدنا هذه الطريقة في عرضنا.

* الأب نعمة الله الحوري. ولد في كفرصغاب (لبنان الشمالي) سنة ١٩٥٧
 - حاز على اجازة في اللاهوت في الكسليك
 - يدرّس العهد الجديد في اكليريكية كرم سده، لبنان الشمالي

الفصل الثامن

متّى يقرأ العهد القديم

الأب أيوب شهوان*

١- العهد القديم، تحديداً، هو الانبياء والمزامير، او التوراة والانبياء والمزامير، وقانونياً، التوراة، والانبياء، والكتب.

انه كتاب شعب الله المختار، شعب العهد الاول، منه استقى روحانيته، وفيه صلى، ومنه غرّف رجاءه، وبفضله استمرّ.

٢- ماذا يعني عنوان المحاضرة، متّى يقرأ العهد القديم؟

المقصود هو ان متّى يعرف العهد القديم، وهو متشبع منه، وانه يستشهد به عند تحرير انجيله، ويستعين به في تدوين بشارة يسوع. فمتّى يهودي، يعرف ديانته وكتبها، حتى ولو كان عشّاراً ومُبغضاً بسبب خدمته كجانب عند الغرباء المحتلين، الاعداء. إنه ابن بيته في كل أبعادها ووجوهها، في عظمتها وضِعَتها، في غناها وفقرها، في روحانيته وماديتها؛ يعرف أنه ينتمي الى شعب مختار، وان هذا الشعب عينه «يعبد الله بشفتيه، وقلبه منه بعيد، وان تعاليمه هي وصايا بشر» (مت ٩-٨/١٥). لذلك، يبدو متّى «الكاتب الذي تتلمذ للملكوت السماوات، ويخرج من كنزه طريفاً وتليداً» (مت ١٣/٥٢).

٣- لمن كتب متّى انجيله ولماذا؟

إنطلاق من هواجس الجماعة المسيحية التي تكوّن فيها انجيل متّى،

ومعاناتها، وتطلّعاتها، وهي من اصل يهودي، وتنتمي الى المنطقة السورية الفلسطينية، تعاني من ازمة حادة في الهوية، والمستقبل الغامض، والمصير المقلق، على الاخص بعد أن صار هناك طلاق نهائي بين اليهودية والمسيحية على أثر طرد المسيحيين من المجمع وفصلهم عن الديانة الموسوية بشكل رسمي في مجمع يمينه، الذي اجتمع فيه الفريسيون، وقرّروا في ما قرّروا نبذ كل من اتبع شيعة الناصري. فوجد المسيحيون أنفسهم في مواجهة وضع جديد تحفّ به المخاطر من كل صوب، وصعوبات قد تهزّ فيهم المعتقد والايمان، وبالتالي قد تمسّ الالتزام والسلوك.

في محاولة متى لمعالجة هذا الوضع الناشيء، وللردّ على تساؤلات جماعته المصيرية، يبين لها ان حياتها لا يمكن إلا ان تكون على صورة ومثال حياة الرب، أي تجسيدا لملكوت الآب في الالم والشدة، كما في الفرح والسلام. ملكوت السماوات الذي تجلّى في شخص المسيح وعيشه تبشيره، سيصبح مسؤولية الجماعة المؤمنة بعمانوئيل، الملك الذي يبحث عنه المجوس في بداية الانجيل، والذي تتوضح هويته رسمياً على الصليب على يد بيلاطس البنطي الذي يكتب: «يسوع الناصري ملك اليهود». وترتبط الملكية في متى بالتيار المسيحاني الذي يشكل عصب الحياة والرجاء المتواصل في حياة الشعب اليهودي قبل التجسّد.

يفتح متى في خبر البيان ليوسف سلسلة استشهادات عن تميم نبوءات العهد القديم، وعددها عشرة:

$$١٤/٧ \text{ اش} = ٢٣-٢٢/١$$

$$١/٥ \text{ مي} = ٦/٢$$

$$١/١١ \text{ هو} = ١٥/٢$$

$$١٥/٣١ \text{ ار} = ١٨/٢$$

$$١٦-١٥/٤ = ٢٣/٨ \text{ اش} ؛ ١/٩$$

$$١٧/٨ = ٤/٥٣ \text{ اش}$$

$$٢١-١٨/١٢ = ٤٢/١-٤$$

٢/٧٨ = ٣٥/١٣ مز

٩/٩ = ٥/٢١ اش ١١/٦٢ ؛ زك ٩/٩

٩-٦/٣٢ = ١٠-٩/٢٧ زك ١١/١٢-١٣ ؛ ار ٩-٦/٣٢

الاستشهاد الاول، ٢٣-٢٢/١، هو للنبي اشعيا عن جبل العذراء التي ستلد ابناً يدعى عمانوئيل «الله معنا»، يوازيه في ختام الانجيل تأكيد يسوع القائم من الموت: «هأنذا معكم طوال الايام وحتى انقضاء الدهر» (٢٠/٢٨).

هذا هو المحور الرئيسي الاساسي لإنجيل متى.

يسوع في انجيل متى، إن كان بشخصه، او بتعليمه، او بعمله، هو امتداد للعهد القديم وإكمال له، وهذا ما يبينه لنا كل من فصول أول الانجيل. كان على الكنيسة الناشئة ان تتخذ موقفاً واضحاً من العهد القديم، فترد على التساؤلات العديدة التي كانت تُطرح حول تميم يسوع للانتظار الطويل الذي يضجّ به العهد القديم، وحول كون هذا التميم في حال الايجاب كاملاً ام جزئياً، او مثلما صورّه الانبياء ام على خلاف ذلك. يؤكد متى من خلال انجيله ان يسوع قد أتم، في شخصه، وتعليمه، واعماله، التدبير الالهي الذي وضعه الله قبل الازمنة.

فبحسب متى، كل احداث حياة يسوع تقريباً حصلت «كي تتم نبوءات الكتب» - ويمكن اعتبار الكتاب كله نبوءة - التي ترتبط مباشرة بيسوع.

عندما يستنجد الرسل بالعهد القديم، فإنهم يسعون الى جعل انجيلهم قابلاً للإيمان. وعند توجيههم الى ابناء إيمانهم، يذكرون قصد الله بالنسبة الى البشرية، ويبيّنون ان الاحداث الجديدة تدخل في تقليد الآباء الاكثر اصالة، وقد تنبأت عنها الكتب. هكذا يعمل الرسل على تسهيل انضمامهم الى يسوع، مبيّنين انه هو بالذات الذي بشر به كل الانبياء.

٤- من أي نص أخذ متى استشهاده؟

يؤكد تفسير الكتاب المقدس اليوم عموماً ان استشهادات العهد القديم التي تظهر في العهد الجديد، قد أُخِذَت من الترجمة اليونانية، المسماة السبعينية.

فلقد أمنت البيبليا اليونانية صلةً لاهوتية مهمة بين العهدين، ونوعاً من «تخصير انجيلي»، فأعطت بشكل خاص معنىً جديداً لكلمة لوغوس^(١)، وفتحت هكذا الطريق امام اللاهوت اليوحنوي، وساعدت في تطبيق نشيد عبد يهوه عند اشعيا على المسيح، اذ ترجمت كلمة «عبد» (عبد في العبرية) بكلمة «بايس»^(٢) بدل «دولس»^(٣) والامثلة من هذا النوع كثيرة.

بعيداً عن نفي هذا الواقع، نريد ان نلفت الانتباه الى الطريقة الخاصة التي بها يستشهد اول الانجيليين بالكتاب المقدس. فالانجيلي متى يركز ايضاً على البيبليا العبرية، وعلى الترجمات الآرامية، كما على السبعينية. كل لاهوتي كبير، يأخذ ما هو نافع له حيث ما يجده، مفتتحاً هكذا خط التقليد الكنسي.

يستشهد متى بالعهد القديم وكأنه يقوم بتفكير شخصي لاحق، لكي يبين ان الحدث الذي يسرده هو مطابق للارادة الالهية المتضمنة في الكتاب المقدس والتي عبر عنها الانبياء. وهذه الاستشهادات موجودة في متى ١/٢٢-٢٣؛ ٢/١٥ و ١٧-١٨ و ٢٣؛ ٤/١٤-١٦؛ ٨/١٧؛ ١٢/١٧ - ٢١؛ ١٣/٣٥؛ ٢١/٤ - ٥؛ ٢٧/٩ - ١٠.

تلاحظ الاكثية الساحقة من المفسرين ان لهذه الاستشهادات نصاً خليطاً، يتبع حيناً الترجمة السبعينية، وحيناً آخر النص الماسوري، وبعض الاحيان نصّ ترجوم ما او نصّاً رؤيويّاً ابيوكالييتياً. اما بقية الاستشهادات، فقد تكون اكثر امانة للسبعينية.

هذا الاستنتاج هو رغم ذلك عرضة للشك، إذ لا يمكن مثلاً فهمُ استشهادٍ حول التميم، كمتى ١/٢٣، إلا في النص السبعيني

لأشعيا ١٤/٧ لاستعماله المميز لكلمة «عذراء» (بارتانوس^(٤))، مقابل كلمة «علمه» في النص الماسوري، والتي تعني «امرأة شابة».

وينبغي لفت الانتباه الى الواقع المزدوج التالي:

(١) تمثل عادة الاستشهادات والتلميحات الى العهد القديم الموجودة في الانجيل الازائية شكلاً خليطاً من نص العهد القديم، تأخذ أحياناً من النص السبعيني وأحياناً أخرى من النص الماسوري أو من ترجمة ارامية. هذا يعني ان النص الخليط لاستشهادات التتميم في انجيل متى لا يمثل ظاهرة فريدة في مجمل التقليد الازائي.

(٢) تمثل الاستشهادات الحرفية من العهد القديم، المشتركة بين مرقس ومتى، الخروج الوحيد عن هذه القاعدة. يأخذ مرقس استشاداته من النص السبعيني، كما يفعل كُتّاب العهد الجديد، غير الازائيين.

نستخلص من هذا الواقع النتائج التالية:

(١) هناك استشهادات مشتركة بين مرقس ومتى، وكلها تقريباً نص سبعيني: متى ٤/١٥ ب؛ ٤/١٩؛ ١٣/٢١ أ ب و٤٢؛ ٢٢/٣٩-٤٤.

(٢) هناك تلميحات مشتركة بين متى ومرقس، تبلغ الأربعين تلميحاتاً الى العهد القديم.

لكن، اذا كانت كل هذه الاستشهادات الحرفية عند مرقس (ما عدا واحدة: مرقس ١٩/١٠) هي من السبعينية، فإن متى لا يتردد في ان يبتعد عنها قليلاً في العديد من الحالات (متى ٤/١٥ أ؛ ٥/١٩ و١٩؛ ٣٢/٢٢ و٣٧؛ ٣١/٢٦). ألا يعني هذا أن سرد نص غير النص السبعيني، يجب ان يُعتَبَر ميزة عامة لاول الانجيليين، أكثر منها ميزة خاصة باستشهادات التتميم؟ ومن ناحية أخرى تبدو الاستشهادات المشتركة بين متى ولوقا انها كلها من النمط السبعيني (متى ٤/٤ و٦ و٧ و١٠).

لا يكفي نوع النص المستعمل في استشهادات متى لأن يحدّد وحده

إذا كان المقصود هو استشهاد تميم ام لا . فكثير ما يوجد نص مختلط في غير استشهادات وتلميحات خاصة بمتى . فحينما لا يتبع متى النص السبعيني لاستشهادات مرقس ولوقا، فإنه يتصرف بحرية، ويبدو انه يستشهد عن ظهر قلب بنصوص او بنص من العهد القديم لم يعد اليوم موجوداً مثل «ويدعى ناصرياً»، وقد يكون بعيداً عن النص الماسوري كما عن السبعيني .

لا نفتش اذاً عن خصوصية استشهادات التميم الحقيقية في صيغة حرفية خاصة، انما في صيغتها كمقدمة، وفي دورها اللاهوتي الذي يريده متى لها . العنصر المشترك لكل صيغ المقدمة هو الآتي:

يتفق كل المفسرين الحديثين على ان ينسبوا هذه الصيغ المقدمة الى الانجيلي نفسه:

١- يوجد فعل «تم»^(٥) عند متى أكثر منه عند مرقس ولوقا، بمعنى «تتميم الكتاب» (أثنا عشر استعمالاً عند متى، مقابل واحد عند مرقس، وخمس عند لوقا وفي الرؤيا).

٢- ان عبارة «حدث كل هذا» التي نجدها في الصيغ المقدمة في متى ٢٢/١ و٤/٢١، هي ملك لكاتب انجيل متى، نجدها ايضاً في متى ٥٦/٢٦، مضافة إلى نص مرقس ١٤/٤٩.

ان صيغة المجهول «قيل»^(٦) هي استعمال خاص بمتى، توجد ثلاث عشر مرة عنده، وقطعاً في الاناجيل الاخرى . يضيفها متى على نص مرقس في متى ٣/٣ ؛ ٣١/٢٢ ؛ ١٥/٢٤ . كذلك توجد الصيغة المصرفة للفعل المجهول^(٧) ست مرات في الاقوال المتعارضة في عظة الجبل، في مقاطع خاصة بمتى (٥/٢١ و٢٧ و٣١ و٣٣ و٣٨ و٤٣).

كذلك يستعمل متى مرتين كلمة «حينئذ»^(٨) (متى ١٧/٢ : قتل الاطفال، ومتى ٩/٢٧ : خيانة يهوذا)، مكان الاداة التي تدل على الغاية «حتى، كي»^(٩) التي يستعملها عادة في غير مكان، اما لأنه يريد ان يبين هكذا رفضه ان ينسب الى الله اصل الجرائم المذكورة، او انه يريد

فقط ان يبيّن ان العداء «لملك اليهود» (متى ٢/٢ و ١١/٢٧) ينبع من عمل الناس، وان يميّز هذا العمل عن موضوع الاستشهادات الاخرى، الذي هو دائماً يسوع او اولئك الذين يعملون بأسمه. نلاحظ ايضاً ان كلمة «حينئذ»^(١٠) هي من مفردات اول الإنجيليين الخاصة: تسعون مرة عند متى، ست مرات عند مرقس، وخمس عشر مرة عند لوقا. مرتان (متى ٢٢/١ و ١٥/٢)، لا يذكر الانجيلي متى اسم النبي، ويُدخل عبارة «من الرب»^(١١) لأسباب مسيحانية. وفي كلتي الحالتين، يربط ذكر «الرب» بالتبنيّ الالهي.

٣- عبارة «بالنبي (اشعيا/ارميا) القائل»، هي مضافة عند تحرير الكتاب. يصحّح متى مرتين نصّ مرقس في اطار هو غير الذي لأستشهادات التتيم، وذلك لكي يضمّن نصّه هذه العبارة الغالية على قلبه (قارن: متى ٣/٣؛ مرقس ٢/١؛ لوقا ٤/٣؛ ومتى ١٥/٢٤ مع مرقس ١٣/١٤). ست مرات يذكّر متى علناً اسم النبي الذي يأخذ منه استشهاده. اربع مرات المقصود هو اشعيا، ومرتان النبي ارميا. فالاستشهادات المنسوبة الى النبي اشعيا تعبّر عن اعلان الخلاص للناس المرذولين والمرضى من شعب اسرائيل، وتعميم هذا الخلاص على جميع الامم. يميّز الاستشهادان المنسوبان الى ارميا (متى ١٧/٢-١٨؛ ٢٧/٩-١٠) بالمقابل عداوة السلطات اليهودية لمسيح اسرائيل.

يجب ان تُنسب الاستشهادات بحد ذاتها الى تحرير انجيل متى. حاول عدّة مفسّرين ان يعيدوا تكوين مجموعة من الشهادات قد يكون متى استوحى منها. يبدو ان متى يسرد بتصرف نصّ العهد القديم الذي لم يكن بعد قد ثبتّ نهائياً في زمانه، والذي كان يعرف عدّة تقاليد كتابية له. لقد سمحت لنا هذه المقاربة الاولى ان نستنتج مدى اطلاع متى على النصوص البيبلية التي يسرد الكثير منها بدائل عديدة مأخوذة من تقاليد التوراة العبرية مثلما هي مأخوذة من الترجمات الارامية او اليونانية. وقد تبيّن، من ناحية ثانية، مدى استعماله بحرية النص المقدس، ليس لأجل النصّ بحدّ ذاته، بل كألة طائعة وموجهة لاهوتياً، في خدمة اعلان

حدث جديد: بشارة يسوع المسيح الجديدة. هذه الطريقة لا تخلو من المخاطر. لكن متى، انطلاقاً من إيمان جماعته، عرف ان يحافظ، من خلال الف بديلة من حيث التفصيل، على رسالة الكتاب الاصيل. كان هكذا يشق الطريق للاهوتي الكنيسة العظماء الذين عرفوا ان يقرأوا المعنى الحقيقي لكلمة الله، وينقلوها، لأنهم ما كانوا يفسرونها لوحدهم، بل كانوا يتقبلونها بتواضع من تقليد حي.

٥- ماذا اخذ متى من العهد القديم؟

طفولة يسوع:

في اللوحة الاولى (١-٢) من اللوحات السبعة التي تشكّل الإنجيل بحسب متى، الخاصة بطفولة يسوع، يظهر يسوع ابن الوعد لإبراهيم، وسليل الملك داود، ووارث عرشه، ومرتبجى الآباء والاجداد، ويظهر ابن العذراء، حُبل به بقوة الروح القدس، وأصبح ابناً شرعياً ليوسف. وُلد في بيت لحم، مدينة داود الملك، وفيها زاره المجوس وسجدوا له وقدموا اليه الهدايا.

يبدو يسوع في انجيل متى، بشخصه وبتعليمه وعمله، امتداداً للعهد القديم وإكمالاً له.

يكتب متى مستنداً باستمرار الى العهد القديم، ويمكن تبيّن التلميحات التالية فيه:

١- يوسف - احد آباء العهد القديم - كما يوسف، الاب المربي، هو ابن يعقوب (مت ١/١٦). يرى هذا وذاك احلاماً، ويهبط الاثنان الى مصر هرباً من التهديد بالموت.

٢- موسى مثلاً، الذي حاول ملك مصر أن يقتله، هو ايضاً عرف المنفى.

انما هذه التلميحات المبعثرة ليست منتظمة، ولا تعطي هيكلية للنص كما يدعي البعض.

خطوة بعد خطوة يبرّر متى طفولة يسوع المحيرة باستعمال مقاطع من البيبليا. استشهادات صريحة وعلنية هي العنصر القيم في الكلام عن مكان ميلاد المسيح وعن المجوس، وخلاصة المقاطع التي تتكلم عن الهرب الى مصر، وقتل أطفال بيت لحم، وتلقيه ناصرياً حيث يستعمل ذات العبارة بقلب واحد (مع بعض التعديلات احياناً): «كي يتم ما قال النبي». «جرى كل هذا لكي يتم ما كان قد اعلن عنه النبي».

لنستعرض الاستشهادات الستة في انجيل الطفولة:

١- اول استشهاد هو من نبوءة اشعيا ١٤/٧ حيث قرأ فيها متى حبل العذراء «بإلهنا معنا»: «كان كلّ ذلك ليتّم ما قال الرب على لسان النبي: ها إن العذراء تحبل وتلد ابناً يدعى اسمه عمانوئيل الذي ترجمته: الله معنا» (مت ١/٢٢-٢٣).

٢- ثاني استشهاد صريح هو جواب الكهنة لهيرودس في متى ٢/٦ عن مكان ميلاد المسيح، المستلّ من نصّ ميخا ١/٥-٢ والذي يضيف إليه متى نصّاً آخر من ٢ صم ٢/٥ لكي يوضح مهمة المسيح «كراع»، تلميحاً الى «الراعي» داود. هذا الاستشهاد هو بمثابة ردّ الكهنة الرسمي على سؤال هيرودس «اين يجب ان يولد المسيح؟» إنه صدّي لأول آية من متى ٢: «ولد يسوع في بيت لحم اليهودية»: «وانت يا بيت لحم من ارض يهوذا، لست بعد صغرى حواضر يهوذا، فمك يخرج الذي يرعى شعبي اسرائيل» (مت ٢/٦).

تأتي هذه النبوءة المسيحانية المشتركة بين متى ولوقا لتؤكد، بالاضافة الى سلطة رؤساء الكهنة وعلم «كتبة الشعب»، ان يسوع، هذا المجهول، الذي بحث عنه المجوس بدون جدوى، هو حقاً ملك اسرائيل.

٣- مقطع المجوس (١٢-١/٢) لا ينتهي، مثل الاستشهادات الثلاثة التي ستعرض أدناه، باستشهاد خلاصي. هل ان هذا لأن متى ٨/٢ قد

استشهد من قبل بميخا ١/٥-٥؟ وقد يكون ذلك لأن سجود المجوس يستشهد ضمناً (باستعمال مجازي جديد) بنبوءتين كونييتين عن تهافت ملوك آتين يسجدون للمسيح ويقدمون له جزية وهدية منهم ثمينة:

متى ١١/٢	أشعيا ٦/٦٠
وكانوا	كلهم يأتون من سبأ
يقدمون له	حاملين
ذهباً وبخوراً ومرأ	ذهباً وبخوراً

متى ١١/٢	مزمور ٧٢/١٠-١٥
وهم (المجوس)	ان ملوك ترشيش
قدموا ذهباً، وبخوراً؛	سيقدمون هدايا،
واذ سجدوا له،	الملوك سيسجدون
عبدوه	امامه
وقدموا له ذهباً	مقدمين ذهب سبأ

فاستبدال هذه النصوص، في صلب سرد القصة، سمح لمتى بعدم مراجعتها بشكل استشهد في آخر المقطع. لقد احتفظ بالاستشهاد الصريح (مع النص الاعلاني: «كي يتم») لخمس نصوص كتابية تحتوي على كلمة «ابن».

إذا كان تنظيم متى لكتابه قوي التنسيق باستشهادات كتابية تقدّم لها لازماتٌ إعلانية (٢٣/١؛ ١٥/٢ و ١٨ و ٢٣)، فإن تأليفه يبقى حراً ومنوعاً.

٤- قصة الهرب الى مصر تُحْتَمُّ باستشهاد صريح من نبوءة تتعلّق بشعب الخروج، ويطبّقها متى على المسيح:

«ليتّم ما قال الربّ عليّ لسان النبي: «من مصر دعوت ابني» (مت ١٥/٢، مستشهداً بهوشع ١/١١). اسرائيل ابن الله (خر ٢٢-٢٣؛ ار ٩/٣١)، ويسوع ابنه ايضاً، عاشا غريبين في مصر، الى ان دعاهما الله وخلصهما. يقول متى هنا في يسوع ما قاله هوشع في شعب الله، لأنه يرى بينهما وحدة مصير.

٥- تُحْتَمَم قصة قتل اطفال بيت لحم بطريقة مماثلة. غير أن الكلام النبوي لم يُعَد منسوباً حصراً الى الرب، بل الى النبي، فيقول متى:

«وتمّ ما كان قيل على لسان النبي ارميا: «سمع صراخ في الرامة: ندبٌ ونواح مديد. راحيل تبكي اولادها: زالوا... وتأسى العزاء». (ار ١٥/٣١ في مت ١٧/٢-١٨). تشير هذه الآية الى بكاء راحيل على اولادها من سبطي افرائيم (تك ٣٠/٢٢-٢٤؛ ٤١/٥٢) وبينامين (تك ٣٥/١٦-١٨)، يوم نفوا من رامة الى بابل (ار ٤٠/١). ويرى متى في اطفال بيت لحم اولاداً لراحيل، لأن قبر هذه الأخيرة هو بالقرب من بيت لحم حسب تقليد كتابي آخر (تك ٣٥/١٩؛ ٤٨/٧).

إن إعادة استعمال متى للنص هنا من أجل أن يعطي برهاناً، إنما لكي يظهر فظاعة هذا الحدث المؤلم الذي لا يمكن ذكره دون تعليق؛ فإن بدا انه زيد لاحقاً، فقد يكون وبساطة لأن متى كان قد غصّ النظر عن سرد هذه الحادثة الاليمة التي فيها، بنجاة يسوع من الموت بعناية الهية، كان سبب موت العديد من الأطفال. قتل فرعون اباكار اليهود، ونجا موسى (خر ١/٧-٢/١٥)، وقتل هيرودس اطفال بيت لحم، ونجا يسوع، موسى الجديد. وحده صراخ ام مفجوعة كان بإمكانه ان يشدّد على خبر غير مناسب عن حادثة كهذه.

٦- وآخر استشهاد ينهي نص ٢/١: «ويدعى ناصرياً»، يبرز واقعاً آخر غير مستحب: يسوع هو من ناصرة الجليل، وهي مكان غير مقبول لمجيء المسيح (يو ٤٦/١؛ ٤١/٧ و ٥٢). لا يرد هذا النص لدى الانبياء المعروفين، ولا ندرى من اين أتى به متى. فأى نبوءة يمكن الرجوع اليها لتبرير هذا الاصل الوضيع وهذه الكنية، «ناصرياً»، التي بها كان اعداء يسوع يسخرون منه؟ وما وقع متى في حيرة، وجد الحل باعطائه لكلمة «نذر» معنى «نذير»، أي مقدّس، مكرّس، استناداً الى قض ٥/١٣: «ويدعى نذيراً». هذه العبارة التي عن شمشون، يطبقها متى على المسيح الذي هو صورة عنه، ولكن بالمعنى الكتابي حيث الله وحده هو القدوس، وحيث اسمه هو «القدوس» (اش ٥٧/١٥). هذا

اللقب هو من احد الالقب المطبقة على المسيح للدلالة على سموه .
لوقا ٣٥/١ ، و ٢٣/٢ : «ويدعى قدوساً؛ ٣٤/٤ و يو ٦/٦٩ ،
مرقس ١/٢٤ : «انت قدوس الله» .

انظر: ١ بط ١/١ ؛ يو ٢/٢٠ ؛ رسل ٧/٣ ؛ ٥/١٦ . تدرج
استشهادات متى في تقليد ثقافي . بأستثناء قتل الاطفال (وهو هنا ايضا
يشذ عن القاعدة) ، وظيفة استشهادات متى هي أن تعبر (وان تثبت في
وجه الاعتراضات) عن مسيحانية المسيح ، وسموه ، وبنوته الالهية ،
وقداسته ، أي كل ما كانت البيبليا تقوله عن المسيح وعن مجيء «الله
معنا» الحقيقي ، الكامل والجديد ، في يسوع المسيح المخلص ، لأنه كان
حقاً المخلص (٢١/١) ، الهنا معنا (٢٣/١) ، ابن الله (١٥/٢) ، وقدوس
الله (٢٣/٢) ، بدءاً من هذه الطفولة الخفية . لقد اختار الانجيلي حسب
هذا القول بعض العناصر المعبرة .

بعد الفصول التي تحكي طفولة يسوع ، ننتقل الى استشهادات
التميم الاخرى :
٤/١٦-٤

«... ليتّم ما قيل على لسان النبي اشعيا :
«ارض زبولون وارض نفتالي ، طريق البحر ، عبر الاردن ، جليل
الامم .
الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً ، والجالسون في بقاء
الموت وظلاله ، أشرق عليهم نور» .

زبولون ونفتالي قبيلتان اسرائيليتان من قبائل الجليل ، تقيم الاولى
قرب الناصرة ، والثانية بالقرب من بحيرة طبرية ، غربي الاردن .

يُعتَبَرُ بدء يسوع رسالته في جليل الامم حدثاً نبوياً
(اش ١٩-٢٣/٨) . تنبأ أشعيا بهذا الكلام حوالي العام ٧٣٢ ق.م ، بعد
ان سبا ملك آشور تجلات فلاسر اهل الجليل (٢ مل ٩/١٦) . يُنبِئ
أشعيا بيوم الرب الذي سيعيد المسبيين ، و يقيم مُلكاً لولد من نسل داود

اسمه عمّانوئيل. يستشهد متى بهذه الآيات، ويفرّد بهذا الاستشهاد، لأنه يشدّد على أهمية الجليل بالنسبة الى احداث البشارة الانجيلية (٢٢/٢؛ ١٣/٣؛ ٢٣/٤ و ٢٥؛ ١٦/٢٨)، فيرى فيه ملتقى اليهود والامم، ويجعل منه منطلق رسالة يسوع الى جميع الامم.

: ١٧/٨

«... وتمّ ما قيل على لسان النبي أشعيا:
«أخذ عاهاتنا وحمل امراضنا».

نص أشعيا وفق الترجمة السبعينية هو التالي:

«حمل خطايانا، وتألّم لأجلنا» (٤/٥٣).

شفى يسوع المرضى، فأزال عن شعبه الآلام الناتجة عن الخطيئة، على ما كان يعتقد اليهود. حمل هذه الآلام عن شعبه بموته على الصليب، فخلّصه من الخطيئة والموت.

: ٢١-١٨/١٢

«... ليتّم ما قيل على لسان النبي أشعيا:

«ها هو عبدي الذي اصطفت، وحيبي الذي ارتضت نفسي،
عليه أنزل روحي، فيبشّر بالحكم الامم.

لن يماحك أو يصيح، أو يسمع أحد صوته في الساحات.

قصبةً مرضوضة لن يكسر، ودخان فتيلة لن يطفىء، الى ان يصل
بالحكم الى النصر.

واسمُهُ رجاء الامم» (اش ٤٢/١-٤).

هناك اختلاف بين نصّ أشعيا في متى، وبين النصيّ العبري واليوناني، كون متى يستعمل نصّاً تقليدياً خاصاً. باستشهاده بنصّ أشعيا، يريد متى ان يكمل وصفه ليسوع، على ما ورد في ٣٠/١١؛ ٧/١٢: يسوع هو الرفق، والرحمة، والتواضع، وهو الممتلئ من فيض الروح، وقدرة الله، السائر بالحق الى النصر، رجاء

شعبه وكلّ الشعوب (راجع متى ١٧/٣ : «هوذا ابني الحبيب - بدل «هوذا عبدي» - الذي ارتضيت»).
٣٥/١٣ :

«وتمّ ما قيل على لسان النبي :
أفوه بالامثال ، وأحدّث بخفايا العالم منذ إرسائه» (مز ٧٨/٢).
٥/٢١ :

«وكان ذلك ليتّم ما قيل على لسان النبي :
«قولوا لابنة صهيون : ها هو ملكك يأتيك رفيقاً، ممتطياً أتاناً،
وجحشاً ابن دابة».

يدخل يسوع أورشليم بصفته المسيح الآتي، «ابن داود» ووارث
عرشه (٢ مل ١٦/٧)، ويحقق نبوءة زكريا (٩/٩). يتفرّد متى
بذكر «الاتان والجحش» انسجماً مع زك ٩/٩. القسم الاول من
الآية، «قولوا لابنة صهيون»، عائد لآشعيا (١١/٦٢)، والباقي
لزكريا (٩/٩)، لكن مع بعض التصرف. يمتطي يسوع الحمار، مطيّة
الجدود والوضعاء والمساكين (تك ١١/٤٩؛ قض ١٠/٥؛ ١٠/١٠؛
١٤/١٢ ...).

١٠-٩/٢٧ :

«وتمّ ما قيل على لسان النبي إرميا :
«اخذوا الثلاثين من الفضة ثمنَ مَنْ ثُمّن - ثُمّنهُ بنو اسرائيل،
ودفعوها ثمنَ حقل الخزاف عملاً بما أمرني الربّ». (زك ١٢/١١-١٣؛
ار ٣٢/٦-٩).

يدمج متى في واحد نصيّن نبويّين :

الاول، نصّ ارميا (١٥-٦/٣٢)، يُثبت فيه النبي، قُبيل الجلاء الى
بابل سنة ٥٨٧ ق.م، حق شعب الله في ارضه، في شراء حقل بثمن من
فضة، وحيث ينبئ بأن الله سيعيد شعبه من منفاه الى ارضه. ويضيف
متى الى هذا النص ذكر الفاخوري (ار ١٨/٢-٣)؛

والثاني، نصّ زكريا (١١/١٢-١٣) الذي ذكّره متى في ١٥/٢٦ («فوزنوا له ثلاثين من الفضة»)، وفيه يحدّد النبي أجر الراعي الصالح بثلاثين من الفضة، وكأنّ الانجيلي يرى في شراء حقل الدم بثمان دم يسوع تحقيقاً لذلك الخلاص الذي وعد به الله شعبه المشرّد، وكأنّ الله يقيم لشعبه عهداً جديداً، فيعيده الى أرضه على يد فاديه ليسكن فيها بسلام (ار ٣٢/٣٦-٤٤).

خاتمة

يستعمل أوّل الاناجيل بشكل ملحوظ العهد القديم. يستشهد متى بمائة وثلاثين مقطعاً على الأقل من العهد القديم، ثلاثة واربعون منها هي استشهاد دقيق. يستعمل غالباً نصّاً يونانياً للبيبلية، هو في اساس عرضه؛ عندما يترجم مباشرة نصّاً عبرياً، يكون ذلك بشكل عام في مقطع خاص به؛ لا يكون عندها مرتبطاً لا بأنجيل مرقس، ولا بأي مصدر آخر معروف.

يستشهد متى بالبيبلية على الطريقة اليهودية، محترماً بعض الاحيان نصوصها حرفياً، إذ تُعتبر الكتب وكأنّ لها أصلاً إلهياً مباشراً. حياة الجماعات اليهودية مشبعة تماماً من إكرامها، وقراءتها المتواصلة، وهضمها العميق؛ لقد كان ليسوع ولتلاميذه، كما للجماعات المسيحية الاولى، ذات النظرة اليها. يعرف واضع الانجيل ذلك جيداً؛ وبحق يطلب الخضوع لسلطته كمفسّر للكتب، ولمهمته كمُبشّر: «كي يتمّ ما قيل من قبل الرب بالنبي القائل...». ترد هذه العبارة إحدى عشرة مرة في الانجيل، وخمس مرات في قصص الطفولة وحدها. لم تستعمل النصوص المستشهد بها لتبرهن او تفسّر الوقائع المخبرة، بل لتضفي عليها طابعها المقدّس والالهي، ولتؤكد ان قصد الله يتمّ بشخص يسوع وبأعماله. هكذا، وبالتواصل مع يسوع بالذات، يُضمّن الانجيلي رسالة البشري الجديدة في تاريخ الخلاص؛ تسمح سلطة يسوع الالهية له أن يتحرّر من حرف الشريعة والانبياء وأن يتخطاه، ليلغ الطابع الكوني والعميق للتصميم المسيحاني.

باستنجادهم بكتب العهد القديم، يسعى الرسل الى جعل انجيلهم قابلاً للإيمان. عند توجيههم الى ابناء ايمانهم، يذكرون قصد الله بالنسبة الى البشرية، ويبيّنون أن الاحداث الجديدة تدخل في تقليد الآباء الأكثر اصالة: ألم يتنبأ عنها في الكتب؟ يعمل الرسل هكذا على تسهيل انضمامهم الى يسوع، مبيّنين أن هذا هو بالذات الذي بشر به كل الانبياء.

إن الاحداث التي تنير الكتب، مبيّنة نقطة بلوغها، تستنير هي بدورها بطريقة ما بالنبوءات. هذا هو معنى عبارة «حسب الكتب» التي كانت تؤكد على الايمان الذي يذكر به القديس بولس الكورنثيين (١ كو ١٥/٣-٤).

لا يبرهن الرسل هذه الاحداث التي يفيدون عنها، بالمعنى الحديث للكلمة، بل يضعونها في التدبير الالهي لتاريخ الخلاص، مبيّنين المعنى الذي يعطون للماضي وللوحي الكامل. هكذا، عندما يفسّر الرسل ومثي، ومن بعدهم الانجيليون الباقون، حدث القيامة على ضوء قصد الله الابدي، فانهم يدعون سامعي الانجيل وقارئيه الى عبادة الرب.

.Logos (١)

.Pais (٢)

.Doulos (٣)

.Parthenos (٤)

.Plêroum (٥)

.To rhêthen (٦)

.Errethê (٧)

.Tote (٨)

.«opôs» ou «ina» (٩)

.Tote (١٠)

.Hypo Kyriou (١١)

* الاب ايوب شهوان. ولد سنة ١٩٥٢.

رسم كاهناً سنة ١٩٨٠. حاز على اجازات في اللاهوت والفلسفة (جامعة الروح القدس - الكسليك) والكتاب المقدس (المعهد البيبلي البابوي، رومة). امين عام جامعة الروح القدس. الكسليك. استاذ الكتاب المقدس (المعهد القديم) في كلية اللاهوت الحبرية.

الفصل التاسع

يسوع المسيح في إنجيل متى

الخوري بولس الفغالي*

إنسان حي كسائر الناس، يأكل ويشرب معهم ويحادثهم، إنسان يشعر بالتعب ويتأثر ويتألم ويموت على الصليب. ان يكون هذا الإنسان في الوقت عينه إبناً لله ومساوياً له، أزلياً مثله وخالق العالم معه، هذا جنون للعقل البشري. كيف نرى في كائن من لحم ودم الإله، خالق العوالم؟ هذا ما سمّاه القديس بولس: شك وعثار لليهود، جهالة في نظر الوثنيين^(١).

ولكن هذا هو قلب إيماننا. هذا ما قال به الرسل والإنجيليون، وهذا ما نقول به معهم ونحن مستندون إلى شهادتهم. وحينئذٍ يُطرح السؤال: كيف وُلد مثل هذا الإيمان في هذا «الجنون»؟ ما كان تأثير يسوع على هؤلاء الأشخاص ليعلنوا يوماً مثل هذا الكلام الذي ما زال يشكك عدداً من الناس؟

حضوره إجتذبههم إليه، وتعليمه أفهمهم أنّه لا يعلم مثل الكتب والفريسيين، وإن إنطلق من لغة هؤلاء المعلمين في إسرائيل. موته على الصليب وخصوصاً قيامته وظهوره ستساعد التلاميذ على إكتشاف سرّ معلّمهم. بحثوا عن الكلمات والالفاظ التي بها يعبرون عن غنى شخص المسيح، فانطلقوا من كتبهم وأسفارهم المقدسة وساروا على هدي الروح فاعطونا هذه البشارات، هذه الأخبار السارة عمّن رأوه بعيونهم وسمعوه بأذانهم ولمسوه بأيديهم^(٢).

وهذا ما حاول أن يفعل القديس متى ليحدثنا عن يسوع المسيح. ونحن سنرافقه فتتعرف إلى يسوع من خلال أسمائه، نتعرف إليه من خلال أقواله وأعماله. نطلق من العالم الذي عاش فيه فنكتشف ذلك الذي هو موسى الجديد، ذلك الذي يبني شعباً جديداً هو إسرائيل الجديد، هو الكنيسة.

أ - أسماء يسوع.

حين بشر الملك يوسف أوحى إليه بإسم من يكون ابن مريم: «إسمه يسوع، لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم»^(٣). وسترى فيه الجماعات المسيحية الأولى التي تنتظر مجيئه، العريس^(٤) الذي يدعو شعبه إلى أعراسه المسيحانية. كما سترى فيه، ذلك الراعي^(٥) الذي يجمع الخراف الضالة التي تبددت بسبب رؤسائها^(٦).

الاسم يدل على الهوية، ونحن حين نتوقف عند أسماء يسوع نحاول أن نتعرف إليه. إنه هو الذي وجه كلامه إلى الرسل: «من هو ابن الإنسان على حدّ قول الناس؟ ثم زاد: «وأنتم، ماذا تقولون؟» حينئذ أجابه بطرس باسم الجميع: «أنت المسيح ابن الله الحي»^(٧).

سنتوقف هنا عند أسماء ثلاثة. يسوع هو المسيح الملك وابن داود. يسوع هو الرب وابن الله، يسوع هو ابن الإنسان.

١ - المسيح الملك وابن داود.

المسيح هو الملك الذي اختاره الرب وأرسل من مسحه باسمه بالزيت المقدس. هذا ما كان لشاول وداود وسليمان^(٨) وسائر ملوك يهوذا وإسرائيل. وستروحن الصورة خاصة مع أشعيا الذي انتظر ذلك الذي «يحل عليه روح الله، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة... فينصف الضعفاء في قضائه ويعيد الحق إلى بائسي الأرض باستقامته... فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي»^(٩).

إننتظر الناس ذلك المسيح بوجهه المجيد والحامل الغلبة إلى شعبه. ومائل بطرس بين يسوع والمسيح، واعتبر أن هذا المسيح المخلص لن

يفشل. ولما جاء يوم الجمعة العظيمة خاب أمل الذين وضعوا في يسوع رجاءهم البشري^(١٠)، وحسبوه قد فشل في رسالته حين رأوه معلقاً على الصليب^(١١) متروكاً من الأب^(١٢) ملعوناً من الشريعة^(١٣).

ولكنهم أخطأوا. فقد وُلد مع القيامة يقيئاً جديداً في قلب الرّسل. لم يفشل يسوع ولم يكن موته نهاية رجاء وحدثاً قضى على كل أمل. كان موته خلاصياً. قالت أقدم الاعترافات الإيمانية: «مات المسيح من أجل خطايانا»^(١٤). وقال بولس الرسول أيضاً: «مات المسيح من أجلنا إذ كنّا خاطئين» (روم ٥: ٨).

عن هذا المسيح يتكلّم متى فترد لفظة «كرستوس» (أي المسيح) ست عشرة مرّة في إنجيله. يلتقي أربع مرّات مع مرقس ولوقا في إستعمال هذا الاسم^(١٥). ويتفرّد في إنجيله عشرة آية^(١٦) فيتحدّث عن «يسوع المسيح»^(١٧)، أو عن «يسوع الذي يقال له المسيح»^(١٨).

يسوع هو المسيح الذي إنتظره اليهود، ويشكّل مجيئه حدثاً في التاريخ يوازي سائر الأحداث، بل يتجاوزها تجاوزاً لا حدود له. هذا ما نفهمه من المقطع الذي يتحدّث عن نسب المسيح، فيشير إلى ثلاث محطات: داود (القرن الحادي عشر)، المنفى إلى بابل (٥٨٧ - ٥٨٦ ق.م.)، المسيح. طبع الملك داود حياة الشعب وكذا نقول عن المنفى. وحياة يسوع المسيح لم تكن حدثاً عابراً مضى فلم يكن له تأثير بعد تلك الجمعة العظيمة. وقد جاء ما يثبت هذا البعد التاريخي: فحين أعلن بطرس أن يسوع هو المسيح، أقرّ يسوع تأسيس الكنيسة، وهذا حدث آخر يعتبره الإنجيلي هاماً في تاريخ العالم. فيسوع في نظر متى هو المسيح التاريخي الذي وُلد في أيام هيرودس^(١٩)، وهو ربّ الجماعة الحاضر معها «طوال الأيام إلى إنقضاء الدّهر»^(٢٠).

سمّى متى يسوع المسيح، فعاد إلى مولده وإلى تاريخ شعب إسرائيل الذي ينتمي إليه. فاللفظة تعبّر عن جذوره. وهي تعبّر أيضاً عن مستقبله التاريخي، عن وجهه المنظور حتى نهاية الأزمنة بفضل كنيسة أسسها على أول الرسل، فعجزت قوات الجحيم والموت أمامها.

يسوع هو المسيح، أي الممسوح بالزيت المقدس، شأنه شأن الملوك في أرض إسرائيل، ولكنه أكثر من ملك زماني اختاره الله وسلم إليه رسالة في شعبه. ويسوع هو ابن داود^(٢١)، ولكنه أكثر من هذا. إنه ابن داود في الجسد، ولكنه رب داود، كما قال يسوع في تفسيره^(٢٢).

ابن داود لقب كرستولوجي نجده في نسب يسوع^(٢٣)، كما نجده في سلسلة من المعجزات التي يتوجه فيها طالبو الشفاء إلى يسوع. قال الأعميان: «يا ابن داود إرحمنا»^(٢٤). وهتفت الكنعانية: «رحماك سيدي، يا ابن داود»^(٢٥). وسنجد هذا الهتاف في خبر دخول يسوع إلى أورشليم، ثم في تطهير الهيكل^(٢٦). إن ابن داود يأتي إلى المدينة المقدسة، وهو يهيئ الهيكل من أجل العبادة الجديدة «بالروح والحق»^(٢٧).

ثلاث فئات من الناس. في المستوى الأدنى أولئك الذين لم يتوصلوا إلى أن يتعرفوا في يسوع إلى ابن داود وبالأحرى إلى المسيح. إنهم الكتبة وعظماء الكهنة والفرّيسيون الذين إنغلّقوا على الانجيل وحاولوا من قريب أو بعيد أن ينقذوا «العالم» من هذا المقلق الذي^(٢٨) جاء يلقي النار على الأرض والخلاف بين الأب وابنه والأم وابنتها^(٢٩). والفئة الثانية تمثل الصغار والمساكين المتعلقين بآمالهم المحدودة والذين يرون في يسوع ابن داود. هؤلاء سيدافع عنهم يسوع مستنداً إلى المزمور الثامن: «بأفواه الأطفال والرضع هيأت لك تسبيحاً»^(٣٠) والفئة الثالثة تمثل الذين تجاوزوا الرجاء المسيحاني المعروف، ورأوا في يسوع أكثر من المسيح المنتظر. رأوا فيه الرب وابن الله. هذا ما سنعالجه الآن.

٢ - الرب وابن الله.

الرب والسيد. هذا هو معنى لفظة «كيرْيوس» اليونانية، التي ردّدتها أجيال المسيحيين المتعاقبة في صلاتها «كيرْياليسن». قد نستعملها للتحدّث إلى شخص عادي^(٣١) كما نعبّر بها عن إحترام عميق نكته لله نفسه حين نتوجه إليه في الصلاة. قال المسيحيون الأولون: «أنظر الآن يا ربنا»^(٣٢).

قال يسوع عن نفسه: «ليس من يقول لي (لا يكفي أن تقول): يا ربّ يا ربّ، يدخل ملكوت السماوات، بل من يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات. فسوف يقول كثير من الناس في ذلك اليوم: ربنا ربنا، أما باسمك نطقنا بالنبؤات؟ وباسمك طردنا الشياطين؟ وباسمك أتينا بالمعجزات الكثيرة؟ فأقول لهم علانية: ما عرفتكم قط»^(٣٣).

وفي مشهد الدينونة الأخيرة سيتوجّه المختارون والهالكون إلى يسوع «ابن الإنسان» فيقولون له «يا ربّ متى رأيناك»... فيجيئهم^(٣٤).

تُستعمل كلمة «كيريوس» الربّ، ٢٥ مرّة في إنجيل متى: في فم يسوع ساعة يُفترض أن المؤمن يستعمل اللقب ليتوجّه إليه^(٣٥). وفي فم التلاميذ. مثلاً، حين داهمهم خطر الغرق «دنوا منه وايقظوه قائلين: نجّنا يا ربّ فقد هلكنا»^(٣٦). وفي فم طالب المعجزة ترد عند متى لفظة يا ربّ يا معلّم أو يا رابي^(٣٧). هكذا نادته الكنعانية: «رحماك، يا ربّي»^(٣٨)، ووالد المصاب بالصرع: «يا ربّ، أشفق على ابني»^(٣٩)، والأعميان: «رحماك، يا ربّ»^(٤٠).

كيريوس هو الترجمة اليونانية للفظه يهوه أي الإله الذي هو. وحين طبّقها المسيحيون على يسوع، إعتبروه أنه الله. قال نشيد إعراف إيماني قديم: «ليعترف كل لسان أن الربّ (كيريوس، يهوه) هو يسوع المسيح لمجد الله الآب»^(٤١). يسوع هو الربّ بقيامته. هذا ما أعلنه التقليد المسيحي قبل أن تُدوّن الأناجيل.

نجد في العبارة عينها إنتقالاً من نداء الى آخر. فيسوع هو ابن داود في مرحلة أولى. وفي مرحلة ثانية، هو الربّ^(٤٢) في فم الكنعانية والأعميين. ونلاحظ في خبر العشاء السري الطريقة التي بها توجّه الرّسل إلى يسوع. حين أعلن يسوع أن واحداً منهم سيُسلّمه، أخذوا يسألون الواحد بعد الآخر: «أنا هو يا ربّ؟» ولما جاء دور يهوذا، قال: «أنا هو رابي»^(٤٣)؟ من جهة احترام وكرام وقرب. ومن جهة ثانية لا مبالاة قريبة من العداوة.

شدّد شراح عديدون على أن اسم «الرب» يُشرف على سائر أسماء يسوع في منظار الانجيل الأول. قد يكون في الأمر مغالاة. ولكن يبقى له الدور الأوّل في نطاق الوحدة والتمييز: تمييز بين الرب والمعلّم فيدل على التلاميذ والذين ليسوا بتلاميذ. تمييز بين ابن داود والرب فيدل على اتصال أول يسوع أو معرفته في الإيمان. وفي الوقت عينه وحدة بين يسوع الذي عاش على الأرض والرب القائم من الموت.

وهذا الرب هو ابن الله. يستعمل الإنجيلي ثلاثة تعابير رئيسيّة ليدلّ على بنوّة يسوع الإلهيّة. الأول يرد في فم الله نفسه عبر صوت سماوي: «هذا هو ابني»^(٤٤). والثاني يعلنه أشخاص عديدون. قال التلاميذ بعد أن سكنت الرّيح: «أنت ابن الله حقاً»^(٤٥). وقال بطرس: «أنت المسيح ابن الله»^(٤٦) وأعلن الضابط (قائد المئة) ورجاله: «كان هذا ابن الله حقاً»^(٤٧). وتحدّاه الشيطان أن يبيّن أنّه ابن الله^(٤٨) وسأله رئيس الكهنة: «أنت المسيح ابن الله؟ فأجاب يسوع: «أنت قلت»^(٤٩).

والتعبير الثالث يرد في فم يسوع نفسه في بعض الظروف. قال في فعل حمد وشكر: «ما من أحد يعرف الابن إلّا الآب، ولا من أحد يعرف الآب إلّا الابن ومن شاء الابن أن يكشف له»^(٥٠). ويقابل هذا التعبير نصوصٌ يتحدّث فيها يسوع عن الله الذي يسميه «أبي» أو «أبي الذي في السماوات»^(٥١)، وأمثالٌ تتحدّث عن الابن، عن يسوع، الذي لم تفهمه السلطات اليهودية فرذلته^(٥٢).

يسوع هو ابن الله بطريقة سامية، ولهذا السبب دُعي كلُّ انسان ليصير ابناً مع الابن. فقد قال لنا يسوع في التطوية السابعة: «طوبى للساعين الى السلام (العاملين عمل السلام) فإنّهم أبناء الله يدعون»^(٥٣). وأعلن في مكان آخر: «احبوا أعداءكم لتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات... وهكذا تكونون كاملين كما أن أباكم السماوي كامل هو». وهكذا يفتح البعد الكرسولوجي على البعد الاخلاقي. (ما هي الشروط لكي نكون أبناء الله؟) كما يفتح على البعد الاكليلولوجي.

فسمعان ليس من الغرباء، بل من الابناء^(٥٤)، وعليه ستتأسس كنيسة أبناء الله^(٥٥) الذين يتصرفون بالرحمة على مثال أبيهم السماوي^(٥٦).

٣ - يسوع هو ابن الانسان.

وآخر لقب ليسوع يرد في متى هو ابن الانسان. «دنا منه كاتب وقال له: يا معلّم، أتبعك حيث تمضي. فقال له يسوع: للشعالب اوجرة، ولطير السماء اوكار، وأما ابن الانسان فليس له ما يضع عليه رأسه»^(٥٧).

ابن الانسان يعني الانسان. وبالتالي يدلّ على يسوع بصفته إنساناً. هذا إذا سرنا في خط حزقيال النبي^(٥٨). وإذا عدنا إلى التيار الجلياني ولا سيما مع سفر دانيال^(٥٩) نفهم أن ابن الانسان هو الآتي في اليوم الأخير ليدن الخطاة ويخلص الأبرار. إنه المسيح المنتصر مع المؤمنين الذين يقودهم. أما سفر الرؤيا الذي يذكر ابن الانسان مرتين فهو يشير إلى يسوع الملك المجيد والكاهن الأزلي.

ولكن إذا عدنا إلى الأنجيل الإزائية إكتشفنا ثلاث طرق في استعمال عبارة ابن الانسان. الأولى: أقوال يعبرّ فيها يسوع عن ضرورة الآمة. الثانية: أقوال تصوّر عمل ابن الانسان على الأرض. الثالثة: أقوال تدل على مجيئه الاسكاتولوجي (في نهاية الأزمنة) بالقدرة والمجد.

* في الفئة الأولى نجد بصورة خاصّة الإنبياءات بالآلام. سأل يسوع تلاميذه: «من هو ابن الانسان؟ ثم تابع متى: «وبدأ يسوع من ذلك اليوم يُظهر لتلاميذه أنّه يجب عليه أن يذهب إلى اورشليم ويلقى أشدّ الآلام»^(٦١).

وبعد التجليّ، قال يسوع: «يأتي إيليا أولاً ويُصلح كل شيء. فكيف كُتب عن ابن الانسان أن عليه أن يعاني آلاماً شديدة ويُردى؟ هذا ما نجده في مرقس^(٦٢). أما متى العارف بأن التوراة لا تتكلّم عن آلام ابن الانسان فاكتفى بالقول: «إن ابن الانسان سيقلى منهم الآلام»^(٦٣).

ابن الانسان هو يسوع، وهو يدل عند متى على ضمير المتكلّم.

والتماثل واضح في الانجيل الأول بين يسوع كما عرفه الناس على الأرض والوجوه التوراتية التي تلقي الضوء على شخصه.

* في الفئة الثانية نرى ما يعلمه ابن الانسان. فله السلطان أن يغفر الخطايا على الأرض^(٦٤). إنه سيّد السبت^(٦٥). إنه سيكون في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال^(٦٦). إنه يقوم من بين الأموات^(٦٧). إنه صديق العشارين والخطائين^(٦٨).

حين أرسل يسوع رسله قال لهم: «لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الانسان»^(٦٩) وسيتابع يسوع كلامه: «من عرفني لدى الناس، أعرفه لدى أبي الذي في السماوات، ومن أنكرني لدى الناس، أنكره لدى أبي الذي في السماوات»^(٧٠). فهذا الآتي هو يسوع الحاضر حين يمثّل المرسلون أمام الآب فيكون بجانبهم أو يتخلّى عنهم. هذا ما يجعلنا في عالم الدينونة.

* في الفئة الثالثة نتعرّف إلى ابن الانسان الديّان الاسكاتولوجي. هذا ما يعلنه يسوع أمام قيافا الكاهن الأعظم: «سترون بعد اليوم ابن الانسان جالساً عن يمين القدرة (الله القدير) وآتياً على سحاب السماء»^(٧١). كيف فسّر التقليد المسيحي التوراة في هذا المقطع؟ دمج بداية المزمور ١١٠ (جالس عن يمين القدير) مع إستشهاد من سفر دانيال (ابن الانسان الآتي على غمام السماء)، فحوّل تحرك ابن الانسان^(٧٢): هو لم يذهب الى القديم الايام (الى الازلي) لينال منه القدرة، بل جاء من عنده، وهذا ما دلّ على أصله السماوي.

هنا نتذكّر لوحة الدينونة الأخيرة التي تسبق مباشرة خبر الآلام: «حين يجيء ابن الانسان، تواكبه جميع الملائكة، يجلس على عرش مجده»^(٧٣). ولقد ذكر متى أيضاً وظيفة ابن الانسان كديّان آخر الأزمنة في مقاطع أخرى. قال يسوع: «سوف يأتي ابن الانسان في مجد أبيه مع ملائكته، فيجازي كل واحد حسب أعماله»^(٧٤).

إن ابن الانسان هو الديّان في النهاية. ولكن قبل ذلك هو الملك^(٧٥) الذي يمارس العدالة. ويتفرّد متى فيحدّثنا عن ملك ابن

الانسان^(٧٦). زرع الزرع الطيب في حقله، وفي ساعة الحصاد، أي في نهاية العالم «يرسل ابن الانسان ملائكته فيخرجون من ملكوته جميع المفسدين والفاسقين، ويقذفون بهم في أتون النار»^(٧٧). وستعود العبارة عينها قبل التجلي: «الحق أقول لكم: في جملة الحضور هنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا ابن الانسان آتياً في ملكوته»^(٧٨).

وهكذا يتعامل القديس متى مع أسماء يسوع. يتجذر في التقليد المكتوب أو الشفهي فيحدد مضمون الألفاظ ويدخله في نظريته الخاصة. يسوع هو المسيح الملك، هو الرب وابن الله، هو ابن الانسان. وسيحقق لقب ابن الانسان حلقة بين الملك والرب، ولكنه سيذكرنا بضرورة الآلام لكي يمارس يسوع وظائفه السماوية. فقبل المجد الآلام، والموت يهيم الدرب للقيامة.

ولكن قبل هذه وذاك سنتعرف إلى يسوع من خلال أقواله وأعماله فنكتشف فيه برفقة متى، النبي الذي يعلن الملكوت، القدير الذي يدل بمعجزاته على الزمن المسيحاني، عبد الله المتألم الذي يشير في النهاية إلى عمانوئيل، أي الهنا معنا.

ب - يسوع من خلال أقواله وأعماله.

أسماء يسوع كما توسعنا فيها غنية جداً، ولكنها لا تكفي لكي تحيط بمختلف العناصر التي تؤلف هويته. لهذا لا بد من درس وجهات أخرى من هذه الهوية نكتشفها في نشاطه، في كرازته، في علاقاته مع الناس الذين رافقوه أو خاصموه. سوف نرى في يسوع ذلك الذي يفرض نفسه ببهائه وجلالته، ذلك الذي يلقي الخطب الطويلة، ذلك الذي يعرف ويستعد للأمور ويلاحظ أن مصيره يوافق ما أنبأت به الأسفار المقدسة. إنه مثال يقتدي به تلاميذ صاروا في زمن متى «رؤساء كنائس». هذه بعض قسمتات من وجه يسوع سنحاول أن نكتشفها^(٧٩).

١ - يسوع هو النبي

إعتبر التقليد اليهودي في زمن المسيح أن عهد النبوة توقف منذ

القرن الخامس ق.م.، مع ملاخي^(٨٠). فانتظر الناس أن يرسل الله موسى جديداً، نبياً في آخر الأزمنة. قال سفر التثنية: «يقيم لكم الرب إلهكم نبياً مثلي... فله تسمعون»^(٨١). وقال ملاخي: «ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل أن يأتي يوم الرب العظيم الرهيب»^(٨٢).

يسوع هو النبي على مثال موسى. أنه موسى الجديد. فلقد انطلق الانجيل الأول من مشترع إسرائيل الكبير فصور نشاط نبي الجليل، ولا سيما حين كان يعلم على الجبل^(٨٥) ويعالج بصورة خاصة الشريعة وفرائضها. إرتبط بموسى خمسة أسفار الشريعة، ونظم متى أقوال يسوع في خمس خطب. ونستطيع أن نعود إلى إنجيل الطفولة فنرى كيف أن متى إستعاد مواضيع سفر الخروج^(٨٦). منذ ولادة يسوع برزت عداوة الملك هيرودس فأجبر الطفل على الهرب. هذا ما حدث لموسى فهرب إلى بركة مديان^(٨٧). قُتل أطفال العبرانيين في أيام موسى لعل الموت يصيب من سيخلص شعبه، وقُتل أطفال بيت لحم لعل هيرودس يتخلص من «ملك اليهود» وهو في المهد^(٨٨).

ويسوع هو النبي على مثال يوحنا المعمدان الذي يُجمل في شخصه أنبياء العهد القديم ويهيبء الدرب بصورة مباشرة لذلك الذي يأتي بعده. لم يقدم لنا متى مقابلة بين يسوع ويوحنا المعمدان كما فعل لوقا في إنجيل الطفولة، ولكنه يجعل «النبين» يقولان الكلمات عينها أو ينالان من الناس شهادات مماثلة.

بدأ إنجيل متى بتصوير المعمدان: «في ذلك الزمان ظهر يوحنا المعمدان يعظ في بركة اليهودية فيقول: توبوا، فقد اقترب ملكوت السماوات»^(٨٩). وقال عن يسوع: «حينئذ ظهر يسوع»^(٩٠) فردّد حرفياً ما قاله المعمدان: «توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات»^(٩١).

اعتبرت الجموع يسوع اعتباراً عظيماً، فجعلت رؤساء اليهود يترددون في القبض عليه لان الناس «كانوا يعدّونه نبياً»^(٩٢). أما هذا ما يقال عن المعمدان؟ أراد هيرودس أن يقتل المعمدان ولكنه «هاب الشعب لانهم كانوا يعدّونه نبياً»^(٩٣).

وتتابع المقابلة بين يسوع ويوحنا في استشهاده من العهد القديم يرافقان إنطلاقهما في حمل الرسالة^(٩٤): في تحلق السامعين الآتين من بعيد^(٩٥)، في توسع يشدد على حياة أخلاقية تناسب وصايا الله^(٩٦). ويكون مصير النبيين مماثلاً. فكلاهما سيرفضهما شعبهما ويموتان شهيدين^(٩٧). وهذا ما حدا بيسوع على القول بعد أن فشل في كرازته في بلدة الناصرة: «لا يُزدرى نبي إلا في وطنه وبيته»^(٩٨). سيقتل يوحنا وسيدفنه تلاميذه^(٩٩) ولن يكون مصير يسوع أفضل من مصيره. ولهذا سيقول فيما بعد بغصة ملؤها الحزن وكأنه يتطلع إلى موته القريب: «هأنذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، ففريقاً تقتلون وتصلبون»^(١٠٠).

ولكن يسوع هو أعظم من يوحنا المعمدان. وهذا ظاهر في عماد يسوع في الأردن^(١٠١). ثم إن يوحنا لم يصنع معجزة، أما يسوع فأسند كرازته إلى آيات دلّت على أنه هو الآتي، أي المسيح الذي أنبأ المعمدان نفسه بمجيئه^(١٠٢). أعلن المعمدان أن ملكوت الله قريب، ولكن ظلّ خارج هذا الملكوت، بحيث إن الصغير في الملكوت هو أعظم منه^(١٠٣). أما يسوع فهو يعلن مجيء الملكوت والملكوت ملكوته^(١٠٤)، بل إن الملكوت صار حاضراً في شخصه. قال: «إذا كنت بروح الله أطرده الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله»^(١٠٥).

٢ - يسوع القدير وصانع المعجزات.

تتضمّن الأنجيل الأربعة عدداً من المعجزات. فشفاء المرضى وطرده الشياطين وإسكات البحر وتكثير الخبز، كل هذا نشاط تذكّرت الجماعة المسيحية الأولى وتأملت فيه ودوّنته.

أول معجزة عند مرقس هي إخراج شيطان في مجمع كفرناحوم. وعند لوقا، شفاء حماة بطرس. وعند يوحنا، تكثير الخمر في عرس قانا الجليل^(١٠٦). أما متى فيقدّم لمحة موجزة عن نشاط يسوع الرسولي وفيه يمزج التعليم والمعجزات. يقول: «وكان يسير في الجليل كله، يعلم في مجامعهم ويعلن بشارة الملكوت، ويشفي الشعب من كل مرض وعلة.

فشاع ذكره في سورية كلها، فجاؤوا إليه بجميع المرضى على اختلاف الأوجاع والأسقام: من المسوسين (مُسَّهم الشيطان) والمصابين بداء الصرع والمقعدين فشفاهم»^(١٠٧).

وبعد هذه اللوحة ترد خطبة الجبل ثم سلسلة من عشر معجزات^(١٠٨)، ثم لوحة عن تعليم يسوع ومعجزاته^(١٠٩). نحن نجد هنا في لوحتين متقابلتين نشاط يسوع الذي به افتتح حياته العامة: المعلم الذي يعلن البشارة، والقدير الذي يصنع المعجزات.

إذا توقفنا مثلاً عند خبر شفاء المخلّع نجد الحوار بين يسوع وخصومه حول علاقة الخطيئة بالمرض، والغفران بالشفاء، وحول سلطة ابن الانسان. ولكن متى يبتعد عن مرقس ولوقا في خاتمة الخبر فيقول: «فلما رأت الجموع ذلك، استولى عليهم الخوف وتجدوا الله الذي أعطى الناس مثل هذا السلطان»^(١١٠).

حين روى متى هذا الشفاء، لم يتحدث عن البيت الذي كان فيه يسوع، ولا عن الجموع المزدحمة. ولا عن حيلة الحمّالين ليوصلوا المخلّع أمام يسوع. ولكن الحوار بقي هو هو بل زاد متى: «ثق يا بني، تشجع»^(١١١). غابت تفاصيل عديدة فتوجّه الخبر كله إلى يسوع الذي هو في قلب الخبر، الذي يعمل بسلطان ويقلّل ما يمكن من الحركات. ويتم الشفاء حالاً. أمّا ما يجعل المعجزة ممكنة فهو إيمان طالب الشفاء^(١١٢).

عشر معجزات^(١١٣) تذكّرنا بضربات مصر العشر، فتدل على ألوهية يسوع. وترينا شعباً من النساء والرجال يقفون على أرجلهم ويسيرون وراء يسوع. إنهم الكنيسة التي ولدت من القيامة. تجذّرت في العالم اليهودي ولكنها ستمتد إلى العالم الوثني. فالذين أبعدهم العالم اليهودي، أو جعلهم في المرتبة الثانية، استعادوا مكانهم في جماعة الله: الأبرص، الوثني، المرأة النازفة. والخطاة عادوا إلى حضن الله حين أعلن يسوع: «ليس الأصحاء بمحتاجين إلى طبيب، بل المرضى... ما جئت لأدعو الأبرار بل الخاطئين»^(١١٤).

والمعجزات هي فعّلات^(١١٥) يقوم بها «ذلك الآتي». وذلك الآتي هو لقب مسيحياني. وقد دلّت على مجيئه معجزاتٌ رواها متى فعبرت عن إنتظار شعب إسرائيل: «العميان يستعيدون النظر، العرج يمشون مستقيمين، البرص يطهرون، الصم يسمعون، الموتى يقومون، الفقراء يتلقون البشارة»^(١١٦). كل هذه آيات تدل على أن العهد المسيحياني حلّ في شخص يسوع المسيح.

كرز يوحنا المعمدان بملكوت السماوات، ولكنّه لم يصنع معجزة واحدة. لم يأت بعد الوقت الحاسم. أمّا مع يسوع، فالنشاط المسيحياني هو في أشدّه، ولكنّه لا يتوقّف معه، بل يمتد في الكنيسة. قال يسوع لرسله: «أشفوا المرضى، أقيموا الموتى، أبرئوا البرص، أطرّدوا الشياطين»^(١١٧). لقد دعاهم لكي يقتدوا به، فكانت دعوته لهم إشارة واضحة بأن الزمن المسيحياني سيّمتد إلى نهاية الأزمنة.

٣ - عبد الله المتألّم.

يسوع هو النبي الذي أتمّ التوراة، وصانع المعجزات الذي أبرز المعنى الكامل لحكمة الله حين خلق الكون وخلص شعبه والمؤمنين به أكانوا من العالم اليهودي أم من العالم الوثني. فالكتاب المقدّس هو الاطار الذي فيه يبنى متى الإنجيلي نظرتة الى الكرستولوجيا، إلى يسوع المسيح.

وهذا ما نكتشفه بصورة خاصّة في الطريقة التي بها يقدّم لنا الإنجيل الأول يسوع في سمات عبد الله، وهي أغنى ما في العهد القديم على ما فيها من طابع سرّي. هناك أربعة مقاطع في أشعيا^(١١٨) تصوّر هذا الشخص الذي ظلّ لغزاً بالنسبة الى معاصريه، فاستعادها التقليد المسيحي لكي يفهم شخص يسوع. يورد متى هذه المقاطع مرتّين بشكل ظاهر، ويعود إليها بالتلميح خصوصاً في خبر الآلام.

يسوع هو أولاً عبد الله الذي يحمل آلام الآخرين. نخبرنا متى أنّه «طرّد الأرواح (النجسة) بكلمة منه وشفى جميع المرضى». وهكذا تم

ما قيل بواسطة النبي أشعيا: «أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا»^(١١٩). تضافن عبد الله في أشعيا مع شعبه، وهكذا فعل يسوع بالنسبة الى معاصريه ولا سيما المرضى والخطاة.

ويسوع هو ثانياً عبد الله الذي يعمل عمل الله بصورة خفية. فبعد أن دافع عن تلاميذه «الذين أخذوا يقلعون السنبل ويأكلون» ليسدوا جوعهم، وبعد أن شفى رجلاً أصيب بشلل في يده^(١٢٠)، خرج الفريسيون يتآمرون عليه ليهلكوه. حينئذ يتابع النص: «حين علم يسوع بهذا، إنصرف من هناك. وتبعه خلق كثير فشفاهم جميعاً ونهاهم عن كشف أمره لئتم ما قيل بالنبي أشعيا: هوذا عبدي (فتاي) الذي اخترته، حبيبي الذي به سرت نفسي. أضع روحي عليه فيعلن الحكم للأمم. لا يُشاغب ولا يصيح، ولا يسمع أحد صوته في الشوارع. القصبة المرضوضة لا يكسر، والسراج المدخن لا يطفىء. سيعمل حتى يسير بالحق الى النصر وعلى اسمه تتوكل الأمم» (تجعل فيه رجاءها)^(١٢١).

هذا أطول استشهاد في العهد القديم أورده متى في إنجيله ودلّ على أنه «تم» في يسوع المسيح. يتحدث عن عُزلة يسوع الذي لا يطلب الدعاية لما يعمل، وعن حنانه للمرضى، وعن عمله الخفي. إنه لا يطفىء حتى الفتيلة المدخنة ولا يكسر القصبة المرضوضة، لأنه يحنو على الضعفاء ويصغي إلى المحتقرين والمنبوذين.

وإذ يورد متى هذا الاستشهاد يتذكر الصوت السماوي في عماد يسوع وفي تجليّه: «هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت»^(١٢٢) (سرت به نفسي). فبعد الله هو الابن الذي دلّ عليه الآب في الأردن. وهكذا لن يكون العماد «غطساً» في الموت كما عند مرقس الانجيلي وبولس الرسول^(١٢٣)، بل تنازلاً فيه يصير يسوع ذلك الابن الخاضع والعبء الذي هو موضوع رضى الله الآب.

ويسوع هو ثالثاً عبد الله في آلامه. إنه يُتم حتى النهاية مصير عبد الله المتألم كما نتعرف إليه خاصة في النشيد الثالث والرابع.

ينطلق متى من النشيد الثالث ويتخذه نموذجاً ليرسم مشهد الاهانة

التي قاساها يسوع: «أسلمت ظهري للذين يضربونني، وخدي للذين ينتفون لحيتي. لم أستر وجهي عن الالهانات ولا عن البصاق»^(١٢٤). عاد متى الى هذا النص فصور المعاملة السيئة التي لقيها يسوع من السلطات اليهودية التي حكمت عليه بالموت، والاهانة التي نظمها الجنود الرومان لهزأوا بذلك الذي سمى نفسه «ملك اليهود»^(١٢٥).

ويستعمل متى النشيد الرابع على دفعتين. صمّت يسوع أمام بيلاطس يُشبهه عبد الله الذي «لم يفتح فاه، فكان كحمل يساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام الذين يجزونها»^(١٢٦). ثم أن شتم اللصين المصلوبين مع يسوع يذكرنا بعبد الله الذي «أسلم نفسه الى الموت وأُحصى مع العصاة» (الخطاة والمجرمين)^(١٢٧).

نشير هنا إلى أن السبعينية ترجمت أش ٥٣: ٤: «حمل خطايانا وغُذّب من أجلنا». وهكذا صار عبد الله ذلك الذي يحمل خطايا شعبه. هذا ما يردده متى في خبر العشاء الأخير: «اشربوا من هذا كلكم، لأن هذا هو دمي، دم العهد، الذي يراق من أجل الكثيرين لغفران الخطايا»^(١٢٨). هذا يعني أن موت يسوع هو ذبيحة تكفر عن الخطايا في خط سفر اللاويين^(١٢٩)، وخصوصاً في خط نشيد أشعيا الذي يتحدث عن «خطايا الكثيرين»^(١٣٠) فيدل على البشرية كلّها مهما كان عددها كبيراً.

عند الصليب سترز صورة عبد الله المتألم. وعند الصليب سنعرف أن هذا «المزدري والمردول»^(١٣١) هو حقاً ابن الله. ازدراه شعبه، بل رفضه، ولكن الأمم الوثنية هتفت له بلسان الضابط وجنوده: «كان هذا ابن الله حقاً»^(١٣٢). أجل، الله هو حاضر هنا في هذا المصلوب، إنه عمانوئيل الذي أعلنه النبي أشعيا، وسمّاه الملاك «يسوع» لأنه يخلص شعبه من خطاياهم^(١٣٣)، مع ارتباط هذا الخلاص بالموت على الصليب. وهو الحاضر مع كنيسة التي يرسلها في مهمة التلمذة والتعميد والتعليم، بعد أن قال لرسله: «أنا معكم طوال الأيام إلى إنقضاء الدهر»^(١٣٤).

خاتمة .

وهكذا رافقنا القديس متى فتعرّفنا معه إلى يسوع المسيح من خلال أسمائه وأقواله وأفعاله . رافقناه فنقلنا من يسوع كمسيح تاريخي في شعبه إلى ابن الله الحقيقي والوحيد . أنت المسيح ابن الله الحي . أعلن بطرس هذا اللقب الكرستولوجي الذي جاء في وسط إنجيل متى فجعل سائر أسماء يسوع موقّعة أو ثانوية . ولكن إذا كان يسوع ابن الله ، فحضوره وسط البشر هو حضور الله نفسه في قلب التاريخ الذي سيتغيّر نظامه . بدأ الانجيل الأول بنبوء أخذها من أشعيا: سيُدعى عمانوئيل أي الله معنا . وإنتهى بتحقيق هذه النبوءة: أنا معكم كل الأيام حتى نهاية العالم . وهذا يعني أن رجوع يسوع إلى الآب لا يضع حداً لحضوره وسط أخصائه ، ولا لحضور الله وسط البشر عبر شخصه . وهكذا كان انطلاق يسوع تدشيناً لشكل آخر من الحضور يتحقق بالكنيسة وفي الكنيسة التي هي كنيسته . وهكذا ننتقل عند متى من يسوع إلى الكنيسة عبر ذات السر لمسيح الله ، ننتقل من المسيح إلى الجماعة التي أسس ، ننتقل من الجماعة اليهودية الضيقة إلى «جميع الأمم» ونحن أقوياء بقدرة المسيح الذي أولاه الآب «كل سلطان في السماء والأرض» .

الحواشي

- (١) ١كور ١:٢٣.
- (٢) رج ايو ١:١.
- (٣) مت ٢١:١. وهذا ما كان للطفل يوم خُتن: «سُمي يسوع، كما سماه الملك قبل أن يُجبل به» (لو ٢:٢١).
- (٤) مت ١٥:٩ وز. يدل رمز العريس عادة على الله. أش ٦٢:٥: كسرور العريس بالعروس يَسُرُّ بك إلهك، رج أش ٥٤:٤ - ٨؛ ١٠:٦١. هكذا قرأ التفسير المجازي اليهودي هوشع ونشيد الأناشيد. هذا يعني أن متى رأى في يسوع الله حين جعله العريس الذي يتحدث عنه العهد القديم. ولكنه طبق لقب العريس على الملك المسيح (المسوح بالزيت والمكرس لخدمة شعبه) في مز ٤٥:٧ - ٨ (رج عب ١:٨ - ٩). هذا العريس سوف تنتظره العذارى (مت ١:٢٥ - ١٣).
- (٥) مت ٦:٢: «يُخرج رئيس يرعى شعبي إسرائيل». هكذا قرأ متى نص مي ١:٥ و٢صم ٢:٥. وفي مت ٣٦:٩: «كانوا كغنم لا راعي لها»، رج مت ١٠:٦؛ ٢٦:٢٥؛ لو ١٩:١٠. الله هو راعي شعبه كما يقول مز ٢٣:١ (الرَّبُّ راعي)؛ أش ٤٠:١٠ (الرَّبُّ يأتي كراع يرعى قطيعه). وسيقوم يسوع بهذه المهمة (لو ١٥:١ - ٧؛ يو ١٠:١١، ١٤).
- (٦) حز ٣٤: ١؛ إي ١:٢٣؛ رج مت ١٢:١٨ - ١٤ وخصوصاً ١:٢٣ وما قاله يسوع عن الكتبة والفريسيين الذين هم «قادة عميان» (١٦).
- (٧) مت ١٦:١٣ - ١٦. نحن هنا أمام عبارة توراتية اتخذت ملء معناها مع الإيمان المسيحي وعلى ضوء القيامة. فعبارة ابن الله تنطبق على شعب الله، على بني إسرائيل الأمتاء، على المسيح الملك (٢صم ٧:١٤؛ مز ٨٩:٢٧).
- (٨) رج اصم ١٠:١؛ ١٣:١٦؛ ٢صم ٣:٥؛ ١مل ١:٣٩. بعد المنفى سنة ٥٨٧ ق.م. وزوال الملكية الداودية في اورشليم (زالت الملكية في مملكة اسرائيل بعد دمار السامرة سنة ٧٢١)، مُسح الكهنة لأنهم صاروا يمثلون سلطة الله على شعبه. وانتظر الاسيانيون في قمران مسيحين: واحد كهنوتي وآخر ملوكي. والمسيح الكاهن يهيء الطريق للمسيح الملك الذي يقيم مملكة العدالة والسلام. في التيار الفريسي، انتظر الناس المسيح كداود الجديد الذي يأتي في نهاية الأزمنة.
- (٩) أش ١١:٩ - ٩: ستمتلئ الأرض من معرفة الرب فلا يعود أحد يسيء إلى الآخر أو يصيبه بأذى. والولد الذي أُعطي للشعب اسمه: الاله القدير، الأب الأزلي، أمير السلام (أش ٩:٥). كل هذا قيل في إطار المملكة الداودية المهددة بعد أن فشل الملك أحاز (٧٣٥ - ٧١٦ ق.م.) في قيادة شعبه.
- (١٠) هنا نتذكر تلميذي عماوس: «كنا نرجو أن يمرّر إسرائيل» (لو ٢٤:٢١)، وسؤال الرسل يوم الصعود: «هل تُعيد الآن الملك إلى اسرائيل» (أع ١:٦)؟ مع ما في ذلك من

- آمال تتوجّه إلى تحقيق قريب لهذا الملك على المستوى الوطني.
- (١١) قالوا: «دعنا ننظر هل يأتي إيليا ويخلصه» (مت ٢٧: ٤٩)؛ وقالوا: «فلينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب» (مر ١٥: ٣٢).
- (١٢) نتذكر هنا صرخة يسوع: «إلهي إلهي، لماذا تركتني» (مت ٢٧: ٤٧؛ مر ١٥: ٣٥).
- (١٣) قال سفر التثنية (٢١: ٢٣): «المعلق على الشجرة لعنة من الله». لهذا يجب أن يُدفن قبل الليل، فإن باتت جثته من دون دفن تتنجّس الأرض. وانطلق بولس الرسول من هذا القول فطبقه على المسيح الذي صار لعنة لاجلنا ليفتدينا من لعنة الشريعة. قال: «ملعون من علّق على خشبة» (غل ٣: ١٣).
- (١٤) ١ كور ١٥: ٣. هذا ما أعلنه الانجيل قبل أن يعبر عنه بولس بهذه الصورة.
- (١٥) قال مر ٨: ٢٩ فقط: «أنت المسيح»، ذلك الذي أنبأ به الأنبياء بمن فيهم يوحنا المعمدان، وعبر في الوقت عينه عن إيمان الكنيسة في أيام مرقس (مر ١: ١). وقال مت ١٦: ١٦: «أنت المسيح ابن الله الحي» فشدد على علاقته الحميمة مع الله، بل علاقة الابن بأبيه. وهي علاقة لا مثيل لها، حملته رسالة فريدة من أجل خلاص البشر. أما لو ٩: ٢٠ فقال: «مسيح الله». رج أيضاً مت ٢٢: ٤٢ وز أي: ما يُوازيه من نصوص)؛ ٢٤: ٢٣ وز؛ ٢٦: ٦٣.
- (١٦) رج مت ١: ١، ١٦، ١٧، ١٨؛ ٢: ٤؛ ١١: ٢؛ ١٦: ٢٠؛ ٢٣: ١٠؛ ٢٤: ٥؛ ٢٦: ٢٨؛ ٢٧: ١٧، ٢٢.
- (١٧) مت ١: ١٨.
- (١٨) مت ١: ١٦؛ ٢٧: ١٧، ٢٢. نشير هنا إلى أن أقدم المخطوطات المتأوية تقول: يسوع برأيا أي ابن أبا، وتقابله مع يسوع الذي يُقال له المسيح. كان اسم يسوع (أو يشوع) منتشراً جداً في ذلك الوقت. إنما تحاشى الشراح ذكر اسم يسوع مع برأيا. ولكن أما جاء يسوع إلى الخطأة أولاً؟ أما جاء يخلص برأيا أيضاً؟
- (١٩) مت ٢: ١. وُلد هيرودس حوالي سنة ٧٣ ق.م. احتل اورشليم سنة ٣٧ ق.م. وظلّ ملكاً على اليهودية حتى سنة ٤ ق.م. أما يسوع فقد وُلد قبل موت هيرودس بستين.
- (٢٠) مت ٢٨: ٢٠. اسمه عمانوئيل أي الله معنا، كما قال العهد القديم (أش ٧: ١٤؛ ٨: ٨؛ ١٠: ٨: لأن الله معنا) ومتى نفسه (١: ٢٣). كان الاسم رمزاً، فصار بعد القيامة واقعاً وحقيقة.
- (٢١) يرد هذا اللقب تسع مرّات عند متى، ثلاث مرّات عند كل من مرقس ولوقا. رج مت ١: ١، ٢٠؛ ٩: ٢٠؛ ١٧: ٢٣؛ ٢٢: ١٥؛ ٢٠: ٣١؛ ٢١: ٩؛ ١٥: ٢٢؛ ٢٢: ٤١-٤٦.
- (٢٢) وذلك في جدال بين يسوع والسلطات اليهودية قبل زمن الآلام بقليل، مت ٢١: ٤١-٤٦ وز.
- (٢٣) نقرأ في مت ١: ١: نسب يسوع المسيح ابن داود.
- (٢٤) مت ٩: ٢٧؛ ٢٠: ٣٠، ٣١.
- (٢٥) مت ١٥: ٢٢.
- (٢٦) مت ٢١: ٩، ١٥.
- (٢٧) يو ٤: ٢٣.
- (٢٨) يتحدّث مر ١٥: ٧ عن برأيا «الذي كان مسجوناً مع المشايخين».

- (٢٩) لوقا ١٢: ٤٩ - ٥٣؛ مت ١٠: ٣٤ - ٣٦: جئت أحمل السيف لا السلام.
- (٣٠) مت ٢١: ١٦؛ رج مز ٣. اعتبرت الكنيسة الأولى هذا المزموّر الثامن في عداد النصوص المسيحية. لم نعد أمام إنسان من الناس، بل أمام ابن الإنسان الملتحف بالمد والبهاء.
- (٣١) مت ١٣: ٢٧؛ يوحنا ١٢: ٢١.
- (٣٢) أع ٢٧: ٢٧. إنها تدل هنا على الله الآب الذي يعمل باسم فتاه يسوع.
- (٣٣) مت ٢١: ٧ - ٢٣؛ رج لوقا ٤٦: ١٣؛ ٢٧.
- (٣٤) مت ٢٥: ٣٧، ٤٤.
- (٣٥) مت ٢١: ٧ - ٢٢؛ ٢٥: ٣٧، ٤٤.
- (٣٦) مت ٨: ٢٥. صارت لفظة «سوسون» اليونانية عبارة ليتورجية: خلصنا، نجنا. رج ٢٨: ٢٨، ٣٠؛ ١٦: ٢٢؛ ١٧: ٤٤؛ ١٨: ٢١؛ ٢٦: ٢٢.
- (٣٧) في مت ٨: ٢ ترد كلمة كيريسوس. أما في ما يقابلها في مر ١: ٤٠ فلا نجد المنادي، بل حالاً: ان شئت. رج مت ٨: ٦ وقابل مع لوقا ٧: ٢. في مت ٩: ٢٨ يتوجه يسوع إلى الأعمى: «هل تؤمنان أنني أقدر على ذلك». قال له: «نعم، يا رب». أما في مر ١٠: ٥٠ فقد قال الأعمى: رابوني، أي ياعلم، في العبرية.
- (٣٨) مت ١٥: ٢٢، ٢٥، ٢٧.
- (٣٩) مت ١٧: ١٥.
- (٤٠) مت ٢٠: ٣٠، ٣١، ٣٣. يستعمل متى مراراً صيغة المنادي (كيرسي): يا رب، يا سيد، وقل ما يستعمل اللفظة مع التعريف (هو كيريسوس): الرب. وهكذا يختلف عن لوقا الذي يستعمل «هو كيريسوس» ليدل على يسوع عشرين مرة تقريباً. مثلاً لوقا ١٠: ١؛ ١١: ١١؛ ٣٩: ١١؛ ١٥: ١٣؛ ١٧: ٥، ٦، ٨...
- (٤١) فل ١١: ٢؛ رج روم ٩: ١٠: «فلماذا شهدت بلسانك أن يسوع رب». نشير إلى لفظة «أدون» التي تعني السيد، ولفظة «مار» التي نجدها في عبارة «ماراناثا»: تعال يا رب، أو ربنا جاء.
- (٤٢) مت ٩: ٢٧ - ٣١ (الأعميان في الجليل)؛ ١٥: ٢١ - ٢٨ (الكنعانية)؛ ٢٠: ٢٩ - ٣٤ (الأعميان في أريحا).
- (٤٣) مت ٢٦: ٢٠ - ٢٥: هناك وجه سلبي للكلمة رابي. فالكثبة والفريسيون يسمون نفوسهم بهذا الاسم واضعين يدهم على سلطة الله (مت ٢٣: ٧ - ٨). ويهوذا سيسمي يسوع أيضاً بهذا الاسم عندما يخونه، قبله وقال له: السلام عليك، رابي (مت ٢٦: ٤٩). نشير إلى أن الذين يدعونه: «يا معلم» (ديدسكالوس) هم خصومه أو أقله أولئك الذين لم تؤثر فيهم كرازة الإنجيل (مت ٨: ١٩؛ ٩: ١١؛ ١٢: ٣٨؛ ١٩: ١٦؛ ٢٢: ١٦، ٢٤، ٣٦).
- (٤٤) في المعمودية (مت ٣: ١٧) وفي التجلي (١٧: ٥). وترد كلمة «ابني» بلسان الأنبياء: «من مصر دعوت ابني». عنت في هو ١: ١١ شعب إسرائيل العائد من مصر وفي مت ١٥: ٢ يسوع المسيح العائد من مصر، والآخذ على عاتقه دعوة إسرائيل التي هي الشهادة لله في العالم.
- (٤٥) مت ١٤: ٣٣. نحن أمام إعلان ليتورجي لا يرد في مرقس (٦: ٥٤ - ٥٥) ولا في

- يوحنا (٦: ١٦ - ٢١). يسوع هو ابن الله الذي ينقذ كنيسته (القارب يدل عليها، رج مت ٢٣: ٨؛ ٢٧) من كل شر، من المياه الغامرة.
- (٤٦) مت ١٦: ١٦. يتفرد متى بهذا اللقب. يكفي مر ٨: ٣٠ بالقول: «أنت المسيح» ولو ٩: ٢١: «مسيح الله». يتحدث متى هنا عن وحي (١٦ - ١٧) كما في نشيد مديحه (١١: ٢٧).
- (٤٧) مت ٢٧: ٤٥ - ٥٤ = مر ١٥: ٣٣ - ٣٩. نحن أمام إعراف فردي عند مرقس وأمام إعراف جماعي عند متى.
- (٤٨) مت ٤: ٣ - ٦: إن كنت ابن الله. وهتف الشياطين المقيمون في «الجئون»: «ما لنا ولك يا ابن الله» (أي لماذا تدخل في أرض لا تخصك، أرض وثنية؟) (مت ٨: ٢٩).
- (٤٩) مت ٢٦: ٦٣. ويسميه العابرون ورؤساء اليهود على الجلجلة بهذا الاسم (مت ٢٧: ٤٠، ٤٣) والضابط الروماني والحرس (مت ٢٧: ٥٤). وهكذا عرف العالم اليهودي والعالم الوثني أن يسوع هو «ابن الله». وكان بإمكانهم أن يصلوا إلى الموقف الواجب اتخاذه.
- (٥٠) مت ١١: ٢٧ = لو ١٠: ٢١ - ٢٢. الابن هو يسوع المسيح. وهكذا يدل يسوع بصورة غير مباشرة على علاقته الفريدة مع الله الأب. رج مت ٢١: ٣٧ (أرسل إليهم ابنه)؛ ٢٤: ٣٦ (الابن، الأب)؛ ٢٨: ١٩ (باسم الأب والابن).
- (٥١) نجد العبارة الكاملة (أبي الذي في السماوات) سبع مرات عند متى: ٧: ٢١؛ ١٠: ٣٢، ٣٣؛ ١٢: ٥٠؛ ١٣: ١٥؛ ١٦: ١٧؛ ١٨: ١٠ (يشاهدون وجه أبي الذي في السماوات). وثمان مرات العبارة الموجزة (أبي): مت ١١: ٢٧؛ ١٨: ٣٥؛ ٢٠: ٢٣؛ ٢٥: ٣٤؛ ٢٦: ٢٩، ٣٩، ٤٢، ٥٣ (ألا أستطيع أن أسأل أبي؟).
- (٥٢) مت ٢١: ٣٧ - ٣٨ (مثل الكرامين القتلة)؛ ٢٢: ٢ (مثل وليمة الملك: أولم في عرس ابنه).
- (٥٣) مت ٩: ٥. في السريانية: طوبى لصانعي السلام.
- (٥٤) مت ١٧: ٢٤ - ٢٧: ممن يأخذون الجزية؟ من بنيتهم أم من الغرباء؟
- (٥٥) مت ١٦: ١٨.
- (٥٦) مت ١٨: ٣٣.
- (٥٧) مت ٨: ١٩ - ٢٠ = لو ٩: ٥٧ - ٥٨. هي المرة الأولى التي فيها ترد عبارة ابن الانسان. وردت في متى ثلاثين مرة (٩: ٦؛ ١٠: ٢٣؛ ١١: ١٩...). وفي مرقس ١٤ مرة، ولوقا ٢٦ مرة، ويوحنا ١٣ مرة. نجد أيضاً هذا اللقب في أع ٧: ٥٦.
- (٥٨) حز ١: ٣... نقول أيضاً: ابن الحكماء (أش ١٩: ١١) فندل على رجل يمارس الحكمة.
- (٥٩) دا ٧: ١٣. رج أيضاً أخنوخ الأول ٤: ٦٤: «فابن الانسان هذا الذي رأيته، ينهض الملوك والاعزاء عن أسرهم والأقوياء عن عروشهم. سيقطع مقاليد المقتردين ويحطم أسنان الخطاة».
- (٦٠) رؤ ١: ١٣؛ ١٤: ١٤.
- (٦١) مت ٢٦: ١٣ - ٢١. يختلف متى هنا عن مرقس (٨: ٢٧ - ٣١): سأل يسوع: «من أنا على حد قول الناس؟» وبعد أن رأى فيه بطرس المسيح، تابع الخبر: «ثم بدأ يعلمهم

أن ابن الانسان يجب عليه أن يعاني آلاماً شديدة». والشيء ذاته واضح في لو: ٩: ١٨ - ٢٢: «وقال: يجب على ابن الانسان...».

- (٦٢) مر ٩: ١٢.
 (٦٣) مت ١٧: ١٢.
 (٦٤) مت ٦: ٩ = مر ٢: ١٠ = لو ٥: ٢٤.
 (٦٥) مت ٨: ١٢ = مر ٢: ٢٨.
 (٦٦) مت ٤٠: ١٢ = لو ١١: ٣٠: سيكون آية لهذا الجيل.
 (٦٧) مت ٩: ١٧ = مر ٩: ٩.
 (٦٨) مت ١١: ١٩.
 (٦٩) مت ١٠: ٢٣.
 (٧٠) مت ٣٢: ١٠ - ٣٣. ابن الانسان أي أنا يسوع.
 (٧١) مت ٢٦: ٦٤ = مر ١٤: ٦٢ (مع غمام السماء) = لو ٢٢: ٦٩: «ان ابن الانسان سيجلس عن يمين قدرة الله».
 (٧٢) مز ١١٠: ١: «قال الرب لسيدي: اجلس عن يميني»؛ دا ٧: ١٣ (ابن الانسان آت على غمام السماء، فبلغ الى قديم الأيام وقرب إلى أمامه).
 (٧٣) مت ٢٥: ٣١.
 (٧٤) مت ٢٧: ١٦ = مر ٨: ٣٨ (لا يقول: يجازي كل واحد حسب أعماله) = لو ٩: ٢٦: متى جاء في مجده ومجد الآب والملائكة الأطهار.
 (٧٥) مت ٢٥: ٣٤، ٤٠.
 (٧٦) تحدثت الأنجيل الأربعة عن وظيفة يسوع الملكية. وتحدثت لوقا (١: ٢٣؛ ٢٢: ٣٠؛ ٢٣: ٤٢) عن ملك يسوع. ولكن متى وحده ربط بين هذا الملك وابن الانسان.
 (٧٧) مت ٣٧: ١٣ - ٤٢.
 (٧٨) مت ٢٨: ١٦. أي سيأتي كالمملك. حرفياً: سيأتي مع ملكوته. ستحدث أيضاً أم ابني زبدي عن ملكوت يسوع (مت ٢٠: ٢١) فيجيئها يسوع: «ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم» (مت ٢٠: ٢٨).
 (٧٩) نشير هنا الى وجهة الحنان لدى يسوع كما يبرزها لوقا، ووجهة «الخشونة» لدى مرقس الذي يربنا مثلاً آلام يسوع في واقعية تصدمنا فتخال نفوسنا أمام مجرم من المجرمين، لا أمام مسيح يقدم حياته فداء عن الكثيرين.
 (٨٠) قالت «التوسفتا» أي الزيادات: «منذ موت آخر الأنبياء، حجاجي وزكريا وملاخي، توقف الروح القدس عن عمله في إسرائيل، فلم يبق لهم إلا الأصوات السماوية».
 (٨١) تث ١٨: ١٥. رأى العالم اليهودي المتأخر في هذه الآية إنباءً بنبي خارق، قد يكون المسيح. ونحن نجد صدى لهذا التقليد في أسئلة طرحها الشعب بشأن يسوع (يو: ٢١: ٦؛ ١٤: ٦؛ ٤٠: ٧). وسترى الكرازة المسيحية الأولى في يسوع النبي الذي أعلنه هذا النص (أع ٣: ٢٢؛ ٧: ٣٧).
 (٨٢) ملا ٣: ٢٣. إحتل إيليا دوراً كبيراً في فترة هامة من حياة شعبه. فانتظر الناس أن يعود. ويؤكد يسوع أن يوحنا المعمدان لعب دور إيليا (مت ١٧: ١ - ٨ وز)، فلم تعد

من حاجة لانتظار مجيئه .

(٨٣) مت ١١: ٢١ . يتفرد متى باعلان ما تقوله الجموع عن يسوع (رج ٩: ٣٣ ؛ ١٢: ٢٣) .
يسوع هو النبي (مت ١٦: ١٤ ؛ مر ٦: ١٥ ، لو ٧: ١٦ ، ٣٩) .

(٨٤) مت ٢١: ٤٦ .

(٨٥) مت ١: ٥ ؛ ١٦: ٢٨ ، رج بالنسبة إلى موسى جبل سيناء حيث تقبل لوهي الوصايا (خر ١٩: ٢٠) ، وجبل موآب حيث أعطى «الشريعة الثانية» (تث ١: ٤) .

(٨٦) لا يُذكر اسم موسى في سلسلة نسب المسيح ولا في انجيل الطفولة (مت ١ - ٢) بل فيما بعد . مت ٨: ٤ ؛ ١٧: ٣ ؛ ٤ ؛ ١٩: ٧ ، ٨ ؛ ٢٢: ٢٤ ؛ ٢٣: ٢ . نشير إلى أن لوقا يرجع إلى شريعة موسى في خبر التقديم إلى الهيكل (لو ٢: ٢٢) .

(٨٧) إذا عدنا إلى نص السبعينية رأينا أن متى استوحى نص خر ١٥: ٢ ليحدثنا عن هرب يسوع إلى مصر: حاول هيرودس أن يقتله فهرب (يوسف مع يسوع) .

(٨٨) خرا ١٦: ١ ، مت ٢: ١٦ .

(٨٩) مت ١: ٣ - ٢ .

(٩٠) مت ٣: ١٣ .

(٩١) مت ٤: ١٧ .

(٩٢) مت ٢١: ٤٦ .

(٩٣) مت ١٤: ٥ .

(٩٤) رج مت ٣: ٣ (أش ٤٠: ٣: صوت مناد في البرية) ؛ ٤: ١٤ - ١٦ (أش ٨: ٢٣ - ٩: ١: أرض زبولون وأرض نفتالي ... الشعب الجالس في الظلمة) .

(٩٥) رج مت ٥: ٣: «كانت تخرج إليه أورشليم وجميع اليهودية وناحية الأردن بأسرها» . هذا عن يوحنا . وعن يسوع ، رج ٤: ٢٥: «فتبعته جموع كبيرة من الجليل والمدن العشر وأورشليم واليهودية وعبر الأردن» .

(٩٦) رج مت ٧: ٣ - ١٠ (عظة يوحنا) ؛ مت ٥ - ٧ (عظة الجبل) .

(٩٧) روى الانجيليون مقتل يوحنا (مت ١٤: ٣ - ١٢ ؛ مر ٦: ١٧ - ٢٩ ؛ لو ٣: ١٩ - ٢٠) فدلوا مسبقاً على المصير الذي ينتظر يسوع . تمتى يوحنا المسجون أن يعمل يسوع شيئاً من أجله (أنت هو الآتي أم نتظر آخر؟ مت ١١: ٣٠) ، ولكن يسوع نبهه (ونبهنا معه) : طوبى لمن لا يشك (يعثر ، يسقط ، يفقد إيمانه) بسببي (مت ١١: ٥) .

(٩٨) مت ١٣: ٥٧ .

(٩٩) مت ١٢: ٢٤ = ٢٩: ٦ . ويتابع متى: «فلما سمع يسوع بمقتل يوحنا انطلق الى مكان قفر يعتزل فيه» . لم تأت ساعته بعد ، لهذا تجنب الخطر . هكذا اعتزلت ، ابتعدت العائلة المقدسة (مت ٢: ١٤ ، ٢٢) ، هكذا ابتعد يسوع نفسه (مت ٤: ١٢ ؛ ١٢: ١٥ ؛ ١٥: ٢١) .

(١٠٠) مت ٢٣: ٣٤ .

(١٠١) مت ١٣: ٣ - ١٧ . نجد هنا حواراً قصيراً يدل أولاً على سمو يسوع على يوحنا . الذي يعمد هو أعظم من الذي يتعمد ، ولكن المحتاج الحقيقي هو يوحنا . ويدل ثانياً على أن يوحنا يجرب يسوع (كما كان الأمر بالنسبة إلى بطرس: حاشا لك ، يا رب ، مت ١٦: ٢٣) ليمتنعه من الاختلاط مع البشر الخاطئين . ونقول ١٥٥: «حينئذ تركه» (يتعمد) . ونقرأ في مت ٤: ١١: «حينئذ تركه إبليس» .

- (١٠٢) مت ١١:٣ - ١١:١١ - ٢:٦ .
- (١٠٣) مت ٢:٣ - ١١:١١ .
- (١٠٤) مت ١٢:٤١ : «يرسل ابن الانسان الملائكة فيخرجون من ملكوته» .
- (١٠٥) مت ١٢:٢٨ . دخل يسوع على مسرح العالم فوضع حداً لتسلط الشيطان رج لور ١٨:١٠ .
- (١٠٦) رج مرا ٢١:١ - ٢٨:٤؛ لو ٣٨:٤ - ٤١ (في إطار البيت العائلي)؛ يو ٢:١ - ١٢ (العالم اليهودي حاضراً بجراره الفارغة من ماء التطهير) .
- (١٠٧) مت ٤:٢٣ - ٢٥ . يلي هذا المقطع مباشرة خطبة الجبل (مت ٥ - ٧) .
- (١٠٨) مت ٨ - ٩ . أما المعجزات فهي: شفاء الأبرص (١:٨ - ٤)، شفاء عبد قائد المئة (٥:٨ - ١٣)، شفاء حمة بطرس (٨:١٤ - ١٨)، تسكين العاصفة (٨:٢٣ - ٢٧)، طرد الشياطين (٨:٢٨ - ٣٤)، شفاء المقعد (٩:١ - ٨)، شفاء المنزوفة (٩:١٨ - ٢٢)، إحياء ابنة رئيس المجمع (٩:٢٣ - ٢٦)، شفاء أعميين (٩:٢٧ - ٣١)، شفاء أخرس مسوس (٩:٣٢ - ٣٤) .
- (١٠٩) مت ٩:٣٥ : «وكان يسوع يسير في جميع المدن والقرى...» .
- (١١٠) أعلن مت ٩:٦ ومر ٢:١٠ ولو ٥:٢٤ أن لابن الانسان سلطاناً يغفر به الخطايا، ولكن متى زاد في ٨:٩ إن هذا السلطان أعطي للناس (في صيغة الجمع) . هذا يدل على المحيط الكنسي الذي في دُون إنجيل متى: حين تغفر الكنيسة الخطايا (بواسطة البشر) فسلطانها يرتبط بسلطان المسيح نفسه . رج مت ١٦:١٩ - ١٨:١٨ .
- (١١١) مت ٩:٢ . سجد في مر ٥:٢ ولو ٥:٢٠ فقط: «يا بني» .
- (١١٢) مت ٩:٢ : رأى يسوع إيمانهم (مع أنه لم يتكلم عن الذين حلوا المقعد كما فعل كل من مرقس ولوقا)؛ رج ٨:١٠، ١٣ (إيمان الضابط)؛ ٩:٢٢ (نازفة الدم)؛ ٩:٢٨، ٢٩ (الأعميان) .
- (١١٣) أراد متى أن يكون العدد عشرة في هذا المكان وللرقم أهميته في العالم اليوناني (هو جمع الأرقام الأربعة الأولى، ١ + ٢ + ٣ + ٤) وفي الحياة اليومية (عدد أصابع اليد) . فهناك معجزتان مذكورتان هنا وستردان فيما بعد: شفاء الأعميين سنجده مع أعميي أريحا (مت ٢٠:٢٩ - ٣٤) والمسوس سنجده في مت ١٢:٢٢ - ٢٣ .
- (١١٤) مت ٩:١١ - ١٣ . حرفياً الاقوياء تحدث لور ٥:٣١ عن الأصحاء (يتمتعون بصحة جيدة) . فالكلمة اليونانية سمين تعود إلى الآرامية (السريانية) بريا: معاف، متمتع بكامل صحته، شديد، رج في العربية: برىء من المرض أي شفي .
- (١١٥) فعل = geste، حركة يقوم بها الجسد ولا سيما اليد أو الرأس، وهي تحمل مدلولاً خاصاً . هذا ما نقوله عن أفعال يسوع وأعماله .
- (١١٦) مت ١١:٤ - ٦ . يعود هذا النص إلى أش ٣٥:٥ - ٦؛ ٤٢:١٨؛ ٦١:١ .
- (١١٧) مت ١٠:٨ . هذا ما يستمى خطبة الأرسال .
- (١١٨) هذه المقاطع هي: أش ٤٢:١ - ٧ (النشيد الأول)؛ ٤٩:١ - ٩ (النشيد الثاني)؛ ٥٠:٤ - ١١ (النشيد الثالث)؛ ٥٢:١٣ - ٥٣:١٢ (النشيد الرابع) . نشير إلى أن الام عبد الله (عبد يهوه كما في العبرية، عابد الله) تبدأ في النشيد الثالث وتصل إلى ذروتها في النشيد الرابع .

- (١١٩) مت ١٦: ٨ - ١٧؛ رج أش ٥٣: ٤.
 (١٢٠) مت ١٢: ١ - ١٣.
 (١٢١) مت ١٥: ١٢ - ٢١؛ رج أش ٤٢: ١ - ٤. نشير إلى أن هذا النص لا يوافق موافقة دقيقة لا النص العبري ولا الترجمة اليونانية. قد نكون أمام تكيف للنص عرفه تقليد متى. نشير إلى أن الكلمة اليونانية التي تترجم «عبد» العبرية تعني العبد (الخادم) والفتى.
 (١٢٢) مت ١٧: ٣؛ ١٧: ٥.
 (١٢٣) مر ٩: ١ - ١١؛ روم ٦: ٣.
 (١٢٤) أش ٥٠: ٦.
 (١٢٥) مت ٢٦: ٦٧؛ مت ٢٧: ٢٧ - ٤١.
 (١٢٦) أش ٥٣: ٧، مت ٢٧: ١٤.
 (١٢٧) أش ٥٣: ١٢؛ مت ٢٧: ٣٨. نشير إلى أن متى يتكلم عن اللصين كما فعل مر ١٥: ٢٧ ولو ٢٣: ٣٣ - ٣٤ ويو ١٩: ١٨، ولكنه لا يتحدث عن «لص اليمين» أو اللص الصالح كما يفعل لوقا.
 (١٢٨) مت ٢٦: ٢٨. نشير إلى أن متى يتفرد بذكر الشق الأخير من الجملة: لغفران الخطايا. يقول مر ١٤: ٢٤ فقط: «يراق من أجل الكثيرين». ولو ٢٢: ٢٠: «يراق من أجلكم».
 (١٢٩) لا ١: ٤ ي.
 (١٣٠) أش ٥٣: ١٣.
 (١٣١) أش ٥٣: ٣.
 (١٣٢) مت ٢٧: ٥٤.
 (١٣٣) مت ٢١: ١ - ٢٣.
 (١٣٤) مت ٢٨: ٢٠.

* الخوري بولس الفغالي. ولد في كفرعبيدا (البترون) سنة ١٩٣٥ رسم كاهناً سنة ١٩٦٢. حاز على دكتوراه في الفلسفة واللاهوت، على دبلوم في الكتاب المقدس وفي اللغات الشرقية. دُرس الكتاب المقدس في الكلية الحبرية في جامعة الكسليك، في معهد القديس بولس (حريصا)، وفي اكليريكية المعادي. هو منسق الرابطة الكتابية في الشرق الأوسط، وأمين عام اللجنة الأسقفية اللاهوتية الكتابية المنبثقة عن مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، وعضو في اللجنة المسكونية لترجمة الكتاب المقدس إلى العربية.

- من مؤلفاته: سفر التكوين، من العبودية الى العبادة، التاريخ الإشتراعي، التاريخ الكهنوتي، إنجيل يوحنا، إنجيل لوقا، إفراهاط الحكيم الفارسي، يعقوب السروجي، تيودورس المصيبي.

الفصل العاشر

مدخل إلى إنجيل مرقس

الخوري بولس الفغالي

ظل إنجيل مرقس حتى القرن التاسع عشر غير مفسر تقريباً في الكنيسة. فالقديس إيرونيموس مترجم اللاتينية الشعبية انطلق منه ليعظ الرهبان، فاكثف ببعض التطبيقات التقوية. ولن نجد لدى الآباء اليونانيين إلا اسم تيوفيلكتيس (القرن الحادي عشر) واسم افثيموس (القرن الثاني عشر). وإذا جعلنا جانباً بين اللاتين باديسوس المكرم (القرن الثامن)، سوف نصل إلى القرون الوسطى وما بعدها، لنجد اهتمام توما الأكويني وكاجتان وغيرهما بإنجيل مرقس. أما في العالم السرياني فسننتظر ايشوعداد المروزي (القرن التاسع) وديونيسيوس ابن الصليبي (+ ١١٧١) وابن العبري (+ ١٢٨٦) ليقدموا لنا تفسيراً سريعاً عن مرقس. إعتبر الآباء والشرح أن ما في مرقس نجده بصورة أوسع عند متى ولوقا. ولكنهم توقفوا عند مضمون النصوص الإنجيلية ونسوا السمات الخاصة بهذا الإنجيل الذي هو وثيقة لا يحل محلها وثيقة، وقد غدّى الكنيسة التي وُلد فيها عشرات السنين.

وعاد الشراح إلى مرقس خلال القرن التاسع عشر، وما زالوا يدرسونه. قالوا: إنه المرجع الرئيسي لمتى ولوقا. وسينطلقون منه ليقدموا «حياة يسوع» بوجه المشككين والمترابنين بتاريخية ما ورد في الأناجيل. وكانت التفاسير العديدة في اللغات الغربية وقد عرف الشرق تفسيرين أو ثلاثة لا يتعدون التفسير الحرفي للإنجيل.

إلى هذا الإنجيل سنتعرف: كاتبه والأشخاص الذين توجه إليهم. تأليفه الأدبي وعلاقته بالتاريخ، وأخيراً المواضيع اللاهوتية في إنجيل يحدثنا عن يسوع الذي هو المسيح وابن الله.

أ - كاتب إنجيل مرقس

لا شيء في النص الإنجيلي يساعدنا على اكتشاف صاحب هذا الإنجيل. فالعنوان وُضع في بداية القرن الثاني المسيحي. أما الكتاب فعُرف بأولى كلماته: «بدء إنجيل يسوع المسيح». ولكن التقليد يتفق اتفاقاً تاماً على إسناد هذا الإنجيل إلى القديس مرقس. والنقاد المعاصرون يُقرون بأهمية هذا التقليد، ويعتبرون أنه لو أراد القدماء أن ينسبوا هذا الإنجيل إلى أحد، لنسبوه إلى شخص عظيم، لا إلى شخص مغمور مثل مرقس، الذي قد يكون أشار إليه الإنجيلي في حدث الشاب الذي «فرَّ» عريانا» (١٤: ٥١ - ٥٢) حين أراد الجنود أن يمسكوه في بستان الزيتون.

١ - شهادة بابياس

أقدم الشهادات عن إنجيل مرقس هي شهادة قَدَّمها بابياس الذي وصفه إيريناوس، أسقف ليون في فرنسا بثلاث صفات في النص الذي يورده عنه. هو رجل قديم، أي إنه ينتمي إلى جيل آخر سبق إيريناوس المولود سنة ١١٥. هو رفيق بوليكر بوس، أي كان أسقفاً مثله. سُقف بوليكر بوس سنة ١٠٠ تقريباً بيد معاصري المخلص، كما يقول أوسابيوس القيصري، ووُلد حوالي سنة ٧٠. فقد يكون الأمر مماثلاً بالنسبة إلى بابياس. وهو أخيراً سامع ليوحنا الرسول. كل هذا يدل على أن بابياس هو شاهد جليل ومحترم. فما هي شهادته التي قد تعود إلى سنة ١٢٥ - ١٣٠ كما يقول فيلبس (الذي من سيديس في بمفيلية - تركيا الحالية، حوالي سنة ٦٣٠)؟

ماذا يقول بابياس في مرقس الإنجيلي؟ «هذا ما اعتاد الشيخ أن يقول لنا: كان مرقس ترجمان بطرس فكتب بدقة، لا بترتيب، كل ما

تذكره من أقوال الرب وأعماله. فهو لم يسمع الرب ولم يتبعه، بل كما قلت، تبع بطرس فيما بعد. قدّم بطرس تعليماً حسب الحاجة ولم يؤلف أقوال الرب تأليفاً مرتباً. وهكذا لم يخطئ مرقس حين دوّن بعض هذا التعليم كما تذكره. لم يكن لديه إلا همّ واحد؛ أن لا يهمل شيئاً مما سمعه، أن لا يقول شيئاً كاذباً.

نلاحظ هنا ثلاثة تأكيدات: كان مرقس ترجمان بطرس. تبعه واستظهر تعليمه. كان أميناً حين كتب، وأمانته ترتبط بأمانة بطرس الذي عاش مع الرب منذ البداية حتى القيامة والصعود. وأخيراً، كتب بدون ترتيب مجمل الإنجيل، أي أقوال يسوع وأعماله، فاتبع طريقة بطرس الذي كان يقدم التعليم حسب حاجة السامعين.

٢ - شهادات تقليدية أخرى

نذكر أولاً يوستينوس (ابن نابلس في فلسطين) حوالي سنة ١٥٠. هو لا يسمي مرقس، ولكنه ينسب إلى «ذكريات بطرس» تعليقا يورده مرقس وحده في ١٧:٣ حين يلقب ابنّي زبدي: بوانرجس. وأعلن إيريناوس (+ ٢٢٠): «بعد موت بطرس وبولس، نقل إلينا مرقس نفسه أيضاً، وهو تلميذ بطرس وترجمانه، نقل إلينا كتابة ما وعظه بطرس». وحدّثنا ترتليانوس (ابن قرطاجة في أفريقيا) (+ ٢٢٠) عن مرقس «ترجمان بطرس». وأكد اكلمنضوس الإسكندراني (+ ٢١٥) أن مرقس كتب حسب ما سمعه من بطرس وتحت نظر بطرس. وحدّد أوريجانوس (+ ٢٥٤) أن مرقس ارتبط ببطرس حين كتب إنجيله. وتحدث التقليد الروماني بلسان هيبوليتس (+ ٢٣٥) وعبر المطلع المناهض لمرقيون الهرطوقي (+ ١٦٠) عن مرقس في خط ما قاله عنه إيريناوس.

قال أوسابيوس القيصري (فلسطين + ٣٤٠) وإيرونيμος (توفي في بيت لحم سنة ٤٢٠) أن مرقس كرز في الإسكندرية. ولكن هذا التقليد لا يردّ لا عند إكلمنضوس ولا عند أوريجانوس، فاعتبر النقاد أن هذا القول غير صحيح. وتحيل ألبانيوس (ابن فلسطين، + ٤٠٣) أن مرقس كان من تلاميذ الرب السبعين.

ونقول أخيراً إن التقليد الآتي من آسية الصغرى (تركيا الحالية) ومصر وأفريقيا الشمالية ورومة، يُجمع على التأكيد أن الإنجيل الثاني كُتب بيد مرقس، وارتبط بكراسة بطرس.

٣ - مرقس والعهد الجديد

يساعدنا العهد الجديد على التعرف إلى شخص مرقس. يتحدث سفر الأعمال عن شخص اسمه يوحنا ولُقّب بمرقس. نقرأ في أع ١٢: ١٢ «وبعد التفكير، توجه (بطرس) إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب بمرقس، حيث كان إخوة كثيرون مجتمعين يصلون». إذن كان بيت مرقس «كنيسة» تجتمع فيها الجماعة المسيحية الأولى للصلاة وكسر الخبز. ويروي سفر الأعمال أن مرقس سار مع برنابا وبولس من أورشليم إلى أنطاكية (أع ١٢: ٢٥)، ثم رافقهما خلال الرحلة الرسولية الأولى التي قام بها بولس (١٣: ٥). ولكنه ما عتَم أن تركهما (١٣: ١٣). وهذا ما حدا ببولس أن يفصل عن برنابا. حينئذ إختار بولس سيلا وأخذ برنابا مرقس (أع ١٥: ٣٧ - ٣٩).

وارتبط مرقس ببطرس الذي يتحدث عنه في رسالته الأولى (١٣: ٥) ويسميه «مرقس ابني». ويشير بولس في رسائله إلى مرقس الذي هو رفيقه ساعة الأسر (كو ٤: ١٠؛ فلم ٢٤). وهو يطلب من تيموتاوس أن يستصحبه إليه «لأنه ينفع للخدمة» (٢ تم ٤: ١١). وهكذا يكون مرقس اتصل ببطرس أولاً ثم ببولس (من ٤٤ إلى ٤٩ ثم من ٦١ - ٦٣) وأخيراً ببطرس (٦٣ - ٦٤).

٤ - مرقس «إنجيل بطرس»

سمّى التقليد القديم مؤلف مرقس «إنجيل بطرس». وهذا ما تؤكده معطيات الإنجيل نفسه. فنحن نجد شهادة بطرس في عدد من الأخبار التي نقرأها في إنجيل مرقس: دعوة الرسل الأولين (١: ١٤ - ٢٠)، يسوع في كفرناحوم (١: ٢ - ١٢)، دعوة متى (٢: ١٣ - ١٧)، رفض أهل الناصرة ليسوع (٦: ١ - ٦)، إقرار بطرس بيسوع (٨: ٢٧ -

- (٣٣)، التجلي (٢: ٩ - ١٣)، الشاب الغني (١٧: ١٠ - ٢٧)، طلب ابني زبدى (٣٥: ١٠ - ٤٥)، دخول يسوع إلى أورشليم (١: ١١ - ١١)، تطهير الهيكل (١٥: ١١ - ١٨)، تضييخ يسوع بالطيب (٣: ١٤ - ٩)، يسوع في جتسيماني (٢٦: ١٤ - ٣١)، القبض على يسوع (٤٣: ١٤ - ٥٢)، جحود بطرس ليسوع (١٤: ٦٦ - ٧٢).

وقال الشّراح، وفي قولهم بعض الصواب، إن مرقس أعطى مكانة مميّزة لبطرس في إنجيله. ففي يوم كفرناحوم (٢١: ١ - ٣٨) يلعب بطرس الدور الأهم. «إنطلق سمعان ومن معه في طلبه. ولما وجدوه قالوا له: الجميع يطلبونك» (٣٦: ١ - ٣٧). ثم إن بطرس يتدخل أمام التينة اليابسة من جذورها (٢١: ١١) كما يتدخل خلال الخطبة الإسكاتولوجية (منتهى العالم، ٣: ١٣). وحين تسلمت النسوة مهمة إعلان القيامة، ذكر لهن الملاك اسم بطرس منفرداً عن التلاميذ (٧: ١٦). وسيتبع متى ولوقا إنجيل مرقس في التشديد على شخص بطرس.

ب - وجهة إنجيل مرقس

نطرح هنا على نفوسنا ثلاثة أسئلة: إلى من وجّه إنجيل مرقس؟ أين دوّن؟ ومتى دوّن؟

١ - إلى من وجّه إنجيل مرقس؟

من الواضح أن إنجيل مرقس وجّه إلى مسيحيين من أصل وثني لا يعيشون في أرض فلسطين. هنا نقابل بين مرقس ومتى. يتحدث متى مثلاً عن الشريعة وعلاقتها بالعهد الجديد (متى ١٧: ٥ - ١٩؛ ١٠: ٥؛ ٩: ٩)، وهذا ما لم يفعله مرقس. لا نجد عند مرقس الشيء الكثير من تكميم النبوءات ومن هجوم يسوع على الكتبة. هناك استشهادات تردّ على لسان يسوع (٦: ٧؛ ٩: ١٢؛ ١٠: ٤ي؛ ١١: ١٧؛ ١٢: ١٠؛ ٢٤: ١٤؛ ٢١: ٢٧) وأخرى على لسان مرقس (٢: ١؛ ١٤: ٤٩؛ ١٥: ٢٨). ولكنّها قليلة جداً بالنسبة إلى ما

نجدته في إنجيل متى. وإذا يُفرد متى أقله فصلاً كاملاً يهاجم فيه الكتبة والفريسيين (١: ٢٣ - ٣٨)، يكتفي مرقس بثلاث آيات (١٢: ٣٨ - ٤٠) يتحدث فيها عن الكتبة «الذين يحبون التجول بالحلل الفضفاضة، والتحيات في الساحات، والمجالس الأولى في المجمع...». هذا يدل على أن الصراع لم يزل ضعيفاً بين العالم المسيحي والعالم اليهودي، وأنا بعيدون عن سنة ٩٠ تقريباً، يوم تم الانفصال بين المجموعتين في مجمع يمنية (رج يو ٩: ٢٢، ٣٤).

ويهتم مرقس بتفسير العادات اليهودية. حين اكتفى متى (٢: ١٥) بآية واحدة فتحدث عن تقليد الشيوخ، أحسّ مرقس بالحاجة إلى بضعة آيات (٢: ٧ - ٤) ليفهم القارئ هذا التقليد: «فإن الفريسيين، واليهود إجمالاً، لا يأكلون ما لم يغسلوا أيديهم حتى المعصم...» (رج ١٤: ١٢؛ ٤٢: ١٥). وعمل مرقس على ترجمة الكلمات الآرامية الواردة في إنجيله. حين أحيا يسوع ابنة يائرس قال لها: «طلّيتا قوم». أورد مرقس العبارة وزاد: «أي، يا بنية لك أقول: قومي» (٤١: ٥؛ رج ٩: ٥). وقدم مرقس تحديات جغرافية يجهلها الغرباء عن أرض فلسطين (٥: ١، ٩؛ ١: ٥؛ ١: ١١)، كما شدّد على مضمون الإنجيل الموجّه إلى الوثنيين. مثلاً نقرأ في ١٧: ١١ بلسان يسوع: «أما هو مكتوب، أن بيتي يُدعى بيت صلاة لجميع الأمم» (أي الأمم الوثنية)؟ أما نص متى الذي يوازي هذا النص فيقول: «بيت بيت صلاة يُدعى» (متى ٢١: ١٣). ونقرأ أيضاً في مر ١٣: ١٠: «ولا بدّ من قبل، أن يكرز بالإنجيل في جميع الأمم». أجل، لم يدوّن إنجيل مرقس لمسيحيين جاؤوا من العالم اليهودي، كما هو الأمر بالنسبة إلى متى، بل لمسيحيين جاؤوا من العالم الوثني وأقاموا في رومة أو في جوارها.

٢ - أين دوّن إنجيل مرقس؟

قال إكلمنضوس الإسكندراني وإيرونيموس وأوسابيوس القيصري وأفرايم، إن مرقس دوّن إنجيله في رومة. وانفرد يوحنا فم الذهب فقال إن هذا الإنجيل دوّن في الإسكندرية، مستنداً إلى تفسير خاطيء لتقليد أوسابيوس حول كرازة مرقس في الإسكندرية.

إن الإرشادات التي تتوجّه إلى قراء الإنجيل الثاني توافق بصورة خاصة جماعة تقيم في رومه. فالتعابير اللاتينية كثيرة. اسم المجنون «لجيون» أي فوج من الجيش (٩: ٥)، وإن مرقس يفسر الكلمات اليونانية بألفاظ لاتينية. نقرأ في ١٢: ٤٢: «وألقت (الأرملة) فلسين، قيمتهما ربع آس»، والآس هو عملة نحاسية رومانية. وفي ١٦: ١٥: «إقتاد الجنّد (يسوع) إلى داخل الدار أي دار الولاية» (براتوريون، وهي كلمة لاتينية).

واقترح بعض الكتاب أن تكون أنطاكية هي المكان الذي فيه دوّن إنجيل مرقس، واستندوا إلى الأسباب التالية: ارتباط تقليد بابياس بالشرق، علاقات بطرس بأنطاكية، ذكر سمعان القيريني (٢١: ١٥)؛ رج أع ١١: ٢٠؛ ١٣: ١)، وجود الكلمات الآرامية... ولكن هذه البراهين لا تكفي. لهذا نحافظ على التقليد الذي يجعل من رومة المركز الذي فيه دوّن إنجيل مرقس.

٣ - متى دوّن إنجيل مرقس؟

لا يتفق التقليد على الزمن الذي فيه دوّن إنجيل مرقس. قال إيريناوس متبوعاً خطى بابياس، إن مرقس دوّن إنجيله بعد موت بطرس. وقال إكلمنضوس الإسكندراني: قبل موت بطرس. إن الاختلافات المنسوبة إلى إكلمنضوس في كتاب أوسابيوس تدلنا على توسع للتقليد شبيه بذلك الذي جعل من مرقس تلميذاً ليسوع. قال بابياس: تذكّر مرقس ما علّمه بطرس فكتب. ولكن شيوخ الإسكندرية أرادوا أن يكون بطرس قد عرف ما فعله مرقس، بل أن يكون وقع على الكتاب. ما هو أكيد، هو أن مرقس لم يكن المرجع الأول، بل عاد إلى بطرس، كما قال إيريناوس وأوريغانس وأبيفانيوس وإيرونيموس وقانون موراتوري (حوالي سنة ١٨٠).

أما دراسة النص فتدلّ على أن هذا الإنجيل دوّن قبل سنة ٧٠، سنة دمار أورشليم. فلا شيء في هذا الإنجيل يلمّح إلى هذا الدمار. أما نص لوقا الذي دوّن بعد هذا التاريخ فهو واضح وفيه نقراً: «إذا رأيتم

أورشليم قد أحاطت بها الجنود، فأعلموا عندئذ أن خرابها قد اقترب» (لو ٢١: ٢٠).

نحن لا نتبع الموقف «الأصولي» الذي يجعل تدوين إنجيل مرقس حوالي السنة ٤٠ ليكون النص قريباً من الأحداث، ولكننا لن نتعدى، كما قلنا سنة ٧٠. أما الرأي الذي يأخذ به معظم الشراح فيجعل تدوين إنجيل مرقس بين سنة ٦٥ وسنة ٧٠.

ج - التأليف الأدبي في إنجيل مرقس

حين نقرأ إنجيل مرقس نكتشف وجهتين في أسلوبه: وجهة الشاهد الحي، وجهة التقليد الموجز. يتفق الشراح فيؤكدون التقليد الذي يرى في إنجيل مرقس إنجيل بطرس. ولكنهم يختلفون في تحديد المراجع الأدبية الرئيسية. فإذا قابلنا مرقس مع الإنجيليين الإزائيين (مت + لو) الآخرين، نجد أنه يفترض وجود إنجيل سابق له. حين نقابل متى ولوقا نجد أنهما يتفقان على مرقس. إذاً، كانت هناك نواة إنجيل سابقة لإنجيل مرقس. ما هي هذه النواة؟ قال بعضهم: مرقس الأولاني. وقال آخرون: متى الأرامي. ولكن فئة ثالثة تترك البحث عن هذه الوثيقة الأولى، لتكتشف المراجع الجزئية التي جمعها مرقس ونسقها.

١ - المواد التي استعملها مرقس

نتوقف هنا عند أقوال يسوع وعند الأخبار التي تبرز لنا عمل يسوع في الجليل واليهودية قبل الوصول إلى أورشليم. ما نلاحظه بالنسبة إلى الأقوال هو أن الخطب قليلة وقصيرة. حين نعرف أن متى بُنيَ على خمس خطب يمتد بعضها على فصلين أو ثلاثة، لا نجد عند مرقس إلا خطبة الأمثال (١: ٤ - ٣٤) التي هي أقصر مما نجده عند متى (١: ١٣ - ٥٢)؛ وخطبة نهاية العالم (٣: ١٣ - ٣٧) التي يوازيها مت ٢٤ - ٢١. أما التعليمات الرسولية والكنسية التي توسع فيها متى فلم يبقَ منها عند مرقس إلا بقايا وفقرات قليلة. ماذا بقي من متى ١٠؟ أربع آيات هي: ٨: ٦ - ١١، موزعة على خطبتين. أوصاهم قائلاً: «لا تحملوا

شيئاً للطريق...». وقال لهم أيضاً: «أي بيت دخلتم...». وماذا بقي من مت ١٨ وما يتضمنه من وصايا تتوجه إلى الكنيسة؟ ١٥ آية تقريباً. ونقول الشيء عينه عن الجدال حول بعل زبول (٣: ٢٣ - ٣٠)، والويلات الموجهة ضد الكتبة والفريسيين (١٢: ٣٨ - ٤٠؛ ق مت ٢٣: ١ - ٣٦).

ومقابل هذا، يتحدث مرقس مراراً عن «التعليم» الذي يُلقيه يسوع. نقرأ في ١: ٣٩: «يكرز في المجمع في الجليل». وفي ٢: ٢: «اجتمع خلق كثير... وكان يبشّرهم بالكلمة». وفي ٢: ١٣: «أقبل إليه الجمع كله، وكان يعلمهم». ونستطيع أن نورد مقاطع أخرى تشدد على مهمة يسوع التعليمية دون أن نورد هذا التعليم الذي نجده عند متى أو لوقا. هنا نستطيع أن نقرأ ١: ٢١ - ٢٢: تقول آ ٢١: «أتوا كفرناحوم... دخل المجمع وأخذ يعلم». أما الآية التالية فتشير إلى إعجاب الجموع: «بهتوا من تعليمه، لأنه كان يعلم كمن له سلطان، لا كالكتبة». نقابل هاتين الآيتين مع ما نجده من آيات عند متى قبل عظة الجبل (مت ٤: ٢٣) وبعدها (مت ٧: ٢٩)، فنحس أن مرقس أغفل عظة الجبل، كما أغفل أمثالاً عديدة. وهذا الأمر يتأكد لنا حين يعدنا «بالأمثال» ولا يورد إلا مثلاً واحداً (١: ١٢). إذن، نحن أمام تقليد موسّع استقى مرقس بعضه، وتوسّع متى ولوقا في البعض الآخر أيضاً.

كانت الخطب قصيرة عند مرقس، ولكن الأخبار كانت موسّعة. لا شك في أن هناك أخباراً قصيرة مثل تجربة يسوع (١: ١٢ - ١٣) ودعوة التلاميذ الأولين (١: ١٦ - ٢٠) والمجادلات الأخيرة في الجليل (٢: ١٣ - ٣: ٥). ولكننا نجد خمسة أخبار أخرى استفاض فيها مرقس: شفاء المخلع (١: ٢ - ١٢)، مجنون الجدرين أو الجراسيين (٥: ١ - ١٧)، إحياء ابنة يائيرس (٥: ٢١ - ٤٣)، مقتل يوحنا المعمدان (٦: ١٧ - ٢٩)، شفاء مصروع (٩: ١٤ - ٢٩). لماذا شدد مرقس على هذه الأخبار؟ لأنه اعتبرها تعليمياً، شأنها شأن أقوال يسوع. مثلاً، حين شفى يسوع مجنون

كفرناحوم (٢١: ١ - ٢٨)، ذُهل الجميع حتى سأل بعضهم بعضاً قائلين: «ما هذا! تعليم جديد يلقي بسلطان» (٢٧: ٢).

ما هي المواد التي وجدها مرقس حين دوّن تعليمه؟ هناك أولاً خبر الآلام (ف ١٤ - ١٥) الذي تكوّن في الكنائس في وقت مُبكر. ثم مجموعات تعليمية: ١: ٢ - ٦: ٣ (مخلع كفرناحوم، دعوة موتى، مباحثة بشأن الصوم، يسوع رب السبت)؛ ٢٠: ٣ - ٣٥ (إفتراء الكتبة، قرابة يسوع)؛ ١: ٤ - ٣٤ (الأمثال)؛ ١: ٧ - ٢٣ (جدال حول التقاليد)؛ ٢٧: ١١ - ٤٤: ١٢ (رسالة يسوع، الكرامون القتلة، ضريبة قيصر، حقيقة القيامة، الوصية العظمى، المسيح ابن داود، رثاء الكتبة، فلس الأرملة)؛ ١: ١٣ - ٣٧ (خراب أورشليم ومنتهى العالم). ونجد أيضاً مجموعة أخبار ردّدها المؤمنون في اجتماعات الصلاة وكسر الخبز: كرازة يوحنا واعتماد يسوع (١: ١ - ١٣)، إنتخاب الرسل (٣: ١٣ - ١٩)، بعثة الرسل (٦: ٦ - ١٣)، طلب المحلّ الأوّل (٩: ٣٠ - ٣٧) ... وسيجد مرقس أيضاً بعض الإجماليات التي تربط المقاطع بعضها ببعض. مثلاً: «وبعدما ألقى يوحنا في السجن، أتى يسوع إلى الجليل وهو يكرز بإنجيل الله ويقول: لقد تم الزمان، واقترب ملكوت الله؛ فتوبوا وامنوا بإنجيل» (١: ١٤ - ٥؛ رج ٣: ٧ - ١٢). كل هذا استعمله مرقس ليقدم لنا تصميماً متناسقاً.

٢ - تصميم مرقس

كيف بحث الشّراح عن تصميم لإنجيل مرقس؟ إنطلقوا من إشارات جغرافية. تبدأ حياة يسوع في الجليل، وفي ١: ١١ ينتقل إلى أورشليم. «ولما قربوا من أورشليم... أرسل اثنين من تلاميذه». ولكن نستطيع أن نسمي ٧: ٢٤ - ١٠: ٥٢: خارج الجليل، ولا سيما حين يذهب يسوع الى شرقي الأردن في ١٠: ١. وما نستطيع أن نقوله هو أن يسوع يقضي وقته ينتقل من مدينة إلى أخرى، من صور (٧: ٢٤) إلى صيدا والمدن العشر (٧: ٣١)، إلى بيت صيدا (٨: ٢٢) وقيصريّة فيلبس (٨: ٢٧). هو ينتقل من أجل الرسالة، فلا يقيم في مكان واحد. مثلاً، لما حاولوا أن يمسكوه قال: «هلمّوا إلى القرى المجاورة،

فأكرز فيها أيضاً، لأنني لأجل هذا خرجت» (من كفرناحوم، رج لو ٤: ٤٣، أو من عند الآب).

وهناك إشارات أدبية تدل على أقسام إنجيل مرقس. يبدأ مرقس حياة يسوع العلنية بإجمالة عن الكرازة وبدعوة التلاميذ الأولين (أ: ١٤). ثم يقدم إجمالتين عن نشاط يسوع (٣: ٧) وخبرين عن الكرازة (٣: ٧؛ ٦: ٦). وهكذا نجد ثلاث حلقات تنتهي كل واحدة منها بموقف معاصري يسوع تجاهه: الفريسيون الذين «تأمروا عليه ليهلكوه» (٣: ٦). أقاربه الذين تجاهلوا جوهر رسالته (٦: ١ - ٦). بطرس الذي يعترف به فيقول له: «أنت المسيح» (٨: ٢٧ - ٣٠).

وهكذا نصل إلى الإشارة التعليمية التي تدل على حقتين في موضوع الوحي وتديره، يفصل بينهما إقرار بطرس. قبل هذا الاعتراف، يكشف يسوع عن نفسه أنه المسيح ويفرض على الجميع أن يحفظوا السر (١: ٣٤، ٤٤؛ ١٢؛ ٥: ٤٣؛ ٧: ٣٦؛ ٨: ٦. هذا ما يسمى السر المسيحي). نرى هنا أن التلاميذ لم يفهموا شيئاً كثيراً من سر يسوع (٤: ٤١؛ ٦: ٥١ - ٥٢؛ ٨: ١٦ - ٢١) الذي يجد ذروته الأولى في اعتراف بطرس (٨: ٢٩ - ٣٠).

بعد الإقرار المسيحي، بقي على التلاميذ أن يدركوا مصير يسوع الذي هو ابن البشر الذي «سيألم كثيراً... ويُقتل بعد ثلاثة أيام» (٨: ٣١). سيكتشف المؤمن سر المسيح ثم سر ابن الانسان قبل أن يعلن ما أعلنه قائد المئة عند الصليب: «في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله» (١٥: ٣٩).

وها نحن نقدم تصميماً مفصلاً لإنجيل مرقس.

١ - المقدمة:

(١: ١ - ١٣). ثلاث لوحات. في الأولى نسمع كرازة يوحنا المعمدان (١: ١ - ٨)، في الثانية، نشاهد اعتماد يسوع الذي يعلنه الآب ابنه الحبيب (١: ٩ - ١)، وفي الثالثة، نشاهده يجرب أربعين يوماً (١: ١٢ - ١٣).

القسم الأول: سر المسيح (١ : ١٤ - ٨ : ٣٠). نجد هنا ثلاث حلقات. تبدأ كل حلقة بإجمالة عن نشاط يسوع وخبر عن التلاميذ، وتنتهي بالإشارة إلى موقف الناس بالنسبة إلى يسوع.

* الحلقة الأولى: يسوع والشعب (١ : ١٤ - ٣ : ٦).

- مقدّمة: إجمالة حول الكرازة بملكوت الله (١ : ١٤ - ١٥) ودعوة التلاميذ الأولين (١ : ١٦ - ٢٠).

- يوم رسولي في كفرناحوم (١ : ٢١ - ٣٨) ينتهي بإجمالة (١ : ٣٩) وملحق (شفاء الأبرص، ١ : ٤٠ - ٤٤) وإجمالة أخرى (١ : ٤٥).

- خمسة جدالات وبعض الأخبار (٢ : ١ - ٣ : ٥).

- خاتمة: عزم الفريسيون على قتل يسوع (٣ : ٦).

* الحلقة الثانية: يسوع وأقاربه (٣ : ٧ - ٦ : ٦).

- مقدّمة: إجمالة حول الأشفية وإخراج الشياطين (٣ : ٧ - ١٢)، وتنظيم الاثني عشر (٣ : ١٣ - ١٩).

- أخبار: اعتبر ذوو يسوع أنه متهوس مجنون، وسماه الكتبة رئيس الشياطين. أمّا يسوع فأعلن نهاية سلطان الشيطان، وهذد الذين لا يؤمنون، وأعلن: «من يعمل مشيئة أبي هو أخي وأختي وأمي» (٣ : ٢٠ - ٣٥).

- الأمثال (٤ : ١ - ٣٤).

- معجزات كبيرة: تسكين العاصفة، مجنون الجدرين، شفاء نازفة الدم وإحياء ابنة يائيرس (٤ : ٣٥ - ٥ : ٤٣).

- خاتمة: موقف أقارب يسوع (٦ : ١ - ٦) : «تعجّب من عدم إيمانهم».

* الحلقة الثالثة: يسوع وتلاميذه (٦ : ٦ - ٨ : ٣٠).

- مقدّمة: إجمالة عن تعليم يسوع (٦ : ٦). وبعثة الاثني عشر وعودتهم مع خبر موت يوحنا المعمدان (٦ : ٧ - ٣٠).

- تكثير الأرغفة الخمس (٦ : ٣١ - ٤٤) ثم المشي على البحر (٦ : ٤٥ - ٥٢) مع أشفية عديدة (٦ : ٥٣ - ٥٦). وبعد جدال حول تقاليد الفريسيين وتعليم حول الطاهر والنجس (٧ : ١ - ٢٣)، نقرأ خبر معجزتين: المرأة الكنعانية (٧ : ٢٤ - ٣٠) وشفاء الأصم الأكلن (٧ : ٣١ - ٣٧).

- تكثير الأرغفة السبع (٨ : ١ - ١٠). وبعد جدال مع الفريسيين (٨ : ١١ - ١٣) وتعليم للتلاميذ (٨ : ١٤ - ٢١) نقرأ خبر شفاء أعمى بيت صيدا (٨ : ٢٢ - ٢٦).
- خاتمة: إعراف بطرس يسوع الذي يوصي تلاميذه «أن لا يقولوا لأحد عنه شيئاً» (٨ : ٢٧ - ٣٠).

القسم الثاني: سر ابن الشر (٨ : ٣١ - ١٦ : ٢٠).

* الحلقة الأولى: طريق ابن البشر (٨ : ٣١ - ١٠ : ٥٢).

تتوزع هذه الطريق إنبياءات ثلاثة عن مصير ابن البشر، ونجد بعد كل إنبياء تعليمًا عن مصير التلاميذ.

- إنبياء أول سيرفضه بطرس (٨ : ٣١ - ٣٣). سيتبع هذا الإنبياء تعليم يسوع (٨ : ٣٤ - ٩ : ١) ثم ملحق عن تجلي يسوع (٩ : ٢ - ١٣) وشفاء مصروع (٩ : ١٤ - ٢٩).

- إنبياء ثان يعلنه يسوع وهو يسير عبر الجليل (٩ : ٣٠ - ٣٢)، وتعليم عن الخدمة (٩ : ٣٣ - ٥٠)، ثم ملحق تعليمي عن الطلاق والأولاد والغنى وعن الجزاء الذي ينتظر التلاميذ (١٠ : ١ - ٣١).

- إنبياء ثالث يعلنه يسوع وهو صاعد إلى أورشليم (١٠ : ٣٢ - ٣٤) وتعليم يرافق طلب ابني زبدي (١٠ : ٣٥ - ٤٥) ثم ملحق عن أعمى أريحا (١٠ : ٤٦ - ٥٢).

* الحلقة الثانية: دينونة أورشليم (١١ : ١ - ١٣ : ٣٧).

- دينونة بالقول والعمل. دخول المسيح إلى أورشليم (١١ : ١٠ - ١١) وطرد الباعة من الهيكل (١١ : ١٥ - ١٩) في إطار خبر التينة التي يبست (١١ : ١٢ - ١٤، ٢٠ - ٢٥). جدال حول سلطة

يسوع (١١ : ٢٧ - ٣٣) يُحْتَمَمُ بِمَثَلِ الْكَرَّامِينَ الْقَتْلَةِ (١٢ : ١ - ١٢).
 - جدالات ثلاثة وتعليم. الجدل الأول: ضريبة قيصر (١٢ : ١٣ -
 ١٧). الجدل الثاني: حقيقة القيامة (١٢ : ١٨ - ٢٧). الجدل الثالث:
 الوصية العظمى (١٢ : ٢٨ - ٣٤). أما التعليم فيتحدث عن المسيح
 الذي هو ابن داود وربّه. وينتهي كل هذا بتحذير من رؤساء
 الكتبة: «احذروا من الكتبة» (١٢ : ٣٥ - ٤٠)، وملحق عن فلس
 الأرملة (١٢ : ٤١ - ٤٤).

- دمار الهيكل ونهاية العالم (١٣ : ١ - ٣٧).

* الحلقة الثالثة: الآلام والقيامة (١٤ : ١ - ١٦ : ٢٠).

- المؤامرة والخيانة مع مشهد نرى فيه امرأة تَضْمَخُ يسوع
 بالطيب (١٤ : ١ - ١١).

- في السر - تهيئة أسرارية للذبيحة وصلاة في جتسيماني بانتظار
 الساعة (١٤ : ١٢ - ٤٢).

- في العلن - أوقف يسوع (١٤ : ٤٣ - ٥٢). حَكَمَ الْيَهُودَ عَلَى
 يسوع لأنه المسيح (١٤ : ٥٣ - ١٥ : ١)، والرومان لأنه ملك (١٥ : ٢ -
 ٢٠). صُلب ومات (١٥ : ٢١ - ٤١) وقُبر (١٥ : ٤٢ - ٤٧).
 - الخاتمة: القبر الفارغ (١٦ : ١ - ٨).

- ملحق: ظهورات القائم من الموت (١٦ : ٩ - ٢٠).

د - علاقة الانجيل الثاني بالتاريخ.

إذا إنطلقنا من هذا التصميم الموسّع الذي أوردناه، لا نستطيع أن
 نكتب «سيرة يسوع» بالمعنى الحديث للكلمة. ولكن الاشارات المتعددة
 التي ذكرنا، تجعلنا بحضرة شخص حي، بحضرة شخص وُجد في
 التاريخ. غير أن الانجيلي أخضع كل ما كتبه لهدف تعليمي. أراد أن
 يدخلنا في طريق نتعرّف فيها إلى يسوع الذي هو المسيح وابن الله. كل
 هذا يدفعنا إلى أن نتوقف عند الأمور التي تميّز انجيل مرقس.

أجل، ما أراد مرقس أن يكتب سيرة يسوع، بل أن يقدم انجيلاً.
 أراد أن يبين أن ألوهية المسيح تستحق أن نؤمن بها. بعد هذا لن نبحث

عن الوجهة البشرية والسيكولوجية التي يمكن أن تكون معقولة أو غير معقولة. إن فعلنا هكذا، أخضعنا الأمور الالهية للأمور البشرية. فنحن لا نقدر أن نحكم من الخارج على كتاب يتوجّه الى الايمان. كل ما نستطيع ان نبحث فيه هو الاسباب التي حوّلت التقليد في اتجاه العقيدة المسيحية.

إنجيل مرقس هو تاريخ ديني، ولهذا يبدو من الطبيعي أن تُعرض الأحداث في منظور ديني. قد يشدّد الكاتب على هذه النقطة أو تلك لتبرز وجهة من التقليد. هذا ما نتيّنه حين نتحدّث عن السر المسيحاني أو لاهوت ابن الله. واعتبر بعض الشّراح أن مرقس شدّد على الوجهة الإسكاتولوجية لتعليم يسوع، فأغفل أقوالاً تدل على أن الإسكاتولوجيا حاضرة على هذه الأرض. ولكن هذا لا يمنع أن يكون ملكوت الله قد بدأ عمله: «الأرض من ذاتها تثمر، تخرج الساق أولاً، ثم السنبلة، ثم الحنطة ملء السنبلة. فإذا أدرك الثمر أعمل فيه المنجل لأن الحصاد قد حان» (٢٨: ٤ - ٢٩).

مرقس هو اللاهوتي. ومرقس هو المدافع عن الإيمان. أراد أن يبيّن أن يسوع هو ابن الله، وأن يسوع يُثم الكتب المقدسة. ولكن مع هذا، نجد إشارات عديدة تدلّ على وجه يسوع البشري. إعتبره أقرباؤه أنه رجل متهوس، أضاع رشده (٢١: ٣). هو يوسف النجار وابن مريم، والكل يعرفون إخوته وأخواته (٣: ٦). هو القوي الذي لم يقدر أن يجترح معجزة في الناصرة (٥: ٦ - ٦)، والمعلم الذي ما أراد أن يسمّى الصالح (١٠: ١٨)، وابن الإنسان الذي جهل ساعة الدينونة (١٣: ٣٢) وأحسّ أن الآب تركه (١٥: ٣٤).

إن يسوع يتصرّف حسب طبيعته البشرية. هو يفعل كما يفعل كل إنسان: يأكل، ينام، ينظر في ما حوله ليرى (٥: ٣٢)، يتألم ويموت. عواطفه عواطف إنسان: إغتم لتصلّب قلوب الفريسيين (٣: ٥) وأحسّ بالشفقة (٦: ٣٤؛ ٩: ٢٢)، وتحنّن على الجموع التي بدت كخراف لا راعي لها. إغتاظ حين رأى التلاميذ يُخرجون الأولاد (١٠: ١٤)، وبدا

ساخراً سخرية مُرّة حين قال لتلاميذه في جتسماني: «ناموا الآن واستريحوا» (٤١: ١٤). أحبّ ذلك الشاب الذي كان مجهولاً حتى الآن (١٠: ٢١)، واحتضن الأولاد ولاطفهم (١٠: ١٦)، وتعلّق بالتلاميذ تعلّقاً عميقاً.

تنبع هذه العواطف من عقله (٢: ٨) أو من نفسه (١٤: ٣٤) فتجعله يحس بالحزن العميق بل بالوهن والإرتقاء. تتميّز إرادته كل التمييز عن إرادة أبيه. هو يصلي ويطلب أن يُعفى من كأس الآلام مع الاستعداد لقبول ملء مشيئة الله. ترتبط معرفته بالخبرة، وهو يطرح الأسئلة كما يفعل كل إنسان (٥: ٣٠؛ ٨: ٥؛ ٩: ١٦ - ٢١)، مع أنه لا يحتاج إلى جواب ليعرف (٩: ٣٣ - ٣٤).

هـ - المواضيع التعليمية في إنجيل مرقس

١ - العناصر الليتورجية والكرازية.

نحن نكتشف أولاً عناصر ليتورجية في الحياة المسيحية التي عرفها مرقس. هو يتحدث عن الصوم (٢: ٢٠)، عن مسحة المرضى (٦: ١٣)، عن الصلاة (٩: ٢٩؛ ١١: ٢٤ - ٢٥). ونقرأ خبر تأسيس الإفخارستيا ليلة الفصح (١٤: ١٦ - ٢٥)، وبمناسبة تكثير الأرغفة (٦: ٨؛ ٤١: ٦). تعود هذه الذكريات إلى يسوع، ولكنها انطبعت بالممارسة المسيحية في القرن الأول.

ونكتشف ثانياً مواضيع كرازية واضحة. هو يفسّر الإشارات الجغرافية والكلمات الآرامية والعوائد اليهودية. حين تحدّث عن الناصرة أوضح لقرائه أنها تلك الواقعة في منطقة الجليل (١: ٩)، وحين ذكر بيت فاجي وبيت عنيا، زاد: «على مقربة من جبل الزيتون» (١١: ١). أما الكلمات الآرامية الواردة فهي عديدة، وكل كلمة تلقى تفسيرها: بوانرجس أي ابني الرعد (٣: ١٧)، بعل زبول أي رئيس الشياطين (٣: ٢٢)، طليثا قوم أي يا بنيّة قومي (٥: ٤١)، قربان أي مقدمة مقدسة (٧: ١١)، افتح أي انفتح (٧: ٣٤)، جهنم أي النار التي لا تطفأ (٩: ٤٣)، برتيمائوس أي ابن تيمائوس (١٠: ٤٦)، أبأ أي يا

أبتاه (٣٦:١٤)، الجلجثة أي موضع الجمجمة (٢٢:١٥)، إلهي إلهي لما شبقطني أي إلهي إلهي لماذا تركتني (٣٤:١٥). ويفسر مرقس العادات اليهودية، ولا سيّما غسل الأيدي قبل الطعام (٢:٧ - ٤)، ووقت التهيئة الذي يقع ليلة السبت (٤٢:١٥).

ونجد أيضاً مجموعات مهياة من أجل التعليم: الجدالات الخمسة (١:٢ - ٥:٣)، الأمثال (١:٤ - ٣٤)، المناقشات حول تقاليد الفريسيين (١:٧ - ٢٣). كما نجد إشارات تركز على الذاكرة فتجمع أقوالاً متفرقة: مثل السراج والمكيال في ٢١:٤ - ٢٥، وجوب التجرد في ٣٤:٨ - ١:٩، المعثرة وشترها في ٣٧:٩ - ٥٠. والأمر واضح جداً في ٢٣:١١ - ٢٥ حيث ينتقل الإنجيلي من الجبل، إلى الإيمان الذي ينقل الجبال، إلى الصلاة المؤسسة على الإيمان، إلى المغفرة التي هي شرط من شروط الصلاة الصادقة. وأخيراً ترد مواضيع قد يكون المؤمنون تذكروها في اجتماعهم الأسبوعي. هذا ما نجده في ف ١٠: الزواج المسيحي (١١ - ١٢) يرتبط بالأولاد (١٣ - ١٦)، والشاب الغني يفتح الدرب للتعليم عن التجرد (٢٨ - ٣١). كل هذا يدل على ما عملته الجماعة المسيحية الأولى لتكون مجموعات سيستفيد منها الإنجيليون ليدوتوا أناجيلنا الأربعة. وهذه الأناجيل ترتبط بأناش رافقوا الرب يسوع منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي فيه ارتفع إلى السماء (أع ١:٢٢).

٢ - يسوع ابن الله

نشير أولاً إلى أن مرقس يسمي المعلم «يسوع» (٨١ مرة)، لا المسيح يسوع. أما لفظة المسيح فلا نجدها مرة واحدة في فم يسوع، ويجب أن تبقى سراً (٢٩:٨). وهناك ألقاب مثل النبي (١٥:٦؛ ٢٨:٨) وابن داود (٤٧:١٠ - ٤٨) والرب (٣:١١؛ رج ٢٨:٧) وابن مريم (٣:٦). كل هذه الألقاب تبدو نادرة، ولكن لقبني ابن الله وابن الإنسان يتوزعان الكتاب كله. لهذا سنتوقف عندهما وننهي حديثنا عن مرقس بالتوسع في موضوع السر المسيحاني. ونبدأ الآن بموضوع يسوع ابن الله.

إن عنوان الكتاب يحدّد هدف مرقس: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله». هكذا يبيّن يسوع المسيح أنه ابن الله.

اختلف مرقس عن متى الذي وزّع تسمية «ابن الله» في إنجيله توزيعاً واسعاً، فاحتفظ بها من أجل أوقات معيّنة لأنه يعتبرها لقباً لاهوتياً. فإذا وضعنا جانباً الاعتراف بابن الله في فم الشياطين في أحد الأخبار (٧: ٥) وإجمالة تورّد أن الأرواح النجسة كانت تخرّ له وتصرخ: «أنت ابن الله» (١١: ٣)، فعبرة ابن الله موجودة في الأماكن المهمة من الإنجيل. يوم العماد هتف صوت من السماوات، صوت الآب: «أنت إبني الحبيب، بك سررت» (١١: ١). ويوم التجلي، ظللت الغمامة الرسل الثلاثة، والغمامة هي علامة عن الحضور الإلهي، وخرج صوت من الغمامة يقول: «هذا ابني الحبيب، فاسمعوا له» (٧: ٩). وفي المرة الأخيرة برز هذا اللقب في فم الضابط الروماني (قائد المئة) الذي أعلن باسم الوثنيين ثمار موت يسوع. حين رآه يسلم الروح قال: «في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله» (٣٩: ١٥). إذن، يريد الإنجيل الثاني أن يكشف للوثنيين مضمون البشارة: يسوع المسيح هو ابن الله، لا بالمعنى المسيحاني الذي يعتبر كلّ ملك ابناً لله، بل بالمعنى الحقيقي والشخصي.

٣ - يسوع ابن الإنسان

مجيء الرب هو سر، ولهذا يحاول كل إنجيل أن يكشف لنا هذا السرّ. حدّثنا متى عن ملكوت السماوات. أما مرقس فركّز إنجيله على شخص يسوع الذي هو الملكوت بالذات، ركّزه على سر ابن الإنسان.

هناك تقليدان في أصل عبارة ابن الإنسان. تقليد يرتبط بحزقيال فيقابل بين عبارة ابن آدم (= في الآرامية، ابن الإنسان) بالضمير. مثلاً، نقرأ في حز ١: ٢: «يا ابن البشر، قف على قدميك». هذا يعني: أنت أيها الإنسان (رج مز ٨: ٥؛ عب ٢: ٦). وهكذا يلفت يسوع النظر إلى شخصه دون أن يتخذ بصورة رسمية لقب المسيح. ولكن يبقى نصّان مهمّان يشيران إلى مجد يسوع. الأوّل نقرأه في الخطبة عن نهاية العالم.

يقول يسوع: «حينئذ يشاهدون ابن البشر آتياً في السحاب، في كثير من الجلال والمجد» (٢٦: ١٣). إن السحاب يدلّ على حضور الله (خر ٣٤: ٥؛ لا ١٦: ٢؛ عد ١١: ٢٥)، وابن الإنسان هو شخص سماوي. وهذا ما نكتشفه أيضاً في النص الثاني. سأل رئيس الكهنة يسوع: «أأنت المسيح ابن المبارك» (أو ابن الله) واليهود لا يتلفظون باسم الله؟ فقال له يسوع: «أنا هو. وسترون ابن البشر جالساً من عن يمين القدرة (أي يمين الله القدير)، وآتياً في سحاب السماء» (٢٦: ١٤).

تربطنا هاتان الآيتان الأخيرتان بما قاله دانيال والأوساط الجليانية. إن ابن الإنسان يمثل شعب قديسي العلي. هو يصعد من الأرض مع سحاب السماء، ويتقدم إلى عرش قديم الأيام (أي الإله الأزلي) لينال منه الملك (دا ١٧: ١٣). إذن، نحن هنا أمام شخص يمثل الشعب كله. سيجلس عن يمين الله القدير، وسيمارس الدينونة. وهكذا تتجاوز مزايا ابن الإنسان مزايا المسيح، أي الملك الذي ينال المسحة: إنه يأتي من عالم السماء، من عالم الله.

أجل، إن يسوع كابن الإنسان، يمارس منذ حياته على الأرض وظيفة الديان (٢: ١٠، ٢٨): جاء يخلص الخطاة غافراً خطاياهم ويدشن الملك المسيحياني. وهو يعلن بلقب ابن البشر المجد الذي سيكون له بعد عبوره في الألم الذي يتحمله. وهكذا ترتبط هذه العبارة بعبارة «عبد الله المتألم» الذي تحدّث عنه أشعيا: «ينبغي لابن البشر (أي لي أنا) أن يتألم كثيراً، وأن ينتبذه الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، وأن يُقتل، ويقوم بعد ثلاثة أيام» (٨: ٣١؛ رج ١٠: ٣٣، ٤٥).

٤ - السرّ المسيحياني

لقد أراد يسوع أن يُخفي هويته الحقيقية فرفض أن يُفشى سرّه. هو «لم يدع الشياطين يتكلّمون» (١: ٣٤)، بل كان ينتهرهم كثيراً أن لا يشهروه (٣: ١٢). وفرض على الذين شفاهم أن لا يقولوا لأحد شيئاً (١: ٤٤؛ رج ٥: ٤٣؛ ٧: ٣٦؛ ٨: ٢٦)، كما «أوصى التلاميذ أن لا يقولوا لأحد» إنه المسيح (٨: ٣٠)، أن لا «يخبروا أحداً بما رأوا» (٩: ٩) على جبل التجلي.

طلب يسوع من يائيرس وإمرأته «أن لا يعلم أحد» بقيامة ابنتهما (٤٣: ٥). ولكن كيف يمكن هذا، والشعب الحاضر هناك عرف بموت الصبية وناح عليها؟ ثم إن هناك أشفية حدثت بعيداً عن الجموع وكان يسوع يريد أن يُخفي سرّه وعمله عن الناس.

كيف نفسّر هذا الموقف الذي اتخذهُ يسوع؟ قال البعض: هذا يُبرز الطابع المتواضع لحياة يسوع. ورأى آخرون فناً تربوياً لدى يسوع: فسّر اليهود مسيحانيته بطريقة بشرية فتنازل لثلا يبهز معاصريه بوحى ساطع عن ألوهيته.

ولكننا لسنا فقط أمام خطة قام بها يسوع، بل أمام شرط من شروط الوحي: لم يكن باستطاعة يسوع أن يكشف عن هويته قبل أن يدل بموته على مضمون الألقاب التي تعطى له، كالْمسيح وابن الإنسان... أجل، إن الإنسان لا يقدر أن يدرك الله، ولكن الله هو الذي يعطيه بعض هذا الإدراك. وهذا يعني أن «السر المسيحاني» يعود إلى يسوع نفسه.

هناك عيون الجسد وهناك عيون الإيمان. وقارئ إنجيل مرقس يسير مسيرة الإيمان متلمساً طريقه. هو يحاول بعين الجسد أن يدخل في سر ابن الله، وهو يتمنى أن يصل إلى النور الكامل، وهذا لن يتم إلا يوم القيامة.

خاتمة

الإنجيل هو الخبر السار والبشارة الموجّهة إلى كل البشر: حقّق الله بالمسيح مواعيده، فلا يبقى لنا إلا أن نعلن الإنجيل «في جميع الأمم» (١٣: ١٠)، «في العالم كله» (٩: ١٤). فعمل الله الذي ظهر في حياة يسوع وموته وقيامته ما زال يتواصل في العالم بالكلمة التي سلمها إلى تلاميذه، وإلينا نحن اليوم. والإنجيل هو أيضاً عمل الله بين البشر وهو يدعونا أن نتخذ موقفاً بالنسبة إليه. فنعلن مع بطرس أن يسوع هو المسيح، ومع قائد المئة أنه ابن الله.

الفصل الحادي عشر

المعجزات في إنجيل مرقس

الارشمندرت نيقولا انتيبا*

يحفظ لنا المؤرخ أوسابيوس في كتاب «تاريخ الكنيسة» شهادة نقلها عن الأسقف بابياس حيث يقول: «إن مرقس، ترجمان بطرس، قد كتب بدقة، وإن بدون ترتيب، ما تذكّره من أقوال الرب وأعماله، لأن مرقس لم يسمع الرب ولا كان له تلميذاً، بل أصبح في وقت لاحق تلميذاً لبطرس»^(١). حرص مرقس كما سنرى على التقليد الايماني الذي وصله من الكنيسة الرسولية الأولى. وكان همه الوحيد تقديم «البشارة»: يسوع الناصري هو المسيح ابن الله (١/١). وقد افتتحت هذه البشرى الواصلة على يد المسيح طريقاً جديداً نحو الله. ثم كانت البشرى التي نادى يسوع بها: «تمّ الزمان... وأقبل ملكوت الله...» (١٥/١).

يتدخل ملكوت الله في عالمنا وبيئتنا وحياتنا ليس بواسطة أقوال يسوع فحسب، بل أيضاً بقدرته على صنع المعجزات. ويقف المؤرخ في عمله أمام «المعجزة» ليحلّلها لأنه ناقد، ثم يعود إلى الماضي ليدخل في كنهها، ليتعرّف إليها. إن المؤرخ ناقد، وهذه «علته»، لأنه يريد أن يوضح بعض الخفايا. هل يتأسّف على وضعية عيش المسيحيين الأوائل لأنهم قبلوا «المعجزات»؟ قبل كل شيء، عليه أن يدرس البيئة الدينية حيث وُلدت المعجزة ليفهم بالتالي معناها ودورها في مجرى المسيحية.

سنُعطي في بحثنا نظرة مجملة إلى «المعجزات» في الأنجيل الازائية وندرس معاً المفردات التي تقودنا إلى فهم دعوتنا إلى التوبة وجوابنا

الايماي، وبالتالي الخلاص الذي يحصل من جرائها. ثم نشدد في قسم ثان على «المعجزة» حسب ما فهمها الانجيلي مرقس، ونضعها في الإطار الأدبي الذي استعمله ليوصل إلينا ما أخذه من التقليد الكنسي.

(١) مفهوم المعجزات

إننا نلاحظ، إذا حصرنا نظرتنا في الأعمال المعجزة، أن عقلية الناس العاديين في العالم القديم لا تختلف أساساً عن عقليتنا اليوم. إننا ندرك في المعجزة ميزتها «خارقة الطبيعة» دون أن نعي كلياً «قوانين» الطبيعة. كان العرف الشعبي القديم محفوفاً بالتعاليم الخرافية الأسطورية المتعددة. كانت الأمراض، التي نحن بصدها اليوم وننعتها بالأمراض العصبية والتي وجد لها الأطباء النفسانيون حلولاً، كانت تُعتبر في وجهة من الوجوهات «مسا» من الشيطان أو متأية من وجود «قوى» شيطانية.

لقد أنمى يسوع في تلاميذه إيمانهم بالاله الحقيقي الذي سينقي الخرافات الشعبية. وبالتالي فإن معجزاته تروي تأسيس ملكوت الله بعيداً عن التفاسير التي وردت في مفهوم زمانه. يقول لوسيان سرفو: «لا يحقّ للمؤرخ ولفسر الكتاب المقدس في عملهما أن ينفيا المعطيات الدينية التي يقوم عليها جوهر الروحي. فالتقليد الشريف اليوم والذي هو بين أيدينا، وصلنا على أيدي الرسل وخلفائهم، وعليهما (المؤرخ والمفسر) أن يحافظا على أمانة التقليد ضمن حدود الكنيسة»^(٢).

لم يعتبر يسوع نفسه صانع معجزات أو ساحراً أو محتالاً مشعوذاً. فمعجزاته ملتصقة تماماً برسالته، وهذا ما رده يسوع لمرسلي المعمدان: «إذهبوا فأخبروا يوحنا بما تسمعون وترون: العميان يبصرون والعرج يمشون مشياً سوياً، البرص يبرأون، والصم يسمعون، الموتى يقومون والفقراء يُبشرون...» (متى ١١/٤ - ٥). وهذا ما يعيده في عظته يوم أرسل تلاميذه للبشارة: «إشفوا المرضى، وأقيموا الموتى، وأبرئوا البرص، واطردوا الشياطين...» (متى ١٠/٨). وفي تبكيته لمدن الجليل، يستعمل يسوع تعبير «القوات»^(٣) ليدلّ على المعجزات.

تعمل قوة الله بواسطة الرسالة في النفوس لتغيّرها، وبواسطة المعجزات الناتجة عن تلك الرسالة لتكشف القوة التي تعمل في المسيح. فلا تكمن أهمية معجزات يسوع في كونها جزءاً لا يتجزأ من الحدث المباشر فقط. لقد كانت لمعاصري يسوع سهلة المنال وصعبة الفهم في الوقت نفسه. ولكن اذا نظرنا إليها نظرة أخيرية (اسكاتولوجية) بعيدة عن اتصالها بالحاضر، فإن المعجزات كانت تُعدّ الانسان للدخول إلى ضوء العمل الإلهي، أي إلى دخول الملكوت. يجعلنا اذاً تماسك الذكريات الانجيلية والأمانة للتقليد ضمن الإطار الشفهي، يجعلنا نصدّق صحة هذه المعجزات ونضعها بالكفة نفسها في الميزان التاريخي مع معطيات أخرى تُظهر هذه الأصالة.

(أ) المفردات

لا يعرف العالم الكتابي الطبيعة في مفهومنا اليوم خارج نطاق الله. إنها خليقته وعمله، والله صانعها وبارئها. فالخليقة معجزة، وانسان الكتاب المقدس يختبرها دائماً باعجاب ويهتف: «ما أعظم أعمالك يا رب، لقد صنعت جميعها بحكمة» (مز ١٠٤/٢٤). ولا ينفك البار يعظم الله في مساعدته وخلاصه وفدائه، إذ إن أعمال الله الخلاصية كلها معجزات: «ما أكثر ما صنعت أيها الرب الهي! لنا عجائبك وتدابيرك فما لك من مثيل. فلو أردتُ أن أخبر بها وأتحدث، لكنت أكثر من أن تُحصى» (مز ٤٠/٦؛ راجع مز ١٣٩/١٤)^(٤). رغم ذلك كله، فإن المعجزة الرئيسية في العهد القديم هي تحرير الشعب اليهودي على يد موسى وهارون من عبودية فرعون. ونعلم أن هذا العمل المعجز كان محكوماً من قِبَل قدرات تاريخية. فنظر إليها الكتاب الملهمون نظرة الايمان ورأوا فيه عملاً إلهياً خارق الطبيعة في سبيل الشعب وخلاصه. أجل، كان «الخروج» معجزة.

يتبنّى العهد الجديد مفهوم العهد القديم في المعجزة، لأنه يقدّم لنا صورة عن يسوع مستعيناً ليس فقط بالأقوال ولكن بالأعمال أيضاً، لأن الأعمال هي خاصة كل نبي^(٥). كانت هذه نظرة تلميذَي عماوس: «قالا

له: ما يختص يسوع الناصري، وكان نبياً مقتدرًا على العمل والقول عند الله والشعب كله...» (لوقا ١٩/٢٤)^(٦). يدلّ العهد الجديد على هذه الأعمال بمفردات مختلفة لا تتضمن في حد ذاتها حدثاً غريباً ولا غير عادي، كما إنها تختلف في الأنجيل الإزائية عما هي في يوحنا، فهذا الأخير يستعمل بنوع خاص كلمة «علامة»^(٧). أما الازائيون فيستعملون مفردة «ديناميس» ليعبروا عن المعجزة رغم أنها تدلّ على «عمل قدرة». وأما تعبير «تيراس» أي «آية» فلا يستعمل لوحده ليدلّ على معجزة ليسوع. وبالتالي، كما يقول ريمون براون: «لا تشدّد المفردات في النصوص اليونانية على فكرة «المعجزة» والشيء «خارق الطبيعة»^(٨).

فنحن بصدد صنفين من الأعمال المعجزة التي قام بها يسوع: الأشفية ومعجزات الطبيعة. لا يعتبر العديد من مفسري الكتاب المقدس، مثل رودلف بولتمان وفانست تاييلور^(٩)، ان معجزات الطبيعة متعلقة بالتقليد الأصيل الذي يعود إلى يسوع، بل انهم ينسبونها إلى التقليد الرسولي للكنيسة الأولى. لا يشكل هذا الفصل بين المعجزات عائقاً هاماً للإنجيليين، لأنهم لا يُظهرون اندهاشاً أمام الأشفية، كما أنهم لا يُبدون صعوبة في قبولها ووصفها^(١٠). فلا غرو أن تؤلف المعجزات العدة الأساسية التي استعملها يسوع ضد الشيطان (مر ٢٢/٣ - ٢٧)، ولذا فالمعجزة هي «عمل قدرة». حتى في إقامة الموتى وفي إيقاف قوى الطبيعة مثل العواصف، يُظهر يسوع قدرة الله على القوى الشيطانية.

مهما اختلفت المفردات التي تدل على المعجزة، فإنها تشير إلى عنصر هام كونها آية أو علامة. فالمعجزات بالتالي آيات وعلامات تقود البشر إلى الله، ولكنها تختلف عن الأعاجيب الظاهرة المصنوعة من قبل الشيطان (راجع ٢ تس ٩/٢). ويرفض يسوع في إنجيل مرقس «الأعاجيب» والأعمال الخارقة التي من شأنها أن تظهره كائناً «فوق الطبيعة». إنه يرفض مثل هذا العرض الذي يدل على أنه عمل تضليل، أي من عمل الشيطان^(١١). نزيد على ذلك أن المعجزات لم تكن تأكيداً خارجياً أو «برهاناً» لرسالة يسوع فقط، بل بالأحرى إنها

أداة لا يصل رسالته التي جاء من أجلها. فالكلام والعمل يعبران عن دخول قدرة الله في الزمان والمكان.

وتجربنا فكرة «المعجزة» إلى «الاندهاش والعجب»، وهذا ما يدل عليه الفعل اليوناني «تومازين»^(١٢). إنها ردّة الفعل أمام العمل الإلهي عند الجموع أو عند الذي استفاد من المعجزة. هذا ما جرى بعد شفاء المسوس في ناحية الجراسيين: «فمضى وأخذ ينادي في المدن العشر بكل ما صنع يسوع إليه. وكان جميع الناس يتعجبون» (مر ٥/٢٠).

ب) دعوة إلى التوبة

لم يعمل يسوع المعجزات ليُشيع فضول الناس أو ليدعوهم للتعجب والاندهاش فحسب، بل ليوجّه إليهم دعوة إلى التوبة جواباً على رسالته: «توبوا، قد اقترب ملكوت السماوات» (متى ١٧/٤). إنه يدعوهم إلى تغيير جذري في قلبهم وعقلهم وحياتهم. لا بدّ لكل معجزة أن تكون للانسان ينبوع تفكير وتأمل، ولا يعني ذلك أنه في إمكان الإنسان أن يدرك جميع أسبابها ويرد إلى كنهها. يقول القديس أوغسطينوس في هذا الصدد: «لنسأل المعجزات: ماذا تستطيع أن تطلعنا عن المسيح؟ إذا فهمناها، فإنها تتكلم بنفسها... إنها كلمة الله»^(١٣)، وجميع أعمال كلمة الله هي أقوال موجهة لنا. ليست المعجزات بالتالي صورا ننظر إليها ونعجب بها، إنها رسائل علينا أن نقرأها ونفهمها»^(١٤). تصبح المعجزة لدى قراءتها وفهمها دعوة جديدة إلى اتباع يسوع وقبوله مسيحاً.

تُوجّه الدعوة إلى كل شخص متّاً، وكمثل سائر الدعوات، تُقبل أو تُرفض. إن قبول المسيح عمل تلقائي ولا أحد يجبر الشخص الآخر عليه. فالإيمان به عمل حرّ وجواب نابع من أعماق النفس البشرية. لا يترك القبول بالمسيح جزءاً من حياة المؤمن دون أن يتفاعل معها وأن يبدّلها. وبالتالي لا يظهر الجواب الإيماني اعترافاً شفهيّاً خارجياً فحسب، بل إنه يذهب إلى أعماق من ذلك، إنه عمل يتطلب التوبة. هذا هو

الموضوع الرئيسي الذي عالجہ الانبياء في العهد القديم، وهو موضوع تغيير الطريق والعودة بلا شرط إلى إله العهد: لقد أكمل يسوع أيضاً هذه الدعوة وجعل من التوبة قوة إلهية تولد في المؤمن تغييراً جذرياً في حياته، وهي أقوى من الموت. إنها تحدّ للإيمان وهي تقود إلى الإيمان. هذا ما عناه يسوع عندما أجاب رئيس المجمع يائيرس: «لا تخف، آمن فحسب» (مر ٥/٢٦).

ج) جواب الإيمان

تشهد المعجزات والأعاجيب لرسالة يسوع ولوضعه المسيحاني، وتُظهر مجده. فهي بالتالي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأقواله. فلا غرو في ذلك، إذ إنها توصل إلى حقيقة شخص المسيح. ويقول أ. باكس: «إن للمعجزة وجهين متكاملين، فردي وجماعي؛ إنهما مرتبطان معاً. تحصل المعجزة بادئ ذي بدء للشخص ذاته أو المستفيد منها، وهو عضو في الجماعة التي تقبل هذه المعجزة، ثم تأخذ منها موقفاً: قبول المسيح والإيمان به»^(١٥). فتؤلف المعجزات البشارة نفسها لعمل الفداء (راجع رسل ٣٨/١٠). فهي لا تشدد على الخوارق، ولكن على إيمان الشهود واندماهم. وهنا يظهر العنصر الجامع بين الوجهين الفردي والجماعي. وتساعد بالتالي المعجزات الكرازة^(١٦) لتقرب الانسان من الذي وطئ الموت بقيامته من بين الأموات.

فالمؤمن الذي تخامره فكرة عن الله، ويكتنز قلبه استعداداً للإيمان، يرى في الحدث الذي يبدو له خارقاً بادرة عطف من لدن الله. وهذا ما يصفه مرقس حين يقول: «فاشفق عليه يسوع ومدّ يده فلمسه وقال له: قد شئت فاطهر» (٤١/١). أو في معجزة الخبز والسمك: «فلما نزل يسوع إلى البر ورأى جمعاً كثيراً، فأخذته الشفقة عليهم، لأنهم كانوا كخراف لا راعي لها، وأخذ يعلمهم أشياء كثيرة» (٢٤/٦).

يضع كسافييه ليون - دفور في مقطع جميل مقابلة بين الإيمان والمعجزة ويقول: «إن موضوع الإيمان هو معجزة، علينا أن نحصل عليها، لأن المعجزات وليدة الإيمان وليست مسببتها. إنها علامات

تدعونا إلى البحث عن الذي يعملها. وعندما يقع ناظرنا على المسيح، فإن الإيمان يقتلع المعجزة من قدرة المسيح العظيمة... والإيمان في قدرته الذي يطلبه يسوع هو جواب الانسان إلى الملكوت الذي يحصل بأعماله. ويصل هكذا الإيمان إلى الله^(١٧). فلا يقوم إيماناً إذاً على المعجزات؛ بل الإيمان انضمام إلى يسوع القائم من بين الأموات، لأن قاعدة إيماننا هي قيامة المسيح من بين الأموات كما يشدد على ذلك الرسول بولس (راجع ١ كور ١٥/١٤). وليس هذا الحدث بمعجزة، بل هو سرٌّ لا يُدرَك إلا بالإيمان. يقول اتيان شربنتيه: «وإذا كنت أؤمن بأن الله تدخّل في حياة ذلك الإنسان، في حياة يسوع، صباح الفصح، فليس هناك من سبب يحملني على رفض امكانية تدخّله في حياته أيضاً عن طريق المعجزات»^(١٨). فالمعجزة ترسم لنا طريقاً إيمانياً: إنها تقودنا من الإيمان بالمعجزة إلى الإيمان بالله، ومن المنظور الخارجي إلى المركز الداخلي الذي هو ينبوع المعجزة. ويصبح شفاء الجسد علامة لسلامة الروح (راجع معجزة شفاء المقعد في كفرناحوم، مر ١/٢ - ١٢). وتصل هذه الدينامية إلى الاعتراف والإقرار بضعف الإيمان أو بعدمه: «أمنت، فشدد إيماني الضعيف» (مر ٩/٢٤).

(د) الخلاص

تؤلّد التوبة الايمانَ في نفس المؤمن الذي يقبل يسوع وعمله المعجز. ويدفعه الإيمان بالتالي إلى الحصول على الخلاص. هذا ما جرى لزكا العشار عندما أظهر توبته من خلال القرار الذي اتخذه بأن يقسم أمواله بينه وبين الفقراء. ويردّ يسوع على هذا الإيمان: «اليوم حصل الخلاص لهذا البيت، فهو أيضاً ابن ابراهيم. لأن ابن الإنسان جاء ل يبحث عن الهالك فيخلصه» (لوقا ١٩/٩ - ١٠). فالخلاص والإيمان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً عند المستفيد من المعجزة. تدعو طبيعة الأشفية القاريء إلى رؤية المعجزات ليس بمنظار الخوارق، ولكن إلى رؤيته «كلاماً» يشرّ بملكوت الله ويؤدي رسالة. يقول ليون - دوفور: «لا يقف القاريء أمام المعجزة لبحث علمياً عن ما ورائياتها،

ولكنه ينظر إلى كيفية سردها، لأنها أتت لتدلّ على أن الله القدير يعمل في المسيح، وهذا العمل هو خلاصي»^(١٩).

يظهر هذا الخلاص في العهد الجديد عندما يدلّنا الإزائيون على أن مجيء المسيح قد تمّ وأن ملكوت الله قد حضر. ونجد في الإنجيل اقتناعاً أن ملكوت الله قد حضر بنوع خارق الطبيعة في حياة يسوع. وأنه يصعب علينا اليوم من خلال عقليتنا أن نعي جيّداً ما كان مفهوماً وواقعياً آنذاك. فالمعجزة في نظر يسوع، كما قلنا آنفاً، هي علامة بأن مجيء ملكوت الله وشيك، لا بل إن هذا الموعد قد حل بمجيئه. فلا غرو أن نفهم المعجزة ضمن إطار ذلك العصر وخلفيته الدينية بأنها عمل الفداء، وأنها تبشر بأن الزمان قد تمّ وأن علاقة الله بالإنسان عادت طبيعية كما كانت عليه في السابق. ويزيد ليون - دوفور على ذلك بقوله: «لقد وجدت الجماعة الأولى في المعجزات معنى مضاعفاً: إنها آيات أخيرية وهي تبشّر بأن الزمان قد تمّ. وإنها أيضاً أعمال رمزية وهي تكمل الخط النبوي الذي سبق الحقيقة المختلفة عن الرؤية»^(٢٠). وتحمل المعجزة معها التعليم بأن المسيح يمنح الخلاص للذين عادوا إلى الله بالتوبة ثم قبلوا دعوته بإيمان.

٢) المعجزات عند مرقس

بعد أن قدّمنا عرضاً عاماً عن المعطيات الكتابية عند الإزائيين حول «المعجزة» ومفهومها وعلاقتها بالمستفيد منها، نحول نظرنا الآن إلى درس «المعجزة» عند مرقس البشير. لقد استفضنا في درسنا العام للمعجزة، لأن مرقس يرتبط أيضاً بالتقليد الذي وصله من الجماعة الكنسية الأولى. وننتقل في درسنا لمفهوم «المعجزة» عند مرقس من بحثين قام بهما تييري سنوا في مجلة لوفان اللاهوتية^(٢١)، ومجموعة من الكتاب الفرنسيين^(٢٢).

أ) إنجيل مرقس

لا يعدّ مرقس يسوع الناصري رجلاً مثل الآخرين. «فالصورة التي يجدها القارئ في إنجيل مرقس هي قدرة يسوع على صنع المعجزات،

لأن الأهمية تكمن في الأعمال أكثر منها في العظات»^(٢٣). ونعلم أن مرقس هو أول من قدّم لنا رواية عن يسوع، فلا غرو إذا سميناه الانجيل «الأقدم» و«المختصر».

نقسم إنجيل مرقس إلى جزئين ونسمي الجزء الأول (١/١٤ - ٨/٣٣) «سرّ المسيح»، والثاني «سرّ ابن الإنسان». يشدّد مرقس في القسم الأول على معجزات يسوع مع أنه يقدّم لنا تعليم الجموع بالأمثال التي تهيء مجيء ملكوت الله. ويجهد يسوع في هذا القسم بأن يخفي «مسيحانيته» ويجعلها مكتومة (راجع ١/٣٣ - ٣٤؛ ٣/١٢؛ ٥/٤٣؛ ٧/٣٦؛ ٨/٢٦) مع أنه يوبّخ تلاميذه لعدم مقدّرتهم على الاستيعاب والفهم (راجع ٦/٥٢)^(٢٤). ويرتكز نشاط يسوع الرسولي في الانجيل المرقسي على كشف هويته نفسها ودوره في ملكوت الله الذي يتحقق من خلال «تعليمه» الذي يتضمّن أيضاً المعجزات والتعزيّات.

ب) جدول للمعجزات^(٢٥)

٢٨ - ٢٣/١	١ (ممسوس كفرناحوم
٣١ - ٢٩/١	٢ (شفاء حماة بطرس
٣٩ - ٣٢/١ و ٣٤	٣ (جدول تلخيصي
٤٥ - ٤٠/١	٤ (ابراء أبرص
١٢ - ١/٢ و ٤	٥ (مقعد كفرناحوم
٦ - ١/٣	٦ (رجل يده شلاء
١٢ - ٧/٣ (٢٦)	٧ (جدول تلخيصي
٤١ - ٣٥/٤	٨ (تسكين العاصفة
٢٠ - ١/٥	٩ (ممسوس ناحية الجراسيين
٤٣ - ٢١/٥ و ٣٥	١٠ (إحياء ابنة يائيرس
٣٤ - ٥/٥	١١ (المنزوفة
٤٤ - ٣٥/٦	١٢ (تكثير الأرغفة
٥٢ - ٤٥/٦	١٣ (يسوع يمشي على المياه

٥٦ - ٥٣/٦	(١٤) جدول تلخيصي
٣٠ - ٢٤/٧	(١٥) ابنة الكنعانية
٣٧ - ٣١/٧	(١٦) أصم أبكم
١٠ - ١/٨	(١٧) تكثير الأرغفة الثاني
٢٦ - ٢٢/٨	(١٨) أعمى بيت صيدا
٢٧ - ١٤/٩	(١٩) صبي مصاب بالصرع
٥٢ - ٤٦/١٠	(٢٠) أعمى أريحا
٢٢-٢٠ و ١٤-١٢/١١	(٢١) التينة اليابسة

نستطيع القول إن نصوص المعجزات هي جزء لا يتجزأ من نصوص إنجيل مرقس، وإن نصف النصوص على وجه التقريب لحياة يسوع العلنية تسرد لنا المعجزات^(٢٧). هكذا بقي مرقس محافظاً على التقليد الذي وصله من الكنيسة الأولى، ولم يُرد، إذا استطعنا القول، أن يفقد شيئاً منه. إنه، على سبيل المثال، يورد لنا مرتين «تكثير الأرغفة» مع أنه وجد في تقليده بعض الفروق في العرض^(٢٨).

لقد رأى التقليد في المعجزات، منذ القدم، ظهور قدرة يسوع الخارقة الطبيعة. وهذا ما نكتسبه لدى قراءة نصوص معجزات مرقس. يقول لوسيان سرفو: «يطلق سلطانُ يسوع قدرةَ الله في تحقيق ملكوته، ويتسلط على القوى الشيطانية كما على المآسي البشرية المبتذلة»^(٢٩). «وكانت حماة سمعان في الفراش محومة» (١/٣٠؛ راجع مر ٤/٣٦ - ٤١؛ ٥/٤١ - ٤٣). وفي موجز عن نشاط يسوع العجائبي في الجليل يرى مرقس حول يسوع وتلاميذه أناساً جاؤوا من الجليل واليهودية وأورشليم وأدوم وعبر الأردن ونواحي صور وصيدا. يعود سبب ذلك إلى أن يسوع «شفى كثيراً من الناس... وكانت الأرواح النجسة، إذا رآته، ترتقي على قدميه» (٣/٧ - ١٢).

زد على ذلك أن الإنجيل الثاني يحتوي على جداول تلخيصية للمعجزات استقاها الكاتب من التقليد الذي وصله. ويقول تييري سنوا في هذه الجداول وأهميتها ودورها في بنية إنجيل مرقس: «تلعب الجداول

التلخيصية للمعجزات (مر ١/٣٢ - ٣٤؛ ٣/٧ - ١٢؛ ٦/٥٣ - ٥٦) دوراً هاماً في بناء وتأليف الإنجيل وتعطيها لحمة في سياق عمل يسوع العجائبي خاصة في القسم الأول من الإنجيل (١/١ - ٢٦/٨) ^(٣٠).

إنه ليصعب علينا أن نصنف المعجزات لدى دراستنا مبنى الرواية. لأننا نجد معجزات تركّز على موضوع مناظرة جرت بين يسوع والكتبة وتتضمّن جواب يسوع على النقاش (مر ١/٣ - ٦)، أو أنها تهتم بأقوال يسوع وتعبّر عن معنى رسالته (مر ١/١ - ١٢). ويقول سنوا: «لا يحتوي يوم كفرناحوم الأول على ماهية «تعليم يسوع» (مر ١/٢١ - ٢٢)، ولكن مرقس يقدّم لنا الأعمال والأشفية التي أجراها يسوع هنا. فالتساؤل الذي حدث للشهود عند خروج الشيطان يحمل في طياته معنى خاصاً: ما هذا؟ انه لتعليم جديد يُلقى بسلطان. حتى الأرواح النجسة يأمرها فتطيعه (١/٢٧). لا تعود الفكرة إلى العظة التي ألقاها يسوع بل إلى عمل قام به» ^(٣١). ونجد أيضاً معجزات تشدّد على عمل يسوع العجائبي (راجع مثلاً الأعداد ٤ و ٩ و ٨... في جدول المعجزات).

رغم هذه الصعوبة، فإننا نستطيع أن نفصل بين معجزات «الأشفية» ومعجزات جرت «في الطبيعة» مثل تسكين العاصفة (٤/٣٥ - ٤١) وتكثير الأرغفة (٦/٣٥ - ٤٤...). في نظر مرقس، كما في نظر العالم القديم، تعود قوى الشر إلى أسباب تفوق الطبيعة. فالله والشيطان يدخلان في منازعات للسيطرة على العالم. وبالتالي فإن الأشفية التي يعملها يسوع تدخل في إطار لاهوتي، وتصبح المعجزة وحيّاً. يدعونا هذا الفصل الوهمي بين معجزات الأشفية ومعجزات - الطبيعة إلى التشديد على قدرة يسوع ورسالته. لكنّ يسوع يرفض صنع المعجزات. ولم يخف ذلك على مرقس إذ إنه ينثر في رواياته تلك الأوامر الدائمة بحفظ «السّر».

(ج) عدم إباحة السّر

يرفض يسوع في مر ٨/١١ - ١٢ أن يعطي «آية» ^(٣٢) خارقة ليدلّ

على التأييد الإلهي، وبالتالي إنه يرفض أن يجرب الله كما فعل الشعب قديماً في البرية (راجع كلمة «جيل» في الآية ١١). تؤدي هذه المطالبة إلى إكراه الله على العمل، إلى تجربة الرب. ولا يخفى علينا بأية قوة أبعد يسوع المجرب الذي دعاه إلى الالتقاء بنفسه من شرفة الهيكل على مرأى من الشعب. يقول لوسيان سرفو: «لا تنتمي معجزات يسوع إلى الفكرة بأن يستعمل الإنسان المعجزات ويجبر الله بها كما في عمل سحري ليحقق مآربه الشخصية. بل على العكس تماماً، فإن أعمال يسوع، أي أقواله ومعجزاته، تدخل في إطار الوحي الذي يصدر عن إرادة الله فقط»^(٣٣).

زد على ذلك أن يسوع يرفض صنع الآيات لأن المعجزات تطلب إليه لأن يُظهر مسيحيته. وإذا كانت المعجزات تشهد على قدرته، فذلك لا يدل على أن يسوع وافق على طلب الفريسيين، بل لأنه هو أرادها بهذه الطريقة. وعندما يرفض يسوع أن يعطيهم آية لتدعمه في رسالته، فانه يظهر حقيقة شخصيته: إنه يعمل ما يريد، ولا يترك أي شخص يجبره على عمل ما. هذه دلالة على أنه «ابن الله» (مر ١/١ و ١١/٣؛ ١١/٥؛ ٧/٥...). وفي مقطع آخر (٢١/١٣ - ٢٣) يحذر يسوع من صنع «الآيات والأعاجيب» ويرفضها، ليس لأنه يدافع عن منزلته العالية فقط، بل لأنها من عمل المحتالين: «سيظهر مسحاء دجالون وأنبياء كذّابون يأتون بآيات وأعاجيب، ليضلّوا المختارين لو أمكن الأمر» (آية ٢٢)^(٣٤).

ولكننا نستدل من جهة ثانية، أن يسوع لا يزال يعمل المعجزات. ونتبين من التلخيص الوارد في (مر ٧/٣ - ١٢) أن يسوع يبحث عن الخلوة ولكنه لا يستطيع ذلك لأن الشعب تعلّق به من أجل المعجزات: «وتبعه جمع كبير... وقد سمعوا بما يصنع فجاؤوا إليه» (٧/٣ - ٨). ونستخلص أيضاً أن يسوع يريد أن يجعل مسيحيته مخفية وسريّة، ولكن الشياطين تُظهرها وتُشهرها. فيفرض يسوع الصمت على الشياطين الذين يتكلمون بلسان المسوسين، لأنهم يعرفون من هو: «ولم يدع الشياطين تتكلم، لأنها عرفته» (مر ١/٣٤). ويعتقد مرقس من خلال فرض الصمت أن هناك ساعة حدّدها يسوع نفسه

لإظهار ذاته. ففي بستان الزيتون يتوجّه يسوع إلى تلاميذه النائمين بقوله: «ناموا الآن واستريحوا. لقد قُضي الأمر وأتت الساعة» (١٤/١٤)، وهي ساعة الآلام والساعة التي يتمّ فيها التدبير الإلهي. ويعلّق سنوا على سر مسيحانية يسوع فيقول: «إن مسيحانية يسوع لا تُفهم ولا تُعلن إلا من خلال آلامه وقيامته. يبتعد يسوع عن الحشود التي تتجمع حوله ما دام هذا الزمن لم يحضر بعد. إنه يمنع أن يشهر ابن الله ما لم يُعرف أنه ابن الله المتألم»^(٣٥). نستطيع بعد ذلك أن نفهم أن فرض الصمت على الألقاب والإعتراف بهوية يسوع مرتبطان بالفن الأدبي الذي استعمله مرقس لأن «إفشاء هوية يسوع يؤدي حتماً إلى تسليمه إلى الموت. لذلك يعلن يسوع، بدون تمهيد، عن موته (٣١/٨ ي)، ذلك الموت الذي يصبح حتماً حين يجيب يسوع على سؤال عظيم الكهنة: «أنا هو»^(٣٦). ويستنتج تييري سنوا في حاشية: «لا نجد في مرقس أي ظهور للمسيح القائم من بين الأموات، لأن القيامة تتحقق في أقوال وأعمال المسيح الماضية، غير المفهومة والمبهمة طوال حياته الأرضية. وتجد هذه الأقوال والأعمال معناها الحقيقي في بشارة «الإنجيل» بواسطة الكنيسة»^(٣٧).

(د) البشارة والخلاص

يُعدّ مرقس بين الإزائيين راوية أكثر منه لاهوتياً. ونتأكد من صحة هذه الفكرة عندما نقارن نصوصه مع نصوص متى ولوقا في روايته للحدث ذاته. كما اننا نتحسس من أن مرقس يهدف إلى تقديم يسوع كشخص حقيقي و«تاريخي» عاش بين الناس في زمان ومكان معينين. لقد أتى ليحمل بشارة الخلاص إلى عالم يعيش تحت وطأة سلطان الشيطان.

تشير فكرة «الخلاص»^(٣٨) عند الإزائيين إلى حدث مستقبلي وتدلّ على الدخول إلى ملكوت الله، كما أنها بالوقت نفسه تشير إلى حدث حاضر عندما يفسّر بأن شيئاً قد ضاع ثم وجد^(٣٩). وتدل فكرة «الخلاص» في (مر ٢٦/١٠) على الدخول إلى ملكوت الله (٢٤/١٠)، كما أنها تشير في (مر ١٣/١٣ و ٢٠) إلى الخلاص الأخير بنوع عام. ويذكرنا تييري سنوا: «علينا أن ننتبه إلى فكرة

الخلاص وصلتها «بالإنجيل» (مر ١٣/٩ - ١٣). إنها فكرة ذات معنيين. كانت المعجزات في حياة يسوع تعيد «الصحة» إلى المرضى الذين يأتون إليه. وأما لقراء إنجيل مرقس فإن المعجزات نفسها، بمعنى «البشارة»، تصبح حاملة الخلاص^(٤٠). ويستعمل مرقس مراراً الفعل اليوناني «سوزو»^(٤١) بمعنى الشفاء من المرض (راجع مر ٣/٤؛ ٢٣/٥ و ٢٨ و ٣٤؛ ٥٦/٦...). وإذا كان الخلاص هو اعتناق من سلطان الشيطان، فانه يحصل للضعيف وللمهتد في حقوقه المعيشية، بواسطة ارتباط حماية يكون فيها يسوع الرجل القوي والقادر على أن يسعفه وأن يحرره من واقعه الصعب.

عندما يستعمل الإنجيلي مرقس فعل «خلّص» في معجزات الأشفية، فلا يدل الفعل على شفاء عضو واحد في الجسم فقط، بل على الإنسان بكامله. ففي معجزة شفاء المنزوفة يقول لها يسوع: «يا ابنتي، إيمانك خلّصك، فاذهبي بسلام، وتعافي من علّتك» (مر ٥/٣٤؛ راجع أيضاً ١٠/٥٢). يعلّق فرنر فورستر على عبارة «إيمانك خلّصك» ويقول: «إن اختيار عبارة «إيمانك خلّصك» تدعونا إلى الإدراك بأن قدرة يسوع الشافية وقوة الإيمان المخلّصة يتعدّيان حدود الحياة الطبيعية»^(٤٢).

لقد زاد التقليد المسيحي في الكنيسة الأولى الرمزية في بعض المعجزات ليدلّ بها على أهمية الخلاص بالإيمان. عندما يفتح يسوع عيني أعمى في بيت صيدا يصبح هذا العمل عند مرقس رمزاً للرؤية الروحية التي يستحوز عليها المؤمن بإيمانه في يسوع. لقد وبّخ يسوع تلاميذه لأنهم اصبوا بالعمى والصمم (مر ٨/١٨: «ألكم عيون ولا تبصرون، وآذان ولا تسمعون»؟). لا يدع مرقس في قوله مجالاً للشك في الصلة التي وضعها بين شفاء الأصم (٣١/٧ - ٣٧) وشفاء الأعمى (٢٢/٨ - ٢٦). «فالتلاميذ هم عميان وصمّ، لا يستطيعون أن يروا البرهان ويسمعوا الكلمة ويلتّبوا بشهادة الإيمان. وإذا استطاع بطرس أن يفهم باسم الجميع، فلاّنه شفي من عماه وصمّمه، فانطلق لسانه أيضاً... لأن الإيمان، بالرغم من كل العلامات، يظل عطية الله»^(٤٣).

لا يجبر يسوع - المرقسي أحداً على الإيمان بواسطة تعليمه، ولكن الذين يقبلون تعليمه يؤمنون به ويعترفون به. فالإيمان بالتالي حاصل من وجود الشخص الذي يرى ويسمع ويشعر (راجع مر ٣٠/٥). وهذا الشخص الحسي هو موضوع الإيمان الذي يدعو إليه مرقس. والبشارة الخلاصية هي العمل الإلهي بين الناس أكثر منها رسالة جاءت من عند الله. فيتخذ مرقس العمل الإلهي في الزمن الحاضر لينظر إلى الماضي فيتكلم عما كان في البدء، ويستنير بضوئه ليصف الوجود المسيحي^(٤٤). ويظهر لنا أن مرقس يؤمن بأنه إذا كان الراوي قادراً على تمثيل مشهد حيّ ليسوع وتقديمه للذين التقوا به، فالقبول بيسوع أي الإيمان به يكون أيضاً سهلاً. وبالتالي فالبشارة الخلاصية هي شخص يسوع الذي يعمل ويعلم معاً.

خاتمة: دعوة إلى الملكوت

يدخل المسيح - المرقسي بواسطة المعجزة في مجابهة مع قوى الشر ليخرج منها منتصراً انتصاراً باهراً. ونجد هذه المجابهة في بدء الإنجيل في رواية «التجربة» (١٢/١ - ١٣). ويشكل هذا الانتصار تأسيس ملكوت الله الذي يظهر عند مرقس بادئ ذي بدء تحت صورة فكرة مستقبلية. وما «البشارة» إلا إعلان هذا «الملكوت»^(٤٥) الذي يدلّ على «الملك» و«الملكية» معاً (راجع تعبير «ملكوت» العبري). لقد اقترب هذا الملكوت من الناس في شخص يسوع وفي أقواله وفي أعماله. إنه التتميم للانتظار النبوي، لأن الله سيتدخل في هذه الآونة الأخيرة بحسب «الزمن» الذي حدّده لتحقيق مواعيده. ويقول بيدا ريجو: «إن الوقت هو نقطة انطلاق التحقيق النبوي. يظهر الله في شخص يسوع بصورة نهائية خارقة للعادة. يحلّ الروح في يسوع، ويقوده ويملأه قوة تعمل المعجزات من خلاله. فهو يغلب الشيطان والأبالسة... فعلياً أن نستقبله إذا أردنا الدخول معه إلى الملكوت»^(٤٦).

فالأقوال التي نسمعها من يسوع والأعمال التي يقوم بها هي بدء البشارة، ونقطة انطلاق الزمن نحو تحقيق شامل للملكوت. وسيملك

الله عندما يبعد الشيطان والشر والخطيئة والموت (راجع ١ قور ١٥/٢٦). وهذا العمل هو عطية شخصية من قبل الله، لأنه يتدخل في الخليقة وهو الخالق. إنه يحوّل الزمن «العادي»^(٤٧) إلى زمن «أبدي»^(٤٨) ليجعله حدوداً لهذا الملكوت حيث ستتمّ الوليمة السماوية وحيث يُحسّى «الشراب الجديد» (مر ١٤/٢٥). ويشترع يسوع أبواب الملكوت منذ الآن ليتركها مفتوحة للذين يريدون الدخول. وها إن مرقس يفتتح روايات معجزاته بإعتاق ممسوس (١/٢١ - ٢٨) في كفرناحوم. ثم انه يروي لنا بكثير من التفاصيل كيف أن يسوع يطرد الشيطان في ناحية الجراسيين، كما أنه يقدم لنا وصفاً دقيقاً قائماً لنرى من خلاله مشهداً للمجابهة بين الله والأبالسة (١/٥ - ٢٠)^(٤٩). وتشير هذه الرواية إلى انتصار يسوع على مملكة الشيطان ونهاية سلطانه وتوطيد ملكوت الله حتى في أرض الوثنيين. زد على ذلك أن التعزيمات تتصدّر مكاناً هاماً في رسالة يسوع حتى إن أناساً من الذين لم يتبعوه، أصبحوا قادرين على شفاء الناس من الأمراض لأنهم دعوا «باسم يسوع» (مر ٩/٣٨).

فالمعجزة التي تعبّر عن انتصار يسوع تُدخلنا إلى ملكوت الله حيث تلتقي النظرة المسيحانية بالنظرة الأخيرة في الحاضر والمستقبل. إنها تلاقي الأرض والسماء، إنها سرّ تعاطف الاله مع الإنسان خليقته. وهذا ما يدل عليه الآباء اليونان بقولهم «التنازل» من العلاء^(٥٠). وتعيد المعجزة الخليقة بعد السقطة الأولى إلى مصدرها الأول، وتفتح أمامها باب الملكوت واسعاً. أجل، حان الوقت، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالبشارة» (مر ١/١٥).

الحواشي

- (١) راجع الكتاب المقدس - العهد الجديد، جامعة الروح القدس الكسليك ١٩٩٢، ص/١٧٧.
- (٢) Lucien CERFAUX, Jésus aux origines de la Tradition, DDB 1968, p.123
- (٣) dynamis في اليونانية.
- (٤) نجد في الترجمة السبعينية ta thaumasia كمرادف لعجائبك.
- (٥) راجع — K.H.SCHELKLE, Theology of the New Testament, vol.II, Collegeville 1976, P.68 - 71.
- (٦) dunatos en ergō kai logō في اليونانية.
- (٧) sêmeion
- (٨) Raymond BROWN, The Gospel Miracles, in JEROME BIBLICAL COMMENTARY, Englewood Cliffs 1968, 78:113; K.H. RENGSTORF, art. Sêmeion, in G.KITTEL, TWNT, VII, 223.
- تعود عبارة dynamis بمعنى «قوة» أو «معجزة» في مر ٢/٦ و ١٤/٩؛ وعبارة sêmeion بمعنى «آية» أو «علامة» في مر ١١/٨ و ١٢/١٣ و ٢٢/١٦ و ١٧/٢٠ وعبارة teras بمعنى «عجيبة» في مر ١٣/٢٢ (وفي الجمع فقط terata).
- (٩) راجع Rudolph BULTMANN, The History of the Synoptic Tradition, New York 1968; Vincent TAYLOR, The Formation of the Gospel Tradition, England 1933.
- (١٠) نرى مثلاً أن مرقس يستعمل عبارات مماثلة في وصفه لمعجزات الأشفية (٢٣/١ - ٢٧) وفي تسكين العاصفة (٣٧/٤ - ٤١) (فعل phimoō): «يكفيها أن تقارن بين التعزيم على ممسوس كفرناحوم ورواية تسكين العاصفة، لنكتشف أنهما يحتويان على رسم بياني واحد، لا بل على كلمات واحدة أحياناً». (المعجزات في الانجيل، دراسات في الكتاب المقدس ٣، دار المشرق بيروت ١٩٨٦، ص/٢٢).
- (١١) المعجزات في الانجيل، مصدر سابق، ص/٣٤.
- (١٢) Thaumazein
- (١٣) Verbum Dei
- (١٤) Cf.A.KESICH, The Gospel image of Christ, New York, 1972, pp. 110 - 111
- (١٥) E.PAX, Miracles, in J.B. BAUER, Encyclopedia of Biblical Theology, New York, 1970, p. 578.
- (١٦) Kêrygma
- (١٧) Xavier LEON-DUFOUR, Les Evangiles et l'Histoire de Jesus,

Paris 1963, pp.407-408

(١٨) المعجزات في الإنجيل، مصدر سابق، ص/١٠.

(١٩) مصدر سابق، ص/١٣٢.

(٢٠) المصدر نفسه، ص/١٣٠ - ١٣١.

Thierry SNOY, Les Miracles dans l'Evangile de Marc, in (٢١)
RTL 3 (1972) 449 - 466; 4 (1973) 58 - 101

يطلق سنوا على بحثه اسم «المعجزات في إنجيل مرقس»، وينطلق من كتاب كرتلج (KERTELGE) الألماني «معجزات يسوع في إنجيل مرقس» ويعطي نظرة واسعة عن الدراسات والأبحاث التي قامت حول المعجزات المرقسية حتى سنة ١٩٧٣. ثم يتبع مخطط الكاتب الألماني ويوجه إليه بعض الانتقادات لمفهومه الإنجيل الثاني.

(٢٢) المعجزات في الإنجيل، مصدر سابق، عرّبه الأب صبحي حموي. يعطينا هذا البحث فكرة مجملة عن المعجزات في الإنجيل كما يدلّ عليه عنوان الكتاب، ويتطرق في فصل خاص إلى المعجزات عند مرقس. يقول الكاتب ما ورد في مقدمة بحثه: «لكي نكتشف معنى المعجزات في إنجيل مرقس، علينا أن نبدأ بالبحث عن ميزاتها» (ص/٣٣). يلقي هذا البحث نظرة واسعة، بل عميقة إلى معطيات الإنجيل الثاني بطريقة سهلة المنال والفهم.

Béda RIGAUX, Témoignage de l'Evangile de Marc, DDB 1965, p. 121 (٢٣)

JEROME BIBLICAL COMMENTARY, Op.Cit., 42:5 (٢٤)

Cf.B.RIGAUX, Op.Cit., pp. 121-122 (٢٥)

ينفرد مرقس بين الازائيين في رواية شفاء الأصم الأكم (٣١/٧ - ٣٧) وأعمى بيت صيدا (٢٢/٨ - ٢٦).

(٢٦) زدنا هذا «الجدول التلخيصي» على الجدول في كتاب بيدا ريجو، واستقيناه من بحث تييري سنوا.

JEROME BIBLICAL COMMENTARY, Op. Cit., 78:121 راجع (٢٧)

يعطينا الكاتب هنا رقماً احصائياً بقوله إن /٢٠٠/ مائتي آية من مجموع /٤٢٥/ في مرقس ١ - ١٠ تسرد لنا المعجزات.

(٢٨) راجع الكتاب المقدس - العهد الجديد، دار المشرق بيروت ١٩٨٩، ص /١٥٠/ حاشية /١/.

(٢٩) لوسيان سرفو، مصدر سابق، ص /١٢٨/.

(٣٠) مصدر سابق، ٤ (١٩٧٣) ٥٨ - ٥٩.

(٣١) المصدر نفسه، ٤ (١٩٧٣) ٩٩ - ١٠٠.

(٣٢) تعود عبارة «آية» اليونانية ثلاث مرات في هاتين الآيتين. sêmeion

(٣٣) مصدر سابق، ص /١٢٦/.

(٣٤) راجع تييري سنوا، مصدر سابق، ٣ (١٩٧٢) ٤٦٦.

(٣٥) المصدر نفسه، ٤ (١٩٧٣) ٩٥.

(٣٦) المعجزات في الإنجيل، مصدر سابق، ص /٣٧/.

(٣٧) مصدر سابق، ٤ (١٩٧٣) ٩٥، حاشية /١٣١/.

sôtéria (٣٨

Werner FOERSTER, art. sôzô in G.KITTEL, TWNT VII, 991. راجع (٣٩

(٤٠) مصدر سابق، ٤ (١٩٧٣) ١٠٠، حاشية /١٤٩/ .

sôzô (٤١

(٤٢) مصدر سابق، جزء ٧، عامود /٩٩٠/ .

(٤٣) المعجزات في الإنجيل، مصدر سابق، ص /٤١/ .

(٤٤) نجد أن مرقس ينفرد بين الإزائيين في (١٠/٢٩؛ ٨/٣٥) بذكر «البشارة» Euaggelion .

ففي (٨/٣٥) يواصل عمل يسوع بإعلان البشارة، وهذه البشارة قد تحمل التلميذ على التضحية بحياته، كما أن رسالة يسوع بلغت به إلى الصليب. يضع مرقس توازياً بين شخص يسوع والبشارة: إن يسوع هو موضوع البشارة، كما تقوم البشارة حول شخصه (١/١) .

Basileia (٤٥

(٤٦) مصدر سابق، ص /١٠٨ - ١٠٩/ .

chronos (٤٧

kairos (٤٨

(٤٩) المصدر نفسه، ص /١١٣/ .

Synkatabasis (٥٠

* الارشمندريت نيقولا انتيبيا. ولد في حلب سنة ١٩٤٥. رسم كاهناً سنة ١٩٧١. حاز على اجازة في الكتاب المقدس واللغات السامية. ودرس سنة دكتورا حول المزامير. هو منذ سنة ١٩٨٩ رئيس عام على الرهبانية الباسيلية الحلبية.

الفصل الثاني عشر

الآلام بحسب إنجيل مرقس

١٥: ٣٣ - ٤١

الخوري يوسف فخري*

مقدمة

في بحثه عن «لاهوت الرجاء»، في كتابه «الإله المصلوب أساس اللاهوت المسيحي» يبرز يورغن مولتمان، اللاهوتي الألماني، الأهمية العظمى لحدث الجلجلة كما رواه مرقس البشير (٣٣/١٥ - ٤١). فيجد في شخص يسوع المصلوب كمال الوحي الإلهي وبالتالي تجلي ملء الرجاء المسيحاني لشعب الله وللاُمم. وفي الواقع هذا ما يركز عليه إنجيل مرقس فيعكس بنوع خاص، همّ الكنيسة الأولى وهو الإيمان والإقرار بأن يسوع الناصري هو المسيح إبن الله (مر ١/١). والغاية من هذا الإقرار هي التشديد على ضرورة الكرازة بهذه الحقيقة الأزلية إلى الشعوب كافة ودعوتهم إلى الوليمة الإفخارستية والخلاص (مر ٦/٣٠ - ٨/١٠).

البحث في قصة الآلام حسب مرقس، في الفصلين ١٤ و ١٥، يدفعنا إلى التركيز على حدث الجلجلة الذي محوره يسوع المتألم والصارخ: «ألوي ألوي لما شبقثاني؟» (مر ١٥/٣٤).

حدث الجلجلة هذا يتمحور حول آلام يسوع ويبلور قمة الكرازة المرقسية. فيسوع المنازع على الجلجلة والذي يحتضر خلال الثلاث ساعات المغمورة بالظلام (مر ١٥/٣٣) وساعة إنشقاق حجاب

الهيكل (مر ١٥/٣٧)، نسمعه يطلق صرخة الرجاء: «ألوي ألوي لما شبقثاني؟» والصرخة هذه تكشف عن حقيقة سر الوهيته الأزلية فتذهل الأمم في شخص القائد الروماني الوثني، فيقلع عن وثنيته ويقرّ بإيمانه ومعرفته لله. وهكذا، في حدث الجلجلة، يتحقق قصد مرقس في اعتراف الأمم بأن يسوع هو ابن الله (مر ١/١).

حول هذه المراكز الخلاصية في هذا الحدث (مر ١٥/٣٣ - ٤١) سنحاول التوقف، حول أبعادها لاستقطاب أطرها البيبلية حسب مرقس قاصدين النفاذ من الحدث الأساسي إلى معانيه الكتابية وغاياته الكرازية.

أ- البعد الأول: الظلام وحدث الجلجلة (مر ١٥/٣٣)

يتوقف مرقس عند إضطراب كوني يلزم يسوع على الصليب. يقع هذا الإضطراب ساعة اقتراب النهار من ظهيرته: فإذا بظلام دامس يخيم على الأرض كلّها من الساعة السادسة حتّى الساعة التاسعة. حدث كهذا لا يقرّه علم التغيرات الجوية، لا سيّما وأن الصلب حصل في زمن يُستبعد فيه مثل هذا التغير وفي أسبوع يكون فيه القمر بدرًا. وطوارئ الخسوف والكسوف لا تشير إلى أي وثيقة علمية معاصرة أو قديمة تدل على إمكانية حدوثها. فما هي الظلمة التي قصدها مرقس؟

إن الكلمة اليونانية «سكوتوس»^(١): الظلام، لا ترد في إنجيل مرقس إلّا في حدث الجلجلة. غير أن الإنجيلي عندما يتحدّث عن مجيء ابن الإنسان في آخر الأزمنة، يستعمل الفعل سكوتيزوماي^(٢) للتعبير عن كسوف الشمس: «... في تلك الأيام، بعد ذلك الضيق، تظلم الشمس، والقمر لا يرسل ضوءه» (مر ١٣/٢٤). فالظلام يعبر عن حالة توحى بالموت والعدم. هذا الإختبار نجده في سفر التكوين، في رواية الخلق الأولى^(٣) (تك ١/١ - ٤/٢)، حيث كان الظلام يغمر الأرض الخاوية الخالية (توهو بوهو) قبل بدء عمل الخلق. إن ظلام سفر التكوين هذا، ليس بغريب عن ظلام الجلجلة ولا عن مرقس الذي يفتتح إنجيله بكلمة «ارخي»^(٤) = بدء (مر ١/١)، بِرْشَيْتْ = في البداية أو في البدء (تك ١/١). فلقد أصبح ظلام الجلجلة كظلام سفر التكوين، الشاهد الأول على ولادة عالم جديد وخليقة جديدة.

والظلام هو أيضاً، الضربة التاسعة التي حلّت بأرض مصر (خر ٢١/١٠ - ٢٩) وهيأت الضربة العاشرة وهي موت أبكار المصريين وتحرير شعب الله (خر ١/١١ - ١٠). فموسى الباسط يديه إلى السماء، نزولاً عند أمر إلهه، يحدث ظلاماً على كل أرض مصر ولمدة ثلاثة أيام (خر ٢١/١٠ - ٢٢). ويسوع الباسط يديه على الصليب في صلاة خاشعة («ألوي ألوي لما شبقثاني؟»)، يغمر الجلجلة وكل الأرض بالظلام ولمدة ثلاث ساعات (مر ٢٣/١٥). فإن كان ظلام الخروج قد أدّى إلى قتل أبكار المصريين (خر ١/١١ - ١٠) وتحرير شعب الله (خر ١٤) وبالتالي أدّى به إلى عبادة الله الحق، فظلام الجلجلة أيضاً، أدّى إلى قتل بكر الآب، وبقتله تمّ نصر الخليقة الجديدة على العدم وظلام الموت وحملها على عبادة الله بالروح والحق وإنشاد يسوع بكر الآب. ولكن بين يسوع الجلجلة وموسى الباسط يديه إلى السماء علاقة أعمق وآفاق أوسع، فحضور موسى - سفر الخروج في شخص يسوع على الجلجلة يتبعه كلام عن النبي إيليا: «فقال بعض الحاضرين: إنه ينادي إيليا» (مر ٣٥/١٥). هذا يدعونا ألاّ نفصل حدث التجلي عن حدث الجلجلة (مر ٢/٩ - ١٠). ولكن كيف نوفّق بين نور جبل التجلي وظلام الجلجلة؟ إن صاحب المزامير ينشد: «الرب قد ملك فلتبتهج الأرض» (١/٩٧). ويزيد^(٥): «النور والظلام يحيطان به» (مز ٢/٩٧).

وللظلام دور هام في الكتب النبوية، فهو علامة من علامات الأزمنة الأخيرة، وهو ينبئ بحلول «يوم الرب العظيم»، يوم الإفتقاد وبدء الزمن الإسكاتولوجي. فالظلام هو ساعة الدينونة المعلن عنها في عاموس النبي: «في هذا اليوم، يقول الرب، سأمّر الشمس أن تغيب في وضوح النهار فيغمر الظلام الأرض ساعة الظهر... سأجعل الحداد في البلاد كما لموت ابن وحيد وتكون نهايته كيوم مملوء مرارة» (عاموس ٨/٩ - ١٠). ظلام سكوت الله وظلام غياب الله. هذا الظلام يعبرّ عنه الكتاب بهذه الصرخة التي يطلقها يسوع من أعلى الصليب: «ألوي ألوي لما شبقثاني؟» هذه الكلمات تفتتح المزمور ٢٢ الذي ينتهي بنشيد النصر: «سأبشّر باسمك اخوتي وفي وسط الجماعة

أسبحك. للرب تحيا نفسي وإياه تعبد ذريتي» (مزمو ٢٣/٢٢ و ٣٠). ولكن هذا النصر لا يظهر إلا ساعة القيامة. هذه الساعة هي بالنسبة لمرقس، ساعة الظلام، ولا يجب أن نخفّف من مرماها. هي الساعة التي جاء فيها الذي أراد نفسه خادماً وخادماً متواضعاً فشرب حتى الثمالة كأس خطيئة البشرية (أشعيا ٥٣/٣ - ٩).

ب - البعد الثاني: إيليا المنتظر على الجلجلة (مر ١٥/٣٥ - ٣٦)

إن بعض الحاضرين عند الصليب سمعوا يسوع ينادي إيليا الذي ينتظرونه آتياً في آخر الأيام. فقام واحد من الحاضرين بحركة شفقة، وقدّم اسفنجة مملوءة خللاً للمصلوب (مر ١٥/٣٦). ضحك الآخرون، لأنهم لم يفهموا معنى الكلمات التي تلفّظ بها يسوع فاستنتجوا أنه يدعو إيليا لمساعدته. رأوا في هذه الصرخة آخر اقرار ضعف عند هذا المسيح المزعوم. إن مهمة إيليا على الجلجلة هي مهمة الإنقاذ، لأن التقليد اليهودي يرى فيه العضد للبائسين والمزعم أن يأتي قبل يوم الرب العظيم كما يقول النبي ملاخي: «هأنذا أرسل اليكم إيلياً النبي قبل أن يأتي يوم الرب العظيم الرهيب» (ملا ٣/٢٣). إن وجود إيلياً على جبل الجلجلة وقت نزاع يسوع، هو علامة حلول يوم الرب وبدء الأزمنة الأخيرة. ولكن لحضور إيلياً على الجلجلة مفهوم آخر. فهذا الحضور يُذكر في الساعة التاسعة (مر ١٥/٣٤)، ساعة الصلاة عند اليهود وتقديم ذبيحة المساء (أعمال ٣/١؛ ٣/١٠ و ٣٠)، وهو يحوّل أنظارنا من إيلياً المنتظر إلى إيلياً جبل الكرمل (١ ملوك ١٨) حيث يتحدّى بذيبحته إله الأوثان (بعل) وكهنته.

هناك، على جبل الكرمل، يكتشف إيلياً عن غيٍّ وضلال عبادة الإله المصنوع، ويهدي عباده إلى معرفة الإله الحقيقي فيصرخون بملء أفواههم: «الرب هو الإله، الرب هو الإله» (١ ملوك ١٨/٣٩). وعلى الجلجلة، يجتد يسوع حدث ذبيحة الكرمل، إذ إنه بتقدمة ذاته لأبيه كفارة عن العالم أجمع، كشف عن ضلال الشعب المختار وأظهر الحقيقة للأمم، فاعترفت به في شخص القائد الروماني الوثني مخلصاً وفادياً (مر ١٥/٣٩).

ج - البعد الثالث: إنشقاق حجاب الهيكل (مر ١٥/٣٤)

تخبر نصوص الآلام عند الإزائيين، أن حجاب الهيكل الذي يحجب قدس الأقداس ويخفيها عن الأعين، والذي يصفه بدقة المؤرخ اليهودي يوسيفوس في كتابه «حرب اليهود»، قد انشق في وسطه عندما لفظ يسوع الروح. لمعرفة أبعاد هذا الحدث، يجب توضيح نقطتين أساسيتين. أولاً: دور الهيكل في إنجيل مرقس. وثانياً: إستعمال الفعل اليوناني سخيزو^(٦): إنشق أو إنشطر.

أولاً: دور الهيكل في إنجيل مرقس

يعتبر مرقس أن هيكل أورشليم هو بيت الرب (مر ١١/١٧) والمكان المقدس (١٤/٤٩)، ولكن سيأتي يوم لن يبقى فيه حجر إلا ويُنقض (١٣/١٤): لقد كان عقيماً ولم يعط ثمراً. هذا ما عناه يسوع في مثل التينة اليايسة (مر ١١/٢٠ - ٢٥). وقبل الدخول في الآلام، جلس يسوع في جبل الزيتون وحدث تلاميذه عن خراب الهيكل (مر ١٣/٢). وخلال محاكمته أمام عظيم الكهنة، اتهم يسوع على دفعتين بأنه سيهدم الهيكل المصنوع بالأيدي وبعد ثلاثة أيام يبني هيكلاً آخر غير مصنوع بالأيدي (مر ١٤/٥٨). وعلى الجلجلة، كان المارون يهزأون به قائلين: «يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام» (مر ١٥/٢٩). فكان الجواب: إنشقاق الحجاب من أعلى إلى أسفل، أي إن النبوءة تحققت، لأن الهيكل قد نقض وليس لنقضه قيامة، ومن واجب كل يهودي أن يفهم هذا الحدث كحكم من الله. كما لا بد لكل مؤمن من أن يرى فيه ما رآته الرسالة إلى العبرانيين: أصبح الدخول إلى الأقداس منذ اليوم مسموحاً به لجميع المؤمنين بواسطة يسوع المسيح. ويمكننا أيضاً أن نزيد: إنشقاق الحجاب هو هدم الفكرة القديمة التي كانت تفصل بين المقدس والغير المقدس، بين شعب الله والأمم. (عب ٩/١ - ١٤؛ ١٩/١٠ - ٢٢). في هذا الصدد، يتحدث الكتاب المنحول «وصيات الآباء الإثني عشر»، في وصية لاوي فيقول: إن

إنشقاق الحجاب هو نهاية الهيكل، وإن الرب الساكن في قدس الأقداس قد ترك أورشليم وتبدد وراءه الشعب اليهودي. وتحدث وصية بنيامين عن النبي، الإبن الوحيد الذي سيزور أورشليم، وهناك يهان ويُعلّق على شجرة، فينشق الحجاب ويغادر روح الرب الهيكل ويسكن ما بين الأمم.

إن انشقاق حجاب الهيكل يدحض سخرية المارين (مر ١٥/٢٩)، ويثبت ما قاله شهود الزور: «سأهدم هذا الهيكل... وأبني آخر» (مر ١٥/٥٨). وساعة ذاق يسوع العذاب وهول الصلب والسخرية وأرسل صرخته إلى الآب صلاة ملؤها الرجاء («ألوي ألوي لما شبقثاني؟»)، وسأله أن يحكم بين ذبيحته على الصليب وذبائح الهيكل، وبين الهيكل المصنوع بالأيدي والهيكل الغير مصنوع بالأيدي، خرج الرب عن صمته، وشق حجاب الهيكل معلناً بذلك نهاية المصنوع بالأيدي ودالاً على أن أرضه ستكون مسكناً للأمم.

كان لا بدّ لهذا الهيكل بوجهه القديم وكيانه المادي المصنوع بالأيدي، أن يسقط ليقوم الهيكل غير المصنوع بالأيدي. وهذا التحوّل في الهيكل (خراب - بناء) نراه متجسداً في شخص عبد - يهوه المتألم. فترجوم يوناتان لأشعيا (أش ٥٣/١٣ و ١٥) يرى في عبد - يهوه المتألم، المسيح العتيد، وهذا العبد المتألم سيدوق العذاب والآلام، ثم يبنّي الهيكل من جديد ويعرف المجد والقيامة.

تحدّث يسوع عن خراب الهيكل في مناسبات عدّة أثناء حياته التبشيرية. ففي حديثه الأخير (مر ١٣/١٢)، أكد أنه يجب أن يشرّ بالإنجيل في كل الأمم، وفي آخر إنجيله، يرسل تلاميذه إلى كل الشعوب (مر ١٦/١٥). وهذا ما يبيّنه يسوع في مثل الكرّامين القتلة (مر ١/١٢ - ١٢) ومثل التينة اليابسة (مر ١١/٢٠ - ٢٥). ففي كلتا الحالتين، يطلب يسوع ثمرّاً فلا يجد. لهذا يسلم ربّ الكرم كرمه إلى فعلة آخرين (مر ٩/١٢): «من عند الرب كان ذلك وهو عجيب في عيوننا» (مزمو ١١٨/٢٢ - ٢٣).

ثانياً: الفعل «سخيزو» في إنجيل مرقس

يعني هذا الفعل إنشق أو إنشطر. لا يستعمله مرقس إلا مرة واحدة خارج قصة الآلام، وبالتحديد في اعتماد يسوع (مر ٩/١ - ١١)، حيث انشقت السماوات وهبط الروح القدس في شبه حمامة واستقر فوق رأس الإبن الحبيب. في الترجمة السبعينية نجد هذا الفعل في ذبيحة إسحق (تك ٢٢/٣) حيث يشفق إبراهيم الحطب ليقدم ابنه قرباناً لله. أليست ذبيحة الإبن الوحيد إسحق مقدمة لذبيحة الإبن الوحيد على الصليب؟ فالتقليد الكنسي وآباء الكنيسة يرون في ذبيحة إسحق الذي حمل الحطب وصعد وأبوه إلى الجبل ليقدم ذبيحة الله، مقدّمة لسر الفداء الذي تجلّى في الإبن الوحيد الذي حمل صليبه وصعد إلى جبل الجلجلة ليكون ذبيحة للآب السماوي.

ونجد هذا الفعل أيضاً في سفر الخروج، في رواية عبور بحر الأحمر (خروج ٢١/١٤) حيث أرسل الرب ريحا شديدة طوال الليل، فشق البحر ودخل شعب الله في وسطه بأقدام ثابتة. إن هذا يدعو إلى قراءة حدث الجلجلة في جو فصحي وضمن إطار سفر الخروج.

يوم اعتماد يسوع إنشقت السماوات. ويوم موته إنشق حجاب الهيكل. فهل وجود الفعل «سخيزو» في هذين الحداث صدفه أدبية أم إستعمال له مغزى لاهوتي؟ إن يسوع قد أعلن سابقاً في جوابه على إبنّي زبدي يعقوب ويوحنا قائلاً لهما: «اتستطيعان أن تشربا الكأس التي سأشربها، أو تقبلا المعمودية التي سأقبلها» (مر ١٠/٣٨)؟ هذا تأكيد صريح بأن يسوع ينتظر المعمودية ثانية على الجلجلة. ففي المعمودية الأولى شهد الآب للإبن، وفي المعمودية الثانية شهد الإبن للآب، وشهد القائد الروماني للإنسان الجديد. في الترجمة السريانية^(٧) لأنجيل مرقس، نرى الفعل «سخيزو = صطر» يُستعمل في رواية محاكمة يسوع: مَرَّقَ عَظِيم الكهنة ثيابه لأنه سمع يسوع يجدف حين أجاب: «أنا هو، وسوف ترون إبن الإنسان جالساً عن يمين القدير وأتياً في غمام السماء» (مر ١٤/٦٣). إن تمزيق عظيم الكهنة ثيابه الكهنوتية لهو مقدمة

لتمزيق حجاب الهيكل، وبالتالي لتمزيق كهنوت العهد القديم الذي كان عميقاً. إن وجود الفعل «سخيزو» في حدث الجلجلة، يجعلنا نرى في يسوع المصلوب، ذبيحة إسحق وعبور بحر الأحمر، والعماد في نهر الأردن وتمزيق ثياب الكهنوت القديم. هذه اللوحات الكتابية الأربع، تجدد في شخص يسوع على الجلجلة الرمز والغاية، وتحقيق النبوات، وبداية عهد جديد حيث يُعبد فيه الرب بكهنوت جديد.

د- ثمرة إنشقاق حجاب الهيكل: إيمان القائد الروماني (مر ٣٩/١٥)

تنتهي حادثة الجلجلة بانشقاق حجاب الهيكل واعتراف القائد الروماني بالوهية يسوع: «كان هذا الرجل ابن الله حقاً» (مر ٣٩/١٥). هذا الإعتراف هو بمثابة جواب على سؤالين: الأول طرحه عظيم الكهنة على يسوع قائلاً: «أأنت المسيح ابن المبارك؟» فأجاب يسوع: «أنا هو» (مر ١٤/٦١ - ٦٢). والثاني طرحه عظماء الكهنة والكتبة حين هزأوا بيسوع قائلين: «خلّص غيره من الناس ولا يقدر أن يخلّص نفسه، فليُنزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن» (٣١/١٥ - ٣٢). إن اعتراف القائد الروماني بالوهية يسوع، يشكّل الهدف الأساسي للكراسة المرقسية التي تبدأ بهذه الآية: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» (مر ١/١). وهذا الإعتراف هو إختصار لكل الإعترافات في إنجيل مرقس: في العماد، يعترف الآب بالوهية الابن (١١/١)، في التجلي أيضاً (٧/٩)، وعلى دفعتين تعترف الأرواح الشريفة بالوهيته (١١/٣ و ٧/٥)، ولكن على الجلجلة، وهي المرة الأولى والأخيرة في إنجيل مرقس، يعترف رجل وثني (غير يهودي) بالوهية يسوع. لقد آمن دون أن يشهد آية أو يطلب آية (مر ٣٢/١٥)، آمن متأثراً بسخاء وسمو اتصف بهما موت يسوع على الصليب. إن القائد الروماني، يمثّل هنا عالم الوثنيين. وأيا كان معنى تسمية «ابن الله» على لسان أحد الوثنيين، فإن مرقس يرغب أن نرى فيها فعل إيمان المسيحيين الذين أتوا من الوثنية. إيمان القائد الوثني يعني أن قصة يسوع لم تنته بالموت، بل انطلقت أقوى وما تزال، وأن مجد الرب الساكن في هيكل

أورشليم وسط شعبه قد غادر مكانه دون عودة واستقر ما بين الأمم كما سبق وتنبأ حزقيال النبي (حز ١ - ٣).

خلاصة

إن آلام يسوع تؤلف المحور الرئيسي للكراسة المرقسية، إذ فيها يكشف يسوع عن سر ألوهيته. فإن إعلانه أمام المجلس الذي يحكم عليه بالموت بأنه ابن الله (مر ١٤/٦١ - ٦٢) واعتراف القائد الروماني بهذا السر (مر ١٥/٣٩)، يلتقيان بما أوحاه الله عند المعمودية والتجلي (١١/١ و ٧/٩)، ويؤيدان عنوان الإنجيل، وهو أن يسوع هو المسيح وابن الله. وفي أثناء ذلك كُتبت أفواه الشياطين عن الكشف الخبيث للأسرار (١/٢٤، ٣٤ و ١١/٣) وأُسكت التلاميذ عن إعلان إيمانهم بالمسيح (٨/٢٩)، إذ لا يمكن كشف معنى تلك الأقوال قبل آلام المسيح وموته، فاعلان هذا السر الإلهي محفوظ ليوم الجلجلة والقيامة.

لقد أصبحت الجلجلة، ليس فقط محور الآلام، بل محور خلاص البشرية المتجددة. أصبحت سفر تكوين خليفة جديدة، سفر خروج شعب الله وهيكل الرب الجديد حيث تعبده الأمم والشعوب كافة بالروح والحق وبكهنوت أزلي. هذه هي مشيئة الآب: أن يشرك العالم الجديد بمجده. فلقد دعى البشرية، بواسطة ابنه الوحيد إلى التجدد. فيوم المعمودية قدّم الآب ابنه للعالم (١/١١)، ويوم التجلي دعى العالم إلى سماع بشارة الابن (٩/٧) ويوم الجلجلة، لتبت الأمم هذه الدعوة فاعترفت بيسوع ابن الله.

الحواشي

Skotos (١)

Skotizomai (٢)

(٣) ترتبط بالتقليد الكهنوتي

arché (٤)

(٥) مز ٩٧ هو مزموّر ملوكي (ينشد الملك) ونهبيوي (يدل على نهاية العالم).

Schizô (٦)

(٧) فشيطرو أي البسيطة.

* الخوري يوسف فخري. ولد سنة ١٩٥٦ في بشري.
دبلوم في الكتاب المقدس من المعهد الكاثوليكي في باريس.
استاذ الكتاب المقدس في معهد القديس انطونيوس، كرم سده (لبنان
الشمالي).

الفصل الثالث عشر

مدخل إلى إنجيل لوقا

الخوري بولس الفغالي*

١ - مقدمة

اختلف لوقا عن متى ومرقس، فأشار في بداية إنجيله إلى الأسلوب الذي اتبعه حين دوّن كتابه، وإلى الهدف الذي ابتغاه: تقصى جميع الأمور من أصولها وكتبها بترتيب. وهكذا يستطيع تاوفيلوس أن يتيقن من صحة التعليم الذي تلقاه (١: ٣ - ٤).

لوقا مؤرخ، وهو يستعمل مقدّمة المؤرخين وأساليبهم. لقد سأل شهود عيان عن الأحداث. قام ببحث دقيق وشامل قبل أن يقدم أساساً متيناً لتعاليم سيعرضها على محبّ الله، تاوفيلوس، بل إلى كل أحباء الله، ونحن منهم. وبعد أن قام لوقا بكل هذا، سعى إلى تدوين ما وصل إليه من معلومات في خبر متتابع.

ولكن لوقا هو أكثر من هذا. هو إنجيليّ. هو حامل بشارة وخبر طيّب. ليس هو فقط ذلك اليوناني المثقّف والمؤرّخ الدقيق، بل ذلك الشاهد الذي اتصل بشهود عيان. وهؤلاء الشهود هم أكثر من مخبرين. إنهم «خدّام الكلمة»، عاملون من أجل الكلمة. في هذا المجال نكتشف شخصية لوقا العميقة.

فالعبارات الدنيوية التي استعملها كانت لباساً أدبياً منمقاً فوق واقع مسيحي أصيل. فالشهود العيان يُسمّون في اللغة المسيحية الشهود

والشهداء، هؤلاء الذين يشهدون بكلامهم وحتى بحياتهم من أجل الإنجيل. والأحداث التاريخية المروية هنا صارت بشارة إنجيلية. فالتقليد التاريخي هو في الوقت عينه تقليد ديني. إنه يدعو إلى الإيمان، ويحمل إلينا الخلاص. إن المعلومات التي قدّمها لوقا إلى تاوفيلوس كانت في البداية «تعليماً وكرازة مسيحية»، قبل أن تصير بشرى مدونة. والكفالة التاريخية التي يقدّمها لوقا لصديقه تشدّده في إيمانه بالمسيح.

هذا ما نقرأ في مطلع إنجيل لوقا الذي يشير أيضاً إلى أن كثيراً من الناس أخذوا «يدوّنون رواية الأمور التي تمتّ عندنا» (١:١). ولكن لوقا لا يقول لنا من هم هؤلاء «الكتّاب» الذين عاد إليهم في تدوين إنجيله. كما لا يقول لنا كيف رتبّ مواده، وهل وجد ترتيباً سابقاً استقى منه. ويشدّد على أن هذه المحاولات التي قام بها الكثيرون لم تنبع من شهود عيان وحسب. هل يعني هذا أن لوقا لم يستند إلى متى الآرامي أو اليوناني؟ ربّما. هل يعني أن الثقة التي محضها القراء للسابقين هي تلك التي يطلبها منهم. مهما يكن من أمر، نحن أمام محاولات عديدة أشار إليها بابياس حين تحدّث عن الإنجيل الأول.

قال لنا لوقا في بداية إنجيله الأسلوب والهدف. وسيقول لنا في بداية سفر الأعمال مضمون هذا الإنجيل: جميع ما عمل يسوع وعلم منذ بدء رسالته إلى اليوم الذي رُفع فيه إلى السماء (أع ١:١ - ٢). ونستطيع أن نوضح هذا الكلام من خلال خطبة بطرس إلى كورنيليوس: بدأ كل شيء في الجليل بعد المعمودية التي نادى بها يوحنا. مسح الله يسوع بالروح القدس والقدرة، فمضى من مكان إلى آخر يعمل الخير ويبرئ جميع الذين استولى عليهم إبليس. لأن الله كان معه. وأعماله معروفة في جميع بلاد اليهود وأورشليم، وكذلك موته معلّقاً على خشبة الصليب. وفي النهاية، أقامه الله في اليوم الثالث.

هذا هو مضمون إنجيل لوقا. فلا بدّ أن نتعرف إلى كاتبه وإلى التاريخ الذي فيه كُتب، قبل أن نصل إلى تصميمه وتعليمه اللاهوتي.

٢ - كاتب الإنجيل الثالث

أ - الشهادات التقليدية

ماذا تقول لنا النصوص؟ تحدث بابياس عن مرقس ومثى، ولكن لم يصلنا من هذا الذي كان أسقف منبج (هيرابوليس، شمالي حلب) وكتب في نهاية القرن الأول المسيحي، لم يصل شيء يتعلق بالقدّيس لوقا. لكننا نقرأ إسم لوقا منذ منتصف القرن الثاني، في قانون موراتوري. «الإنجيل الثالث هو الكتاب بحسب لوقا. لوقا هو ذاك الطبيب الذي رافق بولس بعد صعود المسيح. هو لم يرَ الرب في الجسد. ولهذا عمل قدر ما استطاع، فبدأ كلامه منذ ولادة يوحنا».

ونقرأ في الكتاب الثالث من مؤلف إيريناوس «ضد الهرطقة»: «وكذلك لوقا، رفيق بولس، دوّن في كتاب الإنجيل الذي كان ذاك (= بولس) يكرز به». وقال في مكان آخر: «اعتُبر لوقا أهلاً للثقة بأن يقدم إلينا الإنجيل».

وعارض ترتليانوس مرقيون (الرافض للعهد القديم)، فأكد عادة الكنائس الرسولية بأن تقرأ في ليتورجيتها إنجيل لوقا. وتحدث إكلمنضوس الإسكندراني عن المسيح الذي وُلد في عهد أوغسطس. وبرّر كلامه قائلاً في موشياته: «هذا ما كتب في الإنجيل بحسب لوقا». وقابل في مكان آخر إرتباط لوقا ببولس مع ارتباط مرقس ببطرس.

وقال أوريجانوس في شرحه لمتى إن الإنجيل الثالث هو إنجيل لوقا الذي أمره بولس بأن يكتبه للوثنيين. ونرى في ما تركه أوسابيوس وإيرونيμος وغيرهما صدقاً للتقليد.

وفي النهاية نقرأ ما يقول المطلع المناهض لمرقيون وقد دوّن في القرن الثاني (أو ربما القرن الرابع): «لوقا هو سوري من أنطاكية. كان طبيباً وتلميذ الرسل. تبع فيما بعد بولس حتى إستشهاده. خدم الرب خدمة لا عيب فيها، فلم يتزوج ولم يكن له أولاد. مات في بيوثية (اليونان) ممثلاً من الروح القدس، وهو بعمر ثمانين سنة. وهكذا، إذ كانت

أنجيل قد كُتبت من قبل، إنجيل متى في اليهودية وإنجيل مرقس في إيطاليا، كتب لوقا بإلهام من الروح القدس، هذا الإنجيل في مناطق إخائية (اليونان). قال في البداية إن أنجيل أخرى كُتبت قبل إنجيله. ولكن بدا له من الضروري أن يعرض للمؤمنين الذين من أصل يوناني، خبراً كاملاً ومرتباً عن الأحداث».

إذن، يبدو التقليد شاملاً. وهو يصل إلينا من كنائس سوريا ورومة وأفريقيا الشمالية والإسكندرية. وهو يحدثنا كله عن الأنجيل الثالث الذي دوّنه لوقا الطبيب ورفيق بولس. وهو تقليد قديم نستطيع أن نمحضه ثقتنا، مع العلم أن الآباء إهتموا أول ما إهتموا بالحديث عن أقوال الرب، لا عن الذين نقلوا إلينا هذا الأقوال. وكما بدأ المبدعون يقدّمون نظرياتهم، إهتمت الكنيسة، لأسباب دفاعية، (أبولوجيا) بصحة الكتيبات التي تتضمن أقوال الرب.

أول تأكيد يشير إلى كاتب الإنجيل يعلن أنه لوقا. وجاء إعتبار ثان جعله ذاك الطبيب ورفيق بولس. بعد هذا، تحدّث التقليد عن إنجيل بولس. وتضخّم التقليد فتخيّل تفاصيل تقوية حول لوقا: إنه أحد التلاميذ السبعين (أو: ٧٢). إنه أحد تلميذي عمّاوس ورفيق كليوبا. إنه الرسام الذي احتفظ بقسمات وجه مريم العذراء. ولكن هذا «التلوين» لا يفسد الأساس الأول للتقليد الذي يحدثنا عن لوقا، صاحب المؤلف الذي يشتمل على الإنجيل الثالث وأعمال الرسل.

ب - معطيات النقد الداخلي

ماذا يقول النص؟ إن النقد الداخلي يؤكّد ما قاله التقليد الكنسي. فهناك إجماع لدى الشّراح. فهم ينسبون الإنجيل الثالث وسفر الأعمال إلى كاتب واحد: لغة واحدة وأسلوب واحد. ومخطط واحد يشرف على جزئي هذا المؤلف الواحد الذي يحدثنا عن إمتداد كلمة الله إلى أقاصي الأرض. ومتسلّم الكتّابين هو واحد. إنه تاوفيلوس المذكور في مطلع الإنجيل (٣: ١) وفي مطلع الأعمال (١: ١).

ونقول من جهة أخرى إن كاتب الأنجيل الثالث والأعمال هو

صاحب المقاطع الواردة في صيغة المتكلم الجمع في سفر الأعمال. نقرأ مثلاً في ١٠: ١٦ - ١٧: «فأبحرنا (نحن) من ترواس واتجهنا (نحن) ترواً إلى ساموتراكية... فمكثنا بضعة أيام في هذه المدينة، ثم مضينا...» (رج أع ٥: ٢٠ - ١٨: ٢١؛ ١: ٢٧ - ١٦: ٢٨). هذا يعني أن لوقا هو رفيق بولس، وهو يتحدث باسمه.

وبين الأشخاص الذين من أصل وثني والذين رافقوا بولس في أسفاره، نستطيع أن نسمي مع لوقا ديماس (كو ٤: ١٤؛ فلم ٢: ٢٤ تم ٤: ١٠)، قرسقس (٢ تم ٤: ١٠)، أرتيماس (تي ٣: ١٢)؛ زيناس وإبلوس (تي ٣: ١٣). لا نتكلم هنا عن تيطس الذي لا يُذكر في رفقة بولس إلا بمناسبة إنعقاد مجمع أورشليم سنة ٤٩ - ٥٠ (غل ١: ٢ - ٣).
تتحدث النصوص عن لوقا، ونحن لن نبحث عن شخص مجهول، كما يفعل بعض النقاد الغربيون. بل نتوقف عند لوقا الطبيب ورفيق القديس بولس.

أثر بولس على لوقا، مثلاً في خبر تأسيس الأفخارستيا (لو ٢٢: ١٤ - ٢٠؛ رج ١ كور ١١: ٢٣ - ٢٧). قال ترتليانوس: إن بولس كان منير لوقا، لا سيما في مواضيع حنان الله ورحمته، في جو الفرح والصلاة، في النظرة الشاملة إلى الخلاص. كل هذا المناخ البولسي يؤكد لنا القيمة التاريخية للإنجيل الثالث. ليس هو فقط «لاهوتاً» عن المسيح، بل بحثاً تضيء عليه خبرة بولس مع المسيح.

ويقول التقليد عن لوقا إنه كان طبيباً. فالمستوى الرفيع لتأمله يوافق ما نعرفه من ثقافة الأطباء في ذلك الزمان. فهناك كلمات يستعملها لوقا وهي تدل على معرفته بالألفاظ الطبية. نقرأ مثلاً في ٣٨: ٤ عن حمة سمعان التي كانت «مصابة بحمى شديدة». وفي ١٨: ٥ نقرأ عن المقعد، وفي ٣١: ٥ عن الأصحاء (لا الأقوياء). وفي ١٠: ٧ يقال لنا: «رجع المرسلون إلى البيت فوجدوا الخادم قد ردت إليه العافية» (رج ٨: ٤٤؛ ٢١: ٣٤).

٣ - متى كتب إنجيل لوقا وأين كتب؟

أ - متى كُتب الإنجيل الثالث؟

* ماذا تقول المعطيات التقليدية؟

يجعل التقليد إنجيل لوقا في المركز الثالث، أي بعد مرقس، كما في قانون موراتوري وعند أوريجنس وإيرونيموس. وهناك تقليدان محدّدان بعض الشيء ولكنهما يختلفان كل الاختلاف. يقول إيريناوس إن لوقا ألف إنجيله بعد موت بولس أي بعد سنة ٦٧. ويقول إيرونيموس الشيء عينه في تفسيره لإنجيل متى. ولكنه سيتراجع فيما بعد عن هذا القول، فيتبع أوسابيوس القيصري، ويجعل تأليف الإنجيل الثالث يتم في رومة، يوم كان بولس بعد حياً، أي قبل سنة ٦٧.

* ماذا تقول معطيات النقد الأدبي؟

يتدارس النقد الأدبي الوضع فيحدّد موقع إنجيل لوقا بالنسبة إلى معطيات أخرى محدّدة في الزمن، ويتوقف عند ارتباط لوقا الأدبي بهذه المعطيات.

وليكّم أهم الآراء:

الأول: دُون إنجيل لوقا بعد سنة ٩٥. يقول أصحاب هذا الرأي: ما نقرأ في أع ٤٦:٥ (قام توداس قبل هذه الأيام، فتبعه نحو ٤٠٠ رجل) يرتبط بالمؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس. ولكن النقاد يرفضون هذا البرهان. ويزيد أصحاب هذا الرأي: إن لوقا يرتبط بيوحنا. نجيب: لا شك في أن هناك تقاربات عديدة بين لوقا ويوحنا، ولكن هذا لا يعني تبعيّة لوقا ليوحنا، بل إتصلاً بتقليد واحد وإرتباطاً بمحيط واحد.

الرأي الثاني: دُون إنجيل لوقا بعد سنة ٧٠. يقول أصحاب هذا الرأي: يعلن لوقا نفسه أن كثيراً من الناس كتبوا قبله. وهذا ما يدعونا إلى إفتراض فترة زمنية لا بأس بها. نقول: يجب أن لا ننضم

لفظة «كثير». فمنذ البدايات المسيحية كانت محاولات عديدة لتدوين بعض التقاليد وترتيبها.

وهناك من يرى في تصوير دمار أورشليم البرهان بأن الحدث قد حصل (١٩: ٤٣-٤٤؛ ٢١: ٢٠، ٢٤). أورد مت ٢٤: ٢٤ ومر ١٣: ١٤ كلام يسوع حول «رجاسة الخراب» (رج دا ٩: ٢٧؛ ١١: ٣١؛ ١٢: ١١). أما لو ٢١: ٢٠ فحدّد هذه الرجاسة بما يلي: «فإذا رأيتم أورشليم قد حاصرتها الجيوش، فاعلموا أن خرابها قد اقترب» (لو ٢١: ٢٠). وأوضح لو ٢١: ٢٤ نوعيّة هذا الخراب فقال: «يسقطون قتلى بحد السيف، ويؤخذون أسرى إلى جميع الأمم. وتدوس أورشليم أقدام الوثنيين إلى إن ينقضي عهد الوثنيين» (أي: أزمنة تبشير الوثنيين). إذن، أوضح لوقا على ضوء الحدث نبوءة يسوع التي تهدّد أورشليم.

ولكن هناك من ينتقد هذا الموقف فيقول: إعتاد لوقا أن يوجز الاستشهادات البيبلية ويغفل التلميحات إلى الكتاب المقدس. فلماذا غير في أسلوبه؟ ثم إن العبارات المستعملة هنا توافق حصار كل مدينة. وقد يكون لوقا رجع في تصويره هذا إلى العهد القديم. مثلاً تث ٢٨: ٦٤: «يبعثك الرب بين جميع الشعوب، من أقصى الأرض إلى أقصاها». وهو ٧: ٩: «جاءت أيام العقاب! جاءت أيام المجازاة».

الرأي الثالث: دُوّن لوقا قبل سنة ٧٠. هناك من يحدّد موقع الإنجيل الثالث بالنسبة إلى سفر الأعمال. وبما أن سفر الأعمال دُوّن بعد الإنجيل قبل سنة ٦٧ (وحتى قبل سنة ٦٤) فيكون أن الإنجيل كُتب حتماً قبل سنة ٦٧ (بل ٦٤).

ما هو الرأي الذي نختاره؟ نبدأ فنقول إن هذا الموقف لا علاقة له مباشرة أو غير مباشرة بحقيقة الايمان والأخلاق. ولهذا، فالذين يأخذون بالرأي الثالث يجعلون الإنجيل قريباً من الأحداث. والذين يجعلون تدوين الإنجيل حوالي سنة ٨٥، أي بعد مرقس ومتى، فهم يجعلون لوقا قريباً من يوحنا. أما نحن فنأخذ بهذا الرأي الأخير ونقول: دُوّن لوقا إنجيله قبل إنجيل يوحنا، ولكن المسافة بين الاثنين لم تكن كبيرة جداً.

ب - أين كتب الإنجيل الثالث؟

هناك أماكن عديدة: اليونان: أخائية أو بيوثية. قيصرية، الاسكندرية أو رومة... لا جواب قاطعاً.

ولكن مهما يكن من أمر، فقد كتب لوقا إنجيله إلى أناس يعيشون خارج فلسطين، وهم بالتالي لا يعرفون عوائد موطن يسوع وطرق حياته (رج مثلاً القرميدات في بيت كفرناحوم، ١٩:٥). ونقول ثانياً: كتب لوقا لمسيحيين جاؤوا من العالم الوثني، لهذا أغفل عدداً من الاستشهادات الكتابية. يكفي هنا أن نقابل بين عظة الجبل (يسوع هو موسى الجديد) وعظة السهل (عالم لوقا عالم منفتح على الأمم الوثنية). قال يسوع في مت ٥: ٤٣ - ٤٤: «سمعتم أنه قيل: أحب قريبك وأبغض عدوك. أما أنا فأقول لكم: أحبوا اعداءكم وصلّوا من أجل مضطهديكم». هذا ما قالته الشريعة وحدّدته جماعة قمران تجاه أبناء الظلمة. أما القديس لوقا فاكتمى بالقول: «وأنتم أيها السامعون، فأقول لكم: أحبوا اعداءكم، وأحسنوا إلى مبغضيك، وصلّوا من أجل المفترين الكذب عليكم» (٦: ٢٧ - ٢٨).

٤ - كيف ألّف لوقا إنجيله؟

أ - تصميم الإنجيل الثالث ومراجعته.

* كيف يبدو تصميم الإنجيل الثالث؟

إنه واضح في خطوطه الكبرى، وهو يتوافق في قسم من أقسامه مع ما نَجده في إنجيل مرقس.

فبعد المقدمة، نجد نفوسنا في الجليل (١: ٣ - ٩: ٥٠)، ثم في الطريق إلى أورشليم (٩: ٥١ - ١٩: ٢٧)، وأخيراً في أورشليم حيث تتم أحداث الموت والقيامة (١٩: ٢٨ - ٢٤: ٥٣).

إذا ألقينا نظرة إجمالية، نرى أن لوقا يقدم متتالية شبيهة بمتتالية مرقس، ثم متتالية خاصة به. فبعد ١: ٣ - ١٩: ٦ (رج مر ١: ١

(٣٥:٣ - ٢٠:٦) نجد القاطعة الصغيرة (٣:٨ - ٢٠:٦) التي تبدأ بعظة يسوع الكبرى. وبعد ٤:٨ - ٥٠:٩ (رج مر ١:٤ - ٤٠:٩، ما عدا ٤٥:٦ - ٢٦:٨)، نجد القاطعة الكبرى (٥١:٩ ي) أو صعود يسوع إلى أورشليم: «ولما حانت أيام ارتفاعه» (حرفياً: خروجه أي موت يسوع وصعوده).

يتقيد لوقا بمصدر هو مرقس أو قريب جداً من مرقس، ولكنه يضم إليه تقاليد خاصة جمعها من الكنائس. ولنا عودة إلى هذا الوضع عندما ندرس المسألة الإزائية.

إن التقليد المشترك بين متى ومرقس ولوقا، يقدم لنا لحمية الإنجيل. واستفاد لوقا من تقاليد إضافية تتقاطع مراراً مع ما جمعه متى، أو من ذكريات استقاها من بعض التلاميذ أمثال كليوبا (١٨:٢٤) وفيلبس (أع ٨:٢١)؛ ومنايين رفيق طفولة هيرودس وأخوه في الرضاعة (أع ١٣:١؛ رج لو ٧:٢٣-١٢)، والنساء القديسات (لو ١:٨-٣؛ ١٠:٣٨؛ ٢٣:٢٧-٢٨، ٤٩؛ ١٠:٢٤)، ومريم أم يسوع (لو ١-٢). أما الاتصال بين الانجيل الثالث والانجيل الرابع فيعود إلى تأثير المحيط اليوحناوي على القديس لوقا.

* ما هي مراجع لوقا؟

يتفق معظم الشراح على القول إن مرقس كان المرجع الرئيسي لإنجيل لوقا. ولكنهم يختلفون حين يحاولون تحديد مراجع أخرى.

هناك من يتحدث عن «إنجيل التلاميذ» الذي يشرف على القاطعة الكبرى (الصعود إلى أورشليم). ويحاول عدد من الشراح أن يعيدوا بناء بدايات لوقا انطلاقاً من خبر الآلام ومن أقسام يستقل فيها الإنجيل الثالث عن مرقس: إما تلك التي تعود إلى رسالة يسوع في الجليل (١:٣ - ٤:٣٠)، وإما التي تعود إلى الصعود إلى أورشليم (١:١٩ - ٢٧، ٣٧ - ٤٤). ولكن براهينهم لم تقنع أحداً، فسامها بعضهم: خيال وسراب. وهناك فئة ثالثة تتخلى عن إيجاد إنجيل يقف خلف التقاليد الخاصة بلوقا، فيرى في هذه التقاليد عدة وثائق مكتوبة أو تقاليد شفوية.

فشل الشراح في بحثهم عن مراجع لوقا. ولكن هذا لم يمنعهم من اكتشاف المبدأ الذي اتبعه لوقا في تدوين إنجيله: هو المؤرخ وهو خادم الكلمة. سنعود إلى خادم الكلمة حين نتحدث عن الوجهة التعليمية في الإنجيل الثالث. أما المؤرخ فنكتشفه من خلال إشارتين. الأولى: وضع الأحداث في الزمن، والثانية: مسيرة الخبر الإنجيلي.

ب - وضع الأحداث

* نقدم أولاً النظرات الإجمالية البارزة: لوحة احتفالية تفتتح خبر ولادة يسوع (١:٢ - ٣)، وأخرى في بداية رسالة يوحنا (١:٣ - ٢) تعدد سبعة حكام في ذلك الوقت. ثم تأتي تحديدات زمنية نسبية تزيد على ما وجدناه في سائر الأنجيل: تم اجتماع المجلس الأعلى «حين طلع الصباح» (٢٢:٦٦)، لا خلال الليل. وفي مكان آخر يُلغى لوقا «المؤرخ» كلاماً يعتبره غير محدّد. قال متى ومرقس ان التجلي حصل «سنة ايام» بعد اعتراف بطرس بيسوع. أما لوقا فقال: «بعد نحو ثمانية ايام» (٩:٢٨). وإن تواضع المؤرخ يجعل لوقا يقول «قراءة» «نحو» أمام الأرقام المحددة. «وكانت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة أشهر» (١:٥٦). «وكان يسوع عند بدء رسالته، في نحو الثلاثين من عمره» (٣:٣٣). «وكانوا نحو خمسة آلاف» (٩:١٤؛ رج ٢٢:٥٩؛ ٢٣:٤٤).

ويلغى لوقا أيضاً ما يعتبره تكراراً. وجد تقليداً خاصاً يتحدث عن دعوة التلاميذ الأولين (١:٥ - ١١) فاستغنى عن خبر مر ١:١٦ - ٢٠. وهناك أخبار ترد في مرقس ولكن لوقا يوردها في سياق آخر. مثلاً، قول الكنيسة عن يسوع (مر ٣:٢٢ - ٣٠)، يرتبط بموقف ذويه منه. ولكن لوقا (١٤:١١ - ٢٣) يجعله في إطار الصعود إلى اورشليم. ونقول الشيء عينه عن يسوع في وطنه الناصرة (مر ٦:١ - ٦). أما لوقا ٤:١٦ - ٣٠ فقد جعل من هذه «الزيارة» إلى بلده برنامج عمله التبشيري (رج أيضاً مر ٩:٤٩ - ٥٠؛ لو ١٤:٣٤ - ٣٥؛ مر ١٠:٤١ - ٤٥؛ لو ٢٢:٢٤ - ٢٧).

ثم إن لوقا يتهرب من الخبرين القرييين. حدثنا مرقس عن تكثيرين للخبز، واحد يتوجه إلى العالم اليهودي (مر ٦: ٣٠ ي) وآخر يتوجه إلى العالم الوثني (مر ٨: ١ ي)، فألقى لوقا الخبر الثاني واحتفظ بالأول (٩: ١٠ - ١٧). وبدت لعنة التينة (مر ١١: ١٢ - ١٤، ٢٠ - ٢٥) تكراراً لمثل التينة التي لا تثمر (١٣: ٦ - ٩؛ ١٧: ٦) فلم يوردها. وكذا نقول عن السير على المياه (مر ٦: ٤٥ - ٥٢) القريب من تهدئة العاصفة، والدهن بالطيب في بيت عنيا (مر ١٤: ٣ - ٩) القريب من غفران حصلت عليه الخاطئة (لو ٧: ٣٦ - ٥٠). لماذا الحديث عن مشول يسوع أمام المجلس الأعلى مرة أولى ومرة ثانية (مر ١٤: ٥٥ - ٦٤؛ ١٥: ١)؛ تحدث مرقس (١٥: ٢٣) عن الخمرة الممزوجة بمر، أما لوقا (٢٣: ٣٦) فتحدث عن الخل.

وتحاشى لوقا القول بأن العاصفة هدأت في «يوم الأمثال» (مر ٤: ٣٥؛ لو ٨: ٢٢). وأشار إلى أن التجلي حدث في الليل: إعتاد يسوع أن يصعد الجبل ليصلي، كما اعتاد أن يصلي خلال الليل (٩: ٣٢، ٣٧؛ رج ٦: ١٢؛ ٢٢: ٣٩ - ٤٠). وتحدث عن صعود مثلث ليسوع إلى اورشليم، لا صعود واحد، كما نرى ذلك عند مرقس.

وأخيراً، يقدم لوقا بعض المعلومات الجغرافية: كفرناحوم هي مدينة في الجليل. والناصرة أيضاً (٤: ٣١؛ ١: ٢٦). «بحر الجليل» صار عنده «بحيرة جنسارت» (٥: ١؛ ٨: ٢٣). قال مت ١٠: ٣٣: «من أنكرني أمام الناس، أنكره أمام أبي الذي في السماوات». أما لوقا (٩: ٢٦) فتوسّع: «من يستحيي به وبكلامي يستحيي به ابن الانسان، متى جاء في مجده ومجد الأب والملائكة الأطهار» (رج مت ١٦: ٢٧؛ مر ٨: ٣٨). قال مت ٢١: ١: «ولما قربوا من اورشليم، ووصلوا إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون» (رج مر ١١: ١). أما لوقا فذكر بيت فاجي وبيت عنيا، عند الجبل الذي يقال له جبل الزيتون، فجاء قريباً من مرقس (لو ١٩: ٢٩).

* وهناك إشارات سلبية

لقد قام لوقا ببعض التصحيحات والتحديدات التي تدل على ضعفه كمؤرخ. ولكننا نجد غياب تفاصيل تدل على أن لوقا جهل فلسطين، وما عرف طرق البناء فيها (٥: ١٩؛ ٦: ٤٧-٤٩) وعوائدها (٦: ٢٩؛ ٧: ١٤؛ ٨: ٥-٦) ومناخها وطوبوغرافيتها (٤: ٢٩؛ ٩: ١٠؛ ١٢: ٥٥؛ ٢١: ٢٩). لماذا سمح لنفسه بأن ينقل بعض الأحداث من مواضعها ليجعلها في موضع آخر؟ مثلاً: حدث الناصرة (٤: ١٦-٣٠)، دعوة التلاميذ (٥: ٣-١١)، مقدمة الخطبة الأولى (٦: ١٢-١٩)، الحديث عن أسرة يسوع الحقيقية (٨: ١٩-٢١)، شفاء برتيماء (١٨: ٣٥-٤٣)، خبر العشاء الأخير والإنباء بالخيانة (٢٢: ١٥-٢٠، ٢١-٢٣).

فوضع المؤرخ في العصور القديمة يختلف عن وضعه اليوم فيما يخص الكرونولوجيا (تسلسل الأحداث) والطوبوغرافيا (تحديد الأماكن). فما يجب علينا هو أن ندرس أسباب هذه التبديلات.

- السبب الأول يرتبط بالتأليف الدراماتيكي. بدا للوقا أنه من الأفضل جمع كل ما يخص شخصاً من الأشخاص قبل أن ينتقل إلى موضوع آخر. مثلاً، رأينا يوحنا المعمدان في السجن قبل الوقت، بل قبل عماد يسوع (٣: ٢٠: جعل يوحنا في السجن). وهكذا فرغ المكان ليسوع. وفي موضع آخر تترتب الأخبار فتدل على واقع تاريخي معقول: فنحن نفهم جواب التلاميذ إلى نداء المخلص بعد سرد بعض المعجزات (٥: ١-١١). جعل لوقا خصوم يسوع مجموعة واحدة منذ البداية (٥: ١٧): «وكان ذات يوم يعلم، وبين الحاضرين بعض الفريسيين ومعلمي الشريعة أتوا من جميع قرى الجليل واليهودية ومن أورشليم». والباعة طردوا من الهيكل حالاً بعد دخول يسوع إلى أورشليم (١٩: ٤٥-٤٦). ويتوزع خبر العشاء الأخير بطريقة منطقية: العشاء السري، خيانة يهوذا، الحديث عن السلطة التي هي خدمة، وأخيراً الإنباء بإنكار بطرس (٢٢: ١٤-٢٨). ونقول الشيء عينه عن

مشهد انكار بطرس ليسوع (٢٢: ٥٤ - ٦٢): بطرس يتبع يسوع عن بعد، بطرس قرب النار. رآته جارية، ثم رآه رجل. وما إن أعلن بطرس ما أعلن من جهله ليسوع حتى صاح الديك.

- السبب الثاني يرتبط بالبناء اللاهوتي الذي أرادته لوقا منطلقاً من المراجع التي في يده. نحن هنا في مجال يحسّ فيه المؤرخ أنه غريب عنه.

فالقاطعة الكبرى تقدّم لنا مثلاً له مدلوله. تبدو وكأنها ترسم أمامنا رسماً دقيقاً لسفر إلى اورشليم. تكرر ثلاث مرات أن يسوع يصعد إلى اورشليم. المرة الأولى في ٩: ٥١ - ٥٣: «ولما حانت أيام ارتفاعه عزم على الاتجاه إلى اورشليم». والمرة الثانية في ١٣: ٢٢: «وكان يمر بالمدن والقرى، فيعلّم فيها، وهو سائر إلى اورشليم». نحن هنا أمام انتقال إلى قسم جديد في هذا الصعود (١٣: ٢٢ - ١٧: ١٠). والمرة الثالثة في ١٧: ١١: «وفيما هو سائر إلى اورشليم، مرّ بالسامرة والجليل». تلك هي الطريق التي سيتخذها الرسل حين ينطلقون إلى الرسالة (أع ١: ٨). ولقد قابل النقاد هذا الصعود المثلث بما في إنجيل يوحنا (١: ٧ - ١٣؛ ١٠: ٢٢؛ ١١: ٥٤). هنا يلتقي لوقا مع يوحنا ليشدّد على أهمية اورشليم في حياة يسوع ولا سيّما في موته.

ونحن نكتشف هذا البناء اللاهوتي في إغفال لوقا لمعطيات طوبوغرافية نجدها عند مرقس. ففي ٥: ١٧ و ٩: ٤٦ لا يذكر لوقا كفرناحوم (رج مر ٢: ١؛ ٩: ٣٣)، كما لا يذكر بحر الجليل في ٥: ٢٧؛ ٦: ١٧؛ ٨: ٤ (رج مر ٢: ١٣؛ ٣: ٧؛ ٤: ١). وفي ٩: ٤٣ ب لا يذكر لوقا بحر الجليل (رج مر ٩: ٣٠)، وفي ٨: ٣٩ لا يذكر المدن العشر (ديكابوليس، رج مر ٥: ٢٠). وخلال صعود يسوع إلى اورشليم لا يتوقف لوقا عند المواقع الجغرافية. مثلاً، لا يذكر قيصرية فيلبس (رج مر ٨: ٢٧). ولا يشير إلى الطريق (رج مر ١٠: ١٧)، ولا إلى الهيكل (مر ١٢: ٣٥)، ولا إلى الخزانة (مر ١٢: ٤١). لا يقول عن يسوع إنه جلس على جبل الزيتون (مر ١٣: ٣) أو إنه وصل إلى جتسيماني (مر ١٤: ٣٢). هل نقول أنه جهل هذه الأماكن، أم أنه لم يرد التوقف عندها فيلتصق نظرنا بها؟ فكل مكان يمكن أن يكون قيصرية فيلبس، وفيه يطلب منّا يسوع أن نتخذ موقفاً تجاهه: من أنا في رأيكم أنتم؟

ج - مسيرة الخبر الإنجيلي

* نجد أول ما نجد خبراً متتابعاً للأحداث.

فلوقا يعرف فن الانتقالات. إنه يقدم إلى القارىء خبراً متتابعاً للأحداث. وهو بذلك يتفوق من ناحية الأسلوب على مرقس. ففي ٣٣:٥، يطرح الفريسيون أنفسهم بعد أن انتقدوا يسوع لأنه يأكل مع الخطاة، يطرحون سؤالاً حول صوم التلاميذ. نحن أمام خبرين يتجاوران عند مرقس، ويقعان في سياق واحد. قابل ١١:٨ (مر ٤:١٣) و ١٦:٨ (مر ٤:٢١) و ٤٠:٨ (مر ٥:٢١) و ٢٢:٩ (مر ٨:٣١)، و ٢٨:٩ (مر ٩:٢). «واليكم مغزى المثل». «ولما رجع يسوع». «وقال: يجب». «وبعد هذا الكلام».

وفي مقاطع أخرى، يهيم لوقا الطريق للانتقالات. فكرازة يوحنا المسيحانية قد هيأتها الحاشية حول تأثير كرازة التوبة هذه على الجموع: تساءلوا: أما يكون المسيح (١٥:٣)؟ ونقول الشيء عينه عن ١:٤: «ورجع يسوع من الأردن، وهو ممتلئ من الروح القدس». هذا الروح الذي ناله في المعمودية. ونقرأ في ١:٥: «وازدحم الجمع عليه لسماع كلمة الله». وهكذا نستعد للنداء الذي سيسمعه التلاميذ الأولون.

ويوجّه لوقا خبره بتعليقات تهيم الأحداث اللاحقة. ترك إبليس يسوع حتى الزمن المحدد (١٣:٤). وهو سيعود في ٣:٢٢، ٥٣. تحدّث عن يوحنا المعمدان الذي «أقام في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل» (٨٠:١). وهكذا تهيأنا لأن نقرأ في ٣:٣: «كانت كلمة الله إلى يوحنا بن زكريا في البرية». ونقرأ في ٢٠:٣ عن سجن يوحنا، فنستعد لسماع هيرودس يقول: «أنا قطعت رأس يوحنا» (٩:٩). وهيأت ١:٨ - ٣ الطريق أمام ٢٣:٤٩ - ٥٥...

* ونجد خبراً مركزاً على أورشليم

حين نقرأ إنجيل لوقا نكتشف فته الرفيع في تركيز إنجيله على أورشليم. ترك الإنجيل الثالث انطلاق يسوع إلى حدود الجليل (مر ٦: ٤٥ - ٨: ٢٦). وأغفل اسم قيصرية فيلبس (مر ٨: ٢٧) والجليل (مر ٨: ٣٠). وحوّل كلام يسوع عن موضع اللقاء بعد القيامة. نقرأ في مر ١٤: ٢٨: «ولكن بعد قيامتي أسبقكم في الجليل». وذكر الملاك النسوة بهذا الكلام: «إذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس: إنه يسبقكم إلى الجليل» (مر ١٦: ٧). أما لو ٦: ٢٤ - ٧ فقال: «تذكروا ما قاله لكم حين كان في الجليل».

إذن، نحن أمام خبر موجّه نحو هدف محدّد. هو أورشليم. بدأ الإنجيل الثالث في أورشليم (١: ٥) وانتهى في أورشليم (٢٤: ٥٢ ي). وفي إنجيل الطفولة سيذكر صعودان إلى أورشليم. الأول، يوم كان الطفل ابن أربعين يوماً، صعدا به إلى أورشليم (٢: ٢٢). والثاني، لما بلغ الصبي إثنتي عشرة سنة (٢: ٤٢). وفي خبر التجارب، ينتهي الخبر في أورشليم (٤: ٩ - ١٢)، لا على الجبل كما في متى (٤: ٨ - ١٠).

* وهناك الصعود إلى أورشليم

تبدو القاطعة الكبرى بشكل صعود احتفالي إلى أورشليم. فقد جمعت الأخبار والأقوال في هذا الإطار. هناك خطب هجومية (١١: ١٤ - ١٤: ٢٤) يجمعها موضوع واحد. وهناك أقوال مرتبة حول كلمة تتكرّر في أكثر من مقطع (١٢: ١ - ١٢: ١٢؛ ١٤: ٢٥ - ٣٥؛ ١٦: ١٦ - ١٨).

ويركز لوقا، شأنه شأن متى (قد يكون مصدر الإنجيليين قد ركّز على ذلك)، على الرقم ثلاثة: ثلاثة أخبار دعوة: «قال له رجل... وقال لآخر... وقال له آخر» (٩: ٥٧ - ٦٢). ثلاثة أقوال عمّا يميّز التلاميذ: «أوليئكم سلطاناً تدوسون به الحيات... إفرحوا بأن أسماءكم مكتوبة في السماء... طوبى للعيون التي تبصر ما أنتم تبصرون» (١٠: ١٨ - ٢٤). ثلاث تعليمات عن الصلاة: «قال لهم: إذا

صليتم فقولوا... وقال لهم: من منكم له صديق... إني أقول لكم: إسألوا تُعطوا» (١: ١٠ - ١٣). ثلاثة أمثال عن رحمة الله (١: ١٥ - ٣٢)، ثلاثة أقوال عن الشريعة (١٦: ١٦ - ١٨)، ثلاثة آراء مختلفة (١: ١٧ - ٦).

قد يُذكر الظرف الذي فيه قيلت كلمات يسوع. ولكن قد يكون الرباط بين المقطوعات رخوًا: بعد ذلك (١: ١٠)، في تلك الساعة (١: ٢١). وقد لا يكون رباط البتة. مثلاً في ١٠: ٢٥: «وإذا أحد علماء الشريعة».

جمع لوقا هذه المواد في إطار واضح، فألغى الإشارات الطبوغرافية لتتوجّه أنظارنا فقط إلى أورشليم. وهكذا جاءت النتيجة مذهلة.

في ٩: ٥١، يواجه عبد الله المتألم النزاع (رج أش ٥٠: ٦ حسب السبعينية)، أو بالأحرى يعود إلى الله (رج يو ١٣: ١: «ينتقل من هذا العالم إلى الآب»). وفي ٩: ٥٣ نجد أن السامريين لا يستقبلون يسوع «لأنه يتجه إلى أورشليم» (وجهه موجه).

ويتابع لو ٩: ٥٦: «فمضوا إلى قرية أخرى». ما اسمها؟ هذا ما لا يقوله لوقا. ثم يشير إلى أنهم «كانوا في الطريق». فجاءت ثلاثة أخبار متلاصقة تجمعها كلمة «تبع»: «أتبعك حيث تمضي... قال الآخر: إتبعني... أتبعك يا رب». وفي ١٠: ١ يتحدث الإنجيل عن «كل مدينة أو مكان أو شك أن يذهب إليه». وبعد عدد من الخطب، يتكلم النص عن عودة التلاميذ، عن مثل المسافر اليهودي الذي أعانه السامري. ويستعيد لوقا خبره: «وبينما هم سائرون (في الطريق)، دخل قرية» (١٠: ٣٨). قد تكون بيت عنيا، وهذا أمر يعرفه لوقا ولكنه لا يذكره.

وتأتي بعد ذلك عبارات غامضة «كان يصلي في بعض الأماكن» (١: ١١). «وكان يمرّ بالمدن والقرى، فيعلّم فيها، وهو سائر (في طريقه) إلى أورشليم» (١٣: ٢٢). بعد هذا، جاء من نصيح يسوع: «أخرج واذهب من هنا» (١٣: ٣١، ولكن من أين؟). أما هو

فأجاب: «يجب أن أتابع طريقي لأنه لا ينبغي لنبي أن يهلك في خارج أورشليم» (٣٣: ١٣). وبعد هذا وجّه يسوع إلى أورشليم كلام الإنذار: «يا أورشليم، يا أورشليم» (٣٤: ١٣).

ولكننا لم نصل بعد إلى أورشليم. أعطى يسوع بعض التعاليم خلال تناول الطعام (١٤: ١ - ٢٤). ثم قال الإنجيل: «وكانت جموع كثيرة تسير (في الطريق) معه» (١٤: ٢٥). الكل هم في الطريق. وجاء تعليم في الأمثال. وبعد هذا قال لوقا عن يسوع: وبينما هو سائر (في الطريق) إلى أورشليم، مر بالسامرة والجليل (أو على حدود السامرة والجليل)، ودخل قرية من القرى (١٧: ١١ - ١٢).

وبعد هذا «الطريق» التقى لوقا بخبر مرقس: «ها نحن صاعدون إلى أورشليم، فيتّم جميع ما كتب الأنبياء» (٣١: ١٨). ويستعيد الإنجيل الثالث تحديداً طبوغرافياً أخذه من التقليد المشترك: «دخل يسوع إلى أريحا» (١٩: ١؛ رج ١٨: ٣٥). ولكن لوقا يعود إلى طريقته الخاصة: «قال يسوع أيضاً مثلاً لأنه كان قريباً من أورشليم، ولأنهم كانوا يظنون أن ملكوت الله يوشك أن يظهر في الحال» (عاجلاً، لا يستطيع الناس أن ينتظروه) (١٩: ١١).

ثم يرد الدخول الاحتفالي إلى أورشليم. «بعد أن قال هذا، تقدم (سار في الرأس) صاعداً إلى أورشليم. ولما قرب من بيت عنيا» (١٩: ٢٨ - ٢٩). «ولما قرب من منحدر جبل الزيتون» (١٩: ٣٧). «ولما اقترب، ورأى المدينة بكى عليها» (١٩: ٤١). «وحين دخل الهيكل» (١٩: ٤٥).

وسائل أدبية قد تبدو غريبة، ولكن تأثيرها كبير جداً. ثم إن القاطعة الكبرى ليست جسماً غريباً في الإنجيل. هذا الإنجيل بدأ في أورشليم. ويسوع الذي عاد «منتصراً» إلى المدينة المقدسة، يكتفي بأن «يقيم خيمته» في جبل الزيتون ومن هناك سيُقاد إلى السجن، إلى أورشليم، حيث يُدان ويُحْكَم عليه ويُصَلَّب. وفي أورشليم سيقوم ويظهر للتلاميذ. ومن بيت عنيا سيصعد إلى السماء. ويعود التلاميذ إلى

أورشليم وهم يستبحون الله. وسيعلن سفر الأعمال انتشار الإنجيل من أورشليم إلى أقاصي الأرض (أع ١: ٨).

من هذا التحليل لبنية لوقا الأدبية، نفهم أن الإنجيل الثالث، شأنه شأن إنجيلي متى ومرقس، ليس سيرة حياة يسوع كما يريدّها العالم الحديث. وزّع لوقا مواده أخذاً بعين الاعتبار مراجعته، فكان «مؤرخاً». ولكنه كان قبل كل شيء «خادماً للكلمة» وحامل إنجيل البشرى. هو لم يتلاعب بمراجعته، فاقصر فنه على تنظيم بعض المعطيات التقليدية، وعلى إبراز هذه المعطيات في إطار النظرة المشتركة التي عرفها متى ومرقس.

٥ - الوجهة التعليمية

حين نقرأ إنجيل مرقس نرى أنه قدّم لنا سر الإله الإنسان في شخص يسوع. وحاول متى أن يعرض لنا تفسيراً ينطلق من الكتاب المقدس في عهده القديم. لم يجهل لوقا نظرة مرقس ولا نظرة متى (هناك براهين كتابية عديدة: ١٧: ٤؛ ٣١: ١٨؛ ١٧: ٢٠؛ ...). ولكنه قدم نظرة أخرى، نستطيع أن نعتبرها أوسع مما في الإنجيلين الأولين.

سعى لوقا إلى عرض تاريخي لأحداث الخلاص. حاول أن يقدم «رسمة تاريخ»، لفهم الأحداث بأسبابها. هو لا يكتفي بإيراد أحداث ووقائع من حياة يسوع. بل هو يفسرها. ولكن، بما أنه لم يكن شاهد عيان، فلم يستطع أن يقدم مثل يوحنا «إنجيلاً روحياً». غير أنه عرف مع الجماعة المسيحية الأولى أن يسوع قام، فأسقط على أحداث حياة يسوع المذهلة نور سر الآلام والقيامة، وهو سيّين في سر الأعمال انتصار إيمان الكنيسة عبر الاضطهادات.

لوقا هو إنجيلي مخطط الله. فإذا أردنا أن نبسط الأمور قلنا: سر الفصح هو قلب هذا المخطط، والروح القدس هو محققه، وجماعة المؤمنين هي غايته.

أ - سر الفصح

* إنباءات الآلام والقيامة

إن إنباءات الآلام والقيامة تنتمي إلى التقليد المشترك بين متى

ومرقس ولوقا، فهناك ثلاثة إنباءات تتوزع صعود يسوع إلى أورشليم (مت ١٦: ٢١ وز؛ ١٧: ٢٢ - ٢٣ وز؛ ٢٠: ١٨ - ١٩ وز). أما عند لوقا، فيسبق الإنباء الأول تنبيةً خاص بلوقا: «ضعوا جيّداً في رؤوسكم هذه الكلمات» (٩: ٤٤). ويرتبط الإنباء الثالث ببرهان كتابي (١٨: ٣١). ويتفرّد لوقا فيقول: «ولكنهم لم يفهموا كل هذا. وظلت هذه الكلمة مخفية عنهم، فلم يفهموا معناها» (١٨: ٣٤). وهكذا شدد لوقا على ما شدد عليه مرقس في الإنباء الثاني (مر ٩: ٤٥)، وما أشار إليه متى في الإنباء الأول بالنسبة إلى بطرس وحده (مت ١٦: ٢١ - ٢٣).

وزاد لوقا على هذه الإنباءات وحياً وصل إلى التلاميذ ساعة التجلي حول حضور موسى وإيليا على الجبل: لقد كان موضوع محادثتهما مع يسوع نهاية يسوع في أورشليم (٩: ٢١). والملاك سيذكر النسوة بهذه الإنباءات بعد دراما الآلام (٧: ٢٤)، ويسوع القائم من الموت سيذكر المسافرين إلى عماوس (٢٤: ٢٥ - ٢٦)، كما سيذكر الرسل في العلية (٢٤: ٤٥ - ٤٦) بهذه الآلام التي تسبق المجد.

وحسب لوقا، يرغب يسوع في «معمودية» الآلام (١٢: ٥٠)، ويعلن أن على كل نبي أن يموت في أورشليم (١٣: ٣٢ - ٣٣)، وأن على ابن الانسان أن يتألم ويُردّل قبل أن يظهر كالبرق (١٧: ٢٤ - ٢٥). غير أن لوقا لم يذكر الحوار الذي جرى بين يسوع وتلاميذه بعد التجلي: «كذلك سيعاني ابن الانسان منهم الآلام» (مت ١٧: ١٢؛ مر ٩: ١٢): «يعاني آلاماً شديدة ويُزدرى».

وهناك إشارات أخرى مثل الصعود إلى أورشليم (رج مت ٢٠: ١٧ وز). كما نجد بعض الرموز في إنجيل الطفولة. فيسوع هو علامة خلاف (٢: ٣٤) وهذا ما يظهر خصوصاً ساعة الآلام. وسيُوجد يسوع في الهيكل «بعد ثلاثة أيام» (٢: ٤٦). هي الأيام التي تفصل الموت عن القيامة. ونقول الشيء عينه عن كرازة يسوع في الناصرة (٤: ١٦ - ٣٠). جعلها لوقا في رأس الحياة العلنية: يسوع هو موضوع إعجاب (٤: ٢٢)،

ثم موضوع بغض ومحاولة قتل (٢٩:٤). ولكنه اجتاز بينهم متابعاً طريقه (٣٠:٤؛ رج ٣٠:٧؛ ٢٠:٨). فهو من الآن قد انتصر على الموت.

* ألقاب يسوع المسيح

محدثنا متى (٩:٤ وز) عن يسوع الذي يعرف الأفكار العميقة في القلوب. وهذا ما يشدد عليه لوقا في ٨:٦ (بمناسبة شفاء يوم السبت: «علم أفكارهم»)، وفي ٩:٤٧ بعد جدال بين التلاميذ: «فعلم يسوع ما يساور قلوبهم» (حرفياً: مباحثة قلوبهم، مر ٩:٣٣). ويسوع يعرف أيضاً الآب كما يعرفه الآب: «أحمدك يا أبت، رب السماء والأرض... ما من أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا من يعرف الآب إلا الابن ومن شاء الابن أن يكشفه له» (١٠:٢١ - ٢٢ = مت ١١:٢٥ - ٢٧).

يتفرد لوقا فيسمي يسوع كما سماه المسيحيون الأولون: كيرىوس، الرب. نقرأ خبر إقامة شاب نائين: «فلما رآها الرب، أخذته الشفقة عليها» (٧:١٣). وفي إرسال وفد يوحنا المعمدان: «أرسلهما إلى الرب يسأله» (٧:١٩؛ رج ١٠:١، ٣٩، ٤١...). وهذا اللقب يوازي لقب المسيح الممجّد كما نقرأه في فل ٢:١١: «يشهد كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب تمجيداً لله الآب» (رج ١ كور ١٦:٢٢: «إن كان أحد لا يحب الرب»).

شدّد مرقس على السر المسيحاني. ومع أن لوقا لم يتخلّ عن هذا الموضوع (رج ٤:٣٥، ٤١؛ ٥:١٤؛ ٨:٥٦؛ ٩:٢١)، فلقب الرب غطى على لقب ابن الإنسان. وهذا ما نراه واضحاً في ٨:٢٦: تحدث متى (١٦:٢٧) ومرقس (٨:٣٨) عن مجد الله فقط. أما لوقا فتحدث أيضاً عن مجد الابن الشخصي الذي سيظهره يسوع في تجليه. إن ابن الإنسان الذي نستحيي به هنا هو ذلك الممجّد منذ الآن بانتظار المجد الفصحي (٢٤:٢٦).

فالمسيح عند لوقا هو الملك. هذا ما نكتشفه لدى الدخول إلى

أورشليم: «تبارك الآتي، الملك، باسم الرب» (٣٨: ١٩). وحين يقدم الإنجيل الثالث مثل الأمناء، فهو يختلف فيه عن مثل الوزنات كما يقدمه متى. إنه يشدد على الطابع الملوكي: «كانوا يظنون أن ملكوت الله... لا نريد هذا ملكاً علينا... فلما رجع بعدما حصل على الملك... فليكن لك الملك (السلطان)... أولئك الذين لم يريدوني ملكاً عليهم» (١٩: ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ٢٧؛ رج مت ٢٥: ١٤ - ٣٠ الذي يتحدث عن رجل لديه عبيد).

ب - ملكوت الله والروح القدس

* ملكوت الله

البشرى هي ملكوت الله (٤: ٤٣؛ ٨: ١) كما تحدثت عنه الكرازة المسيحية الأولى. (١٦: ١٦؛ ١٨: ٢٩؛ أع ١: ٣؛ ٨: ١٢). حين يورد لوقا هذه اللفظة، فهو لا يدل على الواقع الإلهي الذي يعمل على الأرض (كما عند متى)، بل الملكوت الإسكاتولوجي أو السماء، الذي يُشرف على تصرفنا على الأرض ويتطلب منا الإيمان.

نقرأ مثلاً في ١٣: ٢٧ - ٢٩: «فيقول لكم: لا أعرف من أين أنتم. إليكم عني يا فاعلي السوء جميعاً! فهناك البكاء وصريف الأسنان، إذ ترون إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله، وترون أنفسكم في خارجه مطرودين. وسوف يأتي الناس من المشرق والمغرب، ومن الشمال والجنوب، فيجلسون إلى المائدة في ملكوت الله» (١٣: ٢٧ - ٢٩).

نحن هنا أمام الديان في نهاية الأزمنة، نحن في إطار الوليمة المسيحانية. ونقرأ أيضاً في ١٤: ١٥: «وسمع ذلك الكلام أحد الجلساء على الطعام فقال له: طوبى لمن يتناول الطعام في ملكوت الله». نحن هنا أيضاً في جو الوليمة المسيحانية كما في رؤ ١٩: ٩: «طوبى للمدعوين إلى وليمة عرس الحمل».

ومثل الزارع لا يعني الحضور السري للملكوت، كما عند متى

ومرقس، بل متطلبة الإيمان. قال يسوع: «والذين على جانب الطريق هم الذين يسمعون. ثم يأتي إبليس فينتزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا». أجل، إن الكلمة تُقبل بالإيمان. وهذا الإيمان يقود إلى الخلاص، ونقرأ أيضاً في ١٥: ٨: «وأما الذي في الأرض الطيبة فيمثل الذي يسمعون الكلمة بقلب طيب وكريم ويحفظونها، فيثمرون بثباتهم». يتحدث لوقا عن الأخطار التي تهدد الكلمة، فيطلب من المؤمنين الثبات في المحن. فقد قال لنا ربنا في مكان آخر: «بصبركم تقتنون نفوسكم» (١٩: ٢١).

ويمكننا أن نقابل مت ٢٨: ١٦ وز الذي يتحدث عن مجيء الملكوت مع لو ٩: ٢٧ الذي يتحدث عن رؤية الملكوت. فإن كان الملكوت حاضراً على الأرض (٢١: ١٧)، فهو حاضر في شخص ابن الإنسان (٢٢: ١٧). وهذا ما يفسر كلام يسوع: سيأتي الملكوت (٢: ١١): «ليأت ملكوتك»، ولكنه قد جاء وحل بيننا. قولوا للناس: «إقترب منكم ملكوت الله» (٩: ١٠). وزاد يسوع في معرض دفاعه عن نفسه: «إذا كنت باصبع الله أطرّد الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله» (٢٠: ١١).

* الروح القدس

إذا كان ملكوت السماوات يبدو في وجه ديناميكي عند متى، فعند لوقا، يصبح الروح القدس هذا الواقع الإلهي الذي يعمل على الأرض. ليس الملكوت هو الذي ينزل من السماء، بل الروح القدس الذي يحلّ كعطية وموهبة. والذي يعمل الآن ويدل على قدرة الله هو الروح. هذا ما أوضحه لوقا في أع ١: ٨: «الروح القدس ينزل عليكم، فتنالون قوة». تساءل الرسل: هل هذا وقت إعادة الملك إلى إسرائيل؟ فحوّل يسوع أنظارهم عن هذا الملكوت وثبّتها على الروح القدس: إنه القوة، إنه النازل.

الروح القدس هو الموهبة العظمى. قال يسوع: «إذا كنتم أنتم الأشرار تعرفون أن تعطوا العطايا لأبنائكم، فكم أحرى بأبيكم الذي في

السماء أن يعطي الروح القدس لمن يسأله» (١١: ١٣). شدّد لوقا على عطية الروح القدس، أما متى ١١: ٧ فقال: «العطايا الصالحة». ونلاحظ في السياق عينه اختلافه في ١١: ٢. قال النص الأصلي: «ليأت ملكوتك». أما الاختلافه فقالت: «ليأت علينا روحك القدوس وليطهرنا، أو ليطهرنا».

والروح القدس هو في الإنجيل قوة من النوع النبوي. هناك أشخاص يحرّكهم الروح: يوحنا (١٥: ١، ٨٠) ووالداه، زكريا (١: ٦٧: «امتلاً أبوه زكريا من الروح القدس») وأليصابات (١: ٤١: «امتلات من الروح القدس»). وسمعان الشيخ الذي نزل الروح القدس عليه، الذي ألهمه الروح «أنه لا يرى الموت قبل أن يعاين مسيح الرب فأتى الهيكل بدافع من الروح» (٢٥: ٢ - ٢٧).

هذا الروح حضر وقت الحبل بيسوع (١: ٣٥). ومنذ البداية كان يسوع «ممتلئاً من الروح القدس» (١: ٤). «بقوة الروح، ترك يسوع البرية ليجترح المعجزات (٤: ١٤)، بهذه القوة التي تجعله يشفي المرضى (٤: ١٧) ويطرد الشياطين «باصبع الله» (١١: ٢٠؛ رج مت ١٢: ٢٨ الذي يقول: «بروح الله أطرده الشياطين»). بالروح يتهلل يسوع (١٠: ٢١) فيحمد الله. إنه ذلك الذي «مسحه الله بالروح والقوة» كما يقول القديس بطرس (أع ١٠: ٣٨). وأخيراً، الروح هو الذي يعلم التلاميذ ماذا سيقولون خلال الاضطهادات: «لا يهتمكم كيف تدافعون عن أنفسكم، أو ماذا تقولون. لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوا» (١٢: ١٢؛ مت ١٠: ٢٠؛ رج مر ١٣: ١١: لستم أنتم المتكلمين، بل الروح القدس).

ج - مناخ إنجيل لوقا

* مناخ المديح والتمجيد

يتردّد في إنجيل لوقا المديح وفعل الشكر وتمجيد الله. فمريم تعظم الرب (١: ٤٦: ي)، وزكريا يبارك الله (١: ٦٦، ٦٨: ي)، والملائكة في بيت

لحم يسبّحون الله ويقولون: المجد لله في العلى (١٣: ٢ - ١٤). سمعان الشيخ يبارك الله ويسلم حياته إلى الله (٢٨: ٢ - ٢٩)، وحنة النبية تحمد الله وتحدث بأمر الطفل كل من كان ينتظر افتداء أورشليم (٣٨: ٢).

شُفي المخلّع فمضى إلى بيته وهو يمجد الله (٢٥: ٥). ورأت الجموع أموراً عجيبة فمجدت الله (٢٦: ٥). قام ابن أرملة نائين، فاستولى الخوف على الناس ومجدوا الله (١٦: ٧). وانحلت المنحنية الظهر، فأخذت تمجد الله (١٣: ١٣). رأى الأبرص أنه برىء فرجع وهو يمجّد الله بأعلى صوته (١٥: ١٧)، وكذا فعل الأعمى (٤٣: ١٨) والتلاميذ حين دخلوا أورشليم (٣٧: ١٩ - ٣٨) والضابط عند موت يسوع (٤٧: ٣٣). ويقدم لنا لوقا لوحة في نهاية إنجيله: رجع التلاميذ إلى أورشليم «وكانوا يلزمون الهيكل ويباركون الله» (٥٣: ٢٤).

وسنسمع صدى هذا التمجيد والتسبيح في فم الجماعة المسيحية الأولى. فهم خلال اجتماعاتهم «يسبحون الله وينالون حظوة عند الشعب» (أع ٤٧: ٢). وحين شُفي المخلّع على يد بطرس، مشى وأخذ «يسبح الله» (أع ٨: ٣)، بل إن «جميع الناس كانوا يمجّدون الله على ما جرى» (أع ٤: ٢١). أدخل بطرس أول وثني إلى الكنيسة، فكان دخوله إيذاناً بتمجيد الله (أع ١١: ١٨). وفتح بولس الباب للوثنيين، ففرحوا وتجدوا كلمة الرب (أع ١٣: ٤٨؛ ٢١: ٢٠).

* مناخ الفرح

الفرح، البهجة، التهليل، إنشاد السعادة. تلك هي الكلمات التي تتردد في إنجيل لوقا. والفعل «أنجل» (أي حمل الإنجيل) يحمل دينامية لا يحملها الاسم. فهو يعني بشر، حمل البشرى، حمل الخبر المفرح.

نجد فعل «أنجل» في مت ٥: ١١: يسوع يحمل البشارة إلى الفقراء». ويحدثنا مر ٤: ١٦ (= مت ١٣: ٢٠ = لو ٨: ١٣) عن فرح الذين يتقبلون الكلمة. ويشير مت ١٠: ٢ إلى فرح المجوس حين شاهدوا الطفل، إلى فرح التلميذ الذي اكتشف كنزاً مخفياً في حقل (مت ١٣: ٤٤)، إلى الفرح الذي يملأ السماء (مت ٢١: ٢٥، ٢٣).

ادخل فرح سيدك)، إلى فرح المرأتين اللتين جاءتا إلى القبر يوم القيامة: تركتا القبر بسرعة وهما في خوف وفرح عظيم (مت ٢٨: ٨).

هذا في متى ومرقس. أما في لوقا فالفرح يحتاج إنجيله. فمولد يوحنا سيكون مناسبة فرح وابتهاج، فيفرح بمولده أناس كثيرون (١: ١٤). فرحت به أليصابات وفرح جيرانها وأقاربها معها (١: ٥٨). حين بشر الملاك مريم قال لها: إفرحي، إبتهجي (نقول عادة السلام وهذه الكلمة لم تعد تكفي لأنها صارت مبتذلة في حياتنا اليومية) (١: ٢٨). حين سمعت أليصابات سلام مريم قفز الولد من الفرح في بطنها (١: ٤١، ٤٤). هذا الفرح الذي به بشر الملائكة الرعاة (٢: ١٠).

عاد التلاميذ من الرسالة وهم فرحون (١٠: ١٧)، فحدّد لهم يسوع الباعث الحقيقي لفرحهم (١٠: ١٢)، وأعلن فرحه هو وابتهاجه (١٠: ٢١). فرحت الجموع حين رأت المعجزات تتمّ أمامها (١٣: ١٧)، وفرح زكا العشار حين استقبل يسوع (١٩: ٦) كما فرح التلاميذ في دخول يسوع إلى أورشليم (١٩: ١٧) وتلميذا عماوس اللذان كانا يسيران كئيبيّن (٢٤: ١٧). ظهر يسوع للتلاميذ فلم يصدّقوا من الفرح (٢٤: ٤١). ولما انفصل عنهم في صعوده «رجعوا إلى أورشليم وهم في فرح عظيم» (٢٤: ٥٢). انتهت رسالة يسوع المنظورة، وبدأت رسالتهم هم.

يفرح البشر ويفرح الله حين يستقبل الخطيء العائد. ففرحه بخاطيء يتوب يشبه فرح الرجل الذي أضاع خروفاً ثم وجده (١٥: ٣ - ٧)، والمرأة التي أضاعت درهماً فوجدته (١٥: ٨ - ١٠). فرح الله يعبر عنه الأب الحنون. عاد الإبن الضال فأعلن الأب للأخ الأكبر: «وجب علينا أن نتنعم ونفرح، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد» (١٥: ٣٢). هذا الفرح السماوي هو ما وعد به الله المضطهدين، بل دعاهم إليه حين يغضهم الناس ويرذلونهم ويشتمونهم (٦: ٢٣ = مت ٥: ١٢؛ رج أع ٥: ٤١).

طوبى، هنيئاً، ما أسعد الذين يسمعون البشرى! هناك التطويبات الأربع في لوقا (٢٠: ٦ - ٢١)، وهناك غيرها تتوزع في إنجيله. طوبى ليوحنا إن عرف أن لا يتشكك بيسوع (٢٣: ٧ = مت ١١: ٦)، طوبى للأعين التي ترى ما يراه التلاميذ (٢٣: ١٠ = مت ١٣: ١٦)، طوبى للعبء الأمين (٤٣: ١٢ = مت ٢٤: ٤٦).

وعند لوقا بصورة خاصة، الطوبى للتي آمنت (٤٥: ١)، ولريم التي تهنتها كل الأجيال بسعادتها (٤٨: ١). طوبت امرأة من الجمع تلك التي حملت يسوع في بطنها وأرضعته من ثديها (٢٧: ١١). وطوب يسوع «من يسمع كلمة الله ويحفظها» (٢٨: ١١). كما طوب الخدام الساهرين (٣٧: ١٢ - ٣٨)، وذاك الذي يدعو الفقراء والعرج والعميان الذين لا يقدر أن يكافئوه (١٤: ١٤).

ويرتبط السلام بهذه الطوبى، بهذا الفرح. لا ذلك السلام الذي يحمله العالم (١٢: ٥١ = ت ١٠: ٣٤؛ رج يو ١٤: ٢٧)، بل ذلك الذي يعطيه يسوع (٧: ٥؛ ٨: ٤٨ = مر ٥: ٣٤) منذ ولادته. هذا السلام لم تعرف أورشليم أن تتقبله (١٩: ٤٢)، مع أن التلاميذ أعلنوه فقالوا: «السلام في السماء والمجد في العلى» (١٩: ٣٨). هذا السلام أعطاه يسوع القائم من الموت (٢٤: ٣٦؛ رج يو ٢٠: ١٩، ٢١: ٢٦) لأنه جاء يبشر (فعل أنجل) بالسلام (أع ١٠: ٣٦). وعلم تلاميذه أن يفعلوا مثله: «أي بيت دخلتم قولوا: «السلام على هذا البيت» (١٠: ٥ = مت ١٣: ١٠).

* مناخ الصلاة

يتحدث الإزائيون عن يسوع الذي يصلي حين تكثير الأرغفة (٩: ١٦ وز) وفي العشاء السري (٢٢: ١٧، ١٩ وز). يحدثنا متى عن يسوع الذي سبّح وهلل (أنشد مزامير الهلال: ١١٣ - ١١٨) (مت ٢٦: ٣٠ = مر ١٤: ٢٦) قبل أن يخرج إلى جبل الزيتون. كما أنه صلى بعد تكثير الأرغفة: «ولما صرفهم صعد الجبل ليصلي في العزلة» (مت ١٤: ٢٣ = مر ٦: ٤٦).

ويتفرّد لوقا بالحديث عن يسوع يصليّ حين ينال المعمودية (٢١: ٣)، وخلال حياته الرسولية (٥: ١٦): «كان يعتزل في البراري ويصلي»، رج مر ١: ٣٥). صليّ يسوع قبل أن يختار الإثني عشر (٦: ١٢)، وقبل أن يعترف به بطرس «مسيح الله» (٩: ١٨)، وخلال التجلي (٩: ٢٨ - ٢٩). عاد التلاميذ من الرسالة فتهلل يسوع ورفع صوته في الصلاة (١٠: ٢١): «أحمدك يا أبت». رآه التلاميذ يصلي فسألوه: «علّمنا أن نصلي» (١١: ١). صليّ يسوع ليثبت بطرس في الإيمان (٢٢: ٣٢)، وصليّ من على صليبه (٢٣: ٣٤)، وقبل موته (٢٣: ٤٦).

والناس يصلّون في إنجيل لوقا. حين كان زكريا يقدّم البخور، كانت «جماعة الشعب كلّها تصلي» (١: ١٠). ولقد صليّ زكريا، فسمع الله صلاته (١: ١٣). وتميّزت حنة النبية بتعبّدها وتكرّسها للصوم والصلاة (٢: ٣٧). ولقد اعتاد تلاميذ يوحنا أن يقيموا الصلوات (٥: ٣٣).

واحتفظ لنا لوقا ببعض الصلوات. نشيد المباركة الذي تلاه زكريا (١: ٦٨ - ٧٩): «تبارك الرب الإله». ونشيد التعظيم الذي فاهت به العذراء مريم (١: ٤٦ - ٥٦): «تعظم نفسي الرب». ونشيد الملائكة: «المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام» (٢: ١٤). ونشيد الإستسلام الذي أطلقه سمعان الشيخ بعد أن رأت عيناه خلاص الله (٢: ٢٩ - ٣٢).

واجب الصلاة واجب ملح: «إسألوا تعطوا. أطلبوا تجدوا. إقرعوا يفتّح لكم» (١١: ٩ = مت ٧: ٧ - ١١). يسبق لوقا هذا القول بمثل الصديق اللجوج (١١: ٥ - ٨): «إن لم يقم ويعطه لكونه صديقه، فإنه ينهض للجاجة». إذن، لا بد من الإلحاح في الصلاة. ويلى هذا القول ويثبته مثل القاضي الظالم (١٨: ١ - ٨). هو أنصف المرأة التي «صرعت» له رأسه بإلحاحها. «أفما ينصف الله مختاريه الذين يتادونه نهراً وليلاً؟ صلاة من غير ملل. وصلاة متواضعة في مثل الفريسي والعشار: «من رفع نفسه وُضع، ومن وضع نفسه رُفع» (١٨: ١٤).

إن الإيمان ينال كل شيء (١٧: ٦؛ رج مت ١٧: ٢٠؛ ٢١: ٢١ - ٢٢؛ مر ١١: ٢٣ - ٢٤). علينا أن نطلب من رب الحصاد (١٠: ٢ = مت ٩: ٣٨) ليرسل فعلة لحصاده. علينا أن نصلي من أجل مضطهدين (٦: ٢٨ = مت ٥: ٤٤). علينا أن نصلي ونسهر (٢١: ٣٦ = مر ١٣: ٣٣) لئلا ندخل في التجارب (٢٢: ٤٠، ٤٦ وز).

د - إنتشار الإنجيل في العالم

الروح حاضر في صلاتنا (١٠: ٢١؛ ١١: ١٣). الروح حاضر في الملكوت. ولكن العمل الذي يقوم به لا يكمن أولاً في ثمار حضوره، كما في الفرح والصلاة. فهو يريد أن يبني جماعة تضم كل المؤمنين. يريد أن يبني «الكنيسة» (لا ترد هذه الكلمة في إنجيل لوقا، ولكنها ترد في سفر الأعمال).

يبين متى أن القطيعة مع الشعب اليهودي كانت الشرط الضروري لانتشار الإنجيل. أما لوقا فأرى هذه الشمولية منذ البداية، وهي حاضرة في مخطط الله. جاءت الشمولية في متى في النهاية، وبعد أن عاشت الكنيسة مأساة رفض الشعب اليهودي للمسيح. أما عند لوقا، فالشمولية واقع يُلقى بضوئه على الإنجيل. الشمولية هي الإنجيل.

يتوجّه لوقا في إنجيله إلى قارئ غير فلسطيني. وهكذا يجعل البشارة تشع مباشرة وراء حدود إسرائيل.

أهمل لوقا كل ما يُشتم منه موقفٌ يهودي بارز: السؤال المتعلق بقانون الطهارة في الطعام (مت ١٥: ١ - ٢٠ وز)، خبر الكنعانية (مت ١٥: ٢١ - ٢٨ وز)، دعوة إيليا (مت ١٧: ١٠ - ١٣ وز)، السؤال حول الطلاق الشرعي (مت ١٩: ٣ - ٩ وز)، الإنباء بالمسحاء الكذبة (مت ٢٤: ٢٣ - ٢٥ وز)، كلمات يسوع الآرامية أو التعابير الآرامية التي نجدها في التقليد (مر ٥: ٤١؛ ٧: ٣٤؛ ١١: ١٠؛ ١٤: ٤٥...). وهناك المعارضة بين الشريعة القديمة والشريعة الجديدة التي شدد عليها متى (٥: ١٧ ي)، فتركها لوقا. وهناك المقابلة بين بر الفريسيين وبر

المسيحيين، كما أن هناك تنبيهاً بأن لا يذهب الرسل (أقله في فترة أولى) إلى الوثنيين (مت ١٠: ٥).

كل هذا أغفله لوقا. ولكنّه في المقابل أوضح الشمولية التي تتضمنها بعض التقاليد. وصل متى في سلسلة نسبه إلى داود وإبراهيم. أما لوقا فربط يسوع بآدم (٣: ٣٨). أنشد الملائكة السلام لا للشعب اليهودي وحسب، بل لجميع البشر: «السلام للبشر الذي يحبون الله» (١١: ٢). وحين أورد نبوءة أشعيا، وصل بها لوقا إلى النهاية: «فيري كل بشر (جسد) خلاص الله» (٦: ٣؛ رج أع ٢: ٢١؛ ٢٨: ٢٨). منذ البداية، نقرأ في نشيد سمعان الشيخ أن هذا الولد سيكون «نوراً يتجلّى للوثنيين» (٢: ٣٢؛ رج ١٣: ٢٨ - ٢٩ = ١١: ٨ - ١٢). وفي النهاية نعرف أن على هذا الإنجيل أن يُعلن في كل الأمم (٢٤: ٤٧؛ رج مت ٢٨: ١٩ - ٢٠).

إمتدح يسوع إيمان الضابط الوثني (٧: ٩ = مت ٨: ١٠)، وأظهر أن السامري (الذي يعتبره اليهودي وثنياً) أفضل من الكاهن واللاوي في ممارسة الرحمة (١٠: ٢٥ - ٣٧). وذلك السامري الغريب، قد تميّز عن التسعة الباقين: «عاد وحده وهو يمجّد الله» (١٧: ١١ - ١٩).

هـ - إنجيل الحنان والصلاح

قال القديس بولس: ولما تجلّى لطف الله ورحمته (تي ٣: ٤). وقال أيضاً: في نظر الله، لا يهودي ولا يوناني، لا عبد ولا حر، لا رجل ولا امرأة (غل ٣: ٢٨). لقد صار المسيح الخفي ظاهراً للجميع (كو ١: ٢٦ - ٢٧).

فالخطاة وجدوا في يسوع صديقاً لهم (٧: ٣٤ = مت ١١: ١٩)، لا يخاف أن يتعامل معهم (٥: ٢٧، ٣٠ وز؛ ١٥: ١ ي). لقد أبرز لوقا ما أورده التقليد المشترك، وأتبعه بخبر زكّا: «دخل بيت رجل خاطيء ليقيم عنده» (١٩: ٧). بالإضافة إلى ذلك أكّد يسوع أن الخطاة هم حصّة الله، على أثر توبتهم (١٥: ٣٢) وبفضل طول بال الله وصبره. هنا نقابل بين التينة التي لُعنّت فيبست عند متى (٢١: ١٨ - ٢٢ = مر ١١: ١٢)

- (١٤)، وبين تلك التي لم تثمر فأعطيت مهلة سنة كاملة قبل أن تُقَطَّع (لو ١٣: ٦ - ٩).

لم يغفر يسوع فقط للمخلّع (٢٠: ٥ وز)، بل للخاطئة في بيت سمعان الفريسي (٣٦: ٧ - ٥٠)، وللمسؤولين عن موته (٢٣: ٣٤). بكى بطرس حين نظر إليه يسوع وهو في المحاكمة (٢٢: ٦١)، ونال اللص الفردوس الخلاصي ساعة قال: «أذكرني» (٢٣: ٣٩ - ٤٢). وقرعت الجموع صدرها حين عادت من الجلجلة (٢٣: ٤٨). الجميع يستطيعون أن يُصَلُّوا مثل العشار: «اللّهم إرحمني أنا الخاطيء» (١٨: ١٣).

والنساء اللواتي إحترقهن العالم يحتلن عند لوقا مكانة مميّزة. هناك مريم العذراء واليصابات وحنة النبية وأرملة نائين (٧: ١١ - ١٧). هناك الخاطئة التي جاءت إلى بيت سمعان (٣٦: ٧ - ٥٠؛ رج ٢٦: ٦ - ١٣ وز)، والنساء اللواتي تطوَّعن مع يسوع (٨: ١ - ٣) وتبعنه حتّى الصليب (٢٣: ٤٩ - ٥٥؛ ٢٤: ١٠ - ١١). وهناك مرتا ومريم الأختان اللتان جمعتا الصلاة إلى العمل (١٠: ٣٨ - ٤٢) والمرأة التي هنّأت أم يسوع (١١: ٢٧ - ٢٨)، والمنحنية الظهر التي وضع يسوع يده عليها فانتصبت من وقتها وأخذت تمجّد الله (١٣: ١١ - ١٧). ولا ننس نساء أورشليم اللواتي كن يضربن الصدور وينحن عليه فيعبرن عن موقف كل الذين رأوا في يسوع نبياً ذاهباً إلى الموت. وفي النهاية، نرى النسوة في أمثال لوقا. في ١٥: ٨ - ١٠ ننظر إلى المرأة تبحث عن درهم أضاعته. وفي ١٨: ١ - ٨ نرافق هذه الأرملة التي لا تتراجع حتّى يعطيها القاضي الظالم حقها.

والغرباء هم موضوع إهتمام يسوع. أراد يعقوب ويوحنا أن تنزل النار من السماء وتأكلكهم، فانتهرهما يسوع (٩: ٥٤ - ٥٥). وهؤلاء الغرباء هم مثال يحتذى به: الضابط الوثني هو موضوع إعجاب يسوع (٧: ٩)، والسامري المنبوذ هو ذلك الذي «يقدره» العالم بالشرية ويحاول أن يعمل مثله (١٠: ٣٦ - ٣٧)، والسامري الأبصر الذي عاد يمجّد الله جعل يسوع يتساءل: أين التسعة؟ أما كان فيهم من يرجع ويمجّد الله سوى هذا الغريب (١٧: ١٧ - ١٨)؟

هذا هو القطيع الصغير الذي يستطيع أن يعيش من دون خوف، لأن الملوكوت هو له (١٢: ٣٢). وهو يتألف من الصغار، لا من الحكماء والأذكىاء (١٠: ٢١). فإبن الإنسان جاء ليبحث عن الهالك فيخلّصه.

غير أن حنان يسوع هذا ليس رخاوة وتدليعاً للناس. فهناك كلمات قاسية للسعداء في هذا العالم: الويل لكم أيها الأغنياء، الويل لكم أيها الشباع، الويل لكم أيها الضاحكون، الويل لكم إذا مدحكم جميع الناس (٦: ٢٤ - ٢٦). وهناك تنبيه إلى الذين يرفضون التوبة: «إن لم تتوبوا تهلكوا بأجمعكم» (١٣: ١ - ٥)، وتهديد للتينة العقيمة (١٣: ٩)، وتوضيح لمصير الغني الذي تجاهل الفقير الملقى عند باب داره (١٦: ١٩ - ٣١)، وبكاء على أورشليم (١٩: ٤١ - ٤٤)، وجواب إلى نساء أورشليم: «ستأتي أيام يقول فيها الناس: طوبى للعواقر، طوبى للبطنون التي لم تلد، وللثدي التي لم تُرضع» (٢٣: ٢٩).

و- الإنجيل قاعدة حياة

* إنجيل لوقا يجعلنا في إطار اجتماعي.

حين يفصل يوحنا للجموع وللعشارين والجنود بمَ يقوم واجبههم اليومي (٣: ١٠ - ١٤)، فهو يقول: مَنْ عنده قميصان يعطي من ليس له قميص. مَنْ كان عنده طعام فليعط من ليس عنده. والعشار لا يجبي أكثر مما فرض له. والجندي لا يتحامل على أحد ولا يظلم أحداً.

ويقول يسوع في «خطبة السهل»: «أعط دوماً لمن يسألك» (٦: ٣٠). «كونوا رحومين» (٦: ٣٦). أعط كيلاً مفصلاً بحُب. في كل وقت، لا من أجل الدينونة فقط (٦: ٣٨).

نحن ندعو إلى مائدتنا المساكين قبل الأغنياء، لثلاً ننال المكافأة في هذا العالم (١٤: ١٢ - ١٤). والهوة التي حفرها الغني خلال حياته على الأرض بينه وبين الفقير، هي باقية في الآخرة: «بيننا وبينكم هوة عميقة. فالذين يريدون الإجتياز إليكم لا يقدرُونَ» (١٦: ٢٦). وحين احتقر الفريسي في قلبه العشار (والخطاة) انفصل عن سائر البشر، وبالتالي انفصل عن الله نفسه. فخسر رضى الله، لم يتبرر (١٨: ١٤).

* إنجيل الأغنياء والفقراء

أشار لوقا إلى أن عدداً من الأغنياء تبعوا يسوع: يوسف الذي من الرامة (٢٣: ٥٠)، زكّا العشار (١٩: ٢، ٨)، وحنة امرأة مدير الخزانة لدى هيرودس (٨: ٣). ولكنه لا يقول ما قاله مر ١٠: ٢١: نظر يسوع إلى الشاب الغني وأحبه.

فأصدقاء يسوع هم الفقراء. لم يأت إليه المجوس ليسجدوا له، بل الرعاية (٢: ٨). ولم تُدفع عنه فدية الأغنياء، بل فدية الفقراء: زوجا يمام أو فرخا حمام (٢: ٢٤). المثال الذي يقدمه هو لعازر الفقير (١٦: ٢٠) والأرملة المسكينة التي لم تعطي الفائض، بل جميع ما تملك، وهو ما تحتاج إليه من أجل معيشتها (٢١: ٤). ويسوع نفسه ليس له موضع يُسند إليه رأسه (٩: ٥٨ = مت ٨: ٢٠).

قال يسوع: «طوبى للفقراء». وقال: «الويل للأغنياء». فلوفا لا يحصر كلامه في الوجهة الروحية للفقراء، بل هو يشدد على واقع الفقر الملموس وما يصنعه الله من أجل الفقراء والأغنياء. «حط المقتدرين عن الكراسي ورفع المتواضعين. أشبع الجوع خيراً والأغنياء صرفهم فارغين» (١: ٥٢ - ٥٣).

البشارة تُحمّل إلى الفقراء (٤: ١٨؛ ٧: ٢٢ وز). فهم سعداء (٦: ٢٠)، ويدخلون «من دون واسطة» إلى ملكوت الله الذي هو لهم منذ الآن. أما الأغنياء فهم تعساء ويجدون نفوسهم في وضع سيء. هم يجمعون الكنوز لنفوسهم لا من أجل الله (١٢: ٢١). وهكذا ينسون ربهم (١٢: ١٣ - ٢٠: الغني الجاهل)، ويتجاهلون إخوتهم (١٦: ١٩ - ٣١). والفريسيون ليسوا فقط منغلقيين على ذواتهم مكتفين بقداسة أعمالهم (١٨: ١٤). إنهم علاوة على ذلك «يحبون المال» (١٦: ١٤). ولكن ما هو موضوع تقدير كبير لدى الناس هو موضوع كره لدى الله (١٦: ١٥).

إذن، مامون (إله المال، هو يعطي الأمان والثقة بالنفس) هو ظالم. نستطيع أن نستعمله بمهارة فنورّعه على فقراء سيصيرون

أصدقاءنا (٩:١٦). ونستطيع أن نتعامل معه بالأمانة وكأنه خير غريب أوكلنا الله به (١٠:١٦ - ١٢). ولكن لوقا يعلن بشدة: لا تستطيعون أن تعبدوا في الوقت نفسه الله والمال (١٣:١٦).

* إنجيل التجرد والكفر بالذات.

يبدو التجرد في التقليد المشترك نتيجة سر الفصح. فهناك رباط واضح بين الإنبياء بالآلام والشروط لاتباع يسوع. فبعد الإنبياء الأول (٩:٢٢): «يجب على ابن الإنسان أن يعاني آلاماً شديدة»، قال يسوع للناس أجمعين: «من أراد أن يتبعني، فليزهد في نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني... ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وفقد نفسه أو خسرها» (٩:٢٣ - ٢٥ وز). نحن هنا أمام قاعدة دائمة في حياة المسيحي: يزهد كل يوم، يتجرد كل يوم، يحمل صليبه كل يوم.

نتخلّى عن كل شيء، ولا نستند إلى المال (١٣:١٢ - ٢١)، بل نجعل ثقتنا كلها في الله الذي يهتم بنا ويؤمن لنا «خبزنا كفاف يومنا» (١٢:٢٢ - ٣٢). لهذا، يبعوا أملاككم وأعطوها صدقة للمساكين (١٢:٣٣؛ رج مت ١٩:٦ - ٢٠).

هناك شروط تُفرض على التلميذ الذي يريد أن يتبع يسوع، ترد عند الإزائيين. ولكن لوقا زاد: «يجب أن يبغض الإنسان إمرأته ونفسه» من أجل ملكوت الله (١٨:٢٩). نحن هنا في عبارة قريبة مما نقرأ في متى (١٩:١٢) عن الذين كرسوا نفوسهم من أجل ملكوت السماوات (خصيان من أجل ملكوت الله).

ويزيد لوقا: من لا يتخلّى عن جميع خيراتِه لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً (١٤:١٦، ٢٣). هناك تشديد على لفظة «كل» «جميع». حين تبع التلاميذ الرب تركوا «كل شيء» (٥:١١). ودعا يسوع لاوي «فترك كل شيء» (٥:٢٨). كما دعا الوجيه الغني فقال له: «بغ جميع ما تملك ووزّعه على الفقراء» (١٨:٢٢). ولكن الغنى منعه من هذا التجرد. فكان له الغم والحزن بدل الفرح. أجل، كل عودة إلى الوراء، كل نظرة

إلى الورااء هي موضوع شجب ولوم: «من وضع يده على المحراث والتفت إلى الورااء لا يصلح لللكوت الله» (٦٢: ٩). لا يستطيع الدخول إلى هذا الملكوت، وبالأحرى لا يستطيع إعلانه. إنه في رفقة الموتى (٦٠: ٩) الذين لم يجدوا حياة الملكوت.

هذا هو القديس لوقا. إنه إنجيلي مخطط الله وقصده في البشر. وهو في الوقت عينه ذلك الذي يحدد بطريقة ملموسة متطلبات التعليم الإنجيلي. يذكرنا أنه علينا أن نحمل صليبنا كل يوم. ولكنه يبين لنا في الوقت عينه أن الروح القدس يعمل فينا، وأن الروح الذي تفيضه فينا البشارة هو أعظم عطايا الله.

* راجع الأب ليون دوفور الذي إستقينا منه هذا المدخل.
- اصطلاحات: وز: ما يوازي هذا النص من نصوص
قاطعة: Incise.

الفصل الرابع عشر

المسيح في إنجيل لوقا

الخوري جان عزّام*

مقدمة

نعتمد في دراستنا على تحليل لأسلوب لوقا الروائي بما له من خصائص مميّزة في عرض الأحداث التي رافقت حياة المسيح على الأرض منذ بدء بشارته في الجليل وحتى قيامته وظهوره لتلاميذه ثم صعوده إلى السماء.

لا شك أن كثيرين من الشّراح قد حاولوا فهم كريستولوجيا القديس لوقا باعتمادهم على أساليب متعددة، منها شرح أهم النصوص التي تبين هوية المسيح^(١). إن من خلال تعاليمه أو أعماله العجائبية^(٢) أو من خلال محاكمته^(٣) وغيرها؛ ومنها ما اعتمده البعض الآخر في درس أهم القابه التي دُعي بها أو أطلقها عليه الآخرون أو أطلقها هو على نفسه^(٤)؛ وقد حاول هؤلاء أن يدرسوا هذه الألقاب بخلفياتها المتصلة بنبوءات العهد القديم أو ببعض أبرز شخصياته التاريخية والرمزية كموسى وإيليا^(٥) والنبي النّهوي^(٦) وعبد يهوه المتألم^(٧) والمسيح الملك^(٨) وابن الإنسان^(٩) وكذلك الألقاب التي يفترض أنها ثمرة إيمان الكنيسة الأولى بالمسيح القائم من الموت ويتميّز منها لقب الرّب^(١٠) ولقب ابن الله^(١١) والمخلص^(١٢). وتتعمّق هذه الأبحاث وغيرها بدراسة كريستولوجيا لوقا من خلال فهم مميزات المسيح الإنسانية كقربه من الخطأة ورحمته للمرضى والباطسين وكذلك مميزات الإلهية كعلاقته الخاصة بالآب وبالروح القدس والجلب به من عذراء...

وسنستفيد نحن بالطبع من مجمل هذه الدراسات وسنذكر أهم ما جاء فيها في معرض بحثنا الحاضر. ونقسم دراستنا إلى خمسة فصول:

أ- عرض لشخصية المسيح كما بدت في بدء بشارته في الجليل (لو ٤: ١٤ - ٥٠: ٩).

ب- عرض لشخصية المسيح كما بدت في رحلته الصاعدة من الجليل إلى أورشليم (٥١: ٩ - ٤٤: ١٩).

ج- عرض لشخصية المسيح كما بدت في أهم الأحداث التي رافقت وجوده في أورشليم: بشارته - محاكمته - آلامه - موته (١٩: ٤٥ - ٥٦: ٢٣).

د- عرض لشخصية المسيح في ظهوراته لتلاميذه (لو ٢٤).

هـ- خلاصة كريستولوجيا إنجيل لوقا.

أ- عرض لشخصية المسيح كما بدت في بشارته في الجليل (لو ٤: ١٤ - ٥٠: ٩)

(١) دينامية الرواية بحسب إنجيل لوقا^(١٣):

يُظهر لوقا قدرة روائية إستثنائية في تركيزه على شخص المسيح في هذا القسم من إنجيله. ولذلك نراه يستغل أو يهمل بعض العناصر المكونة للرواية للوصول إلى هدفه. فكيف فعل ذلك؟

أولاً: إن المكان الذي تتم فيه الأحداث له معنى رمزي يساهم في اكتشاف دينامية الأحداث وما يتخللها من عقد وحلول للوصول إلى الغاية الأساسية من الرواية. نجد مثلاً أن لوقا نفسه يعتمد سرد أحداث أعمال الرسل بطريقة تُظهر إنتشار الكنيسة والبشارة من أورشليم باتجاه السامرة ومنها إلى آسيا الصغرى فالإونان وأخيراً عاصمة الإمبراطورية روما حيث قمة الشهادة المسيحية مع بطرس وبولس.

أما في هذا القسم من إنجيله فهو يعتمد حصر الأحداث في الناصرة وكفرناحوم وبعض قرى الجليل الأخرى (لو ٤: ٤٣) ومن جديد إلى كفرناحوم (١: ٧)، حتى إننا لا نستطيع تبيان مكان بشارة المسيح في

الفصلين الثامن والتاسع. وهكذا يتصح لنا أن لوقا لا يستعمل الإطار المكاني كعنصر مميز ومساعد لروايته.

ثانياً: إذا كان لوقا لا يركز على الأمكنة، إلا أنه بالمقابل يركز على الأشخاص الذين تصل إليهم البشارة. فالمسيح، منذ البداية، يعلن بأن نبوءة أشعيا قد تمت فيه وفيها: «روح الرب علي مسحني لأبشر المساكين وأرسلني أنادي بإطلاق الأسرى وعودة بصر العميان، وأحرر المقهورين وأنادي بسنة مقبولة لدى الرب» (١٦: ٤). هم الفقراء إذاً، والمساكين من يزعم أن يذهب إليهم ذاك الذي «عليه روح الرب» «والمرسل». ويشكل هذا الإعلان برنامجاً واضحاً لعمل المسيح ويساهم في تقدم الرواية بانتظار تحقيق هذا البرنامج وما سينتج عنه.

ثالثاً: في كل رواية، يلعب بعض الأشخاص البارزين دوراً مهماً في دفع الرواية إلى خاتمتها. فمنهم من يساهم في تعقيد الأمور بمعارضته لمجرى الأحداث كما هو مخطط لها ومنهم من يساهم في حلحلة العقد بمساندة صاحب الدور الرئيسي^(١٤) وهكذا دواليك...

أما في رواية لوقا، فالواضح أن برنامج المسيح التبشيري يسير بخطى ثابتة ويستقطب حوله الجموع وحتى الفريسيين وعلماء الشريعة أنفسهم (لو ١٠: ٥؛ ١٥: ٥؛ ١٧: ٥، الخ).

صحيح أن المسيح ينتقد الفريسيين والمشرعين الذين رفضوا عماد يوحنا، وهؤلاء يعتبرون إدعاءه مغفرة الخطايا تجديفاً (٢١: ٥) ويستأوون من معاشرته لجباة الضرائب والخطاة (٣٠: ٥)، ولكن موقفهم هذا لا يتطور باتجاه مزيد من المعارضة أو بالتأمر على قتله كما يبين الإنجيلي مرقس ذلك منذ بداية إنجيله (٦: ٣). على العكس، نجد أن أحدهم يدعو المسيح ليتكلم إلى مائدته (٣٦: ٧). وهنا أيضاً يدعي المسيح مقدرة على مغفرة الخطايا فيكتفي الفريسيون الحاضرون بسؤال متعجب: «من هو الذي يغفر الخطايا؟» (٤٩: ٧).

أما الشخصية الجماعية الأخرى التي تظهر في هذا القسم من الإنجيل، فهم التلاميذ الذين دعا بعضاً منهم في ١١: ٥ و ٢٧: ٥ ثم

اختار منهم إثني عشر سماً رسلاً وأرسلهم وأعطاهم سلطاناً بماثلاً لسلطانه (١:٩ - ٦).

وبالرغم من تطور واضح في تكوين شخصية التلاميذ والرسل وفي علاقتهم بالمسيح، إلا أن معرفتهم له تبقى عاجزة عن إدراك هويته الحقيقية. فصحيح أن المسيح يخصهم بتعليم خاص دون سائر الجموع (٩:٨ - ١٥) وصحيح أنه خص بطرس ويعقوب ويوحنا بالتجلي أمامهم (٢٨:٩ - ٣٦) وإن بطرس والرسل قد اعترفوا به «مسيح الرب»، إلا أنه من الواضح أنهم لم يفهموا إعلانه الأول والثاني عن ضرورة آلامه وموته في أورشليم (٩:٢٢، ٤٣ - ٤٥) ولا هم فهموا معنى التلمذة الحقيقية عندما اختلفوا على من هو الأعظم بينهم.

رابعاً: يبقى أن نسأل إذاً، عن العنصر الحقيقي المكوّن لدينامية الرواية في هذا القسم من إنجيل لوقا.

(٢) هوية يسوع:

إذا كانت شخصيات الرواية لا تساهم مباشرة بتطور القصة الروائي، فإنها جميعها تساهم في سؤال مهم يتردد على ألسنتها دون إستثناء: من هو هذا؟

منذ البداية، تسأل أهل الناصرة عن هوية ابن قريتهم الذي يدّعي أنه مرسل (٤:٢٢)، والفريسيون يتساءلون مرتين عمن هو هذا الذي يغفر الخطايا؟ (٥:٢١ و ٧:٤٩) والجمع في كفرناحوم يتساءل: «ما هذه الكلمة؟» وكذلك يوحنا المعمدان يرسل له رسلاً يسأله: «أأنت الآتي أم ننتظر آخر؟» (٧:١٨ - ٢٠) وكذلك الرسل يتساءلون: «من ذا الذي يأمر الرياح نفسها والمياه فتطيع؟» (٨:٢٥). حتى إن صيته وصل إلى هيرودس أمير الربع فنراه يسأل من هذا الذي أسمع عنه كل هذا؟ (٩:٩). وأخيراً، يسأل المسيح نفسه رسله عمن تقول الناس إنه هو (٩:١٨).

فما هي هوية يسوع هذه؟

في جواب التلاميذ على سؤال يسوع عمن تعتقد الناس أنه هو،

نفهم أنه بنظرهم إما يوحنا المعمدان وإما إيليا النبي وإما أحد الأنبياء الذين قاموا من الموت (١٩:٩) وهذا ما يذكرونا بما سمعه هيرودوس نفسه عندما تساءل عن هوية يسوع (٧:٩ - ٨). والحقيقة أن الجميع تقريباً كانوا يعتقدون بأنه نبي عظيم أو أنهم كانوا يتلمسون فيه ملامح النبي. وهذا الاعتقاد يركز على أمرين: تعاليمه وعجائبه.

نلاحظ بأن لوقا يشدد كثيراً على هذه النقطة مردداً دائماً بأن يسوع كان يعلم أو يتكلم بسلطان وأن الجموع كانت مندهشة من تعاليمه (٣١:٤ - ٣٧) ومن قدرته على شفاء المرضى. فالإرتباط إذاً واضح بين الكلمة بسلطان والقدرة على الشفاء وهما ميزتان أساسيتان لكل نبي وبخاصة للنبي إيليا. ولعلّ أهم إعلان عن صفته النبوية هو ما قاله الشعب بعد شفاء ابن أرملة نائين: «قد قام بيننا حقاً نبي عظيم» (٣٩:٧) (١٥).

ويتردد الفريسيون من جهتهم، في الإعتراف به نبياً ولكنهم لا يملكون إلا أن يندهشوا لقوة كلمته وعجائبه. وما دعوته إلى مائدة أحدهم إلا دليل على نوع من إحترام له وإعتراف بميزاته وإن كان الشك يساورهم دائماً حوله.

وكما رأينا سابقاً فالمسيح نفسه يبدأ بشارته بإعلان برنامج نبوي يتحقق فيه ومن خلال رسالته (١٦:٤). ويشبه نفسه بإيليا واليشاع في رفضه إجتراف العجائب في وطنه الناصرة (٢٤:٤ - ٣٠)، مع ذلك فلا يمكننا إعتبار هذا إعلاناً واضحاً منه بأنه نبي. كما أن لوقا - كاتب الإنجيل - لا يتدخل أبداً ليعلن أن المسيح هو النبي. فما هي هوية يسوع الحقيقية إذاً؟

إن تركيز لوقا على الأسئلة عن هوية المسيح وإكتفائه بإعلان ما اعتقده الناس من صفات نبوية عند المسيح يدخلان في إطار أسلوبه الروائي الذي يشدد على أن المطلوب هو التعرف إلى هوية المسيح الحقيقية بالنظر إلى تعاليمه وآياته وأخذ الموقف منها.

ففي هذا القسم من الإنجيل يمكننا القول بأن الكريستولوجيا عند لوقا هي في التعرّف إلى المسيح وليس في ألقابه^(١٦).

فالفريسيون الذين يرفضون النظر إلى تعاليمه وآياته أنها حقاً من الله، يبقون في شك عميق حول هويته، والجموع التي اندهشت لتعاليمه واجتذبتها قوة آياته رأت فيه نبياً عظيماً.

ويوحنا المعمدان الذي هيا له الطريق يسأله إذا كان هو المسيح الآتي والمسيح يجيبه من خلال القيام بأعمال شفاء عظيمة ومنها قيامة الموتى تأكيداً على أنه هو ولكن دون أن يجيبه صراحة.

حتى الرسل الذين اعترفوا به «مسيح الله» وهو ما يؤكد تعرّفهم إلى هويته بطريقة أعمق من الآخرين، يظلّون عاجزين عن إدراك معنى إعترافيهم هذا.

وكما يلاحظ الشراح عادة، فالمسيح لا يعطي نفسه لقباً سوى «ابن الإنسان» وهو لقب قريب جداً من «الإنسان» وليس له منحى نهوي واضح، على الأقل في هذه المرحلة من الإنجيل^(١٧).

فهوية المسيح الحقيقية لا تظهر بعد، وفي هذا يبقى لوقا أميناً لتطور الأحداث التاريخية كما حصلت في حياة المسيح نفسه مما يترك السؤال عن هويته قائماً ومن الضروري إكمال الرواية وقراءة القسم الثالث من إنجيله لمحاولة فهمه بشكل أعمق.

ب - شخصية المسيح كما بدت في صعوده إلى أورشليم (لو ٩: ٥١ - ١٩: ٤٤)

هنا أيضاً نستكشف بعض العناصر الروائية التي استغلها لوقا في كلامه عن صعود المسيح إلى أورشليم.

(١) المكان:

منذ بداية المسيرة يعلن الإنجيلي أنه «لما أن أن يُرفع»^(١٨)،

ولّى «يسوع» وجهه^(١٩) شطر أورشليم» (٥١:٩). وتنتهي مسيرته (٣٧:١٩ - ٤٤) بدخوله إلى أورشليم وبكائه عليها ثم بدخوله إلى الهيكل في (٤٥:١٩) حيث سيبدأ القسم الرابع من الإنجيل.

والمسيرة تنطلق من حدود السامرة (٥٢:٩) إلى أماكن عديدة لا يذكر الإنجيلي أيّاً منها حتى ٣٥:١٨ حين دخل إلى أريحا وهي بالقرب من أورشليم. ومن حيث التطور المكاني نجد أن مسيرته لا تتعدى حدود السامرة حتى ١١:١٧ حيث نجد أنه ما زال بين السامرة والجليل. ومن جهة أخرى نجد أن ذكر أورشليم يتردد طيلة المسيرة التي تتصف بتطور روائي واضح من خلال الأفعال التالية: لغاية الفصل ١٧ يستعمل الإنجيلي أفعال «شق طريقه إلى أورشليم» «توجه إلى أورشليم» وفي ٣١:١٨ وبعد دخوله أريحا يستعمل فعل «صعد إلى أورشليم» ثم فعل إقترّب من المدينة في ٣٥:١٨ وأخيراً رأى المدينة في ٤١:١٩^(٢٠).

كل ذلك يبيّن مدى أهمية أورشليم الحاضرة دائماً في ذهن المسيح منذ بداية الطريق وخلالها وحتى الوصول إليها. ومع ذلك، فالوقت الذي يفصله عنها منذ بدء المسيرة كافٍ للتوضيح لسامعيه وأتباعه حقيقة هويته وذلك من خلال تعاليمه وآياته.

(٢) الأشخاص:

لا نلاحظ تطوراً بارزاً في مقاومة الفريسيين وعلماء الشريعة له إلا في استيائهم المتزايد من إخلاله بشريعة السبت (١١:١٣ - ١٣ و ١٤:١) ومن مؤاكلته للعشارين والخطاة (٢:١٥ - ٧:١٩) ومحاولة بعضهم إتهامه بأنه يشفي بقوة بعل زبوب (١٤:١١).

ولكننا نلاحظ أن المسيح نفسه يزداد إنتقاداته لبعض سامعيه وبخاصة للفريسيين وعلماء الشريعة والأغنياء...

(٣) هوية المسيح:

بعد إعلان بطرس أن «أنت مسيح الله» في نهاية القسم الثاني من الإنجيل، لا نجد أي سؤال عن هوية المسيح في هذا القسم الثالث ولا

أحد يسمّيه نبياً أو يطلق عليه لقباً آخر حتى نهاية القسم. وكان هذا الإعلان المسيحاني قد وضع حداً للتساؤلات عن هويته وصار المطلوب أن يأخذ كل واحد موقفاً منه إما بقبوله وازدياد التعرّف اليه باتباعه في الطريق، وإما برفضه ومقاومته. أما يسوع فيبدو عازماً على الكشف عن هويته، وإن بطريقة غير مباشرة، وذلك بإيضاحه لحقيقة هويته النبوية وبكلامه المتزايد عن الملكوت.

فمن جهة أولى نرى أن المسيح يكمل كلامه عن حقيقة رسالته النبوية مشدداً على إرتباطها بالألم والموت. فبعد إعلانه مرتين في القسم السابق بأنه عازم على الصعود إلى أورشليم ليتألم ويموت فيها وعدم فهم تلاميذه لهذا الكلام، نجد أنه يؤكد هذا التوجه في ٢٩: ١١ «لن يعطى لهذا الجليل سوى آية يونان النبي»^(٢١)، وفي ردّه على الفريسيّين الذين جاؤوا يحذرونه من أن هيرودس يريد قتله: «فليس لنبي أن يهلك خارج أورشليم»^(٢٢) (٣٣: ١٣). وليس كلامه عن المصير الذي لاقاه الأنبياء على أيدي الرؤساء والملوك سوى طريقة غير مباشرة للكلام عن معرفته المسبقة للمصير الذي ينتظره في أورشليم.

وهنا يتضح لنا أن مفهوم المسيح لنفسه كنبي يختلف تماماً عن مفهوم الآخرين له، وهذا ما يفسّر كما قلنا الرفض المتزايد لشخصه وتعاليمه...

ومن جهة ثانية، نلاحظ أن هذا القسم مليء بإعلانات الملكوت بعكس القسم السابق^(٢٣). ففي بداية الطريق إلى أورشليم يرسل الإثنى عشر والسبعين ليعلنوا أنه «قد اقترب ملكوت الله» (١٠: ٩ - ١١)، وفي ردّه على متهميه بأنه رئيس الأبالسة يجيبهم: «إن كنت أطرّد الشياطين بأصبع الله فهذا لأن ملكوت الله قد حضر» (١١: ٢٠)، وفي ١٧: ٢٠ يؤكد للفريسيّين بأن «ملكوت الله بينكم». وفي موازاة ذلك يبدو أن محور أمثاله وتعاليمه الأساسي هو هذا الملكوت الذي يمكن تمييز قسمين أساسيين فيه:

+ إعلان الملكوت وشروط الدخول اليه ووقت مجيئه وهوية

+ وتلميحات واضحة إلى هوية الملك التي تصل إلى قمته بإعلانه ملكاً عند دخوله إلى أورشليم^(٢٤).

وكما لم يفهم أحد حقيقة هويته النبوية تعاضمت المقاومة له لأنه ربط رسالته بالقرب من الفقراء والمساكين والخطاة، كذلك سيُساء فهم هويته الملكية وحقيقة الملكوت المزمع تحقيقه. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أهمية أورشليم التي بناها سابقاً. فهذه المدينة التي توجّه إليها المسيح هي المكان الذي سيحقق فيه ملكوته ولكنها أيضاً المدينة التي سترفض الملك الآتي إليها.

وهذا الأمر يبيّن المسيح في مثل الأماناء (١٩: ١١ - ٢٨) حيث إن كلام مواطنيه واضح: «لا نريد هذا ملكاً علينا» (١٩: ١٤) وفيه تلميح إلى رفض أورشليم لملكها.

وكما كانت عاقبة رافضي الملك وخيمة، كذلك ستكون عاقبة أورشليم وخيمة لأنها «ما عرفت (ما قبلت) إفتقاد الله لها» (١٩: ٤١ - ٤٤).

ج - عرض لشخصية المسيح كما بدت في بشارته في أورشليم:

(١) المكان:

بعد دخوله أورشليم وإعلانه ملكاً^(٢٥) تتركز نشاطات المسيح وتعاليمه في مكان واحد تقريباً وهو الهيكل^(٢٦). فمنذ الآية ٤٥ من الفصل التاسع عشر نجبرنا الإنجيلي بأنه دخل الهيكل وشرع يطرد الباعة. وفي ١٩: ٤٧ نقرأ أنه كان يعلم كلّ يوم في الهيكل. وهكذا في ٢٠: ١ حتى إنه كان يمضي نهاره كله في الهيكل وليله في جبل الزيتون^(٢٧) (٢١: ٣٧). وليست نبوءته عن خراب الهيكل وأورشليم إلا دلالة على المتغيرات الأساسية التي ستحدث في المدينة بعد دخول المسيح إليها.

(٢) الأشخاص:

يرافق هذا التركيز على الهيكل، تغيب للفريسيين^(٢٨) وعلماء الشريعة وظهور لعناصر ثلاثة جديدة في الرواية وهم: الأحبار، والكتبة^(٢٩) وأعيان الشعب وهؤلاء الثلاثة يؤلفون السلطة اليهودية

المحلية في أورشليم^(٣٠). ولا يتأخر هؤلاء في إضمار الشر له فينبون على قتله (١٩: ٤٧ - ٨) وهي المرة الأولى التي نخبرنا فيها لوقا بأن أحداً قد قرّر قتله. وتبعاً لذلك تبدأ المجابهة الحادة بينه وبينهم وتصير مجادلات قوية معه حول شرعية السلطان الذي به يعلم (١٠: ٢٠ - ٨) ويحاولون الإيقاع به بموضوع إحترام سلطة القيصر (٢٠: ٢٠ - ٢٦) ويلجأون إلى طرح سؤال معجزة عليه عن قيامة الأموات (٢٧: ٢٠ - ٤٠). وفي كل ذلك يخرج منتصراً عليهم مما يزيد رغبتهم في قتله (١٦: ٢٠ - ١٩).

ومن جهة يزيد في انتقاده لهم فيضرب مثل الكرامين القتلة وفيه إشارة واضحة إليهم (٩: ٢٠ - ١٥) ويحذر من الكتبة (٢٠: ٤٥ - ٤٧) ويدين الأغنياء في إشارة واضحة إلى أعيان الشعب (٢١: ١) ويتنبأ بخراب الهيكل مركز قوة الأخبار (٢١: ٥ - ٦) فيظهر بوضوح أن القطيعة بين يسوع وبين هؤلاء قد وصلت إلى حيث لا رجعة. وهذا ما يدفع بهؤلاء للإسراع في وضع مؤامرتهم عليه موضع التنفيذ (٢٢: ٢). وهكذا، يوصلنا لوقا إلى العقدة الأساسية في روايته ويجعلنا ننتظر الأحداث الآتية بشغف، خصوصاً أن المتآمرين على يسوع كانوا يتلمسون كيف يقضون عليه من دون إثارة الشعب الذي يعتبره نبياً (القسم الثاني) وينظر اليه كمسيح ملك ابن داود (القسم الثالث).

٣) هوية المسيح:

إذا كان الشعب قد قاوم بطريقة غير مباشرة رغبة الرؤساء بقتل يسوع فابليس الذي قاومه منذ البدء (١٤: ١ - ١٣) يقدم لهم العون الكافي. هكذا ينبري أحد تلاميذه وهو يهوذا الإسخريوطي لمساعدتهم بعد أن دخل فيه إبليس (٢٢: ٣ - ٤)^(٣١).

تحقيق نبوءة العبد المتألم بشخص يسوع:

يمكننا التوقف عند سرد لوقا لمحاكمة يسوع^(٣٢) بدءاً من مجلس اليهود وانتهاء بتسليمه ليُصلب. ولكن هذه الأحداث قد درست بشكل

كافٍ وأظهر الشراح أهمية الألقاب التي أعطيت له «كالمسيح» «وملك اليهود وإبن الله» وما قاله هو عن نفسه من «أن إبن الإنسان يجلس من الآن عَن يمين العزّة الإلهية» مبيناً حقيقة مجده وارتباطه الوثيق بالآب^(٣٣).

ولكننا نودّ أن نظهر إحدى خصائص إنجيل لوقا الأساسية في عرضه للأحداث، حين يبيّن أن يسوع هو الذي تحققت فيه نبوءة عبد يهوه المتألم.

فلوقا يستعمل المحاكمات التي أخضع لها يسوع ليبيّن برارته وبراءته من التهم الباطلة التي وجهت إليه. فبينما يستنتج رؤساء الشعب بعد محاكمتهم له بأنه يدّعي أنه المسيح، وأنه ابن الله (٢٢: ٦٦ - ٧١)، يُقاجىء القارىء بأن التهمة التي أرادوا إدانته على أساسها أمام بيلاطس هي أنه «يفتن الأمة وينهي عن إداء الضريبة إلى قيصر ويدّعي أنه مسيح الله» (٢٣: ٢)(٣٤).

ومن خلال الأحداث السابقة يتبيّن للقارىء أن كل هذه التهم باطلة^(٣٥). وتأكيداً لهذه الحقيقة، يعلن بيلاطس لليهود بأنه «لم يجد أي ذنب لهذا الإنسان» (٢٣: ٤). وبعد محاكمة عقيمة عند هيرودس لم يجد هذا ما يتهم به يسوع فاكتفى بازدرائه وإرساله مجدداً إلى بيلاطس (٢٣: ٦ - ١٢). ومن جديد يعلن بيلاطس براءة يسوع من كل التهم الموجهة إليه (٢٣: ١٤) ويؤكد أن هيرودس لم يجد هو أيضاً ما يؤكد هذه التهم (٢٣: ١٥)^(٣٦).

من ناحية ثانية، نلاحظ تشديداً خاصاً عند لوقا على معاملة يسوع كلص وثائر^(٣٧). فبعد قول يسوع لتلاميذه أنه سيتم فيه ما جاء في سفر أشعيا أنه «أحصى مع الأثمة» مؤكداً بوضوح تحقيق نبوءة عبد يهوه في شخصه (٢٢: ٣٧)، يعود يسوع فيسأل الذين أتوا للقبض عليه: «ألص أنا لتخرجوا عليّ بسيف وعصي» (٢٢: ٥٢). وبالفعل، يذكر لوقا بأنه قد اقتيد مع مجرمين آخرين (٢٣: ٣٢)، بعد أن طالب رؤساء الشعب بإطلاق برأبا الذي يؤكد لوقا مرتين بأنه مجرم ومفتن قام بعصيان في المدينة (٢٣: ١٩ - ٢٥).

وهكذا فكل الأحداث تبين أن نبوءة عبد يهوه قد تمت في يسوع فلم يتألم فقط بل صُلب ومات متهمًا بجرائم لم يقترفها. واستناداً إلى كل ذلك يمكننا فهم المواقف المتتالية من يسوع والتي كانت بمثابة إقرار ببراءته. فالنساء اللواتي رافقته على الطريق إلى الجلجلة كنَّ يولولن ويلطمن الصدور كمن يبكي باراً مظلوماً لا مجرماً (٢٣: ٢٧)، ولص اليمين يعترف ببراءته (٢٣: ٤٠ - ٤١)، وقائد المئة يعترف بأن «هذا الإنسان كان حقاً باراً» (٢٣: ٤٧). والجموع التي طلبت صليبه بعد أن اعترفت به نبياً وملكاً عادت تفرح صدورها بعد مشهد موته^(٣٨). نستنتج من كل هذا أن المحور الأساسي لرواية لوقا في هذا القسم من إنجيله هو إظهار تكميم نبوءة عبد يهوه المتألم في شخص يسوع بالإضافة إلى كل ما يتعلق بالقباه الأخرى.

د - شخص يسوع المسيح القائم من الموت :

يسرد لنا الفصل الرابع والعشرون من لوقا ثلاثة أحداث رئيسية تحصل بعد القيامة. فالنساء اللواتي ذهبن لتحنيطه وجدن القبر فارغاً. وتحدث اليهن ملاك الرب معلناً قيامته من بين الأموات ومشدداً على ضرورة تذكر كلامه من أنه «على ابن الإنسان أن يسلم إلى أيدي الخطاة، وأن يصلب، وفي اليوم الثالث يقوم»؛ ونخبرنا لوقا بأنهن تذكرن كلامه (٢٤: ١ - ٨).

وتلميذا عماوس لا يتعرفان إليه إلا عندما كسر الخبز وبعدما شرح لهما الكتب مبتدئاً بموسى وكل الأنبياء. ويعترفان فيما بعد بأن قلبهما كان يضطرم حين كان يحدثهما في الطريق^(٣٩) ويشرح لهما الكتب (٢٤: ٢٦ - ٢٧ - ٣٢). وأخيراً عندما تراءى المسيح للتلاميذ ذكّرهم من جديد بما قاله لهم، ولم يفهموه في حينها، بأنه ينبغي أن يتم فيه كل ما كتب في توراة موسى، والأنبياء والمزامير، ثم فتح أذهانهم ليفهموا الكتب، وبخاصة ما جاء في الكتاب: «إن المسيح ينبغي أن يتألم، ويقوم في اليوم الثالث من الأموات» (٢٤: ٤٤ - ٤٦).

وتنتهي هذه المشاهد الثلاثة بشهادة يرويا الذين التقوا الرب: فالنساء ذهبن وأخبرن الرسل، وتلميذا عماوس عادا ليخبرا الرسل، والمسيح نفسه يؤكد للرسل بأنهم سيشهدون له. هذا الفصل الأخير من لوقا هو في الوقت عينه ختام لما يمكن أن نسميه كريستولوجيا الإنجيل وبداية لكريستولوجيا أخرى ذات طابع كنسي يكملها لوقا في كتاب أعمال الرسل. إنها كريستولوجيا التعرف إلى شخص المسيح من خلال ثلاثة أمور.

+ قراءة كتب العهد القديم بكونها قد تحققت في شخص المسيح.
 + ضرورة التعرف إلى المسيح التاريخي من خلال أقواله وأعماله وأحداث تاريخ حياته كلها.
 + التعرف إلى المسيح من خلال «الشهود» على هذه الأحداث^(٤٠).

من هنا نفهم مقدمة لوقا الشهيرة الذي يؤكد فيها إرتباط البشارة بأحداث تمت فدونها ونقلها شهود عيان، ويعبر عن رغبته بكتابتها من جديد، ولكن بما يظهر تسلسلها التاريخي منذ البدء (إنجيل الطفولة) وإنطلاقاً من البشارة في الجليل مروراً برحلة المسيح الصاعدة إلى أورشليم وتحقيق عمله الخلاصي بآلامه وموته وقيامته.

هـ- خلاصة لأهم عناصر كريستولوجيا لوقا من الناحية الروائية:

الكريستولوجيا عند لوقا هي تعرف إلى المسيح: منذ بداية إنجيله، يعلن المرسلون السماويون كلّ ألقاب المسيح الرئيسية إن للأشخاص الأساسيين في الرواية (زكريا، مريم، الرعاة، سمعان الشيخ) أو للقارئ نفسه. وهذه الإعلانات هي بمثابة أقوال نبوية سماوية.

غير أن التعرف إلى هوية المسيح الحقيقية يبدأ منذ إعتلانه في الناصرة وحتى قيامته وظهوره للتلاميذ.

وكنا قد سجلنا سابقاً مواقف الأشخاص المختلفين عنه.

فالفريسيون وعلماء الشريعة بقوا في شكهم بهويته الحقيقية وفضلوا بالنتيجة عدم الاعتراف به نبياً كما رآه الشعب والتلاميذ.

وزملاؤهم الأحرار والكتبة وأعيان الشعب قرروا قتله لما سمّوه إدعاء بأنه المسيح الملك وابن الله. وبالرغم من أنهم رفضوا الاعتراف بألقابه هذه، إلا أنهم ساهموا من حيث لا يدرون في تأكيد هذه الألقاب حيث إنهم لم يجرؤوا على إتهامه بها أمام بيلاطس وفضلوا إختراع الأكاذيب عنه متهمين إياه بإفتان الشعب وبرفض الخضوع لسلطة القيصر. ولعل في موقف بيلاطس نفسه والنساء وقائد المئة والشعب كله ما يؤكد إعترافهم المباشر ببراءته من التهم التي على أساسها حكم عليه بالموت.

أما التلاميذ فتعرّفهم إلى المسيح يتبع تطوراً ملحوظاً: منذ البداية فكانوا يدعونه معلماً^(٤١)، ثم بدأوا يدعونه رباً^(٤٢) على الطريق إلى أورشليم. وإعلان بطرس أن «أنت مسيح الله» يختم القسم الأول، وإعلان التلاميذ مجتمعين «مبارك الملك الآتي بإسم الرب» يختم القسم الثاني.

وهكذا في القسم الأخير، يتعرّفون إليه قائماً من الموت ويفهمون إرتباط الآمه وموته بهويته المسيحانية الحقيقية وذلك بعدما فتح أذهانهم ليفهموا الكتب وهو ما كانوا قد عجزوا عنه في السابق.

خلاصة عامة:

نستنتج من كل ذلك أن الأشخاص يلعبون دوراً بارزاً في تعريف القارئ إلى هوية المسيح كما عرضها لوقا، وذلك من خلال تطور معرفتهم له أو حتى من خلال رفضهم له. فالذين يقبلونه (التلاميذ والشعب) يظهرون للقارئ كيف اكتشفوا هويته الحقيقية من خلال إصغائهم لتعاليمه ورؤية الآيات التي صنعها. أما الذين يقاومونه أو يرفضونه، فأنهم يؤكدون حقيقة هويته وصحة الألقاب المسيحانية التي أطلقت عليه وذلك بالنظر إلى تناقضاتهم وأكاذيبهم التي يبنونها كاتب الإنجيل نفسه بأسلوبه الروائي المميز.

غير أننا نستطيع القول بأن الذي يلعب الدور الأول في التعريف

عن هوية المسيح هو يسوع نفسه. فهو الذي يبدأ منذ إعلانه في الناصرة بالربط بين شخصه وتحقيق نبوءة أشعيا المسيحانية. وهو الذي يمنع الأرواح من كشف هويته كقدوس الله وابن الله مبنياً بذلك ضرورة التعرف إليه من خلال كلامه وآياته. وهو الذي يستدرج تلاميذه للإعتراف به مسيحاً بعد أن سألهم عن هويته في نظر الناس وفي نظرهم. وهو الذي يُظهر نقص هذه المعرفة بكلامه عن آلامه وموته الذي لم يفهمه التلاميذ. وهو الذي يدفع التلاميذ لإعلانه ملكاً عند دخوله أورشليم. وهو الذي يدفع بمن أرادوا محاكمته لتمييز شخصه عن المسيح التقليدي بكلامه عن نفسه كإبن الإنسان الجالس عن يمين العزة الإلهية مما جعلهم يفهمون إدعاءه بأنه إبن الله. ولعلّ في مسيرته مع تلميذي عماوس أفضل بيان لدور المسيح الأساسي في كريستولوجيا لوقا عندما نقابل بين إعترافيهما به «نبياً قادراً بالكلمة والآيات» (٢٤: ١٩ - ٢١)، وبين قوله لهما بأن «المسيح كان يجب أن يتألم قبل الدخول في مجده تتماماً للكتب» (٢٤: ٢٥ - ٢٧). ولا نقول جديداً إن أكدنا بأن مسيح إنجيل لوقا لا يُظهر أي ضعف أو جهل، بل هو القادر على كل شيء والعارف بكل الأمور قبل حدوثها فيتميز بثقة تامة بنفسه وبالله أبيه حتى وهو على الصليب، فلا يصرخ «الهي الهي لماذا تركتني» بل «يا ابتاه أغفر لهم» و«يا ابتاه في يديك استودع روحي» وللص اليمين: «اليوم تكون معي في الفردوس» (٢٣: ٣٤، ٤٣، ٤٦).

في الختام نود أن نوكد بأن كريستولوجيا إنجيل لوقا التي يبنينا المسيح نفسه إن لجهة التعرف إليه أو لجهة تبيان المفهوم الحقيقي لألقابه المسيحانية على قاعدة أنه ينبغي أن يتألم تحقيقاً للكتب، هذه الكريستولوجيا تُبقي الباب مفتوحاً لإكمالها في كتاب لوقا الثاني في أعمال الرسل، حيث يتحقق قول المسيح لرسله: «وأنتم شهود على ذلك».

الحواشي

Cf. P. Lamarche, **Christ vivant: essai sur la christologie du N.T.**, (١) Paris, 1966.

Cf. L. Sabourin, **La christologie à partir de textes clés**, 1986. p.p. 75 (٢) - 86.

Cf. J. Delorme, «Le Procès de Jésus» dans, **La parole de(٣) grâce**, (Etudes Lucaniennes à la mémoire d'Augustin George), Paris, 1981, p.p. 123 - 146.

Cf. V. Taylor, **La Personne du Christ dans le N.T**, Paris, 1966, p.p. 1 (٤) - 33.

Cf. C. H. DODD, **According to the Scriptures.** (٥)

Cf. Ch. Perrot, **Jésus et l'histoire**, Paris, 1976, p.p. 171 - 200 et F. (٦) Gils, **Jésus le Prophète d'après les Evangiles Synoptiques**, Louvain, 1957.

Cf. O. Cullmann, **La Christologie du N. T**, Neuchatel, 1958. (٧)
نشير الى أن هذه الدراسة تتضمن شرحاً وافياً لكل ألقاب المسيح.

Cf. A. George, **Etudes sur l'œuvre de Luc**, p.p. 259 - 262. (٨)

Cf. E. Schweizer, **La foi en Jésus Christ**, Paris, 1975, p.p. 25 - 40 et, (٩)
P. Grelot, **L'Espérance Juive à l'heure de Jésus**, Paris, 1978,
p.p. 152 - 156.

Cf. A. George, *ibid*, p.p. 255 ss - et, L. Cerfaux, Le titre «kyrios», (١٠)
Rev. Scien. Phil. et Théol. (1922) 40 - 71 et 12 (1923) 125 - 153.

A. George, «Jésus fils de Dieu dans l'évangile selon St. Luc», **Rev. (١١)**
Bibl. 72 (1965) p.p. 185 - 209.

F. Bovon, «Le Salut dans les écrits de Luc», **Rev. Théol. et Phil.** (١٢)
23 (1973) 296 - 307.

Cf. B. Standaert, «L'art de: لوقا عند الروائي في الأسلوب الروائي عند لوقا: L'art de composer dans l'œuvre de Luc», dans **A cause de l'Evangile**, Mélanges offerts à J. Dupont, Paris, 1985. et, W. S. Kurz, «Narrative approaches to Luke - Acts», **Bib** 68 (1987) 195 - 220.

(١٤) هناك دور رئيسي يلعبه الآب والروح القدس كشخصين بارزين في إنجيل لوقا. فمنذ اعتماد يسوع على الأردن، يشهد له الآب والروح القدس؛ وفي تجليه على الجبل يشهد له الآب من جديد؛ وفي نهاية الإنجيل، يبدو الآب حاضراً مع المسيح الذي يناديه على

الصلب مرتين. كما أن هنالك موسى وإيليا اللذين يلعبان دوراً بارزاً في الشهادة له عند التجلي. ولكننا اخترنا أن نركز كلامنا على دور الأشخاص، على أولئك الذين يتفاعلون مع تعاليمه وأعماله إن بالقبول بها واتباعه (الرسل، التلاميذ، الجموع) أو بمعارضتها ورفضها (الفريسيون وعلماء الشريعة، ثم، بشكل خاص، الأحرار والكتبة وأعيان الشعب).

Cf. P. Bossuyt, J. Radermakers, Jésus, Parole de la grâce selon (١٥)
- 70 - St Luc Bruxelles, 1980 p.p. 69 - يلاحظ الكاتب بأن لوقا يعطي الأفضلية للقب النبي - غير أن O. Cullmann يؤكد بأن هذا اللقب غير كاف لشرح شخصية المسيح الحقيقية وأن لوقا اكتفى بنقله عن لسان الشعب. من هنا ضرورة ربط هذا اللقب بالألقاب الأخرى وبخاصة عبد يهوه المتألم. Cf. O. Cullmann id, p.p. 32 - 73 - 47;

Cf. P. Lamarche, id., p. 54. (١٦)

Cf. V. Taylor, id., p. 21. (١٧)

(١٨) عن إرتباط فعل Anatepsès بموته وآلامه وصعوده، غاية رحلته إلى أورشليم: Cf. L. Sabourin, id., p.p. 81 ولكن راجع أيضاً J. Radermakers, id., p. 272 82 -. هذا الكاتب يؤكد أن هذا الفعل له إرتباط أقوى بالمشابهة بين المسيح والنبي إيليا.

(١٩) عن معنى فعل Sterizo وإرتباطه بالشهادة التي يؤديها يسوع في أورشليم: Cf. J. Radermakers, id., p. 37.

(٢٠) هذه الملاحظة نقلناها عن: J.N. Aletti, L'art de Raconter Jésus Christ, Paris, 1985, p.p. 113 - 114.

(٢١) يتميز لوقا بربط آية يونان النبي بتعاليم المسيح النبي، بينما يستعمل متى النص نفسه ليبيّن سرّ موت وقيامه المسيح في ثلاثة أيام: cf. E. Sabourin, id., p.82.

(٢٢) Cf. A. George, «Le sens de la mort de Jésus pour Luc», Rev. Bib. 80 (1973) 186 - 217.

N. Aletti, id., p. 121. (٢٣)

Cf. ibid., p. 122. (٢٤)

(٢٥) يشبه دخول المسيح إلى أورشليم ملكاً في لو ١٩: ٣٤ - ٣٦، إعلان سليمان ملكاً بعد أن امتطى بغلاً وتوجه إلى جيحون (١ مل ١: ٣٣ - ٣٥).

(٢٦) إن الهيكل هو مكان حضور مجد الله من خلال تابوت العهد. وما دخول المسيح إليه بالطريقة الموضوعة في لو ٩: ٤٥ إلا تأكيد على أن المسيح هو الذي أتى ليعيد مجد الله إلى الهيكل (راجع ١ مل ٨: ١٠ - ١٦؛ ملا ٣: ١ - ٤) - من هنا أيضاً، تأكيد المسيح لما جاء في نبوءة أشعيا ٧: ٥٦: «إن بيتي، بيت الصلاة يدعى» من هنا، فإن طرد الباعة من الهيكل يعطي رسالة المسيح طابعاً نبوياً ويؤكد على عدم إرتباطها بأهداف سياسية.

(٢٧) إن لجوء المسيح إلى جبل الزيتون، ونزوله منه صباحاً إلى الهيكل له معنى رمزي يذكر بنبوءة زكريا عن «تسويج الله ملكاً أبدياً على الأرض كلها بعد معركة

نبوية» (زك ١٤: ٤ - ٩) وهذا ما لُح إليه أيضاً دخوله إلى أورشليم وإعلانه ملكاً في لوقا ٢٩: ٤ - ٤٢.

(٢٨) يذكر لوقا الفريسيين طيلة الرحلة إلى أورشليم: راجع ٣٩: ١١، ٤٢، ٤٣، ٥٣؛ ١٢: ١٣؛ ١٣: ١٤، ١٥؛ ٢: ١٦؛ ١٤: ١٧؛ ٢٠: ١٩؛ ٣٩: ١٩. لآخر مرة.

(٢٩) ورد ذكر الكتبة (grammatès) مرتين في السابق ٥٣: ١١؛ ٢: ١٥ ولكنهم يأخذون الدور الأعظم هنا عندما يشتركون مباشرة بالمؤامرة ضد المسيح.

Cf. J. Radermakers, id., p. 424. (٣٠)

(٣١) بعد أن جربه إبليس وحاول إبعاده عن أهداف رسالته الحقيقية (١: ٣ - ١٣) يعود هذا «الشخص» ليلعب دوره في دفع الرواية باتجاه تطور دراماتيكي. وهكذا، فالمؤامرة التي دبرها الكهنة والكتبة وأعيان الشعب هي في الأساس مؤامرة إبليس نفسه. ولكن، كما يقول أحد الآباء، لو علم إبليس ماذا سيحصل عندما يموت يسوع على الصليب، لما قرّر دفعه إلى موت سيكون وسيلة الخلاص.

(٣٢) من الواضح أن لوقا لم يسرد خبر إستجواب يسوع في المجلس في إطار محاكمة: فلا شهود، ولا إصدار حكم ولكن فقط إستجواب عن هوية يسوع نفسها، (٢٢: ٦٦ - ٧١). cf. J. Radermakers, id., p.p. 486 - 487.

(٣٣) تذكرنا هذه التهم الثلاثة بتجارب إبليس الثلاثة له: ibid., p.p. 487 - 490.

ibid. p.p. 491 - (٣٤)

J.N. Aletti, id., p.p. 167 - (٣٥)

ibid., p.p. 161 - 166 - (٣٦)

(٣٧) إن محاولة رؤساء اليهود إتهام يسوع باللصوصية والثورة ضد الحكم الروماني فيها كثير من الدهاء، أو إنهم يحاولون أن يحققوا مآربهم بقتله دون تحمل مسؤولية الحكم عليه. وهذا ما يذكرنا بقول الإنجيلي، أنهم كانوا يبتغون فرصة لقتله دون إثارة الشعب ضدهم (راجع ١٩: ٤٧ - ٨).

(٣٨) يبدو مشهد الجموع التي قرعت صدورهم وكأنها في «ليتورجية غفران» cf. Radermakers, id., p. 505 -

(٣٩) إن الطريق التي مشاها المسيح مع تلميذي عماوس وعلمهما خلالها أن يفهما الكتب، تذكرنا بالطريق التي سلكها صعوداً من الجليل إلى أورشليم. وكان يعلم فيها تلاميذه والجموع (٩: ٥١ - ١٩: ٤٤). وقد وضعت دراسات عديدة عن هذا الفصل الرائع من لوقا وحاول المفسرون إكتشاف غناه الكبير، فمنهم من اعتبره نموذجاً لرحلة الحج التي تنتهي بالقداس، ومنهم من سمّاه رواية نموذجية لكيفية التعرف إلى المسيح، وأيضاً «الظهور الإلهي» وتعليم نموذجي للتخصير لسرّ العمداد كما في أع ٨: ٢٦ - ٤٠. راجع: J. Dupont, Les pèlerins d'Emmaüs» dans Miscellanea Biblica B. Ubach, p.p. 349 - 374; «Le repas

d'Emmaüs», *Lumière et vie* 31 (1957) 77 - 92 -

(٤٠) - Cf. J. N. Aletti, id., p.p 192 - 195

(٤١) في لوقا، التعبير Epistata فيه اعتراف بسلطة المعلم وقبول بتعاليمه (٥:٥ ؛ ٨:٢٤ ؛ ٩:٣٣، ٤٩)؛ بينما كلمة Didaskalos التي أطلقها الفريسيون وغيرهم على المسيح فتعني مجرد الإعتراف به معلماً ولكن من دون الخضوع لتعاليمه أو القبول بها بالضرورة. والمعلوم أن لقب Didaskalos كان يطلق على مفسري الشريعة عند اليهود، وعلى الفلاسفة عند اليونانيين. cf. O. Glombitza, «Die Titel didaskalos und épistatès für Jesus bei Lukas», *Zeitschrift für N.T. Wissenschaft*, 49 (1958) 275 - 278 -

(٤٢) من المعروف أن لقب Kyrios قد أطلق على المسيح بعد قيامته من الأموات وهو يعبر عن إيمان الكنيسة به آلهاً وخلصاً وسيداً. والملاحظ أن لوقا يستعمل هذا اللقب في الإنجيل للتأكيد على أن كلّ ألقاب المسيح الأخرى تأخذ معناها الحقيقي من هذا اللقب المرتبط بقيامته.

* جان عزام. ولد عام ١٩٥٩ في مزرعة الشوف.

- رسم كاهن سنة ١٩٨٣.

- حاز على دكتورا في الكتاب المقدس حول سفر دانيال من المعهد الببلي البابوي.

- يُدرس الكتاب المقدس في الكلية الحبرية التابعة لجامعة الروح القدس - الكسليك.

الفصل الخامس عشر

تعليم الامثال في انجيل القديس لوقا

الخوري داود كوكباني*

مقدمة

هذا البحث يهدف الى توضيح تعليم الامثال في انجيل القديس لوقا. ومن الطبيعي ان نعترف بأن بحثاً بهذا الحجم لا يمكنه أن يفي بالمطلوب.

كان من الممكن لتحقيقه اللجوء الى عدة وسائل: كان من الممكن ان نأخذ مثلاً الامثال المشتركة بين الازائيين وندرس من خلال المقارنة ما يميّز امثال لوقا عن اشباهها في مرقس ومتى. وكان من الممكن ايضاً ان نتوقف عند كل الامثال التي وردت في انجيل لوقا، فنقوم بدرسها من خلال نظرة شاملة لهذا الانجيل. وقد اعتمدنا احتمالاً آخر وهو درس تعليم لوقا من خلال امثاله التي لم ترد سوى في نصه دون ان نأخذ بعين الاعتبار تسلسلها فيه.

لكل من هذه الخيارات فوائدها وحدودها ولا ادّعي ان الخيار الذي قمت به هو الخيار الافضل. انما دفعني اليه كون هذه الامثال، بما ان لوقا انفرد بها دون سواء، تمثل فكره اللاهوتي خير تمثيل، وتوصلنا الى الغاية من بحثنا دون تطويل في مقارنات بين نصوص

اناجيل ولاهوت انجيليين. ولم يُذكر حتى سياق النص الذي وردت فيه الامثال التي اختيرت من انجيل لوقا. أهم الامثال التي سنستشهد بها هي التالية: مثل المديونين ٤١: ٧-٤٣ مثل السامري الصالح ١٠: ٢٥-٣٧ مثل الصديق اللجوج ١١: ٥-٨ مثل الغني الجاهل ١٢: ١٦-٢١ مثل التينة التي لا تثمر ١٣: ٦-٩ مثل الدخول من الباب الضيق واغلاقه ١٣: ٢٤-٣١ مثل الاماكن على المائدة ١٤: ٧-١١ مثل برج الفلاح وحرب الملك ١٤: ٢٨-٣٠ مثل الدرهم الضائع ١٥: ٦-٨ مثل الاب الرحيم (الابن الشاطر) ١٥: ١١-٣٢ مثل الوكيل الخائن ١٦: ١-٨ مثل لعازر والغني ١٦: ١٩-٣١ مثل العبد الذي لا يستحق ١٧: ٧-١٠ مثل قاضي الظلم ١٨: ٥-٨ واخيراً مثل الفريسي والعشار ١٨: ٩-١٤.

في انجيل لوقا:

من مميزات انجيل لوقا شمولية دعوة الله الرحيم لكل البشر وخاصة للمساكين والفقراء. إنه تلميذ بولس يتوجه بطريقة واضحة الى الامم ليؤكد لهم انهم هم ايضاً مدعوون للدخول في ملكوت الله. وان محبة الله تشملهم ايضاً، وهذا الاله هو اله خلاص وحب للجميع ولو كان هؤلاء يستحقون الشجب. إنه الديان الرحيم في أن. تجد عنده الشجب والخلاص وكأنهما وجهان لرس حب واحد كما عند معلمه بولس رسول الامم.

المحبة هي الاساس:

كيف يحب الله الانسان؟ كيف يتجاوب الانسان مع هذا الحب؟ كيف يرث الانسان ملكوت الله؟ هذه اسئلة كانت تطرح نفسها بحدّة في شعب العهد القديم ايام عاش على هذه الارض الرب يسوع وايام كتب لوقا انجيله.

نبدأ تأملنا هذا من خلال مثل ورد في حدث الوليمة التي دعا اليها سمعان الفريسي يسوع. دخلت بيت الفريسي امرأة خاطئة من

المدينة. انها خاطئة كما يقول النص دون ان يحدّد نوع خطيئتها. وها هي تدخل بيتاً لا يقبلها اصلاً. انه «بيت الفريسي». ويكرر لوقا هذه العبارة مرتين في هذا البيت، حيث يسوع. ورغم انه الفريسي، استطاعت هذه الخاطئة ان تدخل. وهنا في هذا البيت التقى نبيّان: سمعان الذي يحكم على المرأة ويصنفها بين الخطاة ويشكك بنبوءة يسوع ولا يعرف ان يقرأ العلامات، ويسوع الذي يظهر الرحمة ويعرف كيف يقرأ العلامات. في بيت الفريسي ستعمل نعمة الله من خلال المسيح يسوع لتطال في آن معاً المرأة الخاطئة وسمعان الفريسي. هذا الاسلوب في التعاطي معروف. يروي المعلم مثلاً لا يمكن ان يكون له الا جواب واحد صحيح، ويعلم من خلال هذا الجواب مَنْ من المديونين يحب اكثر او فلنقل يشكر اكثر؟ طبعاً الذي سامحه صاحب الدين بالخمسمئة دينار. اصاب سمعان في جوابه. ولكن تطبيق المثل يترك علامات استفهام. نفهم كيف ان الذي يُغفر له كثيراً يحب كثيراً. ولكن الذي يصعب فهمه كيف ان الذي يحب كثيراً يغفر له الكثير. ان لوقا يتكلم عن موقف كل من الاثنين، عن موقف الفريسي وعن موقف الخاطئة. فالخاطئة اذ التقت يسوع وعرفت عمق حبه لها عبّرت عن تجاوبها مع هذا الحب بكل ما قامت به من الاعمال التي قارنها يسوع بسلسلة مواقف سمعان الذي لم يقبل يسوع، ولم يغسل قدميه بالماء، ولا دهن له رأسه بالزيت. تُرى من هو النبي الذي عرف ان يقدر معنى ما قامت به تلك المرأة؟ انه يسوع الذي عرف أن تلك المرأة عرفت معنى حبه لها وبادلت ذلك الحب بالحب، بينما الفريسي بقي أسير تقاليده ولم يتأثر بحب الله الذي هو في داخل بيته. في «بيت الفريسي» تبررت الخاطئة وبقي الفريسي حيث هو في «بيت الفريسي». اما الخاطئة فقد عادت الى المدينة وقد غفرت لها خطاياها. حيث حلّ المسيح حلّت النعمة لان المسيح محبة غافرة وغامرة. الخاطئة كانت قادرة ان تشفى من خطيئتها وتحب لانها تشاق إلى الحب. أما الفريسي فلا يستطيع ان يحب فيتحرّر، لأنه مكبل بقيود النواميس وبثقته المفرطة بذاته واتكاله عليها. ومحبة الله لا تكون دون محبة القريب. هذا يبدو لنا واضحاً من خلال مثل السامري الصالح.

ففي هذا المثل يطرح عالمُ الشريعة سؤالاً على يسوع يعرف له جواباً سلفاً. هنالك وصيّة واحدة تجعلك تراث الحياة الابدية وهي أن تحب الرب الهك وان تحب قريبك. هذه الوصية واحدة هنا، وليست وصيتان تتشابهان كما في الازائيين. ويبقى سؤال عالم الشريعة: من قريبي؟ هل هو ابن شعبي؟ هل هو ابن إبراهيم وإسحق ويعقوب؟ هل هو ذاك الذي تربطني به وشائج القربى الدموية والدينية؟ هل الذي أهانني والحق بي ضرراً، وان كان من بني قومي، قريبي؟ من هو قريبي؟... هذا السؤال طبيعي في ظل كل تلك المدارس الفقهية في أيام المسيح.

رواية السامري الصالح تأتي للإجابة عن هذا السؤال. كان ذاك الرجل آتياً من المدينة المقدسة أورشليم ووقع بين اللصوص. وقد مرّ في تلك الطريق اناس يُقترض فيهم ان يكونوا الأكثر اهتماماً بهذا المسكين: الكاهن واللاوي، لكنهما لم يفعلوا شيئاً. يظن البعض أنهما لم يفعلوا شيئاً بسبب قضايا تتعلق بالطهارة. لكن ذلك قد لا يكون الموضوع لأن الكاهن على الأقل كان قد أنهى خدمته في الهيكل وهو ذاهب في الاتجاه نفسه الذي كان ذاهباً فيه الجريح. فليس الكاهن في موقع الضرورة القصوى بالنسبة للطهارة ليمتنع عن اغاثة أخ له جريح. أما السامري الذي كان مسافراً في تلك الطريق، فتوقف وتحنن على من هو في الاصل عدوه وأشفق عليه وأعتنى بأمره وحمله الى الفندق وكان مستعداً لكل تضحية لأجل انقاذ حياته. هنا يأتي سؤال يسوع بعد سؤال عالم الشريعة في بداية النص: «من تراه قريب الذي وقع بين أيدي اللصوص؟» «الذي صنع معه الرحمة». لا تسأل عن قريبك، بل كيف تصبح انت قريب الانسان؟ اقترب الله منك لتقترب انت من كل انسان. محبة الله الحقّة هي في محبة القريب. والله برحمته جعلنا جميعاً أبناء، فعلينا بهذه الرحمة عينها ان نبني هذه القربى بيننا وبين سائر الناس. لا تسأل بعد اليوم: من قريبي؟ بل سل نفسك: «انا قريب من؟».

دينونة ورحمة:

ومحبة الله هذه لشعبه وللشعوب لا تلغي عدله. إنه يدين الشعب الذي لا يؤتي الثمر المرجو منه. ان مثل التينة هو خير دليل على ذلك. الشجرة تمثل شعب العهد القديم الذي لم يحمل ثمرًا فاستوجب القطع. لكن المولج بشؤون الكرم يلتبس من رب الكرم ان يسمح له بمزيد من الاعتناء بهذه الشجرة التي لا تحتاج عادة الى كثير من الاهتمام. وبعد ثلاث سنوات بعد ان خشت الشجرة (انظر لاويين ١٩: ٢٣)، لم تعطي ثمرها، فأمر سيد الكرم بقطعها لانها لا تعطي ثمرًا وتعطل الارض. لكن النبي يسوع يريد ان يعتني بها اكثر فيقلب الارض ويسمّد الشجرة علّها تثمر. فدينونة الله قربية ولكن رحمته اقرب. انه يصبر على شعبه الى النهاية، ولكن الباب قد يغلق نهائيًا في يوم من الايام. اليس هذا ما يقوله مثل الباب الضيق الذي يُغلق في اخر الزمان؟ على الشعب المختار ان يدخل من الباب الضيق كسائر الشعوب، والا بقي خارجًا. لا ينفع شيئًا أن يكون الشعب قد أكل وشرب بين يدي الرب أو أن يكون الرب قد علّم في ساحاته، فليقرعوا الباب ما شاؤوا لن يُفتح الباب بعد الان والرب لا يعرف من اين هم لا بل يأمرهم ان يتباعدوا عنه، لانهم فعلوا الاثم. ولكن هذا كله لن يكون الا بعد ان يكونوا قد رفضوا الدخول من الباب الضيق او تماهلووا. غير أن رحمة الله لا تتوقف. فإن الناس يأتون من المشرق والمغرب والشمال والجنوب ويجلسون في ملكوت الله مع إبراهيم وإسحق ويعقوب والانبياء، والذين يدعون انهم ابناء الملكوت يُطرحون خارجًا. إن الدينونة تبدو قاسية جدًا لأن رحمة الله عظيمة جدًا.

إذا اردت الخلاص كن فقيرًا تتوسل وتتسول كلمة الله:

الفريسي هو الغني بذاته المستغني عن الله. هو الذي ضمن الله الى جانبه وليس كذلك العشار الخاطيء الذي يقرع صدره في الجهة الخلفية من الهيكل. انه لا يحتاج الى شيء. انه كذلك الغني الذي أغلّت ارضه وظنّ انه آمن حياته الى ما لا نهاية. انه الجاهل هو الذي

يغتني بالدنيا ولا يغتني بالله. ما هي الحكمة التي يطلبها الله من الذين يسعون اليه؟ ان مثل الغني ولعازر يبين لنا ذلك.

ألا يمثل الغني شعب العهد القديم الذي نام على حرير لأن لديه كل المواعيد؟ ألا يمثل الشعب الذي يزدرى كل الآخرين على انهم كلاب مساكين لا يجوز لهم ان يأكلوا الى مائدة الابناء؟ والآخرين، الا يتوقون ان يذوقوا ولو مرة واحدة في حياتهم الملذات التي اعطاها الله لشعبه؟ ماذا جرى لذلك الغني يا ترى؟ لماذا كان مصيره جهنم؟ لماذا الذي كان خارجاً صار في الملكوت والذي كان ابن الشعب، ابن إبراهيم، صار خارجاً؟ هل لأنه صاحب الوعد؟ طبعاً لا، فالله امين لوعده. ولكنه اصبح خارجاً بسبب الطمأنينة المزيفة التي عاشها. ظن ان الوعد يكفي. لم يعد يحسب حساباً لله وللآخرين في حياته. نسي كلمة الله، نسي ان يبحث عن ارادة الله. نسي موسى والانبياء (كلمة الله) ونسي لعازر (وهو نوع آخر من تجسيد كلمة الله في حياته هو صورة المسيح). واذا كان يتعذب في سكير جهنم، إستنجد بأبراهيم ولعازر ولكن دون جدوى. واخوته الذين ما زالوا على وجه هذه البسيطة؟ الا ينزل اليهم لعازر ليخبرهم بما جرى لأخيهم؟ لعازر الذي كان كلمة الله غير المسموعة بالنسبة للغني هل يصبح الكلمة المسموعة بالنسبة لأخوته؟ جواب إبراهيم واضح: «عندهم موسى والانبياء فليسمعوا لهم». وماذا يقول موسى والانبياء؟ انهم يقولون قول الرب: احب كما احبك الرب، احب كل انسان كما احب الرب كل انسان. لا تحتكر شيئاً لنفسك، بل اعطِ مما اعطاك الله.

لا تكن كالابن الاكبر في الابن الشاطر. صحيح ان الاب شطر ماله بين ولديه، وصحيح أيضاً أن الابن الأصغر تنكر للبنوة وسافر الى بلد بعيد. وصحيح ايضا ان الاب لا يزال أباً، لا يزال ينتظر عودة ذلك الابن. صحيح ان عودة ذلك الابن لم تكن في بداية الامر حياً بابه بل لأن في بيت ابيه عبيداً كثيرين يفضل الخبز عنهم. لكن الاب ظل أباً وفيماً محباً استقبله بحب فقاد واكتشف سر حب الله الاب له. ألا يمثل هذا الولد الشعوب التي تاهت في الارض كلها ونسيت الله وها هي

اليوم تعود اليه؟ الا يمثل كل خاطيء يتوب؟ اليس الابن الاكبر اسرائيل الذي بقي يتعبد لله في الهيكل مزدرياً بكل احد ويحسب كل الناس وكأنها كلاب نجسة ناسياً ان الكلاب النجسة خففت من آلام لعازر المسكين؟ ورغم تعنت الابن الاكبر لم يصدر الاب عليه حكماً مبرماً بل خرج وتوسل اليه أن يدخل. هل سيقى خارجاً ام سيدخل؟ فلتأمل في جواب بولس الرسول في الفصول ٩ و ١٠ و ١١ من رسالته الى اهل روما. اليس لعازر هو كلمة الله في حياة الغني؟ اليس الابن الاصغر، الاممي، كلمة الله في حياة الابن الاكبر، ابن إبراهيم؟ ونحن اين نبحث عن كلمة الله؟

أي استحقاق؟

ولكن هل نستحق نعمة الله؟ هل يجب ان يعترف السيد لعبده بجميل اذا اطاع العبد ارادة سيده؟ فإذا عاد العبد من حراثة الحقل او من رعاية القطيع فإنه ملزم بأن يخدم سيده قبل أن يأكل هو ويشرب، ولا فضل له في ذلك. لا يستحق احد نعمة الخلاص، انها عطية مجانية من الله ولا يستحق احد ان يدعو الله ابانا كما يقول بولس الرسول الا بالروح القدس الذي هو «نعمة» واذا كان الله يُعطي ويهب، فلأنه يعطي ويهب مجاناً وحباً.

والصلاة؟

ان مثل قاضي الظلم ومثل الصديق اللجوج يؤكّدان اهمية الصلاة في حياة المؤمن. فإذا كان قاضي الظلم ينصف المرأة التي لا تتوقف عن ازعاجه بمطالبتها بحقها فكم بالاحرى الاب السماوي ينصف الذين يسألونه. اليس هو الذي يعطي الروح القدس للذين يسألونه؟ ومثل الصديق اللجوج يصب في الخانة نفسها. ان لم يقيم ويعطيه لأجل الصداقة يقوم ويعطيه من اجل اللجاجة. يقوم من اجل اللجاجة، ليس فقط لأن صاحبه لجوج، لكن لأن سمعته في الميزان. لا يحق له في هذه الحالة ان يخيب امل صاحبه. والله يقوم ليس لأجل مئابرتنا على الصلاة بل لأن ذلك من طبيعته.

بحكمة:

واخيراً هل نترك أبناء هذا الدهر أحكم منا في تدبير شؤونهم؟ نحن مسؤولون عن تدبير شؤون الملكوت، كرامة الرب التي اوكلها إلينا حتى لا يكون تينها عقيماً ولا يسيطر فيها الشوك ولا يزرع المفسد الزؤان. هلا نكون حكماء في شؤون الملكوت كما أبناء هذا الدهر حكماء في تدبير شؤون دهرهم؟ اين نتعلم هذه الحكمة؟ اننا نتعلمها في كلمة الله نحفظها ونتأملها كمريم ام يسوع، اننا نتعلمها في علاقة حميمة مع الله ولا نكون من الجاهلين الذين يقولون في قلوبهم «لا اله». اننا نتعرف الى حكمته ونعترف به من خلال الاخر نسمع منه كلمة الله من خلال حاجاته. من خلال بؤسه من خلال دموعه من خلال فرحه. انه صورة الله. انه سر المسيح. الحكمة هي أن نؤمن ان الله احبنا وان نحب بدورنا مثله. رأس الحكمة مخافة الله ومخافة الله هي أن نحب القريب. مخافة الله هي ان نبني بالحب الوحدة بيننا وبين أي انسان. مخافة الله هي أن نؤمن مع بولس الرسول معلم لوقا انه في المسيح لا رجل ولا امرأة، لا يهودي ولا يوناني، لا عبد ولا حر، بل كلنا واحد في المسيح. هذه هي الحكمة الحقّة التي يجب ان يتعلمها كل تلميذ للمسيح. ألم يأت يسوع نفسه لنكون كلنا واحداً فيه؟.

وفي شرفنا؟

هنا في هذا الشرق وُلدَ يسوع المسيح. هنا في هذا الشرق تخاصم الناس اكثر مما تخاصموا في اية بقعة من بقاع الارض. هنا في هذا الشرق تحاربت الاديان اكثر مما تحاربت في اية بقعة من بقاع الارض. هنا في هذا الشرق عبر العبراني ابن إبراهيم والمسلم ابن اسماعيل والمسيحي ابن إبراهيم واخ الجميع. هنا التقوا وهنا تخاصموا وهنا هم مدعوون للمصالحة. هل سنكون من أبناء الملكوت الذين يُطرحون خارجاً؟ هل سنكون من الشهود الذين يجلسون على كراسي ملكوت السماء ليدينوا العالم؟ هل سنعرف ان نحب الجميع كما احبنا الله؟ هل...؟

هل هذا المطلوب مني؟ هل هذا ما كان يجب ان اقول؟ هل هذا ما يقوله علم الكتاب المقدس اليوم؟ لست ادري إنما يمكنني ان اقول ان هذا تأملي وهذه هي صلاتي ولكم بعد الله شكري وان كنت من عمال الساعة الحادية عشرة فحسبي ان عمال الساعة الاولى ذكروني في الصلاة وذكرتهم.

* الخوري داود كوكباني. ولد سنة ١٩٤٤ في عيتنيت (البقاع الغربي) حاز على اجازة في الفلسفة واللاهوت من جامعة القديس يوسف، بيروت. هو مرشد عام الحركة الرسولية المريمية...
- يدرس الكتاب المقدس في مركز سيدة العطايا للكراسة والرعاية (الاشرفية) وفي معهد الثقيف الديني العالي (انطلياس).

الفصل السادس عشر

أَتَوَجَّه إِلَى الْفُقَرَاءِ فِي إِنْجِيل الْقَدِيس لُوقَا

الاخت جهاد الأشقر*

انجيل القديس لوقا هو انجيل الفقراء والبسطاء وذلك لسببين رئيسيين، اولهما ان لوقا يكتب الى الوثنيين، وبتعبير آخر الى الذين لا يعرفون يسوع المسيح ولا تراث العهد القديم. وثانيهما لتركيز بشارته على هذه العلاقة الناجحة جداً بين يسوع وبين وجوه الفقراء، هذه الوجوه التي تملأ صفحات الانجيل الثالث.

لماذا هذه «الشرفية» للفقراء؟ من هم الفقراء؟ وكيف بُنيت العلاقة معهم وألغيت الحواجز؟ سرّ هذه العبارة التي نقلت المتروكين والمساكين والمعوزين والمشوهين والخاطئين الى شاطئ البشارة، سرّ هذه العبارة هو يسوع.

يسوع جاء اليهم، تكلم لغتهم، استعمل صُورهم وجعل من نفسه، في سرّ صليبه، سَلماً يَرْقُونَ به اليه.

هذا الموضوع الذي ندرسه اليوم: التوجّه الى الفقراء، هو مكان الوجد في بشارتنا وشهادتنا وهمسة من همسات «ما يقوله الروح للكنائس».

ندرس ما يقدمه القديس لوقا لنقارب عيشنا الكنسي ونكتشف من جديد ان وجه الفقراء نعمة: نعمة المرأة، تعكس لنا صورتنا وتدلنا على فقرنا وغنانا.

تندرج هذه القراءة في قسمين:

القسم الاول: وجه يسوع الغني، الفقير والداعي الى الفقر.
القسم الثاني: الفقراء. من هم؟ كيف تعامل الرب معهم؟
خاتمة: التوجه الى الفقراء اليوم.

القسم الاول: وجه يسوع: الغني، الفقير والداعي الى الفقر.

لما شاء يسوع المسيح، المعلم والقُدوة لإيماننا، لَمَّا شاء بمحبته اللامحدودة لبشريتنا، ان يمدّ لنا يد الآب ويعطينا قوة الروح، إتخذ الفقر تعبيراً لهذا الحب. طاعته للآب، وهو المساوي له في الجوهر، ومحبته له انجذبا نحو المكان الاخير، نحو الامحاء. وكأن هذا المكان الاخير هو المرأة الصافية والعميقة التي وحدها تقدر ان تعكس هذا البهاء الذي لا يُرى، وتُجسّد هذه الطاعة والمحبة.

وهذا طبعاً يعزّي ضعفنا ويشجّعه ويعطيه اكبر قيمة، لأن هذا الضعف بالذات هو مركز التجلّي «لصورة الآب... الذي تجرّد من ذاته، واتخذ صورة العبد، وصار شبيهاً بالبشر» (فيلبي ٧/٢-٧).

واختيار يسوع للفقير كتعبير لكيانه المتجسّد هو في مستوى الأساس والجوهر. من هذا المنطلق، ليس الفقر عَرَضاً أو صِفَةً أو قيمة أو حتى مَسْلَكاً نادى به المعلم. الفقر هو حالة، هو تجسّد لِبَسِه المعلم لَمَّا لبس جسداً. فصار بالتالي جزءاً من كيانه البشري لا ينفصل عن لاهوته. الفقر نقيض الألوهة التي من فيضها يُخلق الكون. فما كان من محبة يسوع العظيمة لطبعنا، ألا أنه رمى بنفسه على النقيض.

وانطلاقاً من هذا الموقف الوجودي الذي اختاره الرب والمعلم

تأتي كل النتائج الأخرى: مواقفه وتعليمه ومبادرته إلى لقاء الأضعف والأعزل.

نحن اذن امام وجه يسوع الفقير: هذه هي الإيقونة. وإيقونته تتضاعف في ايقونات بشرية هي على شِبْهِهِ فقيرة.

يطلّ علينا وجه يسوع في انجيل القديس لوقا، بالبساطة الوديدة والقريبة من الناس، ولكنها محمولة بضياء الالهة المحتجب بالتواضع. منذ الآيات الاولى في تقديم الكتاب، يوضح لوقا انه يكتب عن «الكلمة» من خلال «شهود عيان» لهذه الكلمة «وعاملين لها» (٢/١)، ويصل بسلسلة النسب ليسوع الى: ابن آدم، ابن الله (٣/٣٨).

فيسوع ابن الناصرة وابن مريم ويوسف وصديق الخطاة والعشارين (٧/٣٤)، هو نفسه السيد الذي يأمر والرب القائم من الموت والابن الذي يشهد له الآب مراراً: «انت ابني الحبيب بك رضيت» (٣/٢٢). هو الغني الذي لا حد لغناه، والعليّ المساوي للعليّ في الجوهر، ينحني ويختار المكان الاخير.

لكنّ القديس لوقا يلقي الضوء على ايقونة السيد من وجهها الآخر: وجه الانسان المتجرد البسيط والفقير، الذي يترك نفسه يلمس ويُقرب من أيّ كان. هذا السر العظيم، سرّ إمحاء اللاهوت في مسكنة الناسوت، يكتبه القديس لوقا بسلسلة تُنسبنا ما كلّف هذا الانحناء.

وهذا، فعلاً، هدف من اهداف البشارة التي ينقلها الينا: فيكون التركيز على ردة فعل قارئ الكلمة وسامعها، لا على فعل الرب في ذاته. والمقصود هو ردة فعل «ثيوفيلوس» (محب الله) - لا بحثاً لاهوتياً فلسفياً في تحليل فعل الإله المتجسّد. فغاية القديس لوقا- وكل الأنجيل بوجه عام - هي العلاقة الممكنة تفعيلها في قلب المُبشّر: فيقول: انا، الفقير والخطي، اشعر بما فعل الرب الذي يحبّني واتى اليّ وتشبّه بي ورافقني. فعّله يطاولني ويستوقفني ويغيّرني.

من هنا، نرى في فصول الانجيل الاربعة والعشرين، سهولة القُربى من هذا الرب المتجسّد. نرى ان الفقراء والبسطاء والهامشيّين والمردولين والذين لا اسم ولا صوت لهم، يجدون في يسوع الحلقة المفقودة، لاستعادة جوهر وجودهم الذي فكّكه وبعثه حُكم التصنيف.

وهذا هو سر نجاح العلاقة بين يسوع وبينهم: إن فقَرَ يسوع وبساطته كانا لهم كالعُبارة لهذه القفزة النوعية، فجرؤوا على سماعه وعلى تصديق ما يَعد به.

يسوع صار فقيراً حقاً ولم يُمثّل دورَ الفقير. لذلك عندما يعلّم الفقر ويضع شرعيته فإن أذن السامع ترى المصداقية فتشرّع باب القلب للكلمة. وُلد فقيراً في مذود (٧/٢) ولا احد سواه عاش هذا. قُدمت عنه تقدمةُ الفقراء (٢٤/٢)، تَعَمَّدَ وَجُرَّبَ وصَلَّى مع الشعب ولم يكن له موضع يُسند اليه رأسه (٥٨/٩). رفضه اهل السامرة (٥٣/٩)، وعُومِلَ ظلماً وحوكم كالمجرمين الذي لا يستطيعون تكليف محام ولا الضغط على القضاء...

مَثَلُهُ هذا هو الأمثلة - لذلك انا اسمع عندما يتكلم، ولا يثور في داخلي ايّ صوتٍ ضده، كأن اقول مثلاً: الحكيم هين، او يا طبيب طبّب نفسك. لا شيء مما قاله يسوع عن الفقر او عن غيره لم يعشه، لم يحمل ثقله. مصداقيته أَلْغَت كل الحواجز ومهدت كل الوعر وبالتالي صالحت ارادتي مع الذي يقترحه عليّ. مصداقيته تجعلنا غزلاً امامه وامام متطلباته الصعبة.

ماذا يطلب يسوع؟

بالأختصار: هو يطلب الجنون.

يطلب ان نترك كل شيء (٣٣/١٤)، وان ندخل من الباب الضيق (٢٤/١٣)، وان نبيع كل ما نملك ونوزع ثمنه على الفقراء فيكون لنا كنز في السماوات (٢٢/١٨)، وان نذهب مثل الخراف بين الذئاب ولا كيساً ولا حذاء (٤-٣/١٠)، وان نحبه اكثر من حُبنا حتى

لنفسنا (٢٥/١٤)، .. وان نتزّر للخدمة (الكبير فيكم فليكن لكم خادماً).

ويطلب الاعمق: يطلب فقر القلب وليس فقط فقر الجيب. يطلب ان نحب اعداءنا ونحسن الى مبغضينا ونبارك لاعيننا ونصلي لأجل المسيئين الينا ونعطي من يسائلنا ولا نطالب بشيء (٢٧/٦-٣٠). فنكون كالطفل الذي يقبل الملكوت... وطوبى للصغار:

«لا تخف ايها القطيع الصغير، فأبوكم السماوي شاء ان يُنعم عليكم بالملكوت... فحيث يكون كنزكم، يكون قلبكم». (٣٢/١٢ و٣٤).

لو لم يكن يسوع هو الذي يطلب، لكانت اولى ردّات فعلنا: هذا مستحيل! هذا ضدّ الفطنة والمنطق، وهذا تهوّر... لكنّ الضمانة الوحيدة والغالية هي انه هو الذي يطلب، اذن نحن نصدّق. نحن نصدّق ونقرّر التشبّه به رغم ضعفنا وعجزنا.

ونحن نحمده لأننا شاهدنا بأمر العين انطونيوس وباسيليوس، وخوري أرسى وكوتولونجو وفرنسيس وشربل ومنصور دوبول، شارل دو فوكو والام تريزا دو كلكتوتا. نحمده لأننا مسنودون في مسيرتنا بهذا التجلّي البشري الذي يُوقّع كلامه بعرقه ودمه.

القسم الثاني: الفقراء. من هم؟ كيف تعامل الرب معهم؟

ان نسمي عنوان هذا الدرس للانجيل: التوجه الى الفقراء، هذا لا يعني ابدأ تفضيل الفقراء. لأن الرب لا يفضّل أحداً على أحد. وهو كالغيث الذي يسقي الارض، يسقيها كلها ولا يستثني أحداً حتى ولا الحجارة.

التوجه الى الفقراء، نعني به شيئين:

الاول: إن الرب حصّة الضعيف والمقهور والمظلوم والفقير من

غير ان يضع القوي والغني جانبا. كما يعبر عن ذلك حزقيال النبي في

فصله المشهور عن الرعاة: «انا ارعى غنمي وانا اربضها، يقول السيد الرب. فاطلّب المفقودة وأردّ الشاردة وأجبر المكسورة واقوّي الضعيفة واحفظ السمينة والقوية وارعاها بعدل» (حزقيال ٣٤/ ١٥-١٦).

والثاني: ان الفقراء يحتاجون الى كل شيء. هم اذن في حالة انتظار وقبول. فحيث الفراغ هناك مجال لملء النعمة. وهذا الفقر بكلّ معانيه يجعل الانسان في حالة انفتاح للآتي وغير المنتظر. كأنّ محور الذات، صار بسبب التعرّي، خارج الذات. لهذا السبب نرى الفقراء لا يخجلون من المجيء اليه وطلب رؤيته، وسماع كلمته، والتغيير الجذري بسببه.

أ- من هم الفقراء؟

لائحة طويلة، عسانا نكملها نحن اليوم...

- تبدأ بـ «شهود عيان للكلمة» «والعاملين لها» (٢/١)،

- ويأتي وجه مريم الفقيرة الاولى والخادمة الاولى التي تدهش لمفاجآت الرب وتضع كل برامجها جانباً لتقول: «انا خادمة الرب: فليكن لي كما تقول» (٣٨/١). وتقوم وتُسرع الى الیصابات لا لتقبل منها التهاني بابنها أم ربّها، بل لتخدمها (٣٩/١). وتختصر موقف فقرها بنسب كل الافعال للرب: تعظّم نفسي الرب... لأنه نظر... لأنه صنع العظام، قدوس اسمه... اظهر شدة ساعده، بدّد المتكبرين، أنزل الجبابرة، رفع المتضعين. أشبع الجوع، صرف الاغنياء فارغين، اعان عبده وتذكّر رحمته كما وعد... (٤٦/١-٥٥).

كل الافعال هي للرب، هو المبدأ، هو المُبادر. ومريم تعتزّ انها فقط خادمة له، فقيرة امامه، إناء فارغ ينتظر الامتلاء. ونحن نباركها لأنها صارت بيت القربان الحيّ وتابوت العهد الجديد.

- وجه يوسف النجار- بيّ العيلة - الذي يشتغل ويحبّ ويعتني بصمت وانحجاب.

- وجه الرعاية: هم أول مَنْ بُشِّرَ مباشرة مِنْ فَم السماء. طبعاً إن الرمز الكتابي مُهمّ وهو مولد راعي الرعاية: الفقر واليقظة. «وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية، يتناوبون السهر في الليل على رعيّتهم» (٨/٢). ما يلفت النظر في هذه الآية هو التفصيل الدقيق الذي يورده القديس لوقا: عدا كونهم رعاة: فهم في البرية، وهم يتناوبون السهر في الليل على رعيّتهم. هم في عدم استقرار، في ظروف صعبة، غير مضمونة، مشرعة لكل المستجدات والعوامل. هم في أمر مُهمّة تقول: نحن جماعة، جماعة تسهر، ولأننا بُشِّر، نحن نتناوب السهر.

- ويتبع وجه سمعان، الرجل التقي المُنتظر الخلاص، هذا الفقير الشيخ الذي رأى وفهم وتمنّى الرحيل لأن الموعود به أتى. ومعه وجه حنة النبوة (٢/٢٥-٣٨).

- ويختتم هذه اللوحة لحياة يسوع المستترة وجهُ يوحنا المعمدان، العظيم في مواليد النساء والذي رأى نفسه فقط صوتاً يُبشِّر «بالكلمة» الحاملة المعنى، والعائش في البرية متجرّداً فقيراً (٣/١٦).

هؤلاء هم الفوج الأول في موكب الفقراء. ومع ظهور يسوع، في حياته العلنية، في مجمع الناصرة، حيث نشأ، وقراءته لكتاب النبي اشعيا:، فتح يسوع صفحة جديدة فيها البرنامج المسيحاني: «روح الرب عليّ، لأنه:

مسحني لأبشّر المساكين،

أرسلني لأشفي المنكسري القلوب،

لأنادي للأسرى بالحرية،

وللعريان بعودة البصر إليهم،

لأحرّر المظلومين،

وأعلن الوقت الذي فيه يقبل الرب شعبه (٤/١٨-١٩).

هذا الطرح البرنامج فجر الأطر التقليدية وأحيا آخر نفس في الفتيلة فاشتعلت.

وقام المساكين والمظلومون والمنكسرو القلوب، والأسرى، والعميان، وأتوا إليه.

وبدأ موكب الفقراء يتبع يسوع، ولما ينته بعد.

- «وعند غروب الشمس، جاء الناس بمرضاهم إلى يسوع وكانوا مصابين بعلل مختلفة، فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاه» (٤٠/٤).

- «وبينما هو في إحدى المدن إذا برجل غطى جسده البرص، فلما رأى يسوع ارتقى على وجهه وتوسل إليه بقوله: يا سيدي، إن أردت طهرتني. فمد يسوع يده ولمسه وقال له: أريد فاطهر» (١٢/٥ - ١٣).

- «ورأى يسوع جابياً للضرائب اسمه لاوي، جالساً في بيت الجباية. فقال له: إتبعني». ودخل بيته وأكل مع جباة الضرائب ورافق الخاطئين ودافع عنهم: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، ما جئت لأدعو الصالحين إلى التوبة، بل الخاطئين» (٣١/٥ - ٣٢).

- ولحق به زكا الغنيّ الفقير وخاطر بكل الاعتبارات من أجل رؤيته. وجاءت إليه، إلى بيت سمعان الفريسي، امرأة خاطئة «ووقفت من خلف عند قدميه وهي تبكي، وأخذت تبلّ قدميه بدموعها، وتمسحهما بشعرها وتقبّلهما، وتدهنهما بالطيب» (٣٨/٧).

- ورافقه بعض النساء اللواتي شفاهن من الأرواح الشريرة والأمراض... (٢/٨).

- واستقبله رجل من المدينة فيه شياطين، وكان لا يلبس ثياباً من زمن طويل، ولا يسكن في بيت، بل بين القبور (٢٧/٨).

- ورحّب به الجموع لأنهم كانوا كلهم ينتظرونه (٤٠/٨).

- صرخ له الأعمى: يا يسوع ابن داود، ارحمني (٣٨: ١٨).

- وبسّط أمامه الناس ثيابهم على الطريق (٣٦/١٩).

- وحمل الصليب معه رجل اسمه سمعان (٢٦/٢٣).

- ومجد الله، قائد الحرس، لما رآه على الصليب وقال: بالحقيقة هذا الرجل كان صالحاً (٢٣/٤٣٧).

- وعارض رأي المجلس وتصرفه بسببه رجل تقي اسمه يوسف (٢٣/٥١).

- وأحبّه وآمن به في آخر لحظة لصّ على الصليب (٢٣/٤٢).

نلاحظ أن الأكثرية في موكب يسوع هم من الفقراء: منهم في وضع الخدمة، والمهنة الوضيعة، والمرضى على اختلاف أنواعه. هم الهامشيون واللصوص والخارجون على القانون والشرائع، بالإضافة إلى بعض الوجوه الغنيّة مثل زكا ويوسف الرامي. بشارة يسوع طالت بنوع ملفت الجموع والبسطاء والذين لا وزن لهم في الاعتبار البشرية.

ب - طريقة معاملة يسوع للفقراء.

١ - يسوع ينزل إلى الناس، يذهب إليهم حيث هم.

يصوّر لنا القديس لوقا في ثلاث آيات ملخّص هذه الاستراتيجية في الفصل السادس:

«ثم نزل يسوع معهم (الإثني عشر) فوقف في مكان سهل، وهناك جمهور من تلاميذه وجمع كبير من الناس من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيدا. جاؤوا ليسمعوه وليشفيهم من أمراضهم. وكان الذين تعذبهم الأرواح النجسة ينالون الشفاء أيضاً. وحاول جميع الناس أن يلمسوه؛ لأن قوة كانت تخرج منه وتشفيهم كلّهم» (١٧/٦ - ١٩).

في هذه اللوحة نرى مثلاً عن برنامج يسوع وطريقة معاملته.

يسوع ينزل من الجبل. هو يأخذ المبادرة في تسهيل اللقاء. الناس في السهل، وهذا واقعهم أبداً، يُحبّون السهل لأنه لا يكلف كثير العناء، ولأنهم رُبما لا يُحسنون أو لا يستطيعون الصعود. فينزل المعلم، ليلاقهم حيث هم، ليسمح لهم بالتعرّف إليه. ويكلّمهم بلغتهم. وهذه الاستراتيجية اسمها يسوع: الله معنا، جاء لعنّادنا لأنه عارف بجبلتنا وذاكر أنّنا تراب (مز ١٠٣).

الطوباوي أنطوان شوفريه كان حساساً جداً لهذا الموقف الرسولي الذي يمثّل نقطة الصفر، نقطة البدء. هو يقول: الناس لا يأتون، فلنذهب نحن إليهم ونزّحّهم وضيقهم وصعوباتهم... كما فعل المعلم: نزل ورأى عن قرب.. رأى أمّاً أرملة تبكي وحيدها الميت فأقامه (١٢/٧)، وشفى امرأة منحنية الظهر (١٣/١٠)، ودُهمش لسخاء أرملة فقيرة وضعت في صندوق الهيكل درهمين (٢١/١ - ٢).

٢ - يسوع يكلمهم أولاً عن الملكوت.

نرى يسوع في مواقف كثيرة لا يبدأها بالشفاء أو بإطعام الجياع إلى الخبز، بل يبدأها بالكلمة. يُشبع القلب أولاً. وهذه الأولوية التي يُعطيها يسوع للكلمة هي مدرسة لنا في التعاطي مع الفقراء. هو يعطي خبز الكلمة، خبز الروح، وهذا الشبع ينعكس تلقائياً بعدها على حاجات الجسد فيعطي الشفاء والطعام واللباس...

ولما اعتزل مرة بتلاميذه في بيت صيدا بعد جولة رسولية متعبة، وتبعه الناس، «استقبلهم وكلمهم على ملكوت الله، وشفى المحتاجين منهم إلى الشفاء» (٩/١١).

هذا المبدأ الذي يقّمه يسوع، نعارضه نحن أيضاً بمبادئنا البشريّة الفطّنة والمبنيّة على سيكولوجية علم الاجتماع. فنقول إن لا مجال لأذن الفقير أن تسمع طالما أن بطنه يشكو من الجوع أو جسمه يشكو من المرض. يسوع قدّم الإثنين ولكنه أعطى الأولوية للكلمة، لأن الكلمة هي الأساس، وهي التي تعلّم سُبلَ التعاطي مع حيثيّات وآنيّات الجسد. وعندها يستيقظ في قلب الآخر الشوق إلى المطلق ويرى حقيقته والنقص الوجودي الذي يعيش فيه، (وهو لا يدري)، فتبدأ مسيرة الإيمان والحب.

٣ - يسوع يترك نفسه يُقرب ويُلمَس.

يبدأ لوقا الفصل الخامس عشر، الذي تفرّد في كتابته، بهذه الآية التي سبّبت الصراع بين يسوع والفرّيسيّين: «وكان جباة الضرائب والخابثون يدنون من يسوع ليسمعوه» (١٥/١).

هذا الفصل «الجوهرة» كما يسميه النقاد، هو ردّ وتفسير لهذه الآية من خلال الخروف الضائع والدرهم المفقود والابن الضال...

موقف جديد وفريد يتّخذه يسوع تجاه الفقراء: بينما الشريعة تحذّر من هذه القُربى تحاشياً للنجاسة، فهو يقرب الأبرص، ويترك النازقة تلمسه (٤٤/٨)، والخطاة والعشارين يدنون منه. يسوع يختصر المسافة ويأتي لأنه الأقوى، ويعرف أن مرضنا وشريعتنا يمنعاننا من المجيء. هو لا يخاف العدوى ولا النجاسة ولا تشويه صيته وصورته، وبالتالي فقدان الهالة والاحترام. مع أنه يعرف حق المعرفة أن دنوه من الفقراء ودنوّهم منه سيسبّب له الموت. بتصرّفه هذا علّمنا ولا يزال أن الموت أحبّ من الكبرياء والروح الفريسية.

٤ - يسوع يواجه أصعب الحالات.

يخبرنا لوقا أن يسوع ذهب إلى ناحية الجراسيين - الوثنية - مقابل شاطئ الجليل. «ولما نزل يسوع إلى البرّ، استقبله رجل من المدينة فيه شياطين، وكان لا يلبس ثياباً من زمن طويل، ولا يسكن في بيت بل بين القبور» (٢٦/٨ - ٢٧). يتفرّد لوقا بإعطاء هذه التفاصيل. لقاء عنيف مع رجل كهذا. فقد كل معالم الإنسانية وأصبح كسكّان القبور. فما من لغة تستطيع أن تُقرب المسافة التي تفصله عن عالم الأحياء. لا الثياب (بكل معنى الثياب)، ولا العلاقات (لا يسكن في بيت)، ولا الإيمان (فيه شياطين). ونرى أن يسوع نجح معه لأنه جرؤ على لقائه وواجهه. فالحضور هو اللغة الوحيدة المتبقية لهذا الفقير، كالعبارة فوق هاوية تقول له بمجرّد وجودها: هَلَمْ اعْبُرْ، لا تخف.

٥ - يسوع يعطي وقته ويغيّر برامجه محبة بالفقراء.

نحن نرى في موكب يسوع كل الفئات من الناس: تلاميذه، معجبين به، مراقبين له ليُخرجوه ويتهمّوه، وُجّهاء، فقراء، مرضى... والموكب كبير والضجة كبيرة والاهتمامات كثيرة. فكل واحد يطلب شيئاً، وينتظر شيئاً والرب حاضر لكل أحد.

وفي قلب هذا الموقف المتشعب الحضور نرى يسوع يُوقف الموكب كلّهُ لأجل صوت استغاثة جاءه من برتيمائوس الأعمى بينما «انتهره السائرون في المقدمة ليسكت» (٣٩/١٨). سمع يسوع الاستغاثة رغم كل الضجة، ووقف وأوقف معه الذين حاولوا تسكيت برتيمائوس. أعطاه وقته وحضوره واحترامه كإنسان: «ماذا تريد أن أعمل لك؟ مَنْ منا لا يعرف ماذا ينبغي أعمى من ابن داود؟ لكنّ ابن داود يحترم حرّية خلقه إلى هذه الدرجة من السموّ.

ونرى يسوع مرة أخرى ذاهباً مع يائيرس ليشفي ابنته التي أشرفت على الموت (٤٠/٨)، وفي الطريق، تأتي من خلفه امرأة نازفة - إذن نجسة - وتلمس طرف ثوبه وتُشفى. وإذا بيسوع يوقف الموكب ويأخذ كلّ وقته معها ليسأل ويستجوب ويُكبر إيمانها. وهذا الموقف الذي أعطاه كل وقته سبّب في تأخيرهِ عن ابنة يائيرس وموتها.

نحن نلومه من منطلقنا البشري، نقول: إنه بعثر قوّته، إنه أضاع وقته. فلو لم يتوقف ويأخذ كل هذا الوقت، لكان شفى الإثنين بدون مشاكل. وندينه أحياناً: إنه مَوَاهِي لا يعرف كيف ينظم وقته. ومنطقه عالم آخر... منطقهُ يعطي «الآن» آفاق الأبدية، يعيش اللحظة كأنها الوحيدة المعطاة، ويتعامل مع الآخر كأنه الإبن الوحيد.

ونراه على الصليب، رغم آلامه وقرب موته، يسمع صوت اللص العائد إليه ويعطيه كل الوقت الباقي وكل الحب: «ستكون اليوم معي في الفردوس» (٤٣/٢٣).

٦ - هدف التوجّه إلى الفقراء

الهدف هو محور كل التصرف، كما يقول الذهبيّ الفم. أنت تصوم وتصلي؟ لماذا؟ ما هو هدف صيامك وصلاتك؟ ما هي النية التي تدفعك إلى هذا الفعل؟ ما هو الدافع الذي يحرك فعلك؟ فإمّا أن يكون الدافع طاهراً، مُحِبّاً لله وللفقير من أجله، وإمّا أن يكون ملوثاً له

أغراض ومصالح شخصية صغيرة. والفقير مرآة تعكس ما تقدّمه لها. هو يعرف عمق النية وأحياناً تراه لا يقبل بالمساعدة لأنها أهانتة في كرامته، أو لأنك تنوي استعماله من جملة البراهين لتُظهر برارتك. وتراه أحياناً أخرى يتغيّر جذرياً من خلال تعبير بسيط للحب لأنه رأى صفاء النية. يسألنا الفقير: لماذا تحاول التقرب مني؟ وتساعدني؟ وجوابنا هو هوية علاقتنا به. ولنا أمثلة عديدة عن خبرات حلوة عاشتها الكنيسة مع الفقراء وخبرات أقلّ حلاوة... يسوع أحب الفقراء فعلاً وتوجّه إليهم فعلاً، ومن أجلهم هم. غايته واضحة: أن ينهضوا ويشفوا ويحققوا سعادتهم. والفقراء أدركوا صفاء موقفه فتركوا مواقعهم وخوفهم ومتاريسهم وجاؤوا إليه.

يذكرنا هذا الموقف بثعلب الكاتب الفرنسي أنطوان دو سان اكسبري الذي يشرح لأميّره الصغير عمق تصرفه: وَقَعَ خُطى الناس يجعلني أختبئ لأنني أخاف من بنادقهم، أما وَقَعَ خطاك فيُخرجني من مخبأي وأعرف أنك ات لتحبّني لا لتضطادني...

خاتمة:

في نهاية هذا الدرس لإنجيل القديس لوقا، تتبادر إلى ذهننا أسئلة عديدة نختمها بخلاصيتين.

أول هذه الأسئلة: من هم الفقراء اليوم وهل عندنا فقراء؟ هل نحن فقراء؟ يقول القديس أمبروسيوس: الغني يرى دائماً ما ينقصه، ويتحسّر. أما الفقير فيرى الدنيا كلها له.

نحن محاطون بموكب من الفقراء ليس فقط على المستوى المادي وحسب، فهذه الحالة هي أبسط الحالات وأسهلها حلاً ربما. لكنّ فقراءنا الحقيقيين هم على مستوى الشهادة والمعنى ومعرفة يسوع المسيح. عالماً اليوم يحاول أن يستغني عن الرب ويوهم نفسه أنه غني وسعيد. عالماً اليوم غني بقدر ما يحتاج إلى أولوية شهادة الفقر. هو يكّدس ويفتش عن الفعالية والانتاج ويتسابق في طريق الرخاء

والتسهيلات، وحاجته الأولى الساكنة في عمق كيانه هي أن يرى أناساً لا يكدّسون ولا يأخذون بمقاييس الإنتاج. يحتاج إلى أناس يعملون بأيديهم «ويغتبرون» أرجلهم ويتكلون على العناية؛ يحتاج إلى أناس يجذّفون بعكس التيار. شعبنا الشرقي مجروح في صميم وجدانه الإيماني، تارة بسبب وضعه الكنسي المكبوت وطوراً بسبب الشك الذي تسببه بعض المواقف الغنيّة في الكنيسة. مرة لأنه لا يُعطى الطعام الذي يحقّ له - خاصة على مستوى الروح - ومرة لأن أهدافنا في معاملته ملوثة. وفي كل المرات لأنه ينتظر مثلاً، من الكنيسة «الأم والمعلمة» أن تكون تلميذة عند قدمي المعلم، ساجدة وفقيرة وخادمة وشاهدة بفقرها عن مصداقية بشارتها. هذا وجه من وجوه فقرائنا اليوم.

ونحن نشكر الرب بسبب فقرائنا لأنهم نعمة، لأنهم فرصة لنا في عيش بُعدين: بُعد التشبّه بالسيد الذي أخلّى ذاته، وبُعد الوقفة الضميرية التي يضطرنا الفقير إلى وقوفها. الفقير صوتٌ صارخٌ، وموقفٌ مواجهة يجردنا من كل أجوبتنا التقريبية أمام جذرية تعريّه.

ونصل إلى الخلاصتين:

الأولى: إن الفقر أمّ الفضائل، وليس أختها وابنتها.. هو ليس مجرد فضيلة يمكننا أن نتحلّى بها من كَرَمنا أولاً. هو رحم يلد الفضائل كلها، يلد التدرّج في الحياة المسيحية. الفقر يُلغي تلقائياً الحالات المناقضة له في جوهره كالكبرياء والاكتفاء والاستقرار والبذخ والسهولة والتحدّي وكل نتائجها... ويسهّل فضائل أخرى كالتواضع والتوبة والخدمة...

من هذا المنطلق هو يولّد السلام كما عبّر عن ذلك قداسة البابا يوحنا بولس الثاني: «إذا أردت السلام فبادر إلى لقاء الفقراء».

الثانية: وجه الكنيسة. وجه الكنيسة الجوهري هو وجهٌ فقير لأنها لكل كما يقول بولس الرسول «صرت كلاً لكل لأربح الكل» (١ كور ٩/١٩ - ٢٢).

وصرت للفقراء فقيراً لأربح الفقراء. عندما تكون الكنيسة كنيسة الفقراء تكون عند ذاك قد مرّت بالموت على شبه السيد وقامت معه لتقيم معها الكل.

* الاخت جهاد الاشقر. ولدت سنة ١٩٥٠ في بيت شباب (لبنان) حازت على دبلوم دراسة رعوية في المعهد الكاثوليكي في باريس.
- هي ممثلة للشرق الاوسط في اللجنة العالمية للتعليم المسيحي (الفاتيكان). شاركت في كتاب «القراءات السيّدية».
- تعمل حالياً في بيت الرسالة في ابرشية طرابلس (لبنان).

الفصل السادس عشر

المسألة الإزائية

الخوري بولس الفغالي*

حين نقرأ إنجيل متى ومرقس ولوقا نجد إختلافات وائتلافات من أنواع متعددة. وهذا الواقع يطرح علينا سؤالاً: ما هي العلاقات المتبادلة بين هذه الأنجيل التي سُمّيت إزائية لأننا نستطيع أن نضع نص متى بإزاء نص مرقس ولوقا والعكس بالعكس؟ غير أن الجواب على هذا السؤال يرتبط بمعرفة الواقع الذي نحاول تدارسه.

تحدّث القديس أوغوستينس عن التوافق بين الإنجيليين الثلاثة، وحاول طاطيانس السوري أن يؤلّف الدياتسارون أو الإنجيل الرباعي: إستعان بالأنجيل الأربعة فدوّن سرداً متواصلاً للبشارة. وستكون محاولات عديدة لم تتوقّف إلى أيامنا في الشرق العربي. غير أن الكنيسة لم تشجّع مثل هذه المحاولات، بل فضّلت أّت تتمسك بالأنجيل الأربعة غير خائفة من الصعوبات التي تواجه أربعة نصوص مختلفة تحدّثنا عن حياة يسوع وأقواله وأعماله.

سنحاول في هذه العجالة أن نعرض المسألة الإزائية بمعزل عن كل نظرية منهجية أو دفاعية، وهمّنا أن نتعرّف إلى الأنجيل معرفة أفضل، لا أن نلغي المسألة تاركين جانباً التفاصيل. فالتفاصيل تؤثر على مضمون التقاليد الإنجيلية وسياقها وتعبيرها. ولا نخف من الإختلافات فهي تدلّ على غنى المسيح، وبالتالي على غنى الكنيسة.

فشخص يسوع أعظم من يستنفده كتاب واحد. ولو أردنا أن ندون كل ما عمله يسوع وعلمه لما استطاعت الدنيا كلها أن تسع الأسفار المكتوبة (يو ٢١: ٢٥).

أ - عرض الواقع الإزائي

١ - مضمون الأناجيل الثلاثة.

إذا ألقينا نظرة سريعة إلى الأناجيل الثلاثة الأولى، لوجدنا أن عدداً كبيراً من الأقوال والأعمال المتناقلة عن يسوع هي هي: المعجزات عينها، الأمثال عينها، الجدالات عينها وعين الأحداث الكبرى في حياة يسوع. فشفاء المخلع مثلاً يرد في كل من متى (٩: ١ - ٨) ومرقس (١: ٢ - ١٢) ولوقا (٥: ١٧ - ٢٦). ويتحدث متى (١٣: ١ ي) عن أمثال الزارع وحب الخردل التي يتحدث عنها مرقس (٤: ١ ي) ولوقا (٨: ٥ ي). وكذا نقول عن الجدالات حول سلطة يسوع (مت ٢٣: ٢١ - ٢٧ = مر ١٤: ٢٧ - ٣٣ = لو ٢٠: ١٣ - ٨)، حول إداء الجزية لقيصر (مت ٢٢: ١٥ - ٢٢ = مر ١٢: ١٣ - ١٧ = لو ٢٠: ٢٠ - ٢٦)، حول أولى الوصايا (مت ٢٢: ٣٤ - ٤٠ = مر ١٢: ٢٨ - ٣٤ = لو ١٠: ٢٥ - ٢٨).

ولقد اعتاد الشراح أن يسموا التقليد المثلث المقطوعات التي نجدها عند متى ومرقس ولوقا. في هذا التقليد، يشكل مرقس الحلقة الوسطى بين الإنجيليين الأول والثالث. والتقليد المثنى يتضمن مقطوعات نجدها عند إنجيليين اثنين فقط. والتقليد البسيط يمثل شاهد واحد هو متى، مرقس أو لوقا. ونزيد على ذلك تكرار النص في الإنجيل الواحد، مثل تكثير الخبز الذي نقرأه في مت ١٤: ١٣ - ٢١ (رج مر ٦: ٣١ - ٤٤) و ١٥: ٣٢ - ٣٨ (رج مر ٨: ١ - ١٠).

أولاً: نظرة إجمالية

يشمل التقليد المثلث نصف مرقس (٣٣٠ آية من أصل ٦٦١ آية) وثلاث متى (٣٣٠ من أصل ١٠٦٨) ولوقا (٣٣٠ من أصل ١١٥٠)

تقريباً. ثم إن مرقس لا يملك إلا خمسين آية خاصة به: مثل الزرع الذي ينمي (مر ٢٦: ٤ - ٢٩)، وحدث أخوة يسوع (مر ٢١: ٣)، وشفاء الأصم الأخرس (مر ٣١: ٧ - ٣٧)، وأعمى بيت صيدا (٢٢: ٨ - ٢٦). هذا عدا بعض الأقوال المتفرقة. وكل ما تبقى نجده عند متى أو عند لوقا أو عند الإثنين. وهكذا يبدو مرقس كأنه القاسم المشترك في التقليد الإزائي، مع أنه يورد تقاليد لا يعرفها متى ولوقا، كما أنه يجهل تقاليد أوردتها متى ولوقا.

أما التقليد المثنى فيشتمل على خمس آيات متى ولوقا. هناك آيات خاصة بمتى يُورد فيها خير الطفولة (مت ١ - ٢) وثمانية أمثال (مثل الزؤان، مت ١٣: ٢٤ - ٣٠، وتفسيره، ٣٦ - ٤٣؛ مثل الكنز واللؤلؤة، مت ١٣: ٤٤ - ٤٦؛ مثل الشبكة، مت ١٣: ٤٧ - ٥٠)، وبعض الأخبار، وأقوالاً عديدة. أما لوقا، فالآيات الخاصة به تقارب نصف إنجيله، لا سيما في قسم الصعود إلى اورشليم الذي يبدأ في ٩: ٥١.

ثانياً: نظرة إلى التفاصيل

هذا ما يبدو لنا حين نلقي نظرة إجمالية. ولكن حين نتطلع عن قرب، نجد أن الأمور تختلف. لا شك في أننا أمام تذكارات واحد يرويه الإنجيليون، ولكن كم من الاختلافات في التفاصيل. مثلاً، تتضمن صلاة الأبانا سبع طلبات عند متى (٩: ٦ - ١٣) ولا تتضمن إلا خمساً عند لوقا (٢: ١١ - ٤). إذا قرأنا مت ١٠: ١٠ ولو ٩: ٣ = ١٠: ٤ نجد أن يسوع يمنع تلاميذه من أن يحملوا أي شيء («لا تحملوا كيس دراهم ولا مزوداً ولا حذاء»). أما في مر ٨: ٦ فنقرأ: «أوصاهم ألا يأخذوا للطريق شيئاً سوى عصا». مثل هذه التفاصيل لا تُلغى اليقين الإجمالي الذي وصلنا إليه، ولكنها تحدّد مدلوله. ولهذا يجدر بنا في كل حالة أن نتساءل: لماذا هذه الاختلافات أو تلك في نصوص تكاد تكون مطابقة؟

وإذا تفحصنا مضمون النصوص طُرح علينا سؤالان:

الأول: إذا أنكرنا كل تبعية أدبية، كيف نبرّر هذه التوافقات العديدة؟

الثاني: إذا أكدنا على تبعية متبادلة بين النصوص، كيف نفسّر الزيادات والإغفالات؟ هل يكفي أن نلجأ إلى نظرة الكاتب، إلى حاجة القراء؟ كيف نتجنب الأحكام التي لا تبدو مُسندة؟

٢- ترتيب المواد الإنجيلية

أولاً: كيف تبدو المقطوعات؟

تنوّع الأحداث في الأنجيل الثلاثة حسب مراحل أربع.

المرحلة الأولى: بداية رسالة يسوع (مت ١:٣ - ١١:٤ = مر ١:١ - ١٣ = لو ١:٣ - ١٣:٤): «في تلك الأيام، ظهر يوحنا المعمدان ينادي: توبوا، قد اقترب ملكوت السماوات... صوت منادٍ في البرية: أعدّوا طريق الرب، واجعلوا سبله قويمه» (مت ٣:٣).

المرحلة الثانية: رسالة يسوع في الجليل (مت ١٢:٤ - ٢٥:١٨ = مر ١:١٤ - ٥٠:٩ = لو ١٤:٤ - ٥٠:٩): «وبلغ يسوع خبر اعتقال يوحنا، فلجأ إلى الجليل... وكان يسوع سائراً على شاطئ بحر الجليل...» (مت ١٢:٤، ١٨؛ رج ٢٣).

المرحلة الثالثة: الصعود إلى اورشليم (مت ١٩:١ - ٣٤:٢٠ = مر ١٠:١ - ٥٦ = لو ٩:٥١ - ٢٧:١٩): «وإذ حانت أيام إرتفاعه، عزم على الصعود إلى اورشليم» (لو ٩:٥١).

المرحلة الرابعة: الآلام والقيامة (مت ٢١ - ٢٨ = مر ١١ - ١٦ = لو ١٩ - ٢٤). «قال هذا ثم تقدّم صاعداً إلى اورشليم» (لو ١٩:٢٨).

نحن كما يبدو أمام كرازة أولانية طبعت بطابعها النهائي أحداث حياة يسوع. هذا ما نكتشفه حين نقرأ أع ٣٧:١٠ - ٤١: «أنتم تعلمون ما (الكلمة، الأمر، الحدث) جرى في اليهودية كلّها. وكان بدؤه في

الجليل بعد المعمودية التي نادى بها يوحنا، في شأن يسوع الناصري. كيف أن الله مسحه بالروح القدس والقدرة... ونحن شهود على جميع أعماله...». قد تكون هناك إضافات خاصة بكل إنجيلي، ولكن الرسمة العامة هي هي لدى الإزائيين الثلاثة.

ولكن في قلب هذا التوافق الإجمالي نجد إختلافات واضحة. هناك الصعود إلى أورشليم في إنجيل لوقا، هناك قلب في الخطب والأمثال، فيرد ما يقال للإثني عشر (مت ١٠: ٥ ي) وكأنه يتوجه إلى السبعين في لوقا (٢١٠ ي). ولكن الإختلاف الأهم نجده عند متى بالنسبة إلى لوقا ومرقس. يتبع لوقا (٤: ٣١ ي) مرقس (١: ٢١ - ٦: ١٣) بصورة تكاد تكون أمينة. أما متى فيتخذ طريقاً أخرى. يقدم خطبة الجبل (٥ - ٧) ثم يُتبعها بعشر معجزات (٨ - ٩) تبدو متفرقة عند الإنجيليين الآخرين. بالإضافة إلى ذلك، يختلف متى عن لوقا في تنظيم أقوال يسوع. يجمعها متى في خمس خطب هي خطبة الجبل (٥ - ٧) وخطبة الإرسال (١٠ ف) وخطبة الأمثال (١٣ ف) وخطبة الكنيسة (١٨ ف) وخطبة النهاية (٢٤ - ٢٥). أما لوقا فيتركها موزعة حسب الظروف والحاجات، فتبدو بشكل طبيعي. لا شك في أن يسوع لم يُلَقَّ خطباً من هذا النوع، ولكنه كان ينثر أقواله حسب الظروف فيجمعها التلاميذ ويتأملون فيها.

ثانياً: كيف تبدو الأخبار؟

هناك سياق عام يجمع بين الأناجيل الثلاثة. ولكن داخل هذا السياق نكتشف توافقاً أو إختلافاً على مستوى التفاصيل في المتتاليات. وها نحن نعطي بعض الأمثلة.

يختلف مت ٢٣: ٤ - ٥٨: ١٣ عن مر ٢١: ١ - ١٣: ٦. ومع هذا نحن نجد في هاتين المتتاليتين توافقاً على عدد من الأخبار، مع أن السياق يختلف بين إنجيل وآخر.

يتحدث مر ٢١: ١ - ٤٥ عن طرد الشيطان، وشفاء حماة بطرس وإبراء الأبرص. وهذا ما يوافق مت ٢٨: ٧ - ١٦: ٨. ونقرأ عن شفاء

المقعد ودعوة لاوي والجدال في الصوم في كل من متى (١:٩ - ٢٧) ومرقس (١:٢ - ٢٢). والأمثلة عديدة في هذا المجال (رج مت ١:١٢ - ١٤ = مر ٢:٢٣ - ٦:٣).

مقابل هذا، قد يكون السياق هو هو، ولكن المجموعات تختلف. مثلاً، جُعل إبراء الأبرص في مرقس (١:٤٠ - ٤٥) قبل شفاء مقعد كفرناحوم حالاً. أما متى فجعل عدة أحداث تفصل بين الشفاءين (مت ٨:٢ - ٤، الأبرص؛ ١:٩ - ٨، المخلع).

يرافق لوقا تصميم مرقس، ولكنه يُقحم تقاليد خاصة به دون أن يحرك ترتيب مرقس. ولكن في قلب هذا التوافق الإجمالي، نكتشف أخباراً أخذت من محلّها وجُعِلت في محل آخر. وهاك بعض الأسئلة:

في مرقس، يسبق نداء التلاميذ كرازة يسوع الأولى في كفرناحوم (مر ١:١٦ - ٢٠). مع مرقس، يسوع هو دائماً برفقة تلاميذه. أما لوقا (١:٥ - ١١)، فيجعل التلاميذ يتعرفون أولاً إلى برنامج يسوع (لو ١٦:٤ ي)، وبعد الصيد العجيب «تركوا كل شيء وتبعوه». ونقول الشيء عينه بالنسبة لزيارة يسوع إلى الناصرة (مر ١:٦ - ٦؛ لو ١٦:٤ - ٣٠). ونحن نجد عدة تقاليد مرقسية في قاطعة لوقا الكبرى. مثلاً، مر ٢٢:٣ - ٣٠ ومهاجمة يسوع، بأنه بعل زبوب، سنقرأه في لو ١١:٢٥ - ٢٣. ومثل حبة الخردل الذي جعله مرقس في خطبة الأمثال (مر ٤:٣٠ - ٣٢ = مت ١٣:٣١ - ٣٢)، صار عند لوقا (١٨:١٣ - ١٩) رفيق مثل الخميرة (١٣:٢٠ - ٢١) خلال الصعود إلى أورشليم.

إذا عدنا إلى متى (١٢:٢٤ - ٣٠) ومرقس (٣:٢٢ - ٣٠) نجد أن الكلام على بعل زبول يسبق حالاً الحديث عن أسرة يسوع الحقيقية (مت ١٢:٤٦ - ٥٠ = مر ٣:٣١ - ٣٥). أما لوقا (١١:١٤ - ٢٦) فأتبعه بكلام تلك المرأة التي تمتدح أم يسوع: «طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين رضعتهما» (لو ١١:٢٧). وفي ما يتعلق بأسرة يسوع فقد أورده لوقا في سياق آخر، بعد خطبة

الأمثال (لو ٨: ١٩ - ٢١): أم يسوع وإخوته هم أصحاب الأرض الطيبة (لو ٨: ١٥): «يسمعون كلمة الله ويعملون بها» (لو ٨: ٢١).

وقد نكون في حدث واحد أو مقطع واحد، فنجد بعض الاختلافات. مثلاً، التجربة الثانية عند متى (٤: ٥ - ٧) صارت الثالثة عند لوقا (٤: ٩ - ١٢). كل شيء ينتهي في اورشليم عند لوقا، ومنها هذه التجربة مع تلك التي تنتظره قبل الألام (لو ٢٢: ٣، ٥٣). أما عند متى، فيسوع على الجبل يشبه موسى على جبل مواب (تث ٣٤: ١): «أراه جميع الأرض». يورد الأنجيلي الخبر ولكنّه لا يتعلّق بحرفيته، بل يشدّد على اللاهوت الذي نستنتجه منه.

٣- التوافق على مستوى التعابير والألفاظ

أولاً: في بنية الخبر

هناك ملاحظات أو معترضات ترد في مكان واحد من الخبر، حتّى وأن لم تهَيِّئها حركة السرد. مثلاً، في خبر دعوة التلاميذ الأولين، جاءت جملة معترضة: «لأنهما كانا صيادين». نجدها عند متى (٤: ١٨) وعند مرقس (١: ١٦). وفي خبر شفاء المخلع ينقطع الخبر في المكان عينه وبالعبارات عينها: «فلكي تعلموا أن ابن الإنسان له سلطان يغفر به الخطايا على الأرض، قال للمخلع» (مت ٩: ٦ = مر ٢: ١٠ = لو ٥: ٢٤). وهناك حاشية أقحمت داخل خطبة النهاية: «ليفهم القاريء» (مت ٢٤: ١٥ = مر ١٣: ١٤). يتوجّه الإنجيلي هنا إلى المسيحيين ويدعوهم إلى نظرة إيمانية لا تتوقف عند أحداث يفهمها جميع الناس.

توافقٌ على مستوى العبارة، وتوافقٌ على مستوى الألفاظ والكلمات. وأوضحُ مثال على ذلك كرازة يوحنا المعمدان التي ترد في متى (٣: ٧ ب - ١٠) ولوقا (٣: ٧ ب - ٩): «يا أولاد الأفاعي، من أراكم سبيل الهرب من الغضب الآتي؟ فأثمروا ثمراً يدل على توبتكم، ولا تعلّلوا النفس قائلين: إن أبانا هو إبراهيم. فإني أقول لكم: إن الله قادر على أن يخرج من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم. ها هي ذي الفأس

على أصول الشجر، فكل شجرة لا تثمر ثمراً طيباً تُقَطَّع وتُلْقَى في النار». نحن أمام توافق يكاد يكون تاماً. وهذا ما يدل على أن متى ولوقا إستقيا من المعين عينه.

قد نجد التوافق لدى الإنجيليين في ما يخص أقوال الرب، ولكن يتعد إنجيلي عن الآخرين في القسم الإخباري. مثلاً، خبر قائد المئة (مت ٨: ٥ - ١٣ = لو ٧: ١ - ١٠). حين أعجب يسوع بإيمان هذا الضابط قال لوقا: «لم أجد مثل هذا الإيمان حتى في إسرائيل» (لو ٧: ٩). أما متى (٨: ١٠) فقال: «لم أجد مثل هذا الإيمان عند أحد في إسرائيل» لقد خَفَّفَتْ عبارة لوقا ما في عبارة متى من قوة. وهناك مثال آخر في حدث إِبْنِي زبدي. «هكذا إِبْن الإنسان لم يأت ليُخدَم، بل ليُخدَم ويفدي بنفسه جماعة من الناس» (مت ٢٠: ٢٨ = مر ١٠: ٤٥).

ثانياً: في إيراد نصوص العهد القديم

يورد الإنجيليون الثلاثة الإستشهاد عينه كما وصل إليهم من التقليد الكنسي. قد لا يرتبط الإستشهاد بالنص العبري ولا بالنص اليوناني (كما في السبعينية) ولكنه يرد في الكلمات عينها. أورد متى (٣: ٣) ومرقس (١: ٣) ولوقا (٣: ٤): «صوت منادٍ في البرية. أعدوا طريق الرب واجعلوا سبيله قويمه». لم يحدّد أشعيا هويّة المنادي (صوت). أما الإنجيليون فطبّقوا هذا الكلام على يوحنا المعمدان الذي يعلن مجيء المسيح القريب. تحدّث أشعيا عن الرب (يهوه) فتحدّث الأنجيل عن يسوع. وقال أشعيا (النص العبري): «صوت يصرخ: هيئوا في البرية». فاتّبع الإنجيليون ترجمة السبعينية لينطبق كلام أشعيا على الوضع الجديد الذي يعيشونه.

ونقرأ على لسان يسوع مديحاً في المعمدان، يرد فيه نص ملا ٣: ١: «هأنذا أرسل ملاكي (رسولي، فالملاك هو الرسول. رج فعل لأك في العربية)، فيهيء الطريق أمامي»: الرب يرسل ملاكه

أمامه. ولكن الإنجيل (مت ١١: ١٠ = مر ١: ٢ = لو ٧: ٢٧) طَبَّقَ هذا الكلام على يسوع المسيح، وقد اتفق الإزائيون الثلاثة على هذا التطبيق. ونقول الشيء عينه في ما ورد من إستشهادات في خبر تجارب يسوع. أخذها متى (٤: ٤؛ ٧) ولوقا (٤: ٤؛ ١٢) من سفر التثنية (٨: ٣؛ ٦: ١٦) وطَبَّقَها على يسوع. يسوع يمر في المحنة التي مرَّ فيها شعبه، ولكنه لا يقع كما وقع شعبه.

تشابهٌ على مستوى النصوص التوراتية، تشابهٌ على مستوى الألفاظ والكلمات. قال بعض الشراح: إنجيل يتبع إنجيلاً آخر. وقال آخرون: هناك لغة إنجيلية مشتركة، هناك مجموعة شواهد وُضعت بتصرف المبشرين فاستقت منها الكنائس والإنجيليون، وطبقوها التطبيق عينه على يسوع لمسيح.

٤ - إختلافات على مستوى التعبير

الحالة الأولى: حين يحاول لوقا أن يحسّن نص مرقس من جهة الأسلوب. قال مر ٤: ٢١: «أَيَّاتِي السراج ليُوضَع تحت المكيال أو تحت السرير؟ ألا يَأْتِي ليُوضَع على المنارة» (رج مت ٥: ١٥)؟ أما لوقا فكتب: «ما من أحد يوقد سراجاً ويضعه في مخبأ أو تحت المكيال؟ بل على المنارة ليستضيء به الداخلون» (لو ١١: ٣٣). جعلنا مرقس (ومتى معه) في عالم فلسطيني حيث يتألف بيت الفقراء من غرفة واحدة. أما لوقا فنقلنا إلى العالم اليوناني حيث يتألف البيت من غرف عديدة. والداخلون الذين يتحدّث عنهم هم الآتون من العالم الوثني، وهم بالتالي يحتاجون إلى نور المسيحيين. وحين يقول مرقس «أَيَّاتِي»، فقد يعني المسيح في مجيئه (مر ١: ٧؛ ٢: ١٧). وهكذا لا نكون فقط أمام حسن أداء للجملّة من الواجهة الأدبية، بل أمام نظرة لاهوتية.

الحالة الثانية: حين تحمل الكلمة الآرامية التي في أساس النص معنيين مختلفين. تحدّث متى (٥: ١٢ = مر ٢: ١٧) عن «الأقوياء» الذين لا يشعرون بالحاجة إلى طبيب. فقال لوقا (٥: ٣١): «ليس

الأصحاء (أصحاب الصحة) بمحتاجين إلى طبيب بل المرضى». فالطبيب لوقا فضل التعارض بين المريض وصاحب العافية على المريض والقوي. أما الكلمة الآرامية الأساسية فهي «بريا» التي تعني القوي والمعافي.

الحالة الثالثة: تكون البنية ثابتة ولكن الكلمات تبدل. فهناك خبر شفاء المخلع حيث يتم إتصال بين مرقس ومتى ولوقا. ثم إننا نقرأ في مت ١٣: ٢٣: «الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون، فإنكم تقفلون ملكوت السماوات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون، ولا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون». ونقرأ في لو ١١: ٥٢: «الويل لكم يا علماء الشريعة، قد استوليتم على مفتاح المعرفة، فلم تدخلوا أنتم، والذين أرادوا الدخول منعتموهم». طريقة واحدة في التوئيل (قال: الويل)، هجوم واحد ضد نوعين من الناس (الكتبة والفريسيون، علماء الشريعة)، ويُعلن السبب بالأداة عينها (لأنكم). ولكن يتبدل الفعل (أغلق، أقفل ثم استولى، قبض) والمفعول (ملكوت السماوات، مفتاح المعرفة). وسنجد المعنى عينه في لو ١١: ٢١ - ٢٢ كما نقرأ في مت ١٢: ٢٩: «كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت الرجل القوي وينهب أمتعته، إذا لم يُوثق ذلك الرجل أولاً؟ وعندئذ ينهب بيته» (رج مر ٣: ٢٧). نلاحظ وجود كلمة «القوي» (إسخيروس).

ونجعل في هذه الفئة مثل الوزنات (مت ١٤: ٢٤ - ٣٠) ومثل الأمناء (لو ١٩: ١١ - ٢٧)، ثم مثل الأعراس الملوكية والمدعوين إلى الوليمة (مت ١: ٢٢ - ١٠؛ لو ١٤: ١٦ - ٢٤). هناك مرحلة شفوية أدت إلى بعض التنوع، ولكن بنية المثل الإجمالية ظلت هي هي.

الحالة الرابعة: في حدث واحد ظلت الكلمات هي هي ولكن تبدل محلها ووضعها ووظيفتها. خرج الروح من الممسوس «بصراخ شديد» (مر ١: ٤٣). أو هو استقبل يسوع (لو ٤: ٣٣). لقد احتفظت الكلمات بمعناها. أقام (أنهض) يسوع حماة سمعان المصابة

بالحمى (مر ١: ٣١). أما في مت ٨: ١٥، فحين شُفيت حماة بطرس قامت. في مرقس (١: ٢٧)، تعجّب الجمع من التعليم الجديد. وفي لوقا (٤: ٣٦) من إخراج الشيطان.

وقد يتبدل موضع المفردة فتتخذ في الجملة مدلولاً آخر أو وظيفة أخرى. فكلمة «لوغوس» تعني «معجزة» في مر ١: ٤٥ (يذيع الخبر، يذيع المعجزة. حرفياً: الكلمة) وفي لو ١٥: ٥: تعني «الشهرة» (كانت شهرته، خبره، كلمته، تتسع). نقرأ مت ٩: ١٩ فنعرف أن يسوع تبع يائيرس. ونقرأ مر ٥: ٢٤ فنعرف أن الشعب تبع يسوع. وفي كلتا الحالتين نحن أمام العبارة نفسها. وكذا نقول عن تهدئة العاصفة بعد تكثير الأرغفة. فالفاعل (باسانيزو) عينه يعني في مت ١٤: ٢٤ أن الأمواج تلمطم السفينة. وفي مر ٦: ٤٨ أن التلاميذ كانوا يجهدون في التجذيف.

كيف نفسّر هذا الوضع الذي يسمّى الواقع الإزائي؟ ظل المسيحيون سحابة سبعة عشر قرناً ينسّقون معطيات التقليد الإنجيلي ليظهروا التوافق بين النصوص. ولكن الاختلافات واضحة خاصة على مستوى التفاصيل. وهكذا طرحت الدراسات المسألة فتحدّثت عن أسلوب الكاتب وطريقة تأليفه وميوله التعليمية التي تحاول أن تتجاوب مع الجماعة التي تتوجّه إليها. أمّا الإئتلاف ففسّر إنطلاقاً من تبعية مقطع لآخر أو إتصال أدبي بين محيط وآخر.

وها نحن نقدّم مركّبات ثلاث كانت في أساس الفرضيات اللاحقة: التقليد الشفهي، التبعية المتبادلة، المصدر المراجع.

ب - الفرضيات

١ - التقليد الشفهي

مؤسس نهج التقليد الشفهي هو «جيسلر» (١٨١٨). رفض أن يكون في أصل الأناجيل إنجيل واحد. فالكرازة الأولانية تقولت سريعاً بسبب فقر مفردات اللغة الآرامية وحسب نواميس التكرار المتواصل.

لهذا نحن نجد هذه التشابهات بين الكتابات. أمّا الإختلافات فترجع إلى متطلبات المحيط الذي وُلد فيه النص.

إستعاد «غوده» (١٨٧٢) هذه النظرية وصحّحها: إن كاتب متى اليوناني كَمَل التقليد الآرامي السابق بمجموعة خطب تُرجمت إلى اليونانية. واستعمل لوقا هذه المدوّنات المتقطعة. وزاد «غوده»: «إن الأناجيل الثلاثة استقلّت بعد أن كُتبت في أماكن مختلفة. دُوّن مرقس في رومة سنة ٦٤ ومتّى ولوقا حوالي سنة ٦٦، الأول في الشرق والثاني في سورية».

ولكن نسي هذان العالمان وغيرهما أهمية التقليد الشفهي وإمكانات الذاكرة قبل أن تدوّن الأناجيل في الصيغة التي نعرف.

قد تكون هناك لغة مشتركة. وهكذا لا نحتاج إلى تبعية أدبية. ولكن التشابه في بُنى المقطوعات والمتتاليات يتطلب إتصالاً أدبياً بين الأناجيل، أو أقلّه بين وحدات دُوّنت قبل أن تدخل في التقليد الإزائي. هناك كلمات تتكرّر فتربط المقطوعة بأختها (مثلاً، الأقوال حول المائدة في لو ١٤: ١ ي). وهناك المدرّاش أي الدرس الذي يبحث عن العبرة الدينية في الكتب المقدّسة. إنطلق التلاميذ من حياة يسوع وأقواله، فعادوا إلى الأسفار المقدّسة محاولين فهمها على ضوء الوضع الجديد. إنطلقوا من إستجواب يسوع أمام المحكمة العليا (سندرين) فأعادوا قراءة إر ٢٦: ٧ ي: «قبض عليه الكهنة والأنبياء وكل الشعب وقالوا: ستموت موتاً». ورتّب «المدوّنون» الأولون أول مجموعة من الجدالات على ضوء ما قرأوا في أش ١٣: ٥٧ - ٣: ٥٩: «إقتربوا إلى هنا، يا بني السامرة، يا نسل الفاسق والزانية. بمن تسخرون؟ وأخيراً، إن مادة عظة الجبل جاءت تفسيراً مسيحياً لما نقرأ في خر ٢٠: ١٣ - ١٦؛ لا ١٩: ١٥ - ١٨؛ ١: ٢٣ ي.

ما هو دور التقليد الشفهي في كل هذا التدوين؟ إنه مهمّ جداً. ونحن نكتشفه على مستوى التوازي والتضمينات والكلمات المتكرّرة.

ولكن التقليد الشفهي لا يكفي ليفسر وجود متتاليات تتضمن عشرات المقطوعات المرتبة الترتيب عينه. لا بدّ أنه وُجدت رسمة سابقة للتقليد الإزائي. وهذا ما سوف نتحدّث عنه.

٢ - التبعية المتبادلة

إن المدافعين عن التبعية المتبادلة بين النصوص قد لفت إنتباههم التشابهات في مضمون المواد وترتيبها. تركوا جانباً الظواهر الصغيرة التي تحدّثنا عنها أعلاه. ووجدوا شفيحاً لنظريتهم في شخص القديس أوغوسطينس. نسبوا إليه القول إن مرقس يرتبط إرتباطاً حرفياً بمتّى. ولكن أوغوسطينس يقول أيضاً إن متّى أو مرقس أغفلا ما رواه الذين جاؤوا بعدهما، أو إن مرقس أو لوقا أغفلا ما قاله الذين سبقهما. وقال: عرف كل إنجيلي التقليد كله، ولكن الروح القدس وجّهه فاختر الماده التي دونها.

وقدّمت فرضيات. الأولى تجعل متّى في الدرجة الأولى. يتبعه مرقس ثمّ لوقا. والثانية التي يتبعها عدد كبير من الشراح: مرقس هو مرجع متّى ولوقا. أجل، إن مرقس مستقل عن متّى ولوقا. هذا ما يقوله عدد كبير من الشراح. وإلاّ فكيف نفسر إغفال عدد من نصوص متّى، وكيف نشرح عباراته العتيقة التي تربطنا بتقليد الكنيسة الأولاني؟

وهنا نطرح عدّة أسئلة:

أولاً: هل يتبع متّى لوقا والعكس بالعكس؟ هذا ما نسمّيه نظرية «الينبوعين». ولكن مجمل الشراح قد ردّلوا هذه النظرية وقالوا إن متّى مستقل عن لوقا والعكس بالعكس. سنبرهن عن هذا الواقع مشدّدين على العلاقات بين متّى ولوقا، على توافقهما رغم اختلافهما.

- في التقليد المثلث

حين يترك متّى أو لوقا مرقس، يختلف الواحد عن الآخر على مستوى المواد المستعملة، على مستوى الترتيب، على مستوى التعبير.

على مستوى المواد المستعملة: في خبر الآلام: كل من لوقا ومتّى له تقليده الخاص فلا يأخذ عن الآخر. حين يتحول لوقا بعض

الأحداث (خطبة الناصرة، الصيد العجيب) فمتّى لا يتبعه. وكذلك لا يتبع لوقا متّى في الملاحظات الخاصة به.

على مستوى الترتيب: حين يسير كل من متّى أو لوقا في طريقه، فهو لا يختلف عن مرقس. ولكنهما يتفقان على مرقس في حادثة الباعة المطرودين من الهيكل (مت ٢١: ١٢ - ١٣ = لو ١٩: ٤٥ - ٤٦): «ثم دخل يسوع وطرّد جميع الذين يبيعون ويشترّون في الهيكل، فقلب طاولات الصيارفة ومقاعد باعة الحمام» (رج مر ١١: ١٥ - ١٧).

على مستوى التعبير: هنا لا نستطيع أن نؤكد أن متّى أقدم من لوقا والعكس بالعكس. ولكننا نكتشف عند هذا وذاك آثار تعابير عتيقة.

وهكذا نقول إن متّى ولوقا مستقلان في مقطوعات التقليد المثلث.

- في التقليد المثنى

ونقابل بين متّى ولوقا. هناك مواد مشابهة. ولكن إن افترضنا أن متّى مثلاً عرف لوقا، فكيف نفسر الغاء لما أورده لوقا في القاطعة الكبرى (الصعود إلى أورشليم)؟ بالإضافة إلى ذلك، هناك اختلافات عديدة بين الإثنين: أخبار الطفولة، سلسلة نسب يسوع، ظهورات القائم من الموت، صلاة الأبناء، مثل الوزنات ومثل الأمعاء.

وعلى مستوى ترتيب المواد: قد نجد متتالية مماثلة عند متّى ولوقا (مت ١٠: ٢٦ - ٣٣ = لو ١٢: ٢ - ٩). ولكن الخلاف يبدو عميقاً في أكثر الحالات. فلو كان لوقا قد عرف متّى، فهل كان تجاسر وبعثر التأليف المتأوي الرائع؟

وعلى مستوى التعبير: هناك مشابهاة تحدثنا عنها (مت ٣: ٧ - ١٠ = لو ٣: ٧ - ٩) ولكن هناك اختلافات عديدة. وهكذا لا يستطيع أحدهما أن يكون مرجعاً للآخر.

إذن، لا تبعية أدبية مباشرة بين متّى ولوقا. ولكن توافقهما

النسبي يتطلب تفسيراً. أتكون هناك مراجع خطية أو شفوية سبقتهما؟ الأمر معقول.

ثانياً: هل يتبع لوقا مرقس؟

الجواب إيجابي لدى معظم الشراح ولا سيما في القسم المرقسي الذي يرتبط به لوقا (لو ٣١:٤ - ٦ - ١٩؛ ٤:٨ - ٩:٥٠؛ ١٨:١٥ - ٢١:٣٨). أما فيما يتعلق بالبداية والنهاية، فإن لوقا لجأ إلى مراجع أخرى.

يستعيد لوقا في هذه المتتاليات المرقسية الثلاث مواد مرقس. ونحن نفهمه حين يُغفل بعض الأمور. مثلاً، لم يذكر دهن يسوع بالطيب في بيت سمعان الابرس (مر ١٤:٣ ي)، لأنه ذكر الحدث فيما سبق (لو ٣٦:٧ - ٥٠). وإن هو رفض أن يتبع مرقس (٢١:٣) حين تحدث عن يسوع وذويه (قالوا: انه فاقد الرشد)، فلأنه لا يريد أن يشكك سامعيه. وللسبب عينه رفض أن يتحدث عن يسوع الذي يجهل اليوم والساعة (مر ١٣:٣٢) أو الذي يبدو متروكاً من الآب (مر ١٥:٣٤).

وراح الشراح يقولون إن لوقا جعل انجيل مرقس أمامه حين دوّن انجيله. ولكن حين نتفحص نص الانجيليين بدقة نجد بعض الخلافات غير المعقولة. وهكذا اعتبر الشراح أنه يجب أن نتخلى عن تبعية أدبية مباشرة لمرقس. هناك مصادر مشتركة استقى منها كل من لوقا ومرقس، وجاء التقليد الشفهي فجعل بعض الخلافات ممكنة. يصح كلامنا في مقطوعات كهذه: مر ١:٢ - ٦:٣؛ ١:٤ - ٣٤؛ ٣٥:٤ - ٤٣:٥؛ ٦:٦ - ٤٤؛ ٢٧:٨ - ٢٩:٩؛ ٣٠:٩ - ٥٢:١٠؛ ٢٧:١١ - ٤٤:١٢؛ ١:١٣ - ٣٣. ولكن لوقا قد استقى أيضاً من مصادر لم تصل ربما إلى مرقس، ولا سيما في متتالية الصعود إلى أورشليم.

ثالثاً: هل يتبع متى مرقس؟

يؤكد عدد من الشراح أن متى استعان بمرقس ليدوّن إنجيله. فمواد مرقس قد وضعت كلها تقريباً في نص متى. وزاد متى على ما

أخذه من مرقس ما وصل إليه من تقاليد إضافية، وقد عمل ما عمله لوقا فأقحم المواد بين مقطوعات مرقس. مثلاً، مت ٣٠: ١٢، ٣٣ - ٤٥؛ ١٧: ٢٤ - ٢٧؛ ١٩: ١٠ - ١٢؛ ٢٠: ١ - ١٦... وقد جمع مواضيع أخذها من تقليده الخاص فجعلها في التقليد المرقسي، ولا سيما حين دوّن خطبته الكبرى (مت ١٠؛ ١٣؛ ١٨؛ ٢٣ - ٢٥) أو قدّم مجموعة المعجزات في ف ٨ - ٩.

أما التكرارات فتدعونا إلى أن نرى مصدرين، أحدهما مرقس. فنحن نقرأ القول عينه تارة في إطار لا مرقسي (مت ٢٩: ٥ - ٣٢؛ ١٠: ٣٨ - ٣٩) وطوراً في إطار مرقسي (مت ١٨: ٨ - ٩؛ ١٩: ٩).

ترتيب إنجيل متى هو ترتيب إنجيل مرقس، خاصة بعد مت ١٤: ١ (= مر ٦: ١٤) ما عدا حدثي الباعة المطرودين من الهيكل والتينة التي ييست. ونقول الشيء عينه عن خطبة الإرسال (مت ١٠) وخطبة الأمثال (مت ١٣).

ولكننا نقول هنا ما قلناه بالنسبة إلى ارتباط لوقا بمرقس. هناك اتصال على المستوى الأدبي يدل على أن متى ومرقس رجعا إلى المصادر عينها.

٣ - المصدر المراجع.

تبدو النظريات المراجعة في أشكال ثلاثة: مرجع واحد في أصل التقليد المثلث، مرجع إضافي في أصل التقليد المثنى، مراجع متعددة في أصل الإنجيل إجمالاً.

أولاً: التقليد المثلث ومتى الآرامي.

تحدّث بابيلاس عن متى الآرامي. فميّز الشراح بين متى اليوناني ومتى الآرامي. لسنا هنا أمام إنجيل أول وحيد، بل أمام دمج بين النظرية المراجعة (متى الآرامي) والتبعية المتبادلة (يرتبط متى اليوناني بمرقس ومتى الآرامي). إذن، هناك مصدران رئيسيان للتقليد المثلث: متى الآرامي ومرقس.

ولقد حاول بعض الشراح (جان لافي) أن يعيد بناء متى الآرامي: إنه يتضمن نصوصاً لامرقيسية (المعين) ومقاطع من التقليد المثلث (مثلاً، خبر ممسوس أرض الجدرين، إحياء ابنة يائيرس). وقد ورث الانجيل الأول اسم متى لأنه استفاد أكثر من لوقا من هذا الإنجيل الآرامي. وهكذا يكون لنا شاهدان في التقليد الإزائي: بطرس بواسطة مرقس، ومتى في نصّه الأصلي. لسنا هنا فقط أمام مرجعين، بل أمام إنجيلين متواجدين هما ينبوعا التقليد الإزائي.

تجنّب «فاغاني» كل هذه الصعوبات فقال: تُرجم متى الآرامي إلى اليونانية فعرّفه متى اليوناني ومرقس ولوقا. أكمل مرقس هذا المدوّن الأولاني، هذا «النص الشفهي»، بما سمعه من بطرس. واستفاد متى ولوقا من متى الآرامي المترجم إلى اليونانية ومن مرقس. وهكذا نصل إلى مرجع مشترك بين الإزائيين الثلاثة إنطلاقاً من توافق متى ولوقا ضد مرقس. وهذا التوافق يدل على أن مرقس لا يمكنه أن يكون المرجع الوحيد لمتى ولوقا. إذن، نحن أمام مرجع مؤلّف من خمس كتيبات نجد بنيته في إنجيل مرقس وهو يتضمن المقطوعات المشتركة بين الإزائيين، كما يتضمن مقاطع ترجع إلى «المصدر الثاني» مثل خطبة الجبل.

يبقى أن الواقع الإزائي يتطلّب عدة مصادر سابقة لمرقس ومشاركة بين الأناجيل الثلاثة الأولى. والصعوبة تكمن في تحديد دقيق لمرجع واحد.

ثانياً: التقليد المثنى والمرجع الإضافي.

خلال عرضنا لنظرية التبعية المتبادلة، عرفنا أن متى مستقل عن لوقا والعكس بالعكس. وتوافقهما ضد مرقس في التقليد المثلث يفرض وجود مرجع سابق لمرقس. يبقى علينا أن نفكّر توافقهما في التقليد المثنى. وقد كانت محاولتان في هذا السبيل.

* المحاولة الأولى: المعين.

ظن «شلايرماخر» (١٨٣٢) أنه اكتشف في شهادة بابياس البرهان

التقليدي لوجود مجموعة من «لوغيا» (أقوال) دَوَّنَها الرسول (مع مجموعة مرقس). وتضمَّنت هذه «اللوغيا» الخطب وسائر الأقوال. جاء هذا «المرجع الثاني» يكمل مرقس فيجعلنا نحصل على متى ولوقا.

تضمَّن هذا «المعين» اخباراً مثل تجارب يسوع وشفاء ابن ضابط كفرناحوم، وامتد إلى مقاطع مشتركة مع مرقس. ولكن ما هو أساسه التاريخي؟ أمام هذه الصعوبات ترك الشراح فكرة المعين وتحذثوا عن طبقات التقليد النامي دائماً.

* المحاولة الثانية: المرجع الثاني اليوناني.

راح «فاغاني» في اتجاه ثانٍ. بما أن متى الآرامي المترجم إلى اليونانية لا يشمل مجمل التقليد الإزائي، فلا بد من وجود مرجع ثانٍ نُقل إلى اليونانية. هو لا يتضمَّن إلا أقوالاً أدخلها لوقا في القاطعة الكبرى (٩: ٥١ - ١٨: ١٤). هذا ما يسمَّى «كنز لوقا» الذي نزيد عليه ١٤٥ آية خاصة بمتى.

وتحدث «باركر» في الخط عينه عن مصدرين في أصل التقليد الإزائي: متى الأول الذي يرتبط به مرقس ومتى مباشرة، ولوقا عبر مرقس. ومصدر إضافي هو المعين الذي يرتبط به متى ولوقا.

إذا عدنا إلى التقليد المثلث نرى أن البحاثة يرون إجمالاً ارتباط متى ولوقا بمرقس. وإذا عدنا إلى التقليد المثنى رأينا بعض التباعد عن النظرية المراجعة. أجل، إن العلم لا يستطيع الذهاب إلى ما لا نهاية. وتفتت النصوص يصل بنا إلى تفتت الإنجيل وتضييع المعنى الأساسي للإنجيل. هذا ما سمي النهج الدياكروني أي نظرة تفصيلية إلى النصوص تصل بنا إلى الأصل الأول، إذا كان هناك من إمكانية الوصول إلى أصل أول. ولكن النهج السنكروني أخذ يستعيد مكانته في البحث العلمي الكتابي. إنه نظرة إجمالية إلى النص. فالكاتب الأخير الذي قدّمه إلينا يعتبر أن لهذا النص النهائي معنى. فلماذا لا نبحث عن معنى هذا النص قبل أن نفتّته؟ ولكن يبقى أن النهجين ضروريين. فإن توقفنا عند النهج السنكروني وحده قادتنا دراستنا إلى

النظرة الأصولية التي تتعلق بالحرف ولا تجرؤ على الإنطلاق منه للوصول إلى الروح. وإذا حصرنا دراستنا في النهج الدياكروني أضعنا المعنى العام وتُهنا في تفاصيل ودروس جعلت عدداً من الشراح ينسون أن كلام الله هو في النهاية للتأمل والصلاة.

ثالثاً: التقليد الإنجيلي والمصادر المتعددة.

تحدثت البحثة عن وجود مرجع أو مرجعين في أصل التقليد الإنجيلي، وفي النظرية بعض الصحة. وأشاروا إلى التقليد الشفهي وإلى نظام التبعية المتبادلة فأخذوا به أو نفوه. وتبقى طريقة ثالثة: نجعل وراء الإزائيين مصادر متعددة.

تكلم «شلايرماخر» (١٨١٧) عن تكوين الأناجيل في الجماعة الرسولية الأولى من خلال حياتها وتعليمها. وألفت في وقت مبكر مجموعة أحداث وأقوال فكّوت «مذكّرة» للوعاظ والكارزين. فكان كل واحد يستقي من هذه المذكرّة ما يراه مناسباً وما يوافق حاجات السامعين: هذا يأخذ المعجزات، وذاك الأقوال، والثالث آلام المسيح، والرابع الأخبار المتعلقة بيسوع. وهكذا تكّوت مجموعات اتسعت تدريجياً قبل أن تنضمّ إلى الأناجيل. لن نكتفي بدرس الوحدات الصغيرة، بل نتفحص تسلسل هذه الوحدات لنكتشف أصل الإنجيل.

واستعاد البحثة هذه النظرية فتحدث «سرفو» عن المراجع المتعددة. ولم ينسَ أن الإنجيليين ليسوا مقيمين جمعوا مقاطع ومتتاليات دوّنت قبلهم دون أن يكون لهم يد في ترتيبها داخل إطار لاهوتي خاص بكنيستهم.

ربطوا متى اليوناني ولوقا بمقرس. وجعلوا في أصل التقليد الإزائي تياراً آرامياً أول تبعته عدة تقاليد جزئية. تُرجم كل هذا إلى اليونانية فشكل متى الأول الذي ترتبط به الأناجيل الإزائية.

هل نحن أمام مصدر واحد أم مراجع متعددة؟ لا نستطيع أن نسميه «إنجيلاً وحيداً». ومع ذلك فالمراجع التي تمثّل هذا التقليد قد

طُبعت بطابع التعليم في أقسامه الأربعة (يوحنا، الرسالة في الجليل، الصعود إلى أورشليم، الموت والقيامة). لا حاجة إلى «مصدر ثانٍ» لأن متى الآرامي يكفي في هذا المجال.

خاتمة

إلى ماذا وصلنا بعد هذا البحث الطويل؟ لم نصل إلى النهاية. ولكننا اكتشفنا من جهة ارتباط الإزائيين بعضهم ببعض وفي الوقت عينه استقلال الواحد عن الآخر. فارتباطهم يدل على مرجعهم الواحد الذي هو يسوع المسيح كما تأملت الكنيسة الأولى في حياته وأعماله وأقواله وجعلتها في محطات أربع. واستقلاليتهم تدعونا إلى التأمل في كل إنجيل على حدة، لأن كلاً منها يحمل غني خاصاً به. لن نحاول أن نطمس الفروقات كما فعل في السابق بحثٌ دفاعي (أبولوجيا) خاف على الإنجيل من التنوع. ولكننا نضع نصّاً إنجيليّاً بإزاء نصّ إنجيلي آخر، فنكتشف غنى هذا وذاك.

لا شك في أن متى الآرامي نص قديم جداً، كما يقول التقليد، وإن كنا لا نستطيع أن نحدّد مضمونه. كما أن إنجيل مرقس يعود إلى ما قبل دمار أورشليم سنة ٧٠، كما يقول معظم الشراح. ولهذا استقى منه كل من متى ولوقا، أو ذهبوا إلى المراجع التي استقى منها.

ثم إننا لا ننسى التقليد الشفهي الذي حمل إلى الإنجيليين والكنائس عدداً من «النصوص» المتعلقة بيسوع. فالتقليد الكتابي لا يفسّر كل شيء. ولا ننسى دور الكنيسة الملتزمة حول رسول من الرسل: إنطلقت من واقعها المحلي والحضاري، فدوّنت إنجيلاً هو في الوقت عينه صورة صادقة عن يسوع ومرآة عن حياتها. فحين تُحدّثنا كنيسة متى عن التعليم والتلمذة في ٢٨: ١٦ - ٢٠، فهي تعود بنا إلى أعمال يسوع وأقواله، ولكنها تبلور في الوقت عينه ممارستها حين تعمّد المؤمنين لا باسم يسوع فقط، بل باسم الأب والابن والروح القدس.

هذه هي المسألة الإزائية التي حاولنا التوغل في طرحها على خطى العالم الأوروبي، بعد أن اكتفى الشرق حتى هذه السنوات الأخيرة بتقديم «حياة يسوع» مأخوذة من الأناجيل الأربعة. بحثنا عن مواضيع الائتلاف فاكشفنا الأصل، وبحثنا عن مواضيع الاختلاف فاكشفنا غنى الكنيسة بأناجيلها الأربعة التي ترمز إلى الكون بأقطاره الأربعة، وهي تحاول أن توصل إليه الإنجيل. لا شك في أننا لم نزل على المستوى العلمي البحث الذي يتهرب منه منشط الحركات الرسولية ومنظم السهرات الإنجيلية. ولكننا نرجو أن يقودنا هذا البحث وكلّ بحث إلى اكتشاف غنى كل إنجيل على حدة، واكتشاف غنى الإنجيل الوحيد، إنجيل يسوع الذي هو قوة الله لكل من يؤمن.

* كتبنا هذا الفصل تلبية لطلب عدد من المشاركين الذين اعتبروا أن عنوان المؤتمر «الأناجيل الإزائية» لم يطرح إلا من زاوية علاقته بيوحنا.

الفصل السابع عشر

يوحنا والازائيون

أنطوان أودو*

مطران حلب وتوابعها على الكلدان

المؤتمر الذي يجمعنا اليوم حول الكتاب المقدس يجعلنا نسلط الأضواء على الأناجيل الإزائية التي اخترناها موضوعاً لدراساتنا هذه السنة. إلا أن من يقول «الأناجيل الإزائية» يسعى ولو بشكل غير مباشر إلى أن يقابلها بحقيقة إنجيلية أخرى ألا وهي الأنجيل الرابع، أو إنجيل القديس يوحنا. وكلنا يعلم أهمية المقارنة في الدراسات الأدبية عامة ما بين مؤلفين أو نصين أو رؤيتين مختلفتين لكي تظهر نقاط التشابه والتضاد، وهكذا نعود إلى خطوط عريضة تكشف عن هوية النص وأصالته.

هذا ما أقترحه عليكم اليوم في صدد دراستنا للأناجيل الإزائية والإنجيل الرابع: مقارنة بين الأناجيل الإزائية وإنجيل يوحنا. وتحتوي هذه الدراسة الوجيزة على أقسام ثلاثة. ففي القسم الأول نستعرض نقاط التشابه والاختلاف بين هذين التقليدين، أما في القسم الثاني فتتوقف عند ظاهرة فريدة في إنجيل يوحنا وهي ما يسمى باستعمال «الأنا» في كلام يسوع، فنحلل هذا الاستعمال أدبياً مقارنة إياه بالأناجيل الإزائية. وأخيراً يصل بنا المطاف إلى رؤية لاهوتية واحدة تحتوي على حركتين تكشفان عن سر الله في علاقته بالإنسان.

من الأمور المتفق عليها في إيماننا المسيحي أن الكتاب المقدس الذي يحتوي على كلام الله يدعو الإنسان إلى أن يدخل في علاقة شخصية مع الله. وأرى أن كلمة حوار تلخص جيداً هذه العلاقة. فالله يخاطب الإنسان ويدعوه إلى الخلاص، وعلى الإنسان أن يجيب على الله من خلال تساؤلاته وخبراته وقناعاته.

وباستطاعتنا في هذه الدراسة المقارنة أن ننطلق من الفرضية التالية. لكي يعرف الإنسان من هو الله، لا بُدَّ من أن يوحى بنفسه للإنسان آخذاً المبادرة الأولى وكاشفاً عن أعماق جوهره. فالله هو الذي يخاطب آدم وقايين ونوحا وإبراهيم والآباء والأنبياء. يتدخل أولاً في التاريخ لكي يعلن عن قصده الالهي في خلاص الناس.

ويقابل هذا القطب الأول من السؤال قطبٌ ثانٍ، نطرحه على الشكل التالي: ولكن لكي يعرف الإنسان من هو الله لا بُدَّ من أن يشهد له من خلال إنسانيته بكل ما تتضمن من خبرة يعبر عنها بلغته، ومن حرية تدفعه إلى مزيد من التساؤل والتطلب. لذلك فإن كلمة الله لا تخشى أن تظهر بمظهر الإنسانية العنيفة والخاطئة ولكن الساعية دوماً نحو قداسة هذا الإنسان. وعلى السؤال التقليدي: هل الكتاب المقدس هو كلام الله أم كلام إنسان يجيب الأب بول بوشون في إحدى تعليقاته «هو كتاب الله وكتاب الإنسان في آن واحد».

هذه الفرضية الكتابية، التي طرحناها في بدء دراستنا تُهيء لنا أرضية تساعدنا على دراستنا المقارنة. فهناك حركتان متداخلتان ما بين الإزائيين ويوحنا، ولا بُدَّ لنا من أن نتعمق فيهما من خلال الأقسام الثلاثة التي طرحناها.

القسم الأول: نقاط التشابه والاختلاف

١ - نقاط التشابه في البنية العامة

* عندما يتحدث الإنجيل الرابع عن رسالة يسوع العلنية، فإنه لا يهمل الجليل، إنما يذكره في مواقف مختلفة كما هي الحال في الإزائيين:

٤٣/١ «وأراد يسوع في الغد أن يذهب إلى الجليل»...

١/٢ «وفي اليوم الثالث كان في قانا الجليل عُرسٌ».

٣/٤ «ولمّا علم يسوع أن الفريسيين سمعوا أنه اتخذ من التلاميذ... ترك اليهودية ورجع إلى الجليل».

١/٦ «وعبر يسوع بعد ذلك بحر الجليل...، فتبعه جمع كثير».

١/٧ «وجعل يسوع يسير بعد ذلك في الجليل، ولم يشأ أن يسير في اليهودية، لأن اليهود كانوا يريدون قتله».

* ويذكر يوحنا كذلك الصعود إلى أورشليم بمناسبة الأعياد المختلفة:

١٣/٢ «واقترب فصح اليهود، فصعد يسوع إلى أورشليم»...

١/٥ «وبعد ذلك كان أحد أعياد اليهود، فصعد يسوع إلى أورشليم»...

٩/٧ «ولمّا صعد إخوته إلى العيد، صعد هو أيضاً خفيةً لا علانية»...

* وفي الإشارة هذه إلى «الصعود إلى أورشليم بمناسبة الأعياد» فإن إنجيل يوحنا لا يقول أمراً جديداً بالنسبة للإنجيل الإزائية. فلوفا قد ردّد مرات عديدة أن يسوع قد صعد إلى أورشليم:

٥١/٩ «ولمّا حانت أيام إرتفاعه، عزم على الإتجاه إلى أورشليم»...

٢٢/١٣ «وكان يمرُّ بالمدن والقرى، فيعلّمهم فيها، وهو سائر إلى أورشليم»...

١١/١٧ «وبينما هو سائر إلى أورشليم»...

وكذلك متى في ٣٧/٢٣، يشير إلى أن يسوع ذهب مرّات عديدة إلى أورشليم «أورشليم أورشليم... كم مرة أردت أن أجمع أبناءك». ونستطيع أن نقول أخيراً: إن الأناجيل الإزائية تفترض هذه الزيارات العديدة لمدينة القدس، عندما تروي لنا دخول يسوع المنتصر إليها: فالناس يعرفون يسوع وهو ليس مجهولاً بينهم.

٢- ليوحنا بعض المعلومات الدقيقة بشأن الرسالة والأمكنة والتواريخ

لا بد لنا من أن نذكر أيضاً ما هو خاص بيوحنا: رسالة يسوع في اليهودية، في أول حياته العلنية، عندما كان يوحنا المعمدان يعمّد في نهر الأردن ٢٢/٣ - ٢٣. وفي النهاية كذلك، وقبل أن يصعد إلى أورشليم للمرة الأخيرة فإن يوحنا يذكر أيضاً إقامة يسوع في اليهودية في ٤٠/١٠ و ٥٤/١١. فبين هاتين الرسالتين في اليهودية تقع الإقامة في الجليل. فإن يوحنا وحدّه يعطينا سبب رحيل يسوع عن اليهودية، وإن هذا السبب لمقنع: حسدُ الفريسيين وقلقهم في ١/٤ - ٣.

على الرغم من روحانية إنجيل يوحنا، فإن له الفضل في إعطائنا معلومات دقيقة تتعلق ببعض الأماكن والتواريخ. فإننا نعلم بواسطة الإنجيل الرابع أن هناك قرية إسمها بيت عنيا ٢٨/١ وهي في عبر الأردن، وأن يوحنا المعمدان كان يعمّد في «عينون» ٢٣/٣، وأن يسوع ذهب إلى قانا الجليل ١١/٢ و ٤٦/٤، وأنه ذهب إلى مدينة إسمها «أفرايم متاخمة للبرية» ٥٤/١١. أمّا بما يتعلّق بالتاريخ، فإن دقة يوحنا مهمة للغاية: فهو يذكر الـ ٤٦ سنة التي دام فيها بناء الهيكل ٢٠/٢، ويذكر أيضاً زمن موت يسوع وساعة الحكم عليه ٢٨/١٨ و ٣١/١٩.

٣ - البيئة الإنجيلية هي هي في التقليدين

إن بيئة إنجيل يوحنا التي يعيش فيها يسوع ويتفاعل معها هي نفس بيئة الأنجيل الإزائية. فليس في نص يوحنا أية قرابة مع ما انتجته المخيلة المجتحة التي تبادرنا لدى مطالعنا الأنجيل الإزائية المنحولة. فمدينة أورشليم هي قُبلَة الحجاج واليهما يصعد الوثنيون المتهودون ٢٠/١٢، والهيكل لم ينته بناؤه ٢٠/٢، فهو يأوي التجار ١٣/٢ - ١٤، وفي الجليل عامل للملك ٤٦/٤، وهي منطقة منبوذة ٤٦/١ و ٤١/٧ و ٥٢ وتميل إلى المشيحية الثورية ١٤/٦ - ١٥، وهناك عداوة عميقة تفرق بين اليهود والسامريين ٩/٤. والعادات الدينية هي هي كما في باقي الأنجيل: الطهارة ٦/٢ و ٢٥/٣ و ٥٥/١١ المآثم ٣٨/١١ و ٤٤ و ٧/١٢ و ٣١/١٩ و ٤٠، المحرمات ٢٨/١٨ و ٣١/١٩. وإن جماعة الفريسيين تُشبه تماماً ما تذكره عنها الأنجيل الإزائية، فهم متعلقون بالحرف ١٦/٥ - ١٨ و ٣٧/٧ و ١٦/٩، يحتقرون الشعب المسكين ٤٩/٧ و ٢٨/٩ - ٢٩ و ٣٤ و يبغضون يسوع ١٦/٥ و ١٨ و ١/٧ و ٤٠/٨ و ٥٩ و ٣١/١٠.

فإذا كان الجو العام الذي عاش فيه يسوع في إنجيل يوحنا، مطابقاً لجو الأنجيل الإزائية، فإننا نتساءل لماذا لا يسرد علينا يوحنا قسماً كبيراً من أحداث الأنجيل الإزائية، ولماذا في المقابل لا نقرأ في الأنجيل الإزائية، ما يسرده علينا هو من الأحداث.

علينا أن نلاحظ أولاً أن الإنجيل الرابع يحتوي تحت شكل الإشارة والإيحاء إلى الأحداث التي تطالعنا بشكل واضح في الأنجيل الإزائية، ومثلاً على ذلك:

أصل يسوع الناصري	في ٤٥/١ و ٤٢/٦ و ٤١/٧ و ٥٢ و ١٩/١٩
عماده من يوحنا المعمدان	في ٣١/١ - ٣٤
سجن المعمدان	في ٢٤/٣
إختبار الإثني عشر	في ٧٠/٦ و ١٨/١٣ و ١٦/١٥ و ٢٤/٢٠
خيانة يهوذا	في ٦٤/٦ و ٤/١٢ و ٢/١٣ و ٢٧ - ٢٩
إقامة الافخارستيا	في ٥١/٦

حكم اليهود والسندريين	في ٧ - ٨
النزاع	في ٢٧/١٢
إقامة المعموذة	في ٥/٣
الصعود	في ١٧/٢٠
التجلي	في ١٤/١ و ٢٨/١٢ - ٣٠

هو سر الفصح الذي يوجّه حياة يسوع الأرضية كلّها ويسقط نور مجده على أصغر الأحداث في حياته السابقة لموته وقيامته.

٤ - أسلوب إنجيل يوحنا

ونجيب في هذه الفقرة على السؤال الأخير الذي طرحناه سابقاً: «لماذا في المقابل لا نقرأ في الأناجيل الإزائية ما يسرده علينا الإنجيل الرابع من الأحداث؟» سوف نجيب على هذا السؤال إنطلاقاً من خصوصية يوحنا في أسلوبه: في الحوارات والأعاجيب والخطب.

الحوارات: خلافاً للأناجيل الإزائية، فإن الأحداث الدائرة بين يسوع والناس في يوحنا ليست مقتضبة. هناك محاولات في التوسع في الحوار لدى الإزائيين. ولا سيّما لدى لوقا في حادثة ظهور يسوع لتلميذي عماوس لو ١٣/٢٤ - ٣٥. إلا أن إنجيل يوحنا يطبق أسلوب الحوار بطريقة منهجية. إن محاور يسوع يعرضون علينا وكأنهم «نماذج». فالرافض يدير ظهوره ليسوع والتلميذ يسير بتدرج نحو النور.

الأعاجيب: يبدو أن يوحنا قد تعمّد إختيار سبع أعاجيب، إستناداً إلى الرقم سبعة الدال على الكمال. هذه الأعاجيب هي من نوعية أعاجيب الأناجيل الإزائية، إلا أنها لدى يوحنا «علامات» تكشف وتوحي عن شخصية المسيح ابن الله.

الخطب: والخطبة في إنجيل يوحنا هي التي توضّح معنى الأعجوبة (الفصل ٥ و ٦ و ٩ و ١١). إن الأناجيل الإزائية تشير إلى هذا النوع من التفسير، كما هي الحال في حادثة شفاء المخلع: ففيها مجادلة حول السلطة في مغفرة الخطايا متى ١/٩ - ٨، أو كما في

مرقس: فهو يضع بين حادثتي شفاء أعميين مجموعة من الأحداث
مر ٢٢/٨ - ٤٥/١٠.

لا يدور الجدل لدى يوحنا حول مواضيع مختلفة، مثل الصيام
والزواج والطهارة إنما جعلت هذه المواضيع حتى تكشف عن هوية
يسوع بالذات.

القسم الثاني: استعمال «الأنا» في التقليدين.

كُتبت الأناجيل حتى يعرف القارئ أن يسوع هو ابن الله. ولكن
طريقة عرض هذا الوحي ليست هي لدى الطرفين. فعلى الرغم من
إختلاف الطريقتين، فهما مكملتان لبعضهما البعض.

يسوع يستعمل «الأنا» كثيراً في إنجيل يوحنا

إن طريقة وحي المسيح عن ذاته في إنجيل يوحنا تجري على
شكل واحد: هناك حديث متبادل يليه تعريج ليسوع في صيغة المتكلم:

الفصل ٦ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٥: «أنا نور العالم»، «أنا
الباب»، «أنا الراعي»، «أنا الطريق»، «أنا الحقيقة والحياة»، «أنا
الكرمة». علينا أيضاً ألا ننسى عبارة «أنا هو» في ٢٤/٨ و ٢٨ و ٥٨
و ١٨/٥ - ٦ و ٨.

٢٤/٨ «فإذا لم تؤمنوا بأني أنا هو، تموتون في خطاياكم»

٢٨ «متى رفعتم ابن الإنسان، عرفتم أني أنا هو»

٥٨ «قبل أن يكون إبراهيم، أنا هو»

١٨/٥ - ٦ تردد ثلاث مرّات «أنا هو» لدى إلقاء القبض على يسوع.

عبارة «أنا هو» هي صدى لسفر الخروج ١٤/٣ عندما أوحى
الربُّ بنفسه إلى موسى.

إن يسوع يتكلّم دائماً مستعملاً «الأنا» في إنجيل يوحنا، وهو
يتكلّم دائماً عن ذاته، وهو لا يعمل إلا ليتكلّم بهذه الطريقة شارحاً
معنى الآيات التي يقوم بها.

ويتماشى مع «الأنا هو» الجواب على ذلك وهو «أنت ابن الله».

- ٤٩/١ «رابي أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل»
 ١٢/٤ «هل أنت أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر...؟»
 ١٩/٤ «يا رب أرى أنك نبي»
 ٦٩/٦ «نحن آمنّا وعرفنا أنك قدّوس الله»
 ٢٥/٨ «فقالوا له: «من أنت؟»
 فقال يسوع «أنا ما أقوله لكم منذ بدء الأمر».
 ٥٣/٨ «أنت أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات؟»...
 ٢٤/١٠ «إن كنت المسيح، فقل لنا صراحة».
 ٢٧/١١ «نعم يا رب، إني أؤمن بأنك المسيح، ابن الله الآتي إلى العالم»
 ٣٣/١٨ «أنت ملك اليهود»
 ٣٧ «إذن فأنت ملك»
 ٩/١٩ «فعاد (بيلاطس) إلى دار الحكومة وقال ليسوع: من أين أنت؟»
 ١٢/٢١ «ولم يجرؤ أحد من التلاميذ أن يسأله: من أنت؟ لعلمهم أنه الرب».

مقارنة مع مرقس

إذا قارنا ما سبق مع مرقس وهو أقدم الإزائيين، بدا لنا الفرق شاسعاً.

ففي مرقس «الأنا» و«الأنت» تتكرران قليلاً. فالأنا هو في:

- مر ٥٠/٦ «أنا هو، لا تخافوا» (يسوع يمشي على الماء)
 ٦/١٣ «سوف يأتي كثير من الناس منتحلين إسمي فيقولون: أنا هو» (الدينونة)
 ٦٢/١٤ «أنت المسيح ابن المبارك؟» فقال يسوع: «أنا هو»
 أما «الأنت» الواردة لدى مرقس مرتين فهي لا تحتوي على الوضوح والقوة كما في يوحنا:

٢٩/٨ «أنت المسيح» (إعتراف بطرس)

٢/١٥ «أأنت ملك اليهود؟» (بيلاطس)

وقبل أن تنتقل إلى القسم الثالث من حديثنا، لا بُدَّ من أن نتحدَّث عن ظاهرة الأمثال في التقليدين اللذين نحن في صدد دراستهما. للأمثال مكانة هامة لدى الإزائيين في تعليم يسوع، إلا أننا عندما نتتبع أثرها لدى القديس يوحنا، فإننا نلاحظ أن المثل يصير يسوع نفسه. فبينما يستعمل يسوع الأمثال لدى الإزائيين لكي يتحدث عن نفسه وعن الملكوت بشكل غير مباشر، نلاحظ أن هذه الأمثال تختفي لدى يوحنا لكي يبقى عندنا ما يعتبر عنها في خطب يسوع: أنا الكرمة، أنا الراعي الصالح، أنا الطريق والحق والحياة... فظاهرة الأمثال في التقليدين تدعم هنا أيضاً ما ذكرناه سابقاً في مجال إستعمال التعبير «أنا هو» لدى الإزائيين ولدى يوحنا.

القسم الثالث: طريقتان في الوحي متكاملتان

هناك إتفاق بين مرقس ويوحنا على أن الإنجيل هو وحي عن يسوع المسيح ومصدر الوحي لدى مرقس هو الله في ١١/١ (المعمودية) وفي التجلي ٧/٩ وفي ٣٩/١٥، عندما يعترف قائد المائة بأن يسوع هو حقاً ابن الله.

ولكن الفرق هو أننا نجد في يوحنا ٢٣ وحيّاً يقابله وحي واحد لدى مرقس. إن يسوع لدى يوحنا يوحى بذاته مباشرة، أمّا لدى مرقس فتدريجياً. فالفرق هو في طريقة الوحي وطبيعته.

فلدى مرقس يقول الناس من هو يسوع: المؤمنون، الأعداء، المعذَّبون بروح نجس. فإن كلام يسوع حاضراً ليجعل التلاميذ يتكلّمون. ففي الإزائيين يجعل يسوع الناس يتكلّمون ليقولوا من هو. أما في يوحنا فإن يسوع يردد دائماً من هو. وهذا فرق مهم. فكيف نستطيع أن نختار بين الطريقتين؟ يبدو أن نزعة القارئ المنطقية تدفعه إلى أن يختار طريقة الأنجيل الإزائية.

ويتمشى مع «الأنا هو» الجواب على ذلك وهو «أنت إبن الله».

- ٤٩/١ «رابي أنت إبن الله، أنت ملك إسرائيل»
 ١٢/٤ «هل أنت أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر...؟»
 ١٩/٤ «يا رب أرى أنك نبي»
 ٦٩/٦ «نحن آمنّا وعرفنا أنك قدّوس الله»
 ٢٥/٨ «فقالوا له: «من أنت؟»
 فقال يسوع «أنا ما أقوله لكم منذ بدء الأمر».
 ٥٣/٨ «أأنت أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات؟»...
 ٢٤/١٠ «إن كنت المسيح، فقل لنا صراحة».
 ٢٧/١١ «نعم يا رب، إني أؤمن بأنك المسيح، إبن الله الآتي إلى العالم»
 ٣٣/١٨ «أأنت ملك اليهود»
 ٣٧ «إذن فأنت ملك»
 ٩/١٩ «فعاد (بيلاطس) إلى دار الحكومة وقال ليسوع: من أين أنت؟»
 ١٢/٢١ «ولم يجروا أحد من التلاميذ أن يسأله: من أنت؟ لعلمهم أنه الرب».

مقارنة مع مرقس

إذا قارنا ما سبق مع مرقس وهو أقدم الإزائيين، بدا لنا الفرق شاسعاً.

ففي مرقس «الأنا» و«الأنت» تتكرران قليلاً. فالأنا هو في:

- مر ٥٠/٦ «أنا هو، لا تخافوا» (يسوع يمشي على الماء)
 ٦/١٣ «سوف يأتي كثير من الناس منتحلين إسمي فيقولون: أنا هو» (الدينونة)
 ٦٢/١٤ «أأنت المسيح إبن المبارك؟» فقال يسوع: «أنا هو»
 أما «الأنت» الواردة لدى مرقس مرتين فهي لا تحتوي على الوضوح والقوة كما في يوحنا:

٢٩/٨ «أنت المسيح» (إعتراف بطرس)

٢/١٥ «أأنت ملك اليهود؟» (بيلاطس)

وقبل أن تنتقل إلى القسم الثالث من حديثنا، لا بُدَّ من أن نتحدَّث عن ظاهرة الأمثال في التقليدين اللذين نحن في صدد دراستهما. للأمثال مكانة هامة لدى الإزائيين في تعليم يسوع، إلا أننا عندما نتتبع أثرها لدى القديس يوحنا، فإننا نلاحظ أن المثل يصير يسوع نفسه. فبينما يستعمل يسوع الأمثال لدى الإزائيين لكي يتحدَّث عن نفسه وعن الملكوت بشكل غير مباشر، نلاحظ أن هذه الأمثال تختفي لدى يوحنا لكي يبقى عندنا ما يعبر عنها في خطب يسوع: أنا الكرمة، أنا الراعي الصالح، أنا الطريق والحق والحياة... فظاهرة الأمثال في التقليدين تدعم هنا أيضاً ما ذكرناه سابقاً في مجال إستعمال التعبير «أنا هو» لدى الإزائيين ولدى يوحنا.

القسم الثالث: طريقتان في الوحي متكاملتان

هناك إتفاق بين مرقس ويوحنا على أن الإنجيل هو وحي عن يسوع المسيح ومصدر الوحي لدى مرقس هو الله في ١١/١ (المعمودية) وفي التجلي ٧/٩ وفي ٣٩/١٥، عندما يعترف قائد المائة بأن يسوع هو حقاً ابن الله.

ولكن الفرق هو أننا نجد في يوحنا ٢٣ وحيّاً يقابله وحي واحد لدى مرقس. إن يسوع لدى يوحنا يوحى بذاته مباشرة، أمّا لدى مرقس فتدريجياً. فالفرق هو في طريقة الوحي وطبيعته.

فلدى مرقس يقول الناس من هو يسوع: المؤمنون، الأعداء، المعذَّبون بروح نجس. فإن كلام يسوع حاضر ليجعل التلاميذ يتكلَّمون. ففي الإزائيين يجعل يسوع الناس يتكلَّمون ليقولوا من هو. أما في يوحنا فإن يسوع يردد دائماً من هو. وهذا فرق مهم. فكيف نستطيع أن نختار بين الطريقتين؟ يبدو أن نزعة القارئ المنطقية تدفعه إلى أن يختار طريقة الأنجيل الإزائية.

كيف نستطيع أن نشرح هذا البناء المدروس في عرض شخصية يسوع في يوحنا؟ فهو بناء طبيعي على الرغم من إستعماله طريقة معينة في عرض شخصية المسيح.

لننتقل من الإزائيين حتى نصل إلى يوحنا.

إن الإزائيين يتبعون طريقة طبيعية في وحي الله عن ذاته: فلكي يوحي الله عن ذاته لا بُدَّ للإنسان من أن يقوم باختبار حياة الله في حياته. وإن الله لا يستطيع أن يتكلم فيوحي بذاته بواسطة الكلمات. فإن كشف الله عن ذاته شارحاً من هو، فهو لا يكون في هذه الجال سوى أستاذ يُلقنُ الدروس. فيسوع ليس أستاذاً في الأناجيل يقول من هو ويردد ذلك وراءه التلاميذ. فليس هو الذي يوحي كاشفاً عن ذاته مباشرة. فإن الوحي يتم عندما يرى الشاهد ويتكلم. فإن قام الوحي على كلمات لبقية عملية ترداد. فإن يسوع يجعل الإنسان الذي يتكلم معه، يقوم بتجربة حياتية، فإنه يجعله يسير في طريق إلى أن يطرح عليه السؤال في مرحلة معينة، فيجيبه. فالناس يقولون ما يعيشون أمام المسيح. فليس قولهم تحديداً أو تعريفاً دقيقين، إنما هو عملية علاقة يعيشها طرفان في الوقت نفسه. ففي قيصرية فيلبس، قال بطرس: «أنت المسيح» وما يقوله بطرس له معنى بالنسبة له وقد اختبر ما يقول بشكل حقيقي. فيسوع في هذه الحال يثبت ما يقوله عنه بطرس.

أما في إنجيل يوحنا، فالطريقة معكوسة ومبسطة: «أنا هو» الجواب «أنت هو». هذه طريقة قد تبدو مصطنعة ولكنها في الحقيقة تعبر عن واقع المسيح. إن هذه الطريقة لا تتناسب تاريخياً مع الأحداث، إلا أنها طريقة تسعى إلى أن تظهر شخصية يسوع المسيح في أعماقها. على المسيح أن يوحي بذاته حتى يستطيع بطرس أن يعترف به. فإن بطرس وحده لا يستطيع أن يعرف المسيح: فإن إنجيل يوحنا يريد أن يظهر بوضوح أولوية المسيح الموحى عن ذاته. فإن الإنسان لا يستطيع أن يتكلم إن لم يطرح عليه السؤال يسوع، وإن لم يعطه في الوقت ذاته إمكانية الإجابة. فالطريقة ليست مصطنعة. طريقة

يوحنا هذه هي تعبير عن كلمة يسوع في متى ١٦/١٦ - ١٧ «طوبى لك يا سمعان بن يونا، فليس اللحم والدم كشفّا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات».

باستطاعتنا أن نلخص هاتين الطريقتين في الوحي لدى يوحنا ومرقس إنطلاقاً من إستشهادين للقديس بولس. ففي غل ٩/٤ يقول الرسول: «أما الآن، وقد عرفتم الله، بل عرفكم الله» وفي فل ١٢/٣: «بل أسعى لعلّي أستولي كما استولى عليّ يسوع المسيح».

فحركية «الإيمان» لدى مرقس الذي يمثل الإزائيين في هذا المجال تلتقي بالقسم الأول من الإستشهادين: «عرفتم الله»، «لعلّي أستولي». فالحركية تنطلق من الإنسان الذي يعرف الله محاولاً أن يلتقي به ويستوعبه في حياته وتعاييره، فيأتي يسوع ويثبت هذه المعرفة.

أما القسم الثاني في كلام القديس بولس، فهو يمثل حركية الإنجيل الرابع: «بل عرفتم الله»، «كما استولى عليّ يسوع المسيح». فالفعلان يدلان على أن الله هو الفاعل والإنسان يقع عليه الفعل. فالله هو الذي يعرف الإنسان والذي يستولي عليه أولاً. فيسوع المسيح في إنجيل يوحنا هو الذي يعرف أولاً ويستولي على الإنسان والمواقف، فهو الذي يعطي حياته بكامل حريته لكي يكشف للإنسان عن هويته.

أمامنا خبرتان عاشهما المؤمنون الأولون عندما التقوا بيسوع. خبرتان مختلفتان ولكنهما متكاملتان، لأن على هاتين الخبرتين تقوم كل العلاقات وأهمها العلاقة ما بين الله والإنسان.

* المطران أنطوان أودو. ولد في مدينة حلب سنة ١٩٤٦. إنتهى إلى الرهبانية اليسوعية. حاز على دكتورا في الأدب العربي من جامعة السوربون. درس الكتاب المقدس في المعهد البابوي البيبلي في روما. يدير سلسلة «دراسات في الكتاب المقدس» التي تصدر عن دار المشرق. وضع ترجمة جديدة للكتاب المقدس مع الأبوين لافنان وحموي. دُرّس الكتاب المقدس في جامعة القديس يوسف، وجامعة الروح القدس، ومعهد القديس بولس وفي المعادي.

الفصل الثامن عشر

اللاهوت الأخلاقي في الأناجيل الإزائية

المطران كيرلس سليم بسترس*

السؤال الذي أودّ الإجابة عليه في هذه المطالعة هو التالي: في كلّ الأديان نجد تعاليم أخلاقية، وفي الدين اليهودي هناك تعاليم كثيرة في الأخلاق. فما الذي يميّز الأخلاق المسيحية عن أخلاق سائر الأديان؟ سنجيب على هذا السؤال انطلاقاً من الأناجيل الإزائية، موضوع هذا المؤتمر. وبما أنّ هذا المؤتمر هو رعائي في الدرجة الأولى، أرجو أن يساعد بحثي هذا الرعاة في كرازتهم وتعليمهم وتفسيرهم الإنجيل المقدس.

١- بشرى الملكوت

الإنجيل هو البشري الصالحة بأنّ ملكوت الله قد حضر إلينا في شخص يسوع المسيح. إنّه رسالة رجاء تُعلن للبشرية الخاطئة بأنّ وقت خلاصها من الخطيئة قد أتى. واللاهوت الأخلاقي في الأناجيل الإزائية مبنيّ على الإيمان بمجيء الملكوت والانفتاح بالتوبة على الخلاص. هذا ما يشير إليه إنجيل مرقس عندما يوجز كرازة السيد المسيح في بدء حياته العلنيّة بهذا القول: «لقد تمّ الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١: ١٥). إعلان الخلاص بمجيء ملكوت الله، وقبول هذا الخلاص بالتوبة هما الركيزتان الأساسيتان المتكاملتان اللتان

تُبْنَى عليهما الأخلاق الإنجيلية. إِنَّ الله هو الذي يبادر البشرية بالخلاص في شخص ابنه يسوع المسيح، هذه هي بشرى الملكوت. والانسان مدعو الى دخول الملكوت والعيش بموجب تطلّباته بالتوبة والايمان، هذه هي الأخلاق المسيحية.

(أ) مجيء الملكوت في شخص يسوع المسيح

الأخلاق في الأناجيل الإزائية كما في سائر أسفار العهد الجديد وبنوع خاص في رسائل القديس بولس، لا تركز على مجرد دعوة الانسان الى تحقيق إنسانيته في المجتمع باتّباع الفضائل، بل على كون الانسان قد حصل على الملكوت في شخص يسوع المسيح. وهذا الملكوت يجب أن ينمو في حياة الانسان وفي العالم كله حتى يبلغ الانسان ويبلغ العالم «الى ملء اكتمال المسيح» (أف ٤: ١٣). في كلّ العهد الجديد التعليم الأخلاقي يُبنى على الكرازة، أي على الإيمان بمجيء الملكوت وتحقيق خلاص البشر في شخص يسوع المسيح. ان التقسيم المعاصر بين اللاهوت العقائدي واللاهوت الأخلاقي له ما يبرّره في العهد الجديد، ولكن شرط التنبّه الدائم الى العلاقة العضوية بين الاثنين. فالتعاليم الأخلاقية في المسيحية هي لاهوت وليست مجرد تفكير فلسفي وإنساني منفصل عن الوحي الالهي الذي اكتمل في المسيح. واللاهوت الأخلاقي يجب أن يركز على اللاهوت العقائدي أي على الإيمان بأنّ هناك حدثاً جديداً قد جرى للبشرية، بأنّ علاقة جديدة قد نشأت في عمق كيان الانسان بينه وبين الله، عندما أشرق نور المسيح ابن الله في حياته، وملاً روح الله قلبه. فلا يمكنه من بعد أن يعيش كما كان يعيش قبلاً عندما كان «في الظلمة وظلال الموت» (راجع متى ٤: ١٦). وما شاهده يوحنا المعمدان لدى اعتماد يسوع يُوجز جديد هذا الحدث: «فلما اعتمد يسوع، خرج على الفور من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، ورأى روح الله ينزل بشكل حمامة ويحلّ عليه. وإذا صوت من السماوات يقول: هذا ابني الحبيب، الذي به سررت» (متى ٣: ١٦-١٧). لقد بدأ ملكوت الله على الأرض وبدأ خلاص العالم عندما انفتحت السماوات ورأى يوحنا ممثّل

العهد القديم وممثل البشرية جمعاء أن عهداً جديداً قد بدأ بظهور المسيح الذي له ملء الروح القدس لأنه الابن الحبيب لله.

ولأن ملكوت الله قد أتى في شخص يسوع المسيح، تتسم دعوة المسيح الى التوبة بسمة خاصة، سمة النعمة والخلاص. وهذا ما يؤكدّه لوقا في حديثه عن بدء رسالة السيد المسيح في الناصرة، حيث دخل المجمع يوم السبت وقرأ المقطع التالي من سفر أشعيا، «روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين، وأرسلني لأنادي للمأسورين بالتخلية، وللعلميان بالبصر، وأطلق المرهقين أحراراً وأعلن سنة نعمة للرب» (أش ٦١: ١-٢). ثم قال للذين في المجمع: «اليوم تمت هذه الكتابة التي تليت على مسامعكم» (لو ٤: ١٦-٢١). وتجدر الإشارة الى أن أشعيا يتكلم على انتقام الله، فنقرأ في النص الكامل: «...وأعلن سنة نعمة للرب ويوم انتقام لإلهنا». توقف لوقا عند «نعمة للرب»، وكأنه يريد التأكيد أن وعود الأنبياء بخلاص الله قد تحققت في شخص السيد المسيح، ولكن على نحو جديد بورود النعمة دون الانتقام. لذلك يقول السيد المسيح لتلاميذه عن الملكوت الذي بدأ بمجيئه: «طوبى للعيون التي تنظر ما أنتم تنظرون. فإني أقول لكم: إن كثيرين من الأنبياء والملوك ودّوا أن يرى ما أنتم راؤون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم سامعون ولم يسمعوا» (لو ١٠: ٢٣-٢٤) إن قدرة الله عينها هي التي تظهر في أعمال يسوع. وهذه القدرة هي قدرة محبة ومسامحة ومغفرة وحق وعدالة، هي قدرة على إخراج الشياطين وشفاء المرضى ومغفرة الخطايا. وفي هذه القدرة وهذه المحبة يظهر ملكوت الله، حسب قول السيد المسيح: «فإذا كنت أنا بإصبع الله أخرج الشياطين، فقد اقترب منكم ملكوت الله» (لو ١١: ٢٠؛ متى ١٢: ٢٨). إن ملكوت الله يبدأ حيث يتحرّر الانسان من كل القوى المعادية له. ان المستقبل الاسخولوجي قد صار حاضراً في شخص يسوع المسيح. الزمن الحاضر صار موضع المستقبل الآتي، وذلك بفضل أقوال السيد المسيح وأعماله. وهذه الأقوال والأعمال لا تُظهر قدرة الله وحسب، بل تكشف أيضاً سرّ شخص يسوع المسيح، الذي هو الابن الوحيد

الذي أرسله الله الى العالم في تمام الأزمنة ليمنح العالم الخلاص: «لقد دفع إليّ أبي كلّ شيء، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن يريد الابن أن يكشف له. تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والمثقلين، وأنا أريحكم. إحملوا نيري عليكم، وكونوا لي تلاميذ، لأنّي أنا وديع ومتواضع القلب، فتجدوا الراحة لنفوسكم. أجل إن نيري لين وحملتي خفيف» (متى ١١: ٢٧-٣٠).

إن أساس الأخلاق المسيحية هو مجيء ملكوت الله في شخص يسوع المسيح ابن الله الذي وحده يعرف الآب معرفة كاملة، وبه وحده، بسبب تلك المعرفة عينها، يستطيع الناس أن يصلوا الى الله. قبل السيد المسيح لم يصل أحد الى تلك المعرفة الكاملة لله: لا الشعب، ولا المثقفون الحافظون الشريعة، ولا أحد من معاصري يسوع. هذه المعرفة تستند الى الوحدة الكاملة بين الآب والابن. «فالآب قد دفع كلّ شيء الى الابن». وهذا يعني أن الابن هو الوسيط الماسيوي لوحي الله الآب. لا وحي الله الآب خارجاً عن الابن. وهذه المعرفة هي في الوقت عينه دخول في حياة الله. فمن خلال الابن يصل التلميذ الى معرفة الله والاتحاد بحياته.

(ب) يسوع المسيح ابن الله يصير الناس أبناء الله

ان يسوع يدعو الله «أباً». وهذه اللفظة التي لا استعمال لها في أي من نصوص أدب الصلاة العبري، تشير الى ألفة خاصة فريدة بين يسوع والله، اذ هي اللفظة التي يدعو بها الطفل الصغير أباه. وعندما علّم السيد المسيح تلاميذه ان يدعوا الله «أبانا»، طلب منهم أن يخاطبوه بتلك الثقة البنوية عينها التي كان هو نفسه يخاطب بها الله. ان التلميذ يدرك بنوته لله، تلك الموهبة التي نالها بواسطة ابن الله المخلص، ويمكنه من ثمة استعمال الألفاظ عينها التي استعملها يسوع، ويعلن إذاك فرحه وشكره لله الذي تبناه وجعله عضواً في أسرته، وهذا التبنّي يسم أعماله كلها.

منذ أن ظهرت إرادة الله في يسوع المسيح، لم يعد ممكناً

التحدّث عن أخلاق مسيحية وعن حياة مسيحية الا بالعودة الى شخصه. ان العلاقات الشخصية التي أنشأها يسوع بين التلميذ والله أبيه وبين التلميذ وبينه، لا يمكن أن تقتصر على ممارسة موضوعية غير شخصية للناموس يضطلع بها الانسان بجهده وأعماله المتنوعة. الحياة الأخلاقية في نظر الأناجيل الإزائية ليست ممارسة للشريعة، بل هي حياة علاقة بين أشخاص.

هذه الحياة الشخصية مع الله التي يطلبها السيد المسيح من تلاميذه يصفها في عدة أمثلة. فالابن الشاطر يأخذ حصّته من ميراث أبيه ويقصد الى بلد بعيد ويتلف هناك ماله عائشاً في التبذير. وبعد أن اختبر الحياة بعيداً عن أبيه وشعر بالحرمان، قال في نفسه: «أقوم وأمضي الى أبي». لقد اختبر أن لا خلاص له ولا حياة ولا فرح خارجاً عن علاقة البنوة مع أبيه. الابن الأكبر لم يعرف في أبيه الا الوصايا: «كم لي من السنين في خدمتك، ولم أتعدّ قطّ أمراً من أوامرك، وأنت لم تعطني قطّ جدياً لأتنعم مع أصدقائي. ولما رجع ابنك هذا، الذي أكل مالك مع البغايا، ذبحت له العجل المسنّن» (لو ١٥: ٢٩-٣٠). إذا حكمنا على موقف الابنين من خلال ممارستهما «الشريعة» وأوامر أبيهما، يكون الابن الأكبر على حقّ في تفكيره. ولكن الأمر يختلف اذا نظرنا الى التعرّف الى الأب في علاقة بنوية حقيقية. وهذا ما يوضحه الأب لأبيه الأكبر:

«يا ابني، أنت معي في كلّ حين، وجميع مالي هو لك. ولكن كان لا بدّ ان نتنعم ونفرح، لأنّ أخاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد» (لو ١٥: ٣١-٣٢). يحيا الانسان ويخرج من ضياعه عندما يعرف الله معرفة حقيقية ويحيا معه كما يحيا الابن مع أبيه. هذا هو الخلاص الذي جاءنا به المسيح ابن الله، وهذا هو الملكوت الذي يدعونا الى دخوله.

وكذلك يوضح مثل الابنين (متى ٢١: ٢٨-٣٢) اللذين طلب منهما والدهما ان يذهبا ويعملا في الكرم ان علاقة الانسان مع الله تشبه

علاقة ابن يعمل في كرم أبيه ويفعل ارادته. والخطاة من عشارين وخطايا يشبهون الابن الذي رفض أولاً ان يذهب للعمل في كرم أبيه، ثم ندم وذهب. وهؤلاء سيسبقون الفريسيين الى ملكوت الله.

ويصف السيد المسيح أبوة الله في حديثه عن الصلاة: «اسألوا فتعطوا، اطلبوا فتجدوا، إقرعوا فيفتح لكم... إبن من منكم يسأل أباه خبزاً، فيعطيه حجراً؟ أو سمكة، فيعطيه بدل السمكة حية؟ أو اذا سأل بيضة يعطيه عقرباً؟ فإذا كنتم، مع ما انتم عليه من الشر، تعرفون ان تمنحوا العطايا الصالحة لأولادكم، فكم بالأحرى أبوك السماوي يمنح الروح القدس لمن يسأله» (لو ١١: ٩-١٣).

وبسبب أبوة الله للبشر، يجب على البشر ألا يقلقوا بشأن اللباس والطعام، ولا يطلبوا إلا ملكوت الله وبرّه، وهذه الأمور كلها تزداد لهم (متى ٦: ٢٥-٣٤؛ لو ١٢: ١٦-٣٢). فالملكوت قد أعطي لهم: «لا تخف أيها القطيع الصغير، لأنه قد حسن لدى أبيكم ان يعطيكم الملكوت. بيعوا ما تملك أيديكم وتصدقوا، اصطفوا لكم أكياساً لا تبلى، وكنزاً في السماوات لا ينفد، حيث لا سارق يقترب اليه، ولا غُث يفسده، لأنه حيث يكون كنزكم، هناك أيضاً يكون قلبكم» (لو ١١: ٣٢-٣٤).

ج) مجانية الخلاص والملكوت

«لقد حسن لدى أبيكم ان يعطيكم الملكوت». كما أن الأب يحب أبناءه محبة مجانية قبل أن يتاح لهم أن يقوموا بأي عمل تجاهه، هكذا يحب الله أبناءه ويغدق عليهم دون أي استحقاق من قبلهم، محبته ورحمته ومغفرته. وقد كان تعليم السيد المسيح على هذا النحو مدعاة شك للفريسيين الذين كان تعليمهم يدور حول ما يجب على الانسان أن يصنعه ليستحق الملكوت.

ولأمثالهم ضرب السيد المسيح مثل الفريسي والعشار الذي توجه فيه بالكلام الى «قوم يثقون من أنفسهم بأنهم صديقون ويحتقرون الآخرين» (لو ١٨: ٩-١٤). فالعشار الذي لم يقدم لله أي عمل صالح

من أعمال الناموس سوى توبته رجع الى بيته مبرراً دون الفريسي الذي كان يصوم ويؤدي العشر عن مقتنياته. لأن الله إله اليائسين ورحمته لا حد لها على المنكسري القلوب الذين ليس لهم ما يقدمونه لله إلا خطيئتهم وتوبتهم، لينقلهم من اليأس الى الرجاء، ومن الخطيئة الى النعمة والبر.

إذ ما من إنسان يستطيع أن يبرّر نفسه أمام الله. وهذا ما يعلمنا إياه السيد المسيح في مثل المديونين (لو ٧: ٤١-٤٣)، «الذين كان لمدّين على أحدهما خمس مئة دينار وعلى الآخر خمسون، وإذا لم يكن لهما ما يوفيان به سامحهما كليهما»؛ وكذلك في مثل العبد المديون (متى ١٨: ٢٣-٣٥) الذي كان للملك عليه عشرة آلاف وزنة، «وإذا لم يكن له ما يوفي به، أمر سيّده بأن يباع هو وامراته وأولاده وجميع ما له ويوفى ما عليه. فخرّ ذلك العبد له وسجد له قائلاً: أمهلني فأوفيك كلّ ما لك. فتحنّن سيّد ذلك العبد، وأطلقه وترك له الدين». ولأن الله يتصرّف معنا على هذا النحو، يطلب منا أن يعامل بعضنا بعضاً كما يعاملنا هو. ويختتم السيد المسيح هذا المثل بقوله: «هكذا يفعل أبي السماوي بكم، إن لم يغفر كل واحد منكم لأخيه من كل قلبه» (متى ١٨: ٣٥).

ولأن خلاص الله مجّاني، يكافئ عمّال الساعة الحادية عشرة الذين عملوا ساعة واحدة في كرمه على غرار عمّال الساعة الأولى الذين حملوا ثقل النهار وحرّه، وذلك لا لأنهم إستحقوا أجرتهم بل «لأنه هو صالح»، كما يعلمنا السيد المسيح في مثل العملة المرسلين إلى الكرم (متى ١٠: ٢٠ - ٥). وإذا لا أحد أمام الله يستطيع أن يقول إنه استحق أجرته، فجميع الناس خطاة، والله يرحم الجميع. وهذا الموقف الإلهي عبّر عنه السيد المسيح ليس فقط في تعليمه بل أيضاً في موقفه من الخطاة، فكان يأكل معهم، مشيراً إلى قبولهم على مائدة الملكوت. ولما تذرّ الفريسيون والكتبة وقالوا لتلاميذه: «لِمَ تأكلون وتشربون مع العشارين والخطاة؟»، أجابهم يسوع: «ليس الأصحاء بحاجة إلى طبيب بل المرضى؛ إنني لم آت لأدعو الصديقين إلى التوبة بل الخطاة» (لو ٥: ٢٧ - ٣٢).

دعوة الله هي دعوة مجانية للخلاص. وهذا ما يدلّ عليه مثل الدعويّين إلى العشاء الذين لم يلتبوا الدعوة. فأرسل ربّ البيت ودعا جميع المساكين والجدع والعميان والعرج، أي جميع الذين لا يستطيعون أن يبادلوه الدعوة (لو ١٤: ١٢ - ٢٤). وعلى مثاله يريد منا أن نتصرّف، حسب قوله لواحد من أعيان الفريسيين دعاه يوماً إلى بيته ليتناول فيه طعاماً: «إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدعُ أخلاءك، ولا إخوانك، ولا أقرباءك، ولا الجيران الأغنياء، مخافة أن يدعوك هم أيضاً فتقوم بذلك مكافأتك. ولكن أذعُ، إذا ما صنعت مأدبة، المساكين والجدع والعرج والعميان، فتكون عندئذ سعيداً، إذ ليس لهم ما يكافئونك به، وتكون مكافأتك في قيامة الصديقين» (لو ١٤: ١٢ - ١٤).

تلميذ المسيح هو شخص وجد الملكوت كما يجد إنسان كنزاً مخفياً في حقل، أو كما يجد تاجر لآلئ لؤلؤة ثمينة (متى ١٣: ٤٤ - ٤٦). من يجد كنزاً أو لؤلؤة لا يمكنه القول إنه بفضله وباستحقاق أعماله قد حصل على الكنز أو اللؤلؤة. هكذا الملكوت يُعطى لنا دون أن نعمل شيئاً لنستحقّه. ولكن متى وجدناه، نبيع كلّ ما لنا، نتخلّى عن كل شيء في سبيله.

٢ - تطلّبات الملكوت: الحياة الجديدة

أ) قبول الملكوت بالتوبة والإيمان

أن يبيع الإنسان كلّ ما له للحصول على كنز وجده إشارة إلى ضرورة التخلّي عن كل ما يملكه وإنكار ذاته لقبول ملكوت الله. التوبة التي يدعو إليها السيد المسيح إزاء بشرى الملكوت ليست مجرد توبة عن الخطيئة، بل هي، على مثال توبة الإبن الشاطر، الإعراف بالله أباً محباً رحيماً والعودة إليه للحياة معه وعلى مثاله، والإعراف بالسيد المسيح إبناً لله ومخلصاً وقبول البنوة الإلهية التي يمنحنا إياها. والإيمان ليس إعتناقاً لعقائد وحسب، بل هو أولاً قبول شخص يسوع المسيح والإتحاد به إنطلاقاً من الإعتقاد بأن ملكوت المحبة والحق والعدالة قد

بدأ يتحقق على الأرض من خلال شخصه، وإن بشكل سرّي وخفيّ. فإن ملكوت السماوات يشبه حبة خردل صغيرة تنمو لتصير شجرة كبيرة (متّى ١٣: ٣١ - ٣٢). ويشبه خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال من الدقيق حتّى اختمر الجميع (متّى ١٣: ٣٣). الإيمان يرى في حبة الخردل الصغيرة الشجرة الكبيرة وفي الخمير اليسير العجين كلّهُ.

الإيمان بالسيد المسيح وبالملكوت الذي يمثله يجعل المؤمن يتخلّى عن كل شيء ليتبع المسيح ويلتزم تعاليمه: «إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وإمرأته، وبنيه وإخوته وأخواته، بل نفسه أيضاً، فلا يستطيع أن يكون لي تلميذاً، ومن لا يحمل صليبه ويتبعني، فلا يستطيع أن يكون لي تلميذاً» (لو ١٤: ٢٦ - ٢٧).

(ب) القاعدة الجديدة للأخلاق: الاقتداء بالآب

إن علاقة التلميذ مع الله ومع الناس لم تعد تحكمها سلسلة من الشرائع يمكن الإنسان أن يدّعي ممارستها. فعندما يقبل التلميذ البنوة التي يُنعم بها الله عليه، تتحوّل علاقته مع الله من علاقة عبد يطيع أوامر سيّده إلى علاقة ابن يقتدي بأبيه في كلّ تصرفاته وفي جميع أخلاقه. هذا ما أوضحه السيد المسيح بقوله في إنجيل لوقا: «كونوا رحماء كما أنّ أباكم هو رحيم» (لو ٦: ٣٦). هذا القول يصير في إنجيل متّى: «كونوا كامليين كما أنّ أباكم السماوي هو كامل» (متّى ٥: ٤٨)؛ ويقابله في العهد القديم القول التالي: «كونوا قديسين، فإنّي أنا إلهكم قدوس» (أح ١٩: ٢). بدل لفظة «إلهكم» إستعمل السيد المسيح «أباكم»، مشيراً إلى القاعدة الجديدة التي يجب أن يسير تلاميذه بموجبها، فيسعوا إلى القداسة والكمال والرحمة إنطلاقاً من بنوتهم لله واقتداءً بأبيهم.

الإقتداء بالله الآب هو تعبير آخر للتلمذ للمسيح الابن. فمن يتّحد بالمسيح الابن يقبل في الوقت عينه الله أباً، وتصير قاعدة أخلاقه الإقتداء بالله الآب على مثال الابن وبالاتحاد معه. هذا هو جوهر

الأخلاق المسيحية الناتج من أن ملكوت الله قد أعطي لنا في شخص ابن الله يسوع المسيح. إن اتباع يسوع، كما ورد في عدة مقاطع من الإنجيل (متى ١٦: ٢٤؛ مرقس ٨: ٣٤؛ لوقا ١٤: ٢٥ - ٢٧)، يعني أكثر من السير وراء معلّم كبير. فليس المقصود فقط أن يترك المرء كلّ شيء، ويرتدّ، فهذا كان معهوداً في اليهودية. الأمر المميّز في اتباع يسوع هو أن يترك التلميذ كلّ شيء ليحقق علاقة شخصية بينه وبين السيد المسيح، وقد اعترف بأن المسيح هو في شخصه الملكوت الآتي، النعمة التي أنعم بها الله علينا إذ جعلنا أبناءه. الدعوة إلى الكمال في نظر السيد المسيح ليست مجرد مطلب أخلاقي على الإنسان أن يجتهد لتحقيقه. بل هي بالحرّيّة نعمة يُعطّاها مع إعلان البشريّة الصالحة بمجيء الملكوت. لذلك فإن نقطة إنطلاق المسيحي للعمل الأخلاقي لا تكمن في سعيه لتخطي عجزه بغية الوصول إلى مثال إنساني، بل في النعمة التي يعطاها أن يصير ابن الله ويدخل ملكوته ويحيا من ملء المحبة التي يؤمن أنّ الله قد أفاضها عليه في شخص ابنه يسوع المسيح.

لذلك لا تتسم أخلاق الإنجيل بسمة الشرائع. فالزمن لم يعد زمن شرائع بل زمن ملكوت الله. «فلقد بقي الناموس والأنبياء إلى يوحنا، وعندئذٍ يُبشّر بملكوت الله، وكل يجتهد في الدخول إليه» (لوقا ١٦: ١٦). وهذا ما سيوضحه بولس الرسول بقوله: «الناموس كان مؤدّبنا يرشدنا إلى المسيح، لكي نبرّر بالإيمان. فبعد إذ جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدّب. لأنكم جميعاً أبناء الله، بالإيمان بالمسيح يسوع؛ لأنكم أنتم جميع الذين إعتمدوا للمسيح، قد لبستم المسيح» (غلا ٣: ٢٤ - ٢٧). وهذا ما يؤكده أيضاً يوحنا في إنجيله: «فإن الناموس قد أعطي بموسى، وأمّا النعمة والحق فبيسوع المسيح قد حصلا» (يو ١: ١٧).

ج) جذرية الأخلاق المسيحية

الفرق بين الشريعة والتبني يقوم على أمرين: الأمر الأول هو أن

الشريعة تُفرض بالقوة وبتهديد العقاب لمن يخالفها. أما التبني فهو دعوة إلى أن يقبل الابن محبة أبيه بكل قلبه ويقتدي بأعماله بملء حرته. والأمر الثاني هو أن التبني أكثر تطلباً من الشريعة. فالابن يتصرف إنطلاقاً من محبته، وفي حين أن الشريعة محدودة في أنظمتها وقوانينها، المحبة لا حدود لها. لذلك يقول السيد المسيح: «إن لم يزد يركم على ما للكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت السماوات» (متى ٥: ٢٠).

لم يأت السيد المسيح ليقم شرائع جديدة عوضاً عن الشرائع القديمة. فالمرور من زمن الشريعة إلى زمن النعمة لا يعني إزالة الشرائع القديمة. وهذا ما يؤكد السيد المسيح نفسه بقوله: «لا تظنوا أنني جئت لأقضى الناموس أو الأنبياء، إنني ما جئت لأقضى بل لأكمل. الحق أقول لكم: إنه، إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول من الناموس ياء ولا نقطة حرف حتى يتم الكل» (متى ٥: ١٧ - ١٨). ويوضح في بعض الأمثلة كيف يتم ذلك. فالناموس يقول: «لا تقتل»، «لا تزني»، «لا تحنث بل أوف للرب إيمانك». هذه الوصايا لن تزول. ولكن الجديد في تعليم السيد المسيح هو ألا ينظر الإنسان إلى ما تأمر به من أعمال خارجية وحسب، بل أولاً إلى القلب الذي منه تصدر تلك الأعمال. ومتى ارتد القلب إلى الله وآمن بالملكوت الذي أنعم به عليه وبمحبة الله له التي أفيضت في قلبه، لا يعود يكتفي بأن يتمّ تمييزاً حرفياً وخارجياً وصايا الناموس، ولا يعود يسأل علماء الناموس أو الكتبة إلى أي حدّ يمكنه الوصول في أعماله. بل يعطي ذاته كلياً لتتميم إرادة الله دون مساومات ودون قيود ولا شروط للإلتزامه.

من هنا تتسم أخلاق الإنجيل بسمة الجذرية. فتلميذ المسيح لا يمتنع فقط عن قتل أخيه بل حتى عن الغضب على أخيه: «سمعتم أنه قيل للأقدمين: لا تقتل، فإن من قتل يستوجب المحاكمة؛ أما أنا فأقول لكم: إن كل من غضب على أخيه يستوجب المحاكمة؛ ومن قال لأخيه: «راقا» يستوجب حكم المحفل؛ ومن قال له: «يا معتوه»! يستوجب جهنم النار» (متى ٥: ٢١ - ٢٢).

وتلميذ المسيح لا يمتنع عن الزنى وحسب، بل عن كل نظرة شهوانية: «سمعتم أنه قيل: لا تزن؛ أما أنا فأقول لكم: إنَّ كلَّ من نظر إلى امرأة حتَّى ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه» (متى ٥: ٢٧ - ٢٨).

وتلميذ المسيح لا يمتنع عن القَسَم الكاذب وحسب، بل عن أيِّ قَسَم كان: «سمعتم أنه قيل للأقدمين: لا تحنثُ بل أوف للرب بإيمانك. أما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا البتة لا بالسما لا أنها عرش الله، ولا بالأرض، لأنها موطىء قدميه... فليكن كلامكم: نعم، نعم؛ ولا، لا. وما يزداد على ذلك فهو من الشرير» (متى ٥: ٣٣ - ٣٧).

إن ما يريده السيد المسيح من تلاميذه هو الإنقطاع الكلّي عن أيِّ عمل شرير. لذلك أيضاً في الأقوال الثلاثة الأخرى حول الطلاق والانتقام وبغض العدو، لا يطلب فقط تقليص الشر بل العمل على إزالته إزالة تامة.

«لقد قيل: من طلقَ امرأته فليدفع إليها كتاب طلاق. أمّا أنا فأقول لكم: إن من طلقَ امرأته، إلّا في حالة الزنى، فقد عرضها للزنى؛ ومن تزوّج مطلقة فقد زنى» (متى ٥: ٣١ - ٣٢).

«سمعتم أنه قيل: عين بعين وسنّ بسنّ. أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير، بل من لطمك على خدّك الأيمن، فقدم له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يرافقك إلى القضاء ويأخذ ثوبك، فخلّ له الرداء أيضاً. ومن سخّرك لميل واحد فامضِ ميلين. من سألَكَ فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تحوّل وجهك عنه.

«وسمعتم أنه قيل: أحبب قريبك وأبغض عدوك. أمّا أنا فأقول لكم: أحبّوا أعداءكم، وصلّوا لأجل الذين يضطهدونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات، فإنه يطلع شمسهُ على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والأئمة» (متى ٥: ٣٨ - ٤٥).

لقد حاول الناموس القديم، نظراً إلى صعوبة إزالة الشر إزالة تامة، أن يضع له حدوداً ويوقف إمتداده. وهذا ما لم يقبله السيد المسيح. فتحضور ملكوت الله لا بدّ لأبناء الملكوت أن يعملوا على إزالة الشرّ من جذوره. فإذا من يعتدي عليهم، يطلب منهم السيد المسيح أن يمتنعوا عن الردّ، حتّى وإن اقتصر الردّ على العين بالعين أو على السنّ بالسن، أي على ضربة بضربة مماثلة. فالخصام بين الناس لا يمكن وضع حدّ له إلّا إذا كان أحد مستعداً أن يقدم الخدّ الآخر لمن لطمه على الخد الأيمن. وكذلك في موضوع الطلاق، لا يدخل السيد المسيح في موضوع النقاش بين علماء الناموس حول الحالات التي يجوز فيها الطلاق، بل يطلب تغيير الذهنية تغييراً جذرياً وارتداد القلب إرتداداً تاماً في علاقة الناس بعضهم مع بعض. لم يدخل السيد المسيح وصية جديدة تناقض الوصية القديمة، بل عاد إلى إرادة الله الأولى منذ البدء: «في بدء الخليقة، ذكراً وأنثى خلقهما الله، فلذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم إمرأته، وكلاهما يصيران جسداً واحداً؛ ومن ثمّ فليسا هما إثنين بعد، بل هما جسد واحد، فما جمعه الله فلا يفترقه إنسان» (مر ١٠: ٦ - ٩).

إنّ ما أراده الله منذ البدء ولم يستطع الإنسان تطبيقه لقساوة قلبه، صار اليوم ممكناً بسبب مجيء الملكوت أي بفضل النعمة التي يغدقها الله على الذين يدخلون في حياة بنوّة معه بواسطة إبنه يسوع المسيح. وهذا يعني أن الزوجين، حتّى قبل الملكوت، يلتقي أحدهما الآخر في الإيمان والرجاء والمحبة وهما يؤمنان أنّ محبة الله قد أفيضت في قلوبهما، ولذلك يبقيان على الرجاء في الأمانة الزوجية، حتّى ولو فقدوا كلّ رجاء بشري. وهذا يعني أيضاً أنّ تلميذ المسيح، في عالم مليء بالعنف والثأر والقتل، يؤمن أنّه بإمكانه أن يشهد للمحبة والمغفرة والمسامحة وتكون شهادته خميرة في عجين العالم ليصير العالم كله ممتلئاً من روح الإنجيل.

لذلك لا يمكن القول إنّ السيد المسيح قد أراد أن يحدّد لنا

شرائع جديدة عوضاً عن القديمة. بل إنه من خلال المقابلة التي يجريها بين أقوال العهد القديم وأقواله هو، أراد أن يعلمنا أن علاقات الناس بعضهم ببعض لا يمكن أن تتحسن بوسائل الناموس القديم الذي أعطي بسبب قساوة قلوب الناس، ومن هذه الوسائل: الطلاق، والعين بالعين، وبغض الأعداء، بل بالإمكانات التي فتحتها أماننا مجيء ملكوت الله وسيادة محبته في شخص يسوع المسيح، أي بالمسامحة والمغفرة والمصالحة والأمانة والأخوة. وهكذا يكون تلاميذ المسيح «أبناء أبيهم الذي في السماوات الذي يطلع شمسهُ على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والأثمة» (متى ٥: ٤٥).

إن تطلّبات الإنجيل وحياة الملكوت ليست شرائع إخلالية جديدة حلّت محلّ الشرائع القديمة. بل هي بالحرّي أمثلة واقعية تحدّد التوجيه الذي يجب أن يسير أعمالنا والصفة التي يجب أن تتّصف به والسمو الذي يجب أن ترتفع إليه. ففي عالم مليء بالكراهية والأنانية وحب الإنتقام، يدعو السيد المسيح تلاميذه الذين أحبهم الله وغفر لهم وتبّناهم أن يشهدوا لما أنعم به الله عليهم ويتحلّوا بصفات الله من مسامحة ومغفرة وتجرّد وتواضع وإحترام لشخص كلّ إنسان، وصبر وطول أناة. هذا الإتجاه الذي يطلب منهم السيد المسيح أن يسيروا فيه في كلّ علاقاتهم مع الناس هو إتجاه عام وفي الوقت عينه يُحقّق في دقائق الأمور (من ضربك على خدك الأيمن... من سخرك لميل واحد... من طلب ثوبك... من طلب أن يستقرض مالك... إلخ)، ولكنّه لا حدود له، بل يفتح المسيحي على أفق من الكمال لا يمكنه إدراكه ولا البلوغ إليه.

لقد طلب الناموس القديم أن يؤدّي الإنسان العشر من كلّ أمواله. لم يُنْغ السيد المسيح هذه الوصية، بل طلب أن تقترن بالعدل والرحمة، وأن يتّخذ الإنسان موقفاً متجرّداً من المال يعطي للوصية معناها العميق ويدخلها في إطار شامل من العمل على مثال الله. وهذا الموقف يتّضح لنا من بعض ما جاء في الإنجيل من أقوال السيد المسيح: «لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال» (متى ٦: ٢٤)، «لا تكتزوا

لكم كنوزاً على الأرض» (متى ٦: ١٩)؛ «كلّ واحد منكم، إن لم يزهد في جميع أمواله، لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً» (لو ١٤: ٣٣)؛ «بيعوا ما تملك أيديكم وتصدّقوا، إصطنعوا لكم أكياساً لا تبلى» (لو ١٢: ٣٣)؛ «من سألك فأعطه» (متى ٥: ٤٢).

وكذلك بالنسبة إلى سائر الأمور التي توضح علاقة التلميذ بالله كالصلاة والصوم (متى ٦: ٧ - ١٨)، وعلاقته بالقرب كالصدقة (متى ٦: ١ - ٦)، والمحبة (متى ٧: ١ - ٥)، والخدمة (متى ٢٥: ٣١ - ٤٦).

وفي جميع هذه الأمور يسعى التلميذ إلى «البرّ الأعظم» الذي يجب أن يزيد على برّ الكتبة والفريسيين. وهذا البرّ الأعظم يجب ألا يُفسّر كأنه مطلب أخلاقي يمكن التلميذ تحقيقه تحقيقاً تاماً. بل هو مطلب ديني يقضي بأن يخضع الإنسان ذاته لإرادة الله ويقبل دعوته في طهارة القلب وجذرية العطاء والثقة التامة بنعمته ومساعدته وخلاصه. وفي كلّ أعماله يعتبر التلميذ تعاليم السيد المسيح الأخلاقية مبادئ أساسية يرتكز دوماً عليها ويسير بهديها في بحثه عن التصرف الأكثر ملاءمة وحياته الجديدة في ملكوت الله، ملكوت النعمة والمحبة. وهذه التعاليم تساعد على أن يعمل باستمرار على تصحيح مسيرته وتنقية رؤيته، وهدفه على الدوام تحقيق ملكوت الله في العالم وتأليه البشر ليعملوا في العالم أعمال الله.

في هذا الإطار، فإن التطويبات التي هي خلاصة الأخلاق الإنجيلية والتي قد يبدو تحقيقها أمراً مستحيلاً، تصير طريقاً لا بد من سلوكه لنشر ملكوت الله في العالم بتحقيق المحبة والرحمة والسلام.

* المطران كيرلس بسترس. ولد في عين بورداي (بعلبك) سنة ١٩٣٩. دكتوراه في الدراسات الدينية من جامعة لوفان. مدير معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت في حريصا. ومدرس اللاهوت العقائدي في المعهد نفسه.

- رسم أسقفاً سنة ١٩٨٨. هو رئيس اللجنة اللاهوتية والكتابية المنبثقة عن مجلس البطاركة والأساقفة في لبنان.

الفصل التاسع عشر

البعد الكنسي في تعليم الأنجيل الازائية

الأب كميل وليم سمعان*

أولاً: إنجيل متى

يقدم إنجيل متى نظرة لاهوتية للتاريخ: يتدخل الله بطريقة فريدة وقاطعة في تاريخ البشر في شخص يسوع، مسيحه وإبنه. ولقد أتم يسوع العهد بخضوعه التام لإرادة الأب وبذلك فتح الباب أمام مستقبل الكنيسة والعالم لتحقيق الوعود القديمة، وفتح باب الرجاء والأمل أمام حاضر ومستقبل البشرية كلها.

وتتشابك في إنجيل متى مسيرة يسوع الأرضية - التي تتكشف رويداً رويداً للجموع وتكون رسله - مع تأسيس الكنيسة المتواصل. فالكنيسة هي الشاهد على ملكوت السموات. إنها كنيسة الرب يسوع.

ترسم خطب المسيح الكبرى ملامح الكنيسة: فهو الذي يجمعها (١: ١٠) ويؤسسها (١٨: ١٦) ويرسلها (١٩: ٢٨ - ٢٠). إن إدراج هذه الخطب في إطار حياة يسوع العملية التاريخية يثبت أن يسوع هو قاعدة سلوك التلاميذ الوحيدة الحية.

أ - روح الجماعة:

يجب على المسيحيين أن يظهروا فرحهم. إنهم مدعوون

لكم كنوزاً على الأرض» (متى ٦: ١٩)؛ «كلّ واحد منكم، إن لم يزهّد في جميع أمواله، لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً» (لو ١٤: ٣٣)؛ «بيعوا ما تملك أيديكم وتصدّقوا، إصطنعوا لكم أكياساً لا تبلى» (لو ١٢: ٣٣)؛ «من سألك فأعطه» (متى ٥: ٤٢).

وكذلك بالنسبة إلى سائر الأمور التي توضح علاقة التلميذ بالله كالصلاة والصوم (متى ٦: ٧ - ١٨)، وعلاقته بالقرب كالصدقة (متى ٦: ١ - ٦)، والمحبة (متى ٧: ١ - ٥)، والخدمة (متى ٢٥: ٣١ - ٤٦).

وفي جميع هذه الأمور يسعى التلميذ إلى «البرّ الأعظم» الذي يجب أن يزيد على برّ الكتبة والفريسيين. وهذا البرّ الأعظم يجب ألا يُفسّر كأنه مطلب أخلاقي يمكن التلميذ تحقيقه تحقيقاً تاماً. بل هو مطلب ديني يقضي بأن يخضع الإنسان ذاته لإرادة الله ويقبل دعوته في طهارة القلب وجذرية العطاء والثقة التامة بنعمته ومساعدته وخلاصه. وفي كلّ أعماله يعتبر التلميذ تعاليم السيد المسيح الأخلاقية مبادئ أساسية يرتكز دوماً عليها ويسير بهديها في بحثه عن التصرف الأكثر ملاءمة وحياته الجديدة في ملكوت الله، ملكوت النعمة والمحبة. وهذه التعاليم تساعد على أن يعمل باستمرار على تصحيح مسيرته وتنقية رؤيته، وهدفه على الدوام تحقيق ملكوت الله في العالم وتأليه البشر ليعملوا في العالم أعمال الله.

في هذا الإطار، فإن التطويبات التي هي خلاصة الأخلاق الإنجيلية والتي قد يبدو تحقيقها أمراً مستحيلاً، تصير طريقاً لا بد من سلوكه لنشر ملكوت الله في العالم بتحقيق المحبة والرحمة والسلام.

* المطران كيرلس بسترس. ولد في عين بورداي (بعلبك) سنة ١٩٣٩. دكتوراه في الدراسات الدينية من جامعة لوفان. مدير معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت في حريصا. ومدرس اللاهوت العقائدي في المعهد نفسه.

- رسم أسقفا سنة ١٩٨٨. هو رئيس اللجنة اللاهوتية والكتابية المنبثقة عن مجلس البطاركة والأساقفة في لبنان.

لاكتشاف ملء المسيح الذي عاشه ونقله لهم. هذه هي رسالة التطويبات الأولى (٣: ٥ - ١٠). إنها دعوة مسيرة وليست مجرد نداء بالإستسلام. ويتعلق الوعد الذي يصاحب كل واحدة منها بملكوت الله الذي بدأ بوجود يسوع (٣٥ - ١٠) والذي يجب أن يستمر ويكتمل نهائياً (٤: ٥ - ٩).

ويقوم «البر» الذي يطالب به يسوع (٢٠: ٥ و ٤٧) في إتمام ما تقتضيه الشريعة من إقامة علاقة أخوية جديدة داخل الجماعة. ينادي يسوع بالكمال الصعب: حسن مقابلة واستقبال الآخرين والأمانة الزوجية والمغفرة والصراحة والمصارحة في الحوار وحسن معاملة المرء لمن يستغله ويسيء إليه ومحبة الأعداء. إنه يدعو للتشبه بكمال الآب السماوي.

وأهم ما يميّز دستور الحياة هذا هو شخص يسوع وما يكشفه ويعلمه عن الله: طريقة تعامل مع أبيه، الذي يصبح أباً لنا، هي مثال لتصرفنا. ونحن لا نستطيع ذلك إلا إذا سمحت لنا به قوة الله. ولا يقلل هذا من مسؤوليتنا الشخصية التي على أساسها سننال جزاءنا أو عقابنا (١٢: ٣٢؛ ٧: ٢٣؛ ٢٥: ٤٠ و ٤٥). فالآب هو مبدأ وغاية كل تصرف.

وتظل الصدقة والصلاة والصوم (١: ٦ - ١٨) التي كان يمارسها اليهود ملزمة للمسيحيين ولكن «في الخفاء أمام الآب» وليس تظاهراً أمام الناس لنوال إستحسانهم. في هذا الإطار يضع إنجيل متى الصلاة الربية لأنه يرى أن العلاقة الحميمة بين التلميذ والآب هي التي تقود إلى هذا البر.

ويقتضي بر الملكوت إلتماماً حقيقياً صادقاً بخدمة الله: فإذا كانت الشركة الأخوية تقوم على العلاقة بالآب، فإن صدقها يقاس بالأعمال. ويصبح الإنسان أمام إختيار نهائي بالتخلي عن الكنوز الخادعة (٦: ١٩ - ٢١) في سبيل خدمة واثقة مجردة من أية مصلحة (٦: ٢٥ - ٣٤). ويحدّد هذا الإلتزام تجاه الله نوعية السلوك المتحلي بالاحترام والصبر

مع الآخرين. «فكل ما أردتم أن يفعل الناس لكم إفعلوهم أنتم لهم» (١٢: ٧). إنها القاعدة الذهبية للعلاقات الإنسانية.

ويتخذ ذلك في تعليم يسوع شكل دعوة دائمة التفوق. ولا يقوم هذا التفوق على توازنات بشرية أو حسابات العدالة الاجتماعية بقدر ما يقوم على سخاء الحب الإلهي الخلاق. وعلى المرء الذي يريد أن يصل إلى ذلك أن يُحسن دائماً الاختيار: إن ما تتطلبه الصلاة من أعمال تكشف للإنسان عن حقيقته.

ب - الخدمة الرسولية:

إن جماعة يسوع هي جماعة ذات نشاط رسولي، لأن الرسالة هي مشاركة التلميذ في أعمال معلمه (١٠: ٢٤ = ٢٥). وترتبط شروط الشهادة التي يؤديها المرسلون ارتباطاً وثيقاً بتعليم التطويات: يجب على التلميذ أن يتألم مثل معلمه. ولكن يسوع يعد بأن يرسل روحه ليشدّد من عزائم المضطّهدين (١٠: ٢٠ قارن ١٢: ٢٨). والمرسل هو رسول سلام، ولكن رسالته ستُقابل بالمعارضة والرفض. إن الحروب التي تواجه الأخوة باسم المسيح وبسببه (١٠: ٣٥ - ٣٦) تُعلن ويُقوّد إلى سلام أسمى يتحقق بالآلام خلال تاريخ الصراع والمواجهة بين الحريات البشرية (٢٤: ٨).

ج - التمييز والنمو الروحي:

ويُجلي حديث يسوع بالأمثال (فصل ١٣) عن قلب المستمع كل غموض وذلك بمجرد قبوله الرسالة كما يوضح مثل الزارع (١٣: ٣ - ٩ و ١٨ - ٢٣). إن المثل هو إعلان واضح للمستمع. وهذا هو ما يجذب الجموع لأن تستمع للتلميذ. إن الحياة المسيحية هي المكان الذي تتم فيه مُسبقاً الدينونة الأخيرة، وذلك فيما يخص الحرية الشخصية للإنسان.

د - الخدمة الراعوية:

إن علامة التعرف إلى الجماعة المسيحية هي مدى

اهتمامها «بالصغار» ليس كفتة اجتماعية فحسب بل في فرادتهم الشخصية أيضاً. وذلك لأن كلا منهم هو التجسيد الحي والملموس لوجود يسوع «في وسطهم» (١٨: ٥ و ٢٠). وهؤلاء الصغار هم الأطفال (١٨: ٢ - ٥) والخطاة الضعاف. فقبول هؤلاء الأطفال هو شرط لدخول ملكوت السموات أي الإشتراك في الحياة المسيحية. ويتطلب مثل هذا التصرف توبة باطنية وتواضعاً عميقاً وقرارات شجاعة ومسؤولية خاصة تجاه الضالين.

إن الإهتمام المتبادل بالإخوة يستمر: فالصبر والرحمة هما القانون. فلا يجب التسرع بتوقيع الحرم أو القطع من الجماعة على من يرتكب ذنباً أو خطأ، بل يجب تقديم الدليل على أن الجماعة هي شاهد ودليل وخادمة الصفح الإلهي (١٨: ١٨): ولا يجب إكراه المخطيء العنيد على التوبة إنما يجب أن يعهد به للنعمة الإلهية. لأن الرحمة اللامحدودة (١٨: ٢٢) هي الأساس الحقيقي للجماعة: فكما تنال الجماعة مغفرة الله مجاناً، عليها أن تظهر أنها قادرة على إفاضتها على الإخوة.

يقوم جوهر الخدمة الراعوية في كنيسة يسوع في هذا: الجميع مدعوون - كخطاة تائبين نالوا المغفرة وفي نفس الوقت كحراس ومؤتمنين على الرحمة الإلهية - لإتباع المعلم باهتمام شديد مليء بالعطف على الجميع وخاصة على الصغار.

هـ - الشرط الأساسي:

يُعد الحديث عن «مجيء ابن الإنسان» (فصلا ٢٤ - ٢٥ يضاف إليهما توبيخ ودينونة يسوع في فصل ٢٣) نوعاً من الكشف: لقد بدأت دينونة الله للعالم وتصل إلى قمتها في موت وقيامة يسوع. لم يفضح متى رياء وعمى الكتبة والفريسيين وحسب، إنما أيضاً قادة الجماعة المسيحية الأولى. فيجب على الجماعة المسيحية أن تتحاشى إنحرافات الفريسيين. ويرد المضمون الإيجابي لهذا التوبيخ في حديث يسوع على الجبل في شكل إعلان وتعليم. أما هنا فنجد حكماً ودينونة تتناسب

شدتهما مع إحترام يسوع للكتاب المقدس (٢٣: ٣٨ - ٣٩) = (ار ٢٢: ٥ ومز ١١٨: ٢٦).

ويتبع متى في ذلك التقليد الرؤيوي اليهودي وخاصة رؤية أخنوخ. فيرى في يسوع محقق رؤية دانيال «شبه ابن الإنسان آتياً على سحاب السموات» (دا ٧: ١٣ - ١٤). إنه الوحيد الذي يتكلم عن المجيء الثاني ليسوع. وهذا المجيء هو حكم الخلاص الذي يدعو الإنسان إلى الإلتزام العملي. فموت وقيامة يسوع يدخلان ملكوت السموات مرحلته الأخيرة، أي زمن حكم وسيادة ابن الإنسان. وآخر مراحل ملكوت السموات هي دخول البشرية في ملكوت الآب.

يعود ابن الإنسان إلى هذا العالم وتعرض وحدة الجماعة لعدة تهديدات: مسحاء كذبة، أخبار مؤسفة، شكوك، خيانات، أنبياء كذبة وإزدياد الإثم. وتتخلل هذه التهديدات جميع مراحل حياة الكنيسة. ويتطلب هذا ثباتاً في التجربة ومواصلة إعلان الخبر السار. إن يسوع القائم من بين الأموات يعطي معنى وقيمة لوجود الإنسان ويجمع الشعوب ويفتح الخليقة الجديدة.

يتمّ مجيء ابن الإنسان في التاريخ (٢٤: ٤٢ و ٤٦). ولذلك يصبح السهر العلامة المميزة للذين ينتظرونه، وأساس الجدّة التامة في الإضطلاع بمسؤولياتنا وتغذية حبنا وأستثمار الوزنات التي نلناها. ولقد ركّز مثل العذارى والعبيد الذين أعطوا الوزنات (فصل ٢٥) على هذه المفاهيم. وتتعلق هذه المفاهيم بزمان الكنيسة، الزمن الذي يعود فيه يسوع الذي عهد للبشر بمواصلة رسالته. لقد كان متى مدركاً لأخطار التراخي في انتظار مجيء المسيح. إنه يريد أن يحذّر المؤمنين مسبقاً من التخاذل واليأس والإهمال والفتور والنوم.

إن الإختبار الحاسم - في الإنتماء لملكوت الله - هو ممارسة أعمال الرحمة ليس فقط تجاه الأخوة بل تجاه جميع البشر الذين يتعرضون للصعوبات.

و - اسرائيل والكنيسة والملكوت :

يختم متى إنجيله بوصية حمل وإعلان الرسالة إلى العالم أجمع (٢٨: ١٦ - ٢٠) وهي تحقيق وعد الله لإبراهيم: «بك تبارك جميع أمم الأرض» (تك ١٢: ٣). أصبحت هذه الوعود بقدرة الله في متناول الجميع حتى نهاية العالم. لأن المسيح، متمم هذا الوعد، غير خاضع للزمان ولا للمكان. فهو ابن الله المتأنس والقادر على تحقيق هذه الوعود للجميع.

وتقوم الكنيسة - في نظر متى - بإعلان يسوع الذي يقبل الجميع في العماد لكي يشركهم في حياة الأب والروح القدس. فكيان الكنيسة قائم على وجود المسيح سيدها (١٨: ٢ و ٢٠) في وسطها. وهي تتطور وتنمو على أمل أن تلتقي وتتحد به في ملكوت الأب. إن الإفخارستيا هي التصوير المسبق لهذا الاتحاد. وتصبح الكنيسة شعب الموعد بقدر ما تثبت أن المواعيد قد اكتملت في المسيح.

لقد كانت رسالة شعب الموعد تقوم في الإشارة لمجيء المسيح ابن داود وفي الإعداد لتجسد ابن الله. وتظل هذه الرسالة قائمة إلى أن يبلغ مجيء المسيح وتجسده غايتها وإكمالها التاريخي (قارن مت ١٠: ٢٣) أي إلى إنقضاء الدهور (٢٨: ٢٠). ولا تختلف رسالة الكنيسة عن رسالة شعب الموعد لأن خطة الله الخلاصية واحدة لا تتغير وتكتمل في موت يسوع وقيامته.

لقد تحقق ملكوت السموات في المسيح ونما في البشرية؛ أي شعب اسرائيل الذي حافظ على رسالته. وهذا يذكر الكنيسة أنها لا تستطيع أن تسترخي في العالم كما لو كانت قد أتمت تعاليم المسيح وأصبحت تعيش التطويبات وتعيش البر الكامل. لقد أسبغ متى على الجماعة المسيحية مفهوماً مثالياً. إنه لا يؤخذ بينها وبين ملكوت الله بل يدعو قراءه للتوبة والتوجه إلى الله الحي، أي إنه يدعوهم لأن يكونوا أطفالاً (١٨: ٣ - ٤) ليدخلوا ملكوت السموات ويدعوهم لاكتشاف ضعف إيمان الكنيسة الذي يكتمل فقط بالإعتماد التام على المسيح.

ثانياً: إنجيل مرقس:

نشأ إنجيل مرقس في حضن الكنيسة. لقد أعلنت بعض المجموعات المسيحية إيمانها الجديد ورغبتها في إتباع يسوع. ويقوم مرقس بجمع تقاليد هذه الجماعات. وقد عاش مرقس نفسه في إحداها وشاركها أفراحها وآلامها وآمالها. ويُظهر نصّ مرقس بعض هذه المظاهر الغنية، فيدل كم تتفاعل كل جماعة مع الظروف الإقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي تحيط بها.

أ - دعوة الجماعة للإعتراف بيسوع:

إن ما يحيي الجماعة ويوحدها هو البحث المستمر عن يسوع. وتجد الجماعة هويتها باكتشاف ماهية يسوع. ولذلك فإن «عدم فهم التلاميذ» يمثل إحدى الصعوبات التي واجهتهم. فالتلمذة تعني إتباع يسوع بالرغم من كل الصعوبات بالاعتماد على بعض العوامل المساعدة التي تضيء الطريق. وتقدّم الجماعة بعض الوسائل التي فيها يتمّ هذا «التعرف» نذكر اثنتين منها:

١ - العبادة: لقد نشأت قصص تكثير الخبز في حضن جماعات كانت تحتفل بالإفخارستيا. ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك مفترضين أن أصل قصة آلام يسوع هو الإحتفال السنوي بالفصح بأورشليم الذي يضم ثلاثة أحداث رئيسية: تذكّار ليلة يسوع الأخيرة، صلاة يسوع عشية الجمعة العظيمة وزيارة القبر.

كما يفترض آخرون أن إنجيل مرقس ما هو إلا نصّ تحضيرى كان يُقرأ بالكامل على مسامع المعتمدين الجدد ليلة عيد الفصح. وهذا يقتضي إجتماع «الجماعة» للإحتفال بالعماد وبال دخول في الديانة المسيحية.

٢ - التعليم: الجماعة التي تحتفل هي جماعة تعلّم. فإذا كان نص إنجيل مرقس هو نص «إعداد» فهو أيضاً كتاب تكوين المسيحي.

ولا ترقى تعاليم إنجيل مرقس في العدد إلى مثلتها في إنجيلي متى ولوقا، ولكنها تعطي الإجابة على سؤالي أساسيين لمن يريد الدخول أو التعمق في الدين المسيحي: من هو يسوع؟ ماذا تعني الحياة المسيحية؟

ولذلك يركّز الإنجيل بطريقة خاصة على موضوع التعليم: ففيه يرد فعل «علم» ١٧ مرة (٢١: ١ و ٢٢؛ ١٣: ٢؛ ١٤: ١ و ٢؛ ٢: ٦ و ٦ و ٣٠ و ٣٤؛ ٧: ٧؛ ٣١: ٨؛ ٣١: ٩؛ ١٠: ١؛ ١١: ٧؛ ١٢: ١٤ - ٢٥؛ ١٤: ٤٩) بينما يرد هذا الفعل ١٤ مرة في إنجيل متى و ١٧ مرة في إنجيل لوقا. والمقصود بلفظة «تعليم» في إنجيل مرقس هو تعليم يسوع.

كما ترد كلمة تعليم ٥ مرّات في إنجيل مرقس (٢٢: ١ و ٢٧؛ ١٤: ١؛ ١٨: ١١؛ ٣٨: ١٢) بينما ترد ٣ مرّات في متى ومرة واحدة في لوقا.

وينسب مرقس لقب «معلم» إلى يسوع ١٢ مرة (٣٨: ٤؛ ٣٥: ٥؛ ٩: ١٧ و ٣٨؛ ١٠: ١٧ و ٢٠ و ٣٥؛ ١٢: ١٤ و ١٩ و ٣٢؛ ١٣: ١؛ ١٤: ١٤) و ١٢ مرة في متى و ١٧ في لوقا. بالإضافة إلى ذلك ينسب مرقس إلى يسوع لقب «رابي» (٩: ٥؛ ١١: ٢١؛ ١٤: ٤٥) و«رابوني» (١٠: ٥١).

ب - جماعة مرسلّة لضمّ الوثنيين:

لقد عانت الجماعة المسيحية الأولى كثيراً من مشاكل الإنفتاح على الأمم وجمع اليهود والأمم في جماعة واحدة كما يشهد بذلك كتاب أعمال الرسل (١٠ - ١١ و ١٥) ورسائل بولس (غل ١ - ٢: أف ٣).

لقد حثّ مرقس جماعته، وشجّعها على الإنفتاح على الأمم، مستنداً في ذلك إلى تصرف يسوع نفسه: فقد اجتمعت إليه جموع من كل البلاد (٣: ٧ - ٨) وذهب هو نفسه إلى بلاد الوثنيين (٥: ١).

- ٢٠؛ ٢٤:٧). وأجرى معجزة تكثير الخبز لليهود (٤: ٣٤ - ٤٤) ولغير اليهود (١: ٨ - ١٠). وبين هذين الحادثين هاجم يسوع العادات اليهودية (١: ٧ - ٢٣)، وقبل لا بل امتدح ايمان المرأة الكنعانية (٢٤: ٧ - ٣٠). كما أن أول من إعترف بيسوع ابن الله هو قائد المئة الروماني عندما إنشق حجاب الهيكل (١٥: ٣٨ - ٣٩). وهكذا يتضح أن جماعة مرقس تميل إلى المسيحيين من أصل وثني.

ج - تنظيم الجماعة:

إن سبب قيام الجماعة في إنجيل مرقس هو مساعدة المؤمنين على «التعرّف» إلى يسوع وإعلانه للذين لا يعرفونه. وتقوم الجماعة بذلك بعدة طرق: إعلان الإنجيل، تعليم المؤمنين، الإحتفال بكسر الخبز والإجتماع للصلاة. ولا تهتم الجماعة بتنظيم نفسها إهتمامها بالعمل. إلا أنه يمكن التعرف إلى بعض الفئات البارزة في الجماعة.

١ - التلاميذ: يرد ذكرهم ٤٣ مرة. فهم الذين صاحبوا يسوع في رسالته على الأرض، كما أنهم المسيحيون الذين يريدون إتمام ما بدأه التلاميذ وربما هم المسيحيون المعاصرون لمرقس سواء كانوا الجماعة كلها أو المسؤولين عنها.

٢ - الإثنا عشر: يرد ذكرهم في إنجيل مرقس ١١ مرة (٣: ١٤ و ١٦؛ ٤: ١٠؛ ٦: ٧؛ ٩: ٣٥؛ ١٠: ٣٢؛ ١١: ١١؛ ١٤: ١٠ و ١٧ و ٢٠ و ٤٣). بينما يرد ذكرهم ٨ مرّات في إنجيل متى و ٧ مرّات في إنجيل لوقا. والإثنا عشر هم جماعة متميّزة، أقامها يسوع لتكون معه وترتكز رسالتها على رسالته ذاتها: فهو الذي أقامهم (٣: ١٤ و ١٦) وأرسلهم (٧: ٧) ليعلموا ويشفوا من الأمراض ويطردو الشياطين ويدهنوا بالزيت (٦: ٧ - ١٣ و ٣٠). ويشارك الإثنا عشر يسوع عشاءه الأخير (١٤: ١٧). وإن كان دورهم التاريخي محدوداً إلا أنه يستمر في التلاميذ (٣: ١٤؛ ٦: ٣٠)، وهكذا تتكوّن الجماعة.

وتبرز داخل هذه الجماعة بعض الشخصيات: بطرس ويعقوب ويوحنا (٥: ٣٧؛ ٩: ٢؛ ١٤: ٣٣) والثلاثة يكوّنون مع أندراوس (١: ١٦ و

- ٢٠؛ ٢٩:١؛ ٣:١٣)، الأشخاص الرئيسيين الذين يصف مرقس أعمالهم وطريقة حياتهم وإفتاحهم على الروح لقبول مساعدين آخرين (١٨:٥ - ٢٠ قارن ٩: ٣٨ - ٤١). وفوق هؤلاء جميعاً نجد يسوع الذي يعطي القاعدة الذهبية: تواضع الخدمة وبذل الذات على مثال ابن الإنسان «الذي جاء ليعمل ويفدي بنفسه كثيرين» (٩: ٣٥ و ٣٧؛ ١٠: ٣٥ و ٤٥).

ثالثاً: إنجيل لوقا:

لم يكن إهتمام لوقا في المكان الأول لاهوتياً. إنه إهتمام تاريخي دفاعي تضاف إليه الغيرة الرسولية والإتجاه الراعوي.

يتم ميلاد الكنيسة على مرحلتين: فهي كانت قائمة في فكر المسيح لحظة إختيار الإثني عشر. ولكنها ظهرت ككيان بعد موت المسيح وعلى ضوء القيامة وبقوة حلول الروح القدس. وليست الكنيسة خلقاً من العدم إذ إنها تقوم على بقايا شعب العهد بعد تجديده.

كيف يظهر تنظيم الكنيسة؟

يسوع هو مسياً هذا الشعب وإلهه. ولكنه بالقيامة والصعود أصبح - مؤقتاً - غائباً عن الأرض ولذلك يتحول الإثنا عشر - المساعدون - إلى شهود. فهم يشهدون لصحة تعاليمه ورسالته التي بدأت بعماده على يد يوحنا. إنهم شهود عيان وخدام الكلمة. ويتجهون بشهادتهم أولاً إلى شعب الله المختار ولذلك يقيمون في أورشليم.

ولا نجد في إنجيل لوقا تعاليم عن سلطة الرسل وخلفائهم، حتى وإن تميّز الإثنا عشر - وبطرس المتحدث باسمهم - ببعض السلطة. فالروح القدس هو الذي يقوم بتوحيد رأي المؤمنين مع المسؤولين، إذا اقتضى الأمر إتخاذ قرار.

وتظهر من خلال إنجيل لوقا بعض الخلافات أساسها اليونانيون والفريسيون المهتدون إلى المسيحية.

ويركز لوقا على ثلاثة أمور أساسية:

- ١ - تقوم السلطة في الكنيسة على الخدمة (لو ٢١: ٢٤ - ٢٧).
- ٢ - تحتل مصلحة الكنيسة المكانة الأولى في خيارات المؤمنين (أع ٢١: ٨ - ١٤). فالله الغائب الحاضر يعلن للرسل والمؤمنين في حالة بحثهم كجماعة عن الخير العام في الصلاة.
- ٣ - لا يمارس الرسل سلطتهم بالإكراه إنما بالإقناع.

فلوقا لا يعارض ولا يؤيد قيام سلطة الأساقفة. فهو يذكر وجود الشيوخ في الكنيسة ولكنه لا يهتم بإبراز دور ومكانة شيوخ أورشليم (أع ١١: ٣٠). ويذكر عرضاً أن بولس أقام مسؤولين في الكنائس التي أنشأها (أع ١٤: ٢٣). وبولس نفسه لا يتحدث عن الشيوخ حتى وإن كان قد أقام في كل مكان بنية إدارية. ويبدو أن هذا النظام قد تقارب مع نظام الشيوخ في الجماعات المسيحية من أصل يهودي في زمن لوقا. لذلك يطلق على شيوخ أفسس (أع ٢٠: ١٧) إسم أساقفة (أع ٢٠: ٢٨). إنهم رعاة القطيع المحليون. ولا يشغل هذا الأمر إهتمام لوقا لأن هدفه إرسال أكثر ممّا هو كنسيّ: على الرسل الإهتمام بالكرازة والهداية أكثر من بناء الجماعة. يعهد برعاة العهد إلى الربّ وذلك بالصوم والصلاة. ومن الممكن إفتراض وضع اليد. فبالإضافة إلى العمداء كانت توضع اليد للشفاء (أع ٩: ١٧) ولإرسال شخص في مهمة (أع ١٣: ٣).

* الأب كميل وليم. ولد سنة ١٩٥٢ في محافظة اسيوط (مصر). رسم كاهناً سنة ١٩٨٦

- حصل على دكتورا في الكتاب المقدس من المعهد البابوي في روما.
عنوانها: سبع ترجمات عربية لكتاب يشوع بن سيراخ.
- يدرس الكتاب المقدس في اكليريكية المعادي، في معهد اللاهوت بالسكاكيني، في اكليريكية الآباء الفرنسيسكان بالجيزة.

الفصل العشرون

الأنجيل الإزائية والتاريخ

الخوري بولس الفغالي*

حين نطرح المسألة التاريخية في وجه الأنجيل، نجد نفوسنا أمام تيارين يقفان على طرفي نقيض. تيار أول يقرأ الإنجيل بطريقة حرفية ويخاف أن يتخلّى عن الحرف المكتوب. يخاف أن يصل إلى روح الإنجيل. وحين تحدثه عن المعنى الرمزي أو الروحي لمعجزة مثلاً، يسألك: إذن، لم تحدث هذه المعجزة؟ وتيار ثانٍ ينطلق من وجه يسوع بعد القيامة فيترك التاريخ جانباً ويتعلّق بتأمّلات الكنيسة وتنظيماتها فينسى يسوع الذي وُلد في بيت لحم وعلم في الجليل والسامرة واليهودية قبل أن يموت في أورشليم. أما نحن فسنحاول أن نطرح المسألة عارفين أن واقع يسوع التاريخي لا شك فيه. وأن ما عاشه وعمله لم يكن وليد الخيال عند الكنيسة أو الإنجيلي. ولكننا نعرف من جهة ثانية أن الذين يستندون إلى الواقع وينطلقون إلى المعنى الروحي، لا يتخلّون عن الواقع، ولكنهم يحاولون أن يتعمقوا فيه فلا يعود حديثنا عن الإنجيل كلاماً نردّده على ما فعل الأقدمون. لماذا نتمسك بالماضي وننسى عمل الروح الذي ما زال يساعدنا لكي نستخرج من كنز الأنجيل كل قديم وجديد.

أ - مسألة يسوع التاريخية

١ - سؤال وأجوبة

طُرح السؤال مراراً: هل نصل إلى يسوع التاريخ عبر ما تُحدّثنا عنه الأنجيل على ضوء الإيمان بالقيامة؟ إن الرسل فهموا يسوع وأعماله وأقواله على ضوء القيامة، فهل شوّهت هذه النظرة واقع يسوع التاريخي؟

وتعدّدت الأجوبة. قال البعض إننا نستطيع أن ندرك يسوع أدراكاً حقيقياً. واعتبر آخرون أنه تمّ تحوّل في أقوال يسوع. ولكن معظمهم يعتبرون أننا من خلال الأنجيل نسمع حقاً كلمة المخلص نفسه. يسوع هو أساس الإيمان المسيحي. وله فضلاً عن طابعه التاريخي مدلول يتجاوز التاريخ والعالم نجعله في هذه العبارة: إن يسوع يمثل تدخل الله في صيرورة البشر.

أما جواب الكنيسة فكان واضحاً: نستطيع أن نثق بالأنجيل كوثائق تاريخية. فأصحابها هم شهود رسوليون: متى الرسول، يوحنا الرسول، مرقس تلميذ بطرس ولوقا تلميذ بولس.

شدّدت الكنيسة على التاريخية كواقع. ولكن يبقى علينا أن نتعرّف إلى الطريقة التي بها وصل إلينا هذا الواقع التاريخي.

٢ - برهان معروف

يقولون: صدرت الأنجيل عن كتّاب صادقين وعالمين بالأمور. إذن، هي تاريخية. ولكن هذا البرهان لا يدلّ على الشكل الذي فيه تكون هذه الكتابات تاريخية. كما أنه يشدد على كتاب الأنجيل وينسى النقد الحديث: لم يكن كل من مرقس ولوقا شاهد عيان. وارتباطهما ببطرس وبولس لا يكفي لكي يؤمن شهادتهما الحرفية. وإنجيل متى لم يصل إلينا في نسخته الأصلية، بل في ترجمة، بل في نسخة جديدة.

نحن لا ننسى البراهين التي نجدها في التقليد. ولكن، بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يستند تبرير تاريخية الأنجيل إلى النقد الداخلي للنصوص. لا نتوقف فقط على ما يقوله التاريخ عن الأنجيل، بل ندرس النص الإنجيلي في ذاته لكي نتعرف إلى تاريخيته. في هذا المجال، هل نستطيع أن نسَمِّي متى ومرقس شهوداً بالمعنى الذي يتطلبه النقد التاريخي اليوم؟

حين ندرس النصوص نجد في الإنجيليين قبل كل شيء «خُداماً للكلمة». إنهم يهتمون بنقل المعطيات كما تسلموها بعد أن بحثوا عن صحتها. هذه المعطيات فرضت عليهم في أشكال محددة، فاختروها وجعلوها في رسمة إجمالية تقليدية لم يتجاوزها إلا يوحنا.

هذا ما قاله لوقا في بداية إنجيله: «لَمَّا أَخَذَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَدَوْنُونَ رِوَايَةَ الْأُمُورِ الَّتِي تَمَّتْ عِنْدَنَا، كَمَا نَقَلَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنْذُ الْبَدْءِ شُهُودَ عَيَانَ لِلْكَلِمَةِ، ثُمَّ صَارُوا عَامِلِينَ لَهَا، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً، وَقَدْ تَقَصَّيْتُهَا مِنْ أَصُولِهَا أَن أَكْتُبَهَا لَكَ مَرْتَبَةً يَا تَاوْفِيلُوسَ الْمَكْرَمَ، لِتَتَقَيَّنَ صَحَّةَ مَا تَلَقَيْتَ مِنْ تَعْلِيمٍ» (١: ١ - ٤).

سبق مرقس لوقا، وسبقته مراجع أخرى. واتصل لوقا بالذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة وخداماً لها. تقصَّى لوقا الأمور، تتبعها عن كُتُب ثم رتبها وقدمها إلى تافيلوس. نشير إلى أن الترتيب لم يكن في الدرجة الأولى زمنياً، بل لاهوتياً وتعليمياً.

أما رسمة الأنجيل الإزائية فنقرأها في خطبة بطرس أمام الضابط كورنيليوس وأهل بيته (أع ١٠: ٣٧ - ٤١). وهي تبرز في أربع مراحل: إستعداد يسوع للرسالة، الرسالة في الجليل، الصعود إلى أورشليم، الآلام والقيامة.

إنطلق الإزائيون من هذه الرسمة وجعلوا فيها موادهم. فإذا تطلَّعنا إلى الوصلات إستطعنا أن نعود إلى المرحلة السابقة للأنجيل الإزائية. حينئذٍ نتساءل: هل يُسأل الإنجيليون عن مواد وُجدت قبلهم؟

الجواب هو نعم. فقد تثبتوا من التقليد الذي وصل إليهم. هذا لا يعني أنهم فوق الكنيسة التي تنقله، بل إنهم تعرّفوا إلى الأشخاص الذين حملوا هذه التقاليد وحاولوا البحث عن أصولها.

أجل، هذا البرهان ينطلق من النقد الخارجي فيؤكد صحة الأناجيل ويستخلص تاريخيتها كنتيجة لهذه الصحة. ولكن يبقى أن نحدّد الشكل الذي فيه تبدو الأناجيل تاريخية.

٣ - كيف نعرض تاريخية الأناجيل الإزائية؟

هناك عدة مراحل تضم البراهين المعروفة وتجدها. ننتقل من القرن الثاني ونعود إلى الوراء حتى نصل إلى التقليد الشفهي. وفي كل مرحلة نستعين بالنقد الخارجي والنقد الداخلي لنحيط بالمسألة إحاطة تدريجية ونفهم في أي معنى نستطيع القول إن أناجيلنا هي تاريخية. نميّز ثلاث مراحل تُوافق المحطات المتعاقبة التي فيها نستطيع أن نتفحص الكتيّبات الإنجيلية.

* المرحلة الأولى: بما أن الأناجيل الأربعة تشكّل قاعدة الإيمان الإنجيلي، فقد اعتُبرت في البداية إضمامة واحدة، إنجيلاً في أربعة أشكال، لا كأربعة أناجيل. سمّاه إيريناوس: الإنجيل المربع الوجوه (تترامورفي). هو إنجيل واحد ننتقل من هذه المعطية التاريخية فنبحث على المستوى الحديث عن المواد التي تتضمنتها الأناجيل.

* المرحلة الثانية: إن دراسة الأناجيل الأربعة، كل على حدة (مفرشي كما في السريانية) تُتيح لنا أن نحدّد الفن الأدبي لكلمة «إنجيل»، وأن نتعرّف إلى المعنى الذي به نسمّيها تاريخية.

* المرحلة الثالثة: نعود في النهاية إلى التقليد الإنجيلي السابق لتدوين الأناجيل الأربعة. فندرس المحيط الذي عاشت فيه ونحدّد في أي معنى نستطيع أن نمحضها ثقتنا من الوجهة التاريخية.

ب - المرحلة الأولى: الإنجيل المربع الوجوه.

نكتفي في هذه المرحلة بأن نبين أن الأناجيل وثائق تاريخية حقة.

١ - الوجهة التقليدية

يُعتبر آباء الكنيسة السابقين لمجمع نيقية (٣٢٥) أن الإنجيل المربع الوجوه هو ينبوع إيمانهم، واستبعدوا كل إنجيل غيره. قبلوا هذه الأنجيل الأربعة على أنها رسولية، ومارسوا عليها عملية نقد دقيقة. بين ترتليانس (ابن قرطاجة) بوجه مرقيون (استبعد العهد القديم) شمولية وتواصل تقليد التاريخ الذي سلّم إلينا هذه الكتب.

ثم إن الإيمان المسيحي يستند بطبيعته إلى واقع تاريخي، قبل أن يستند إلى تعليم. فحين نقبل الأنجيل على أنها أسفار قانونية، فنحن نمنحها الشهادة بأنها تاريخية: تاريخية إجمالية قد لا تتجاوب مع متطلبات العلوم الحديثة، ولكنها تاريخية جوهريّة. لماذا نفرض على الإنجيل أن يكون «تقريراً صحافياً مفصلاً»؟ إنه نظرة تاريخية، ولكن همه الأول أن يقدم لنا التعليم الذي ننتظره نحن المسيحيين.

كل هذا القول يؤكد لاهوتيو العهد الجديد. فالقديس بولس والقديس يوحنا وصاحب الرسالة إلى العبرانيين هم لاهوتيون يركزون تعليمهم على واقع تاريخي: يسوع الذي مات صلباً هو الحي الذي قام من بين الأموات. وإن لهذا الواقع بُعداً تعليمياً، وليس فقط لباساً رمزياً لتعليم سري. إن هؤلاء الكتاب الثلاثة يكتفون تعليمهم حسب حاجات قارئهم، ولكنهم يستندون كلّهم إلى الواقع عينه. فلا يُعقل أن يركز كل هذا على الفراغ. بالإضافة إلى ذلك، فدراسة تصرفهم تجعل الناقد في الاستعداد الداخلي اللائق للبحث عن مضمون الأنجيل التاريخي: هناك واقع ولكنه لا ينفصل عن مدلوله التعليمي.

وشهادة بولس لها قيمة خاصة. إنه شاهد مستقل عن الأنجيل ونحن نستطيع أن نقول عنه: إنه صادق وعارف بالأمور. إنه من خدام الساعة الأولى وهو يعرف الكنيسة الجامعة. والحال، إن شهادته تتوافق مع شهادات الإنجيليين في النقاط الرئيسية.

٢ - الوجهة الحديثة

والعلوم الحديثة تثق بمضمون الأناجيل، وتثبت التاريخية الإجمالية التي يؤكدتها التقليد، فتقابل بين معطيات الإنجيل وتلك التي تقدّمها كتابات أخرى. لسنا في هذه المرحلة أمام درس أدبي، بل أمام تفحص مضمون النصوص. ففي كل بحث حول عمل تاريخي، نبدأ بتحديد المحيط الذي وُلد فيه هذا العمل ونحدّد زمن تدوينه. وهذا البرهان الأول لا ينفي إعادة بناء النص ولا تأثير الأشخاص على المواد. ولكنّه يزيدنا ثقة بالقيمة التاريخية للعمل الذي ندرس.

* أما الوضع الذي نجده في الأناجيل فهو يوافق ذلك القائم في فلسطين قبل كارثة سنة ٧٠. ثم إن هذه الصورة لا تفصل عن اللحمة الإنجيلية.

من الوجهة اللغوية، تدل هذه النصوص المدوّنة في اليونانية، على إتصال بالتوراة وعلى جذور فلسطينية سابقة لإنتشار هذه الكتب في الجماعات الهلنستية (أي أهل الشرق الذين تحضّروا بالحضارة اليونانية). ومن الوجهة الجغرافية تؤكد التثقيبات الجارية منذ قرن من الزمن على تحديد المواقع الإنجيلية: كفرناحوم، الناصرة، نائين، الطريق من أورشليم إلى أريحا. من الوجهة التاريخية والسياسية، يؤكد لنا المؤرخ فلاقيوس يوسيفوس مثلاً ما قيل في الأناجيل عن الصراع بين اليهود والسامريين، بين الفريسيين والصادوقيين. وتبدو الحياة الاجتماعية بكل وضوحها في الأناجيل، كما نكتشف العادات الدينية في ذلك الزمان: الأعياد، الحج إلى الهيكل، الصلاة في المجمع، راحة السبت. ونكتشف أيضاً التيارات الفكرية: التيار الاسكاتولوجي الذي يتطلّع إلى نهاية الزمن، التيار المسيحاني الذي يتطلّع إلى مسيح من نسل داود. التيار القمراني المنتظر مسيحاً سياسياً ومسيحاً كهنوتياً.

* وإذا عدنا إلى ما قبل سنة ٥٠، فالأعمال والرسائل البولسية تدل على تطوّر سريع في الجماعة المسيحية، سواء في تنظيمها أم في توجهات فكرها. فالنظم الدينية في زمن القديس بولس تتميز عن نظام

المجمع (أي العالم اليهودي): يرتسم تنظيم تراتبي، تظهر البدع والهرطقات، تتوضح روح الكنيسة الجامعة، وتُطل الإضطهادات في الأفق. أما الأنجيل فتقدم ديانة لم تنفصل بعد عن المجمع، ومعلماً يهتم مع تلاميذه باحترام الشرائع الموسوية فيدل على أنه من محيطه. ماذا نقول في يسوع حين نسمعه يقول لتلاميذه: «لا تسلكوا طريقاً إلى الوثنيين، ولا تدخلوا مدينة للسامريين» (مت ١٠: ٥)؟ إنه حقاً من عصره. وقال أيضاً للكنعانية: «لم أرسل إلّا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل» (مت ١٥: ٢٤).

والتعليم المسيحي في أيام بولس يتوجّه نحو تنظيم الكرستولوجيا (الكلام عن المسيح) والسوتيريولوجيا (الكلام عن الخلاص بيسوع) وعن البنفماتولوجيا (التعليم حول الروح القدس) والمعرفة الحقّة والتقليد الذي هو وديعة في يد الكنيسة. أما في الأنجيل، فلا نظريات لاهوتية حول وجود المسيح الأزلي مثلاً أو حول لاهوته. نحن أمام أسلوب قديم يحدثنا عن ابن الإنسان وملكوت السماوات، وهاتان عبارتان ستزولان فيما بعد.

والميل تختلف بين القديس بولس والأنجيل. حارب بولس المتهودين (مسيحيون من أصل يهودي) وآباء الغنوصية (المعرفة الباطنية تكفي للخلاص، ولا حاجة إلى الصليب). أما يسوع فيهاجم الفريسيين كما يهاجم الصادوقيين الذين سيزولون بعد كارثة سنة ٧٠.

* وإذا قمنا بمقابلة مع الأنجيل المنحولة وصلنا إلى أمور تشوّه التاريخ. ففي إنجيل يعقوب، نرى أن عقم أم مريم يشبه عقم حنة أم صموئيل. وهناك هدف دفاعي لا قيمة دينية له. فإنجيل الطفولة العربي يروي لنا أن الأشجار إنحنت أمام يسوع وقدمت له ثمارها. وأن يسوع أمات الصبيان الذين لا يريدون أن يلعبوا معه ثم أحياهم. وإنجيل بطرس يوصل القيامة إلى شهود حياديين، فتزول حرية الإيمان.

وهناك ملاحظات تعليمية. فإنجيل الأبيونيين (شعبة متهودة) يعلن أن يوحنا لا يأكل الجراد، بل يكتفي بالأعشاب. ويبرز إنجيل

المصريين بغضاً جامحاً للزواج، فيجعل هذا البغض في فم المسيح نفسه.

* في نهاية هذه المرحلة الأولى بدت لنا الأناجيل الإزائية كتيبات وصلت إلينا بأحسن حال من جهة النصوص، ونُسبت إلى كُتّاب من القرن الأول، وأوردت واقعاً لا ينكره التاريخ الدنيوي، وأشارت إلى محيط يعود إلى الزمن الذي دوّنت فيه.

إذن، أناجيلنا هي وثائق تاريخية حقة. ولكن كيف يبدو ذلك؟ فهناك تاريخ وتاريخ. فعرض الواقع الإنجيلي ليس مجرداً من كل هدف. هدفه تعليمي. هنا تُطرح بعض الأسئلة: أما تأثرت الأحداث وتحوّلت بسبب بعض الميول والأفكار المسبقة حول الإيمان؟ أما أعيد بناء التاريخ أو استُنبط انطلاقاً من الخبرة الدينية؟ لماذا ننق بالكتاب ونقول إننا ندرك بواسطتهم إيمانهم بيسوع، لا يسوع نفسه؟ هذا ما يقوله بولتمان.

إذا أردنا الجواب على هذه الأسئلة نقوم بنقد داخلي شبيه بنقد المراجع. وهذا يتم في مرحلتين. ندرس في الأولى تاريخية كل إنجيل، منطلقين من فنّه الأدبي. وفي الثانية ندرس تاريخية التقليد الإنجيلي، منطلقين من وحدات وُجدت قبل التدوين الإزائي.

ج - المرحلة الثانية: الأناجيل الثلاثة الأولى

ما هو الإنجيل كفنّ أدبي؟ إنه يضم أحداثاً ترتبط بتفسير الأناجيل هي كتيبات تعليمية تورّد خبراً. فلا نطلب منها ميزات كتب التاريخ الحديث. ولكنها في الوقت عينه تتضمن بنية «سروية» (تعطينا «سيرة» يسوع) خلف الهدف التعليمي. نحن أمام إنجيل، أمام بشري، أمام خبر طيّب عن واقع حدث فيما مضى. إذن، الأناجيل بطبيعتها كتب تاريخ. ولكن الإطار الذي وُجدت فيه يدل على أنها لم تدوّن من أجل هدف علمي. ليست كتب تاريخ محضة.

لهذا، يستطيع النقد الحديث أن يطبق مبادئه على أصحاب هذه الكتيبات. فيكتشف كيف حولوا الواقع من أجل التعليم: أما ضحّم

الكاتبُ الواقع والتعليم وأظهره في مظهر عجيب أو متماسك لكي يجلب إلى دينه عدداً من المتشيعين؟

سؤال قاس. ولكن حين نتفحص النصوص، بما فيها نص متى، لا نجد هذا الهدف الدفاعي. نحن لسنا أمام أبولوجيا (نص يدافع عن صحة عقيدة أو كتاب) بل أمام أبيفانيا (أي: ظهور إلهي). فالكاتب لا يمتدحون نفوسهم، بل يخفون وراء مؤلفاتهم. وساعة جعل الرسل في قمة الهرم (رج غل ٢: ٩: أعمدة الكنيسة)، لم يوفّرهم الإنجيليون فشدّوا على بطئهم في الفهم (مثلاً مر ٩: ٣٢) وأخبروا بنكران بطرس ليسوع (مر ١٤: ٦٦ - ٧٢ = مت ٢٦: ٦٩ - ٧٥ = لو ٢٢: ٥٥ - ٦٢ = يو ١٨: ١٥ - ٢٧). هم يطمحون إلى المراكز الأولى تجاه الرب الذاهب إلى الموت (مر ١٠: ٣٥ - ٤٥؛ مت ٢٠: ٢٠ - ٢٣؛ لو ٢٢: ٢٤ - ٢٧). وساعة كان ينازع معلمهم، استسلموا إلى النوم (مر ١٤: ٣٧). وساعة قبضت عليه السلطات اليهودية «تركوه كلهم وهربوا» (مر ١٤: ٥٠). والذي أسلمه كان واحداً من الإثني عشر (مر ١٤: ٤٣).

أما المسيح فيبدو في وجه يستصعب «اللاهوتي» التحدّث عنه. يبدو أنه أقلُّ من الآب. هو يجهل يوم الدينونة. هرب أمام الخطر واختبأ في بستان الزيتون. عرق دماً، وعلى الصليب أحس وكأن الآب تخلّى عنه. تعليمه سام وغير مقبول، وهو يواجه ما يقوله الناس دون أن يحاول أن يفرض عليهم رأيه. وتصوّر معجزاته بإيجاز يميّزها عما يشبهها في الكتب المنحولة.

إذن، تبدو الأناجيل مكتوبة من دون هدف دفاعي (دعائي، كما يقول بعض الفكر الحديث). لقد أرادت أن تنقل الواقع الذي تشهد له من دون زيادة. لا شك في أن الأناجيل ترى الأمور وتفسّرها بحسب نظرة خاصة، هي نظرة الإيمان. ولكن بساطة السرد وطرق الكلام، والصعوبات التي تنتج عن كل هذه البساطة في العرض التعليمي، والوحدة المتينة بين التعليم والواقع، وهذا ما يتطلب اعترافاً بلاهوت

يسوع، لا اقتناعاً عقلياً به، كل هذا يجتمع ليبين لنا أن الأناجيل ليست نظريات تعليمية مجردة، بل شهادة عن واقع تعيشه الكنيسة في الإيمان.

د - المرحلة الثالثة: التقليد الإنجيلي

١ - نص يرتبط بالواقع

بدأت لنا الأناجيل حتى الآن كتيبات توردها واقعاً وتدعو إلى الإيمان. ولكن هذا الواقع يطرح سؤالاً: من هو هذا الرجل؟

تلك هي نية الإنجيليين. ولكن الإنجيليين كتبوا بعد الحدث بثلاثين أو أربعين سنة أو أكثر، وانطلقوا من مراجع مكتوبة وشفهية. فهل تكفي سلطتهم لتعطينا ثقة بالمراجع، كما كفتنا بالنسبة إلى لحمه الأناجيل؟ لا شك. لا ننسى هنا طبيعة الإلهام. فالروح القدس يدفع الكاتب لكي يكتب، ويعينه لئلا يقع في الخطأ. ونقول أيضاً: إعتبر الإنجيليون نفوسهم «خداماً للكلمة» فلم يتلاعبوا بالنصوص التي وصلت إليهم، بل حاولوا نقلها إلينا بأقل ما يكون من التوجيه. إنهم كمؤرخين تفحصوا هذه المراجع وأرادوا أن يكونوا أقرب ما يكون إلى الحقيقة. وهكذا تجنبوا النظرة المثالية التي لا تستند إلى الواقع. فهمهم أن يؤسسوا تعليمهم على الواقع، على واقع حي هو يسوع المسيح.

٢ - الكنيسة المسؤولة

نجد وحدات أدبية سابقة لتدوين الأناجيل الإزائية، قد انتشرت هنا أو هناك. من المسؤول؟ لا هؤلاء الكتاب، ونحن لا نعرفهم، بل الجماعة المسيحية. وهذه الجماعة ليست شعباً مغفلاً لا اسم له ولا لون، بل جماعة منظمة ولها بنيته: الشهود هم هنا، وقد طلب إليهم أن ينقلوا ذكرياتهم فيجذبوا تجديراً متيناً حياة الكنيسة اليوم في ماضٍ ما يزال حياً بواسطتهم وعبر شهادتهم. بالإضافة إلى ذلك، تتألف الكنيسة من عدة جماعات تتصل الواحدة بالأخرى، فتختلف أو

تتوافق. هذا ما نجده بصورة خاصة في ١ كور ١ - ٢ مع ما في هذا النص من حديث عن التحزبات في الكنيسة.

إذن، تحققت الكنيسة المتعددة والواحدة معاً، من المواد التي تسلمتها من التقليد. وهذا العمل لم يكن ينبوع «أخبار»، بل عمل على حفظ التقليد من كل بُعد عن الجوهر، من كل بُعد عن فكر يسوع. ونشير بصورة خاصة إلى موقف الجماعة من التقاليد المختلفة: هناك توافق في الأساس. أما الاختلافات الطفيفة فهي لا تستحق اهتماماً أكثر من اللازم.

وهكذا يبدو عرض الواقع التعليمي في الإنجيل قريباً من عمل الفنان لا من عمل المصور، من عمل حامل الذكريات لا من مرسل تقرير إلى الصحافة. فالمصور يجعل في صورته كل ما يقع تحت عدسته. أما الفنان فيختار لا ليجعل كل شيء في لوحته بل ليشدد على بعض النقاط دون الأخرى. هو لا يستطيع أن يضع أموراً كثيرة في لوحته، لهذا نراه يختار ويبرز ما يختاره، لتدخل كلمة الله في أعماق المؤمن. وصاحب التقرير يرسل كل التفاصيل. أما صاحب الذكريات فيختار ما لفت انتباهه وأثر في حياته. هذه هي طريقة البشر في التوسع بكلام الله. لا نستطيع أن نحيط باللامحدود من كل جوانبه، لهذا نوجه نظرتنا إلى حيّز محدود يصل بنا إلى قلب الله. فمن ذاق نقطة من ماء البحر عرف طعمه. ولكن يبقى عليه أن يغوص في الأعماق، وهذا هو الأمر بالنسبة إلى المؤمن: يقدم إليه الإنجيلي نظرة إلى يسوع، فيبقى عليه أن ينزح إلى العمق كالرسل وهناك يكشف غنى الله.

إن الكتاب الذين حملوا إلينا التقليد، توقفوا عند وجهات خاصة من هذا الواقع الوحيد الذي هو يسوع المسيح. ثمّدد مرقس على وجه المسيح وابن الله الذي نتعرف إليه تدريجياً. وحدّثنا متى عن موسى الجديد الذي يحمل إلى البشرية شريعة جديدة لا تختلف عن الأولى بمضمونها بل بمتطلباتها. وحدّثنا لوقا عن هذا المسيح الذي يحمل الرحمة إلى الصغار من فقراء وخطاة ومنبوذين، والفرح إلى جميع

البشر. فكيف نريد لهؤلاء الإنجيليين الثلاثة أن لا يختلفوا في التفاصيل، وكل واحد حاول أن يقدم لنا لوحة عن يسوع، وما أجملها لوحة!

٣ - التفاصيل والتاريخ

وهكذا بدت لنا الأنجيل الإزائية وثائق من التاريخ. ولكننا علمتنا في الوقت عينه كيف يتعامل الإنجيليون مع التاريخ. يبقى علينا أن نبحث عن هذا الوجه التاريخي للتفاصيل. هناك قيمة تاريخية إجمالية، وعلى المفسرين أن يدرسوا كل مقطع ليحددوا فيه الأدبي وكيفية ارتباطه بالتاريخ.

لا شك في أننا نجد الاستعارة والمجاز، كما نرى كيف طُبّق النص على الكنيسة الحية. ولكن ما لا شك فيه أيضاً هو أن طبيعة الجماعة وارتباطها بالروح وقفت سداً منيعاً بوجه كل تشويه للتقاليد الأصلية. كما أن بعض التحول صار ممكناً بل ضرورياً، لأن الكنيسة التي هي جسد المسيح، نقلت إلينا النصوص وفسرتها لنا. فالطريقة الوحيدة التي تساعدنا على فهم أحداث الماضي وأقوال المسيح هي أن ننظر إليها بعين الكنيسة وأن نفهمها برفقة الكنيسة. مثل هذا النهج هو علمي وتقليدي معاً: فالأنجيل وُلدت ونقلت في جماعة، وهذه الجماعة هي في نظر المؤمن أمانة الكنيسة المقدسة. فهل نخاف من السير معها؟

نستطيع أن نحدد الطابع التاريخي للتفاصيل في المقاطع التي ندرس. ونقول إن أخبار الطفولة لا تتمتع بالمدلول التاريخي الذي تتمتع به أخبار الآلام. لا شك في أن العناصر التي استندت إليها أنجيل الطفولة هي تاريخية (الملك هيرودس، بيت لحم...) ولكن حصّة الدرس الديني (يسمى: مدرّاش) هي أوسع، والنظرة اللاهوتية هي مهيمنة. أما تفاصيل خبر الآلام فهي دقيقة جداً وقد أوصلها إلينا شاهد عيان.

ولكن لهذه التفاصيل قيمة خاصة، من أية فئة كانت. ونحن

نخطيء إن أهملناها. فإن انتزعناها من واقعها الحي الذي ينقلها، خسرت مضمونها كله. ولكن إن أدخلناها في هذا الواقع، بدت ضرورية لكي يدرك القارئ معنى المقطع كله. فالأخبار الإنجيلية تحمل تفاصيل لها من القيمة ما لها تفاصيل أمثال يسوع. إذن، لا نزلها عن الفكرة الإجمالية، ولا ننسى أننا لا نستغني عنها لكي نفهم المثل. من أهملها أخطأ، ولو ظن أنه ليس أمام تقرير صحافي. فالتفاصيل تحتفظ بأهميتها ومكانتها ومدلولها في أي حال، ولكن كما قلنا، داخل المعنى العام.

هـ - يسوع وحياة يسوع

١ - يسوع التاريخ ومسيح الإيمان

هذا هو التمييز الذي أطلق في أوروبا خصوصاً في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. يسوع التاريخ هو الذي تعرّف إليه الناس، رأوه بعيونهم، سمعوه بأذانهم، لمسوهم بأيديهم. والمسيح هو وجه الله الذي يتجلى بصورة خاصة في القيامة وعلى ضوء القيامة. ولكن كيف نفصل بين الإثنين دون أن نمزق وجه الرب الواحد؟!

نحن في النهاية نتطلع إلى يسوع المسيح الكلمة والرب. يسوع الذي حاول آباء الكنيسة أن يدركوه عبر الأناجيل. يسوع الذي درسه لاهوتيو العهد الجديد. يسوع الذي يشهد له كل من الإنجيليين. يسوع الذي تشير إليه كل وحدات التقليد الإنجيلي. لقد بدا لنا يسوع هذا كابن الله الذي جاء يخلص البشر، فذهب بملء حرية إلى الموت قبل أن يقوم في المجد. وهذا التوافق بين كتاب متفرقين وجماعات تعيش في أماكن مختلفة، بين أشخاص لهم همومهم المختلفة ونظراتهم المتباينة، هذا التوافق يدعونا إلى أن نرى في الأناجيل التعبير عن خبرة دينية والشهادة على واقع حي لا شك في تاريخيته.

وهكذا نقول، إنطلاقاً من العلم والعقل، أننا نصل إلى يسوع التاريخ عبر مسيح الإيمان. لا شك في أن الإنجيليين كتبوا ما كتبوا

على ضوء القيامة، وداخل خبرتهم في حياة الكنيسة. إنهم قدّموا لنا مسيح الإيمان ودعونا إلى موقف الإيمان. ولكن المسيح الملتحف بالمجد هو يسوع الذي عرف ذل الألم وحقارة الموت. هذا ما يقول بطرس في خطبته إلى اليهود: «إن إله أبائنا ممجّد فتاه يسوع... قتلتم سيّد الحياة فأقامه الله من بين الأموات» (أع ٢: ١٣ - ١٤). وقال أيضاً: «يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه قد أقامه الله من بين الأموات» (أع ٤: ١٠).

لا هوّة بين يسوع التاريخ ومسيح الإيمان. فهذا القائم من الموت والممّجّد يحمل آثار جراحه (لو ٢٤: ٤٠). ليس روحاً وحسب، وليس من عالم الخيال. قال يسوع: «فالروح ليس له لحم وعظم كما ترون لي» (لو ٢٤: ٣٩). أجل، يسوع هو المسيح ولم يتبدّل. أما الذي تبدّل فهو نظرة التلاميذ: رفعهم إليه فأروا من خلال ذله المجد الذي يتمتع به الآن، واكتشفوا أبعاد حياته في ضوء قيامته. هذا الذي جاع وتعب ونام هو الذي شفى المرضى وغفر الخطايا وأقام الموتى، بل قام هو بنفسه بمجد عظيم.

نحن ننتقل من الإنجيل فتتعرّف إلى المسيح الذي آمن به التلاميذ. ولكننا لا نبقى مغلقين على عالم إيماننا، بل نكتشف في عالم الإيمان حضور الواقع التاريخي، حضور يسوع الناصري. ومن جهة ثانية، يجعلني البحث التاريخي في حضرة وجود له بعده التعليمي، وهو يدعوني إلى الإيمان بهذا الرجل السري الذي يسمّي نفسه مخلص العالم. الجواب في هذا المجال ينتمي إلى عالم الإيمان.

ويقدم لنا واقع يسوع بشكل سيرة وحياة؟! أجل، يستحيل علينا أن نفصل التعليم الإنجيلي عن حياة الإنسان الإله الذي ذهب بملء إرادته إلى الموت ليخلص البشر. ولكن الأناجيل ليست كتباً نستطيع أن ننطلق منها لنكتب سيرة علمية يود معاصرون أن يقرأوها. هناك تفاصيل عديدة تبقى غائبة، ومحاولاتنا الفضولية تبقى في عالم الافتراض. الأناجيل هي قبل كل شيء شهادة. فإن قبلنا بهذا المنطق وصلنا إلى موضوع الشهادة، إلى يسوع الناصري.

٢ - خلفية تاريخية متينة

حين نتحدث عن طابع الشهادة للأنجيل، فنحن لا ننكر الخلفية التاريخية الموضوعية التي تفرض نفسها على كل باحث مهما كان معتقده أو اهتمامه بالظاهرة المسيحية.

فيسوع عاش في فلسطين، وُلد في زمن أغوستس وهيرودس ومات في زمن طيباريوس وبيلاطس البنطي. كان يهودياً أصيلاً، وقد بدا كذلك في حياته وتصرفاته. ذهب إلى الحج كما يذهب كل مؤمن، وشارك في صلاة المجمع يوم السبت. شفى المرضى، وجمع عدداً من التلاميذ حوله. كرز بملكوت الله الآتي، وتكلم بطريقة شخصية جداً، بحيث إن رنة صوته لا تزال بارزة في إنجيله. تعليمه تقليدي وهو الذي رفض أن ينقض الشريعة ويهدمها، ولكن هذا التعليم يرفض كل انغلاق على طبقة من الطبقات أو شعب من الشعوب أو بلد من البلدان. هذا التعليم قلب المفاهيم فصار المثال الأعلى للمحبة السامري والخاطئة، والنموذج الأكبر لعرفان الجميل السامري والغريب. لهذا لم يفهمه معاصروه، بمن فيهم تلاميذه الأخصاء، وعارضه رؤساء شعبه فحكموا عليه بالموت.

وهكذا مات يسوع قتلاً في زمن بونطيوس بيلاطس. صُلب لأنه اعتبر نفسه ملكاً ومسيحاً. وسار في طريق الموت غير مترجع عن تعليمه. وآخر كلمة يقولها شهود عصره: يذكر تلاميذه أنهم رأوه حياً بعد موته.

٣ - معرفة محدودة

هذه بعض الخطوط لمعرفتنا التاريخية عن يسوع. ولكن المؤرخ لا يكتفي بها: إنه يريد أن يرسم الحركة السيوية لهذا الإنسان. هو لا يكتفي بلوحة، بل يريد خبراً متواصلاً. لا شك في أننا نضع الخطوط الكبرى لحياة يسوع العلنية: بدأ في الجليل ثم توجه إلى اليهودية ماراً على حدود الجليل. ووصل إلى قيصرية فيليس حيث شهد له سمعان بطرس: «أنت المسيح ابن الله الحي» (مت ١٦: ١٦).

ويحدّد موقع يسوع بالنسبة إلى يوحنا المعمدان، ذلك الذي يُعدّ الطريق للرب الآتي. وبالنسبة إلى هيرودس الأب والإبن، منذ ولادته حتى آلامه وموته. وبالنسبة إلى الفريسيين الذين يعتبرون نفوسهم المعلمين الوحيدين للشعب (رج لو ١٨: ٩: «يحسبون نفوسهم أبراراً ويحتقرون الآخرين»).

بدأ يعلم في الجليل، فهذه هيرودس (لو ١٣: ٣١ي: قولوا لهذا الشعب). وأجبر على ترك الجليل خصوصاً لأن الشعب لم يفهمه، ولم يفهم المعنى الحقيقي لمسيحيته. ليست مسيحانية مجيدة فحسب. بل هي تمر في الآلام والموت. ولهذا سيتوقف يسوع في المرحلة الثانية من حياته، بعد إعلان بطرس لمسيحيته، سيتوقف عند الإنباء بضرورة الآلام. وسيذهب إلى أورشليم لأنه «لا ينبغي لنبي أن يهلك في خارج أورشليم» (لو ١٣: ٣٣).

هذه هي المحطات الكبرى والثابتة في حياة يسوع. ولكن هل نستطيع أن نذهب أبعد من هذا؟ لا شك في أنه من الضروري أن نعرف سنة مولد يسوع وموته، لا أن نصل إلى تفاصيل قال بها بعض الشراح: قيلت خطبة الجبل في ١٩ حزيران سنة ٢٨. وهذّت العاصفة في ٢٨ كانون الأول من السنة نفسها، وحدث التجلي في ٦ آب سنة ٢٩... كل هذا يتحدّى النقد السليم، ويصل بنا إلى خلط في الأمور يضيّع لها جواهرها، لأننا نضع حينئذ على المستوى نفسه معطيات شبه أكيدة عن زمن موت يسوع مع تحديدات تعود بنا إلى عالم الخيال، فتضيع هذه وتلك.

ونزيد فنقول: حين نبحث عن الأسس التاريخية الموضوعية، نتفحص الوثائق الإنجيلية على أنها وثائق وننسى فنّها الأدبي وخصوصاً نظرتها اللاهوتية. نحن نحاول أن نتعرف إلى مسلسل الأحداث دون البحث عن مدلولها الديني. ومن لا يعرف الخطأ الكامن وراء هذا البحث؟ هناك بعض الخير في التعرّف إلى تفاصيل لم يهتمّ بها الإنجيليون في الدرجة الأولى. ولكن الشر كل الشر أن نتوقف عند هذا

الحد وننسى الجوهر الذي تدعوننا إليه الأنجيل: الإيمان بمرسل الآب.

خاتمة

الجوهر ليس في بحث تفاصيل تاريخية دقيقة تشبع فضولنا ولا تدفعنا إلى تبديل حياتنا. الجوهر هو إنجيل يصل بنا إلى يسوع الذي هو المسيح وابن الله (مر ١: ١). وحياء يسوع لا تنحصر في إطار ضيق شبيه بحياة كل إنسان. حياة يسوع هي إنجيل وبشرى، أي إعلان عن خبر مفرح يطرح سؤالاً على الذي يسمعه. قد لا يكون الإيمان ضرورياً لكي ندرك شخص يسوع. بل يكفي تعاطف المؤرخ الذي يشارك المسيحيين الأولين في إيمانهم حين يعلنون واقع يسوع. بعد هذا نقول إن فهم يسوع الكامل محفوظ للمؤمن الذي يروح في تعمقه ليصل في نظرتة إلى ملء قامة المسيح. أجل، إن الأنجيل هي سيرة يسوع الوحيدة التي نستطيع أن نكتبها. فمن فهم الأنجيل بعينه وأذنيه وقلبه وكل حياته كانت له ملء الحياة، كان له الإيمان باسم يسوع المسيح.

* غاب الأب خالد عكشه، فما أردنا أن يغيب موضوعه، بعد أن طرحت الأسئلة بصورة خاصة حول تاريخية هذا الحدث أو ذاك، ولا سيما فيما يتعلق بإنجيل الطفولة.

الفصل الحادي والعشرون

انجيل الطفولة

الاب افرام سقط الدومنيكي*

أ - مقدمة عامة

يبدأ متى ولوقا بسرد قصة الحبل بيسوع وولادته وطفولته. بالرغم من تواجد أوجه الشبه بين الروايتين، من حيث ان كلا منهما يحتوي على فصلين، إلا ان رواية الطفولة في انجيل لوقا أطول مما هي عند متى.

ان التعبير الذي اطلق على هذه الفصول تحت عنوان «انجيل الطفولة»، اصبح مألوفاً وشائعاً، وسوف استعمله، وان كان تعبيراً غير ملائم اطلاقاً، على هذه الفصول التي تروي طفولة يسوع. اذ انه في متى ٢ وفي لوقا ١/٢-٤٠ فقط، نجد إشارة إلى طفولة يسوع، في حين ان الفصل الاول، في متى ولوقا، يتضمن قصصاً تصف الفترة التي تسبق الولادة. كما ان لوقا ١/٢-٤١، يروي جانباً من حياة يسوع وهو في الثانية عشرة من عمره.

ان التعبير لـ «انجيل الطفولة»، غير ملائم، اذ انه لا يحق لنا أن نقرأ هذه الروايات بمعزل عن باقي نصوص الانجيل الذي وردت فيه، أو كأنها مستقلة عنه. إنها ليست انجيلاً منفرداً، وإن اختلفت في اسلوبها الانشائي عن بقية روايات الانجيل. علينا ان نقرأها مع سيرة احداث حياة يسوع كبشرى خلاص، ولا نجعلها حدثاً مستقلاً عن

طفولة يسوع. انه لمن المؤكد أن هذه الروايات لا تنتمي، شأن الروايات الواردة في متى ولوقا، إلى الفولكلور، بل إلى التفكير اللاهوتي، كما نقرأ ذلك في مطلع انجيل مرقس ١/١، أو نشيد يوحنا للكلمة ١/١٨-١.

يمكننا اعطاء تشبيه لفهم هذه الروايات: إن بعض الافلام السينمائية تتناول احياناً في مقدمتها أهم المواضيع. ثم يستخدم المخرج اسلوب «العودة الى الوراء» (باك فلاش)، فيبتدىء العرض بحدث الفلم الاخير، كما لو كانت بداياته^(١). وهكذا يستخدم متى ولوقا هذا الاسلوب، إذ انهما يضعان في الفصلين الاولين لانجيلهما ممثلي الانجيل الرئيسيين ويقولان لنا من هو يسوع.

يشير متى الى معنى مؤلفه في المقدمة التي استهلّ بها رواية طفولة يسوع (١-٢) وفي الخاتمة التي يختتم بها انجيله (٢٨/١٦-٢٠). فـ «عمانوئيل» الذي بُشّر به يوسف (١/٢٣)، سيبقى حاضراً الى نهاية العالم (٢٨/٢٠). واذا يقبل يوسف الطفل، وهو من نسل داود، فإن زيارة المجوس تبدو كإشارة الى قبول الوثنيين للبشارة. وكذلك فإن اورشليم ورؤساء الكهنة وهيرودس ينبذون يسوع ويضطهدونه، ويسعى هيرودس لان يقتل الطفل مع اطفال بيت لحم، ويهرب يسوع الى مصر، ثم يلجأ الى الجليل الذي يرمز الى موطن الامم. فرواية الطفولة هي مأساة وهي مثال سابق للموت والقيامة وهي اعلان البشارة للأمم.

ويعرض لوقا في المقدمة مسبقاً، جميع مواضيعه الكبرى التي يعالجها: اورشليم مدينة الخلاص بها يبدأ الانجيل (١/٩، ٢/٢٢، ٤١) وإليها يسير حياتها كلها ٩/٥-١٩/٢٨ وفيها يموت ويقوم (٢٤/٤٦-٥٣). يسوع هو ابن داود، وابن الله الذي تستقبله مريم. دور الروح القدس (١١/٢٦-٣٨). دور النساء: مريم، ام يسوع واليشباع، ام يوحنا، وحنة النبية، وزينبات يسوع، ومرتا ومريم... الصلاة والانشيد: نشيد مريم (١/٤٦-٥٥)، ونشيد زكريا (١/٦٧-٧٩) ونشيد الملائكة (٢/١٤) ونشيد سمعان الشيخ (٢/٢٩-٣٥)، ونشيد

الشعانيين (٣٨/٢٠). والصلاة في الهيكل، واذلال الاغنياء والمتكبرين ورفع المتواضعين (٥٦-٣٩/١)، واسم يوحنا الذي يعني «الرب الحنان»، وافتقاد الله لشعبه (٨٠-٥٧/١)^(٢). والفرح بمولد يسوع (١٤/١، ١٠/٢)^(٣). البشري للفقراء (الرعاة هم أول الساجدين ليسوع). الاعلان عن يسوع كمخلص ومسيح ورب. المجد الذي يشع من هذا الطفل على الجميع. في ذروة روايته لطفولة يسوع نجد الهيكل. وأول كلمة استعملها يسوع تتوجه إلى الاب. وكذا نقول عن صعود يسوع الأول الى اورشليم والذي يوحى بالصعود الاخير.

واذا قمنا بدراسة مقابلة في اعمال الرسل لوجدنا أن الفضلين الاولين يشيران أيضاً إلى ولادة الكنيسة.

إن روايات الطفولة تتسم بظاهرة التأليف المتأخر. ولهذا نجد أن هذه الفصول تختلف عن بقية الانجيل. والسبب هو أن الجماعات الاولى لم تركز بها ولم تتناقلها. فأن المادة الرئيسية في تركيب بنية الانجيل، كما وردت في ذاكرة جميع الذين رافقوا يسوع في حياته العلنية، تتمحور حول موت يسوع وقيامته، وحول خدمته وأعماله والآيات التي عملها (اعمال ١/٢٢؛ ١٠/٤١). كما ان الذين لم يكونوا شهود عيان ليسوع، تسلموا هذا التقليد الذي وصل اليهم. هذا ما سيؤكد بولس مرات عديدة (١ قو ٢٣/١١ و ٣/١٥)^(٤) فالنصوص التي تتحدث عن طفولة يسوع قد دُوّنت في وقت لاحق. فالانجيل بحسب مرقس، وهو اول انجيل دُوّن، لا يتحدث عن طفولة يسوع. كما ان يوحنا الذي كُتب متأخراً، فقد ظل صامتاً حول أحداث الطفولة. ولكن متى ولوقا يرويانها علينا، كل بحسب طريقته. فهناك ما يقرب من ثمانين سنة تفصل ما بين روايات الطفولة والحدث التاريخي نفسه.

ان هذه الروايات تعتمد اسلوباً ادبياً يختلف تماماً عن بقية نصوص الاناجيل. إنها تُدخلنا بطريقة تدريجية إلى اكتشاف هوية يسوع كمسيح واله. فإن متى ولوقا قد أكثرا من الالقاب المشيكانية والالهية

في قصص الطفولة. فكلاهما يقدمان طفولة يسوع في رؤية متكاملة عن دوره كمخلص.

نستطيع ان نلخص المشكلة التاريخية الرئيسية على الشكل التالي: نحن امام روايتين تختلف الواحدة عن الاخرى وكل محاولة لتكوين نص ثالث يكون مزيجاً من الاثنين، سيشوّه النصوص ويقدم عملية متناقضة للفكر الانجيلي. وغالباً ما يظن عامة الناس انهم يعرفون هذه الروايات معرفة جيدة، فيخلطون بينها وبينون قصة متكاملة من تجميع الاناجيل، كما هو وارد في قصة الالام حيث تكوّنت قصة من «الانجيل المجمع» (اونكيليون مخنشو). هذا بالاضافة الى الزيادات على روايات الانجيل والتي اتتنا من الاناجيل غير القانونية.

علينا ان نقرأ كل رواية على حدة وكما وردت في كل انجيل، دون أن نتخيل روايات اخرى، هي من نسج التقوى. بهذه القراءة نكون قد ربحنا الكثير، إذ إننا سنكتشف كل رواية وكأننا نقرأها للمرة الاولى.

بدأت اناجيلنا المكتوبة بتقديم وصف الالام. وأقدم مثال على ذلك، هو انجيل مرقس الذي يبدأ بلقاء غير منتظر بين يسوع ويوحنا، على ضفاف الاردن، وينتهي بإعلان الملاك للقيامة عند القبر الفارغ (١٦/٨-١). لا يقول مرقس اي شيء عن طفولة يسوع وحدثاته.

فمن خلال مراحل تكوين الاناجيل وصياغة مواده الرئيسية، تم الاختيار والتركيز على كون رسالة الخلاص قد بشر بها وتم نقلها عن طريق تعليم الرسل. أما المسائل المتعلقة بشخص يسوع، فأنها لم تحتل، في فكر الرسل، المرتبة الاساسية، لان تفسير حياته غير العادية، يبدأ بالموت، ثم القيامة واكتشاف سرّ هذا الرجل واهتدائهم اليه.

ان فهم فحوى الانجيل بهذه الطريقة يجنبنا المسائل التي تثير اعجاب الناس لاعتقادهم بأن الاناجيل هي حياة يسوع. وعدم ذكر طفولة يسوع عند مرقس ويوحنا لدليل واضح من أن روايات الطفولة ليست احداثاً حرفية حول ميلاد يسوع.

كل هذا يقودنا الى السؤال التالي: لماذا كُتبت روايات الطفولة؟ ولماذا أدخلت في انجيلي متى ولوقا لاحقاً؟

السبب الأول هو حب الاستطلاع والفضول اللذين لعبا دوراً مهماً في روايات الطفولة القانونية منها والمنحولة. احبّ المسيحيون ان يعرفوا أكثر عن ربّهم ومعلمهم: ان يعرفوا من هي عائلته، اجداده، محل ولادته، واليقين الثابت من ان الطفل، هو ابن الانسان. ان ما يشكل روعة حياة يسوع العلنية ارتبطت بالرجوع الى أصله. وقد يكون الدافع الآخر إلى تدوين روايات الطفولة هو الدفاع عن المسيحية الناشئة. يرى بعض المفسرين أنها نوع من الدفاع ضد انصار يوحنا. وفي رواية لوقا، نجد مثلاً في ولادة يوحنا الذي هو اقلّ شأنًا من يسوع، لا بل إن يوحنا نفسه يقرّ بأن يسوع أكبر منه (١/٤١، ٤٤).

اما النظرية الاكثر قبولا فهي التركيز على أن الولادة تمت فعلاً في بيت لحم، وقد ادرجت كرد فعل على الشك اليهودي حول مصداقية يسوع الذي قدم من ناصرة الجليل.

وعن الشك القائم حول الولادة الغير الشرعية، يأتي التأكيد على الحبل البتولي بمثابة تفسير لمثل هذه الولادة، وفي الوقت ذاته، يدافع عن الاتهامات الموجهة الى الأم، مظهراً بذلك قداسة الطفل. ان كثيراً من هذه العناصر تحتوي على تأويل دفاعي، والقسم الاخر، يظل تأويلاً لاهوتياً، في التطور الذي سبق رواية متى التي جعلت توازياً بين يوسف، الاب الشرعي ويوسف المربي الذي حلم حلماً قاده الى مصر. وفي النص الذي يصف انقاذ يسوع من يد الملك الظالم، الذي قتل كل الاطفال الذكور، نجاته هذه ليست اقل مأساة من رواية نجاة موسى من يد فرعون الشرير. كل هذه التشابيه والذكريات الواردة في العهد القديم، استُخدمت كدفاع ضد التيار اليهودي المعادي للمسيحية، ووسعت فهم المسيحية من ان يسوع المسيح عاش من جديد تاريخ شعبه.

لو اقمنا مقارنة بين الروايتين بحسب متى ولوقا، لرأيناها متجيبان على الشك القائم حول مصداقية تاريخية الاحداث التي ترويها. إنَّ اوجه الشبه كثيرة بين الروايتين: (١) كانت مريم مخطوبة ليوسف، (٢) كان يوسف من سلالة داود، (٣) يبشّر الملاك بميلاد الطفل، (٤) الحبل هو من الروح القدس، (٥) لم يتم الحبل من خلال الزواج، (٦) سُمّي الطفل يسوع، (٧) يسوع هو المخلص، (٨) تمت الولادة ولمّا عاش يوسف ومريم معاً، (٩) كان الميلاد في بيت لحم، (١٠) وكان الميلاد في ايام هيرودس الكبير، (١١) يعود الطفل الى الناصرة.

ولكننا، بالرغم من اثبات اوجه الشبه هذه بين هاتين الروايتين، فأننا نجد اختلافاً هاماً بينهما: يختلف النسب بين متى ولوقا. ينفرد لوقا في روايته لذكريا واليشباع ويوحنا. الاحصاء يدفع يوسف للذهاب الى بيت لحم. وكذلك ينفرد في قصة الرعاة وتقديم يسوع الى الهيكل. اما متى، فإنه ينفرد، هو ايضاً برواية ظهور النجم، ومؤامرة هيرودس على قتل يسوع، ومقتل اطفال بيت لحم والهرب الى مصر، والعودة من مصر الى الجليل/ الى الناصرة... وقد جرت محاولات للخلط بينهما: تواجد المجوس والرعاة معاً.

ولكن السؤال المطروح هو: ان كان هناك رواية واحدة، (او تقليد واحد) فكيف انشطرت الى روايتين مختلفتين؟ النظرية الشائعة هي أن متى يكون قد اعتمد على ذكريات يوسف كمرجع لروايته، أما لوقا، فيكون، قد اعتمد على ذكريات مريم. ولكن هذه النظرية لا تجيب على السؤال مطلقاً. فمن جهة تكون مريم مسؤولة عن تزويد لوقا بالمعلومات ولم تخبره عن قدوم المجوس من المشرق؟ ولماذا لم تخبره عن حادثة الهرب الى مصر؟ ومن جهة اخرى، كيف ظل يوسف صامتاً، ولم تعلم مريم بالبلاغ الذي بلغه اياه الملاك؟ هذه الاسئلة، وغيرها، تدعونا الى ان نأخذ بعين الاعتبار ان الروايتين مختلفتان في بعض الاحداث، وأهمها: في رواية لوقا، ٢٦/١ و ٣٩/٢، نجد مريم وهي شابة في الناصرة، وان الاحصاء الذي امر به اوغسطس، جاء ليدل على ان

الميلاد تم فعلاً في بيت لحم. ولكن متى لا يذكر الناصرة. فمريم ويوسف، هما من بيت لحم، وفيها تتم الولادة. وكذلك نقول عن العودة الى الناصرة. ففي متى تتم العودة بعد اللجوء الى مصر خوفاً من بطش هيرودس، في حين كان من المفروض ان تكون العودة الى بيت لحم، وليس الى الناصرة. اما العودة الى الناصرة، بحسب لوقا، فتم بآمان وسلام، ومنها يبدأ يسوع رسالته، وهذا ما لا نجده في رواية متى، إذ إن العودة جرت بعد مقتل الاطفال.

كل هذا يضطرنا الى التأكيد بأن غالبية الاحداث الواردة في كلتا الروايتين تفسّر على ضوء قراءة النص قراءة تيولوجية (نمطية): انها تأخذ معناها وعمقها وتفسيرها وامتدادها من خلال الاحداث والاشخاص الذين يرد ذكرهم في الكتب المقدسة، لا بل انها تتجاوز حريفتها. فالمجوس الذين قدموا من المشرق، وقد قادهم النجم، هم تأويل موسّع، لمتى، عن بلعام. وهيرودس ليس الاً توازياً لقصة موسى وفرعون مصر. وحلم يوسف يجد معناه في حلم يوسف بن يعقوب الذي باعه اخوته. ورواية زكريا واليشباع ليست الا نموذجاً لما رواه سفر التوراة عن ابراهيم وسارة.

فهل هذا يعني ان الانجيليين لم يرويا لنا حدثاً قد وقع فعلاً في الزمان وفي المكان؟ للجابة على هذا السؤال، لا بد أن نشير الى أن الانجيلي مطلع، وله المام في قراءة الحدث الذي يرويهِ على ضوء أحداث العهد القديم. انه اسلوب مألوف من قبل محرري العهد الجديد. وهذا ما قام به يسوع، اذ انه لم يكتفِ بقراءة الكتب، ولكنه اكتشف ما ينطبق عليه من خلال عمله، مجيئاً بذلك على انتظارات الله ابيه والامال المسيحانية (لم تتحقق النبوءات حرفياً، بمعنى انها كانت قد اعلنت عنه، ولكن يسوع يكتشف يد الله من خلال ما يقوم به اليوم تجاه المرضى والعميان والموتى...^(٥)).

ب - رواية الطفولة بحسب متى

١- النسب بحسب متى (متى ١/١-١٧): ان الاسماء الموجودة في مقدمة انجيل متى لا تنطبق وتسلسل النسب الوارد في العهد القديم. ان متى ليس مؤرخاً ولا يهتم بالتاريخ. التاريخ بالنسبة اليه، ليس بالمعنى الحديث ولكنه بالمعنى الاجمالي، استمرار لتدبير الله في تاريخ الانسان. انه رجل مؤمن، أي لا يهتم بالحدث فقط، بل يُضيف عليه معنى اجمالياً، حتى وان لم تنطبق كل احداث روايته على الواقع. فإدخال متى ليسوع ضمن مسلسل تاريخي يعني استمرار مخطط الله..

يقتدي متى برواية نسب الإنسان الاول (تك ١/٥): «كتاب سلالة آدم»؛ ٢/٤ «نشأة السماء والارض». ان استعمال فعل ولد لا يشير فقط الى فعل الولادة، وانما إلى الصلة بالماضي. يسوع هو آدم وهو بالتالي يبدأ خلقاً جديداً. ان سفر التكوين يعرف نسل آدم، اما متى فيعرف نسب يسوع. للنسب في عقليتنا الشرقية وفي بنية شعوبنا اهمية كبيرة؛ يركز متى على ان يسوع آت من سلالة داود، وانه متجذر في تاريخ عائلة. يسوع يفتح سفر تكوين جديد، يسوع يبدأ بشرية جديدة. فالقديم يجد معناه في يسوع المنحدر من شعب له تاريخه. انه يواصل مسيرة شعبه. فالماضي لا قيمة له الا بالنظر الى الحدث الجديد الذي يُضيف معنى على الماضي. ليس المهم ان كان تسلسل النسب صحيحاً، بل التشديد على عائلة يسوع البشرية. إن آدم يفتح الخليقة، وفي يسوع يتم معنى تاريخ اسرائيل.

التاريخ بالنسبة اليه، ليس بالمعنى الحديث ولكنه بالمعنى الاجمالي: استمرار لتدبير الله في تاريخ الانسان. انه رجل مؤمن، أي لا يهتم بالحدث فقط، بل يُضيف عليه معنى اجمالياً، حتى وان لم تنطبق كل احداث روايته على الواقع. فإدخال متى ليسوع ضمن مسلسل تاريخي يعني استمرار مخطط الله.

إن تفسير عدد ١٤ ليس بذات أهمية. يسوع يأتي في ملء الأزمنة. كان هذا التيار السائد في الفكر الرؤيوي، وهو أن المسيح سوف يأتي في نهاية الأسبوع السادس، وهذا العدد يطابق ثلاث مرات أربعة عشر، الواردة في لائحة النسب.

أما وجود أربع نساء، فلدينا ثلاثة تفسيرات: (١) ثلاث نساء غريبات عن الشعب اليهودي، ولكنهن لعبن دوراً في سلالة داود، (٢) انهن غريبات ووثنيات، وهذا ما يشير إلى طابع الشمولية، (٣) غاليتهن من ذوات سيرة رديئة (زانيات، أو قد تم زواجهن بطريقة غير شرعية): إي بالرغم من الخطأ، وُلد المسيح كباقي البشر، حاملاً ثقل الماضي وإن كان مثقلاً بالجراح. إن مخطط الله يتم وإن اجتاز في الإلتواءات البشرية.

٢- متى (١٨/١ - ٢٥): أقترح أن نضع عنواناً آخر لهذا المقطع عوضاً عن «حبل مريم بيسوع من الروح القدس». إن هذه الآيات لا تتحدث عن الحبل العجائبي، بل عن إنتساب يسوع إلى يوسف ومن خلاله إلى داود. النص لا ينقل لنا كيف تم الحبل بيسوع، إذ إن متى لا يهتم أبداً بمريم، بل يصب إهتمامه كله على يوسف. فما يهم متى هو تغلغل يسوع في عائلة بشرية، وفي سلالة داود. الغاية هي إذا أعطاء الشرعية لهذا الطفل الذس سيولد. السؤال المطروح هو: كيف يمكن أن يكون هذا الطفل ابناً لداود ووريث عرشه؟ لا شك في أن النص يتمحور حول الإجابة على الإدعاءات التي كانت موجهة إلى تلاميذ يسوع والقائلة بأن المسيح ليس ابن الله.

٣- متى (١/٢ - ١٢): قدوم المجوس وسجودهم ليسوع. إن هذه اللوحة تليها لوحة أخرى، لا تقل عنها أهمية: يسوع في مصر، إستشهاد أطفال بيت لحم والرجوع من مصر والإقامة في الناصرة. يشكل الفصل الثاني من متى وحدة متكاملة. إنه يتكون من أربعة مشاهد تؤلف المراحل الأربع لقصة واحدة: إنها قصة يسوع وهو يجسد حياة إسرائيل بكاملها. إنه يعيش مأساة شعبه. ولكن الباب ينفتح

للأمم، إذ إن إسرائيل هذا لا يقتصر على الشعب اليهودي، بل يدعو إليه جميع الأمم.

من المؤكد أن الغرض الأول والرئيسي من الفصل الثاني هو رواية هيرودس ومحاولته قتل الطفل^(٦) يسوع. تعود كل هذه اللوحات إلى التوسع المدراسي (درس في العربية). بالرغم من ورود أسماء أمكنة، يُمكن أن تحدّد جغرافياً، إلا أنه ليس مهماً التوقف عليها. «إن هذه المعطيات التاريخية لم يتلقها متى كما هي. لقد كانت منسوجة في توسعات صيغت في الوسط اليهودي المنتصر ممّا يشكل المرحلة الأولى في التدوين والتنميق. ونعرف جيداً، عن طريق الأدب اليهودي في ذلك العصر، طبيعة النوع الأدبي المعروف بـ «الهجاده»، إذ كان يُروى فيها تاريخ العهد القديم مع تعديلات لإبراز بعض ملامحه. ولدينا مدراسيم (جمع مدراش) من هذا النوع تعود إلى ما قبل المسيح في «كتاب السوبيلات» الذي يروي من جديد تاريخ الآباء حتى موسى... وقد نقل إلينا أيضاً التقليد اليهودي مدراسيم متعدّدة من هذا النوع وهي تتعلق بإبراهيم ويعقوب وموسى وشخصيات أخرى، وقد يعود بعض منها إلى زمن الأناجيل أو ما قبل. وغالباً ما كان لتلك النصوص مكانتها في طقوس الأعياد الكبرى وطقوس عيد الفصح بنوع خاص. فنفهم بالتالي أن يكون اليهود المنتصرون، وهم ينتمون ثقافياً إلى يهود عصرهم، قد رووا مشاهد حياة يسوع بالأسلوب نفسه. ويبدو أن قصة المجوس تعود إلى ذلك النوع المدراسي الذي يقوم على التوسع في معطاة تاريخية. ولدينا في هذا النص عدة ملامح تبدو قليلة الاحتمال تاريخياً ويمكن تفسيرها بهذه الطريقة على أنها مستوحاة من المدراسيم اليهودية.

ما معنى الأحلام؟

في الفصل الأول يظهر الملاك ليوسف في الحلم ليبشره بأن مريم قد حبلت من الروح القدس، وفي الحلم أُوحي للمجوس ألا يعودوا إلى أورشليم، وفي الحلم أيضاً، يظهر الملاك مرة ثانية ليوسف مبلّغاً إياه أن يهرب إلى مصر، بسبب تهديدات هيرودس، وفي المرة الثالثة

يبلغه بأن يعود إلى إسرائيل. إن «ملاك الرب» (تك ١٦/٧، ٢٢/١١، خر ٢/٣، قض ١/٢) أو «ملاك الله» (تك ٢١/١٧/٣١، خر ١٤/١٩)، لا يشير إلى كائن مخلوق، بل هو الله نفسه. إن هذه التسمية تدل على تدخل الله نفسه^(٧).

ولقد أشار يوسفوس فلافيوس في كتابه «العبادات اليهودية» أن الله ظهر في الحلم لعمران والد موسى ليبشره بمولد ابن له^(٨). وتأتي مذبة الأطفال الذكور من اليهود مباشرة بعد ولادة موسى. يوسف بن يعقوب يحلم ويبيع فيسكن في مصر. وفي هجاده فصحية يهودية ذكر أن الله يوعز إلى يعقوب في الحلم ليهرب إلى مصر خوفاً من لابان. إن كل هذه المقابلات تدهشنا وتدعونا إلى الإشارة، هنا، من أن اليهود^(٩) المتنصرين كانوا مطلعين على تلك الهجاده، وقد استوحى متى منها، ليروي طفولة يسوع.

وهناك ميزة أخرى تميّز المدراسيم، الا وهي أنها مطعمة باستشهادات من العهد القديم، الأمر الذي يفسر بسهولة في جماعة مسيحية يشكل فيها العهد القديم الكتاب الأساسي، لا بل تحفظه، لكثرة سماع تلاوته.

الفصل الثاني لمتّى هو صدى لتلك الذكريات: إن المأساة التي اتسمت بها حياة يسوع ورسالته تبدأ منذ اليوم في المجابهة التي حدثت بين الملك هيرودس - ومعه رؤساء أورشليم الدينيون - والملك الذي أبصر النور. وبينما يقابل اليهود يسوع بالرفض، يسجد له الوثنيون، كما ستفعل الجماعة التي تحتفل بيسوع وهو قائم من بين الأموات. وفي هذا المعنى تتم نبوءة النبي أشعيا الذي رأى جمهور الوثنيين يدخلون أورشليم وقد استنارت بمجد الله (أش ٦٠ و ٦٢).

ويتمّ يسوع الخروج من مصر (١٣/٢ - ١٥). في نظر هوشع (١/١١)، الإبن هو إسرائيل. يسوع هو إسرائيل الحقيقي الذي سيحقق ذلك الخروج من مصر، ويهدي إلى أرض جديدة، ليست أرض الميعاد، كما في السابق، بل إلى ملكوت الله.

٤ - إستشهاد أطفال بيت لحم (١٦/٢ - ١٨): سال الدم في إسرائيل، فكان رمزاً مسبقاً للصليب. ونجا يسوع كما نجا موسى من فرعون. ويشير الإستشهاد بأرميا ١٥/٣١ إلى بكاء راحيل على أولادها من سبطي افرائيم (تك ٢٢/٣٠ - ٢٤ و ٥٢/٤١) وبنيامين (تك ١٦/٣٥ - ١٨)، يوم نفوا من رامة إلى بابل (ار ١/٤٠)، ويرى متى في أطفال بيت لحم أولاداً لراحيل، لأن قبر راحيل، حسب تقليد كتابي (تك ١٩/٣٥ و ٧/٤٨) هو بالقرب من بيت لحم.

٥ - الإقامة في الناصرة (١٩/٢ - ٢٣): رأى متى في هذه الإقامة إتمام الأنبياء على وجه العموم. لم يرد هذا النص لدى الأنبياء المعروفين، ولا ندري من أين أتى به متى. ويزيد الأمر تعقيداً أن لكلمة «ناصرى»، قراءات مختلفة. فنسبت إلى مدينة الناصرة (متى ١١/٢١، يوحنا ٤٥/١، رسل ٣٨/١٠). أو إلى بدعة الناصريين (رسل ٥/٢٤). وقرئت بمعنى الشخص النذير والمكرس للرب (عد ٦، قض ٥/١٣). وقد رأى قسم من المفسرين أنها تشير إلى «جذر يسى» (أش ١/١١)، أو إلى كلمة عبرية تعني «البقية» (أش ٦/٤٢، ٦/٤٩)، أي البقية التي ظلت أمينة من شعب الله. فهل يكون يسوع، في نظر متى، بعد عودته من منفاه، وعيشه الخفي في الناصرة، رمزاً للبقية الأمينة التي ينبثق منها شعب الله؟ إن تدخل الله وإبلاغ يوسف بالعودة إلى مصر، يدعو إلى الذهاب إلى ما هو أبعد، إلى «جليل الأمم» (أش ٢٣/٨)، وفيه يتم اللقاء بين يسوع وشعبه (١٥/٤ - ١٦)، ومن الجليل، سيتم إرسال التلاميذ إلى جميع الأمم (١٦/٢٨).

ج - رواية الطفولة بحسب لوقا

ينفرد لوقا بهذه الروايات، وهي تختلف عما يوازيها في متى ١ - ٢، وتتسم بعدة علامات مميزة. وتكشف صياغتها الأدبية عن تواز بين يوحنا المعمدان ويسوع. فالحلقات تتجاوب إثنين إثنين، ما عدا

مشهد لقائهما ومشهد ذهاب يسوع في سنّ الإثنتي عشرة سنة إلى الهيكل، وفيه سوف يلفظ يسوع عند أبيه أول كلمة قالها^(١٠).

من خلال هذه الأساليب الأدبية، يُظهر لوقا الغاية المتوخاة من تلك الروايات، فهي تصف سرّ يسوع وتصف أيضاً رسالة يوحنا المعمدان، في سلسلة بلاغات أدلى بها الملائكة. وتستوحي هذه الروايات إلى حد بعيد من العهد القديم (اليوناني) في لغته ومواضيعه وأقواله النبوية وحتى في صياغة عناصره، ولا سيّما في البشارة إلى زكريا وإلى مريم، وفي النشيدين.

١ - طفولة يوحنا ويسوع (١ - ٢)

هذا قسم خاص بلوقا، محدّد الموضوع والزمان. يستخدم أسلوباً أدبياً أشبه بأسلوب طفولة شمشون (قض ١٣)، وصموئيل (١ مل ١ - ٢). اللوحة التالية توضح طفولة المعمدان ويسوع، معروضة بشكل يوازي بينهما:

الطفولتان

يسوع	يوحنا المعمدان
١/٢٦ - ٣٨ البشارة لمريم	١/٥ - ٢٥ البشارة إلى زكريا
١/٣٩ - ٥٦ الزيارة ونشيد مريم	
١/٢ - ٢٠ ميلاد يسوع	١/٥٧ - ٥٨ مولد يوحنا المعمدان
زيارة الرعاة	زيارة الجيران
٢/٢١ - الختان	١/٥٩ - ٧٩ الختان
٢٢ - ٢٨ تقدمة يسوع إلى الهيكل	
نبوءات سمعان وحنة	نبوءة زكريا
نشيد سمعان	نشيد زكريا
٢/٣٩ - ٤٠ حياة يسوع في الناصرة	٨٠ - حياة يوحنا المعمدان المخفية
٤١ - ٥٢ يسوع في الهيكل في الثانية عشرة من عمره	

من المحتمل أن يكون لوقا قد استقى خبر البشارة بالمعمدان من تلاميذ يوحنا، الذين كانوا يشيدون بدور معلمهم المعمد للمسيح الآتي. ولربما استقاه من أسرة زكريا. ولكن لوقا يقول الحدث في أسلوب أدبي مألوف في العهد القديم الذي يعبر عن ظهورات الرب، وعن البشارة بولادة رجال عظام، قد لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ الخلاص. ولنا نماذج من هذه الظهورات في (تك ١٧/١٥ - ٢١)، وشمشون (قض ٣)، وصموئيل (١ مل ١).

أما البشارة لمريم (١/٢٦ - ٣٨): إنه أول نص يحدثنا فيه لوقا عن مريم. في هذه الرواية ينقل الملاك كلمة الله إلى مريم. أتبع لوقا، مرة ثانية أسلوب البشائر، كما في العهد القديم، حيث نجد القلب المألوف لإيصال البلاغ: ١) عرض المشهد (٢٦ - ٢٧)، ٢) تحية الملاك (٢٨)، ٣) الإضطراب (٢٩)، ٤) البلاغ (٣٠ - ٣٣)، ٥) إعتراض (٣٤)، ٦) تابع البلاغ (٣٥)، ٧) العلامة (٣٦ - ٣٨)، ٨) إنصراف الملاك.

في التحية الافتتاحية، نرى جبرائيل، وهو ملاك البشارة المسيحانية (دا ٩/٢١ - ٢٧)، يدعو مريم إلى الفرح (صف ٣/١٤ - ١٧ ورك ٩/٩)، وكأن في ذلك كشفاً ضمنياً بأن الأزمنة المسيحانية افتتحت. فالموضوع يتعلّق بالتحية في مطلع اللقاء بمريم. فاللفظة اليونانية قد تعني مجرد السلام والتحية. ومقابلها بالآرامية والعبرية «شالوم»، أو «سلام»، وتتخذ هذه العبارة عند الأنبياء معنى «إفرحي». وقد اختارها لوقا، لأنه يكتب لقارئ يوناني، ولأن الكلمة تردد دعوة الأنبياء إلى الفرح بمواعيد الخلاص على يد المسيح. وإذا إن لوقا يضع هذه اللفظة على لسان الملاك، كان ينوي، من دون شك، أن يقدم لنا مريم كرمز لشعب إسرائيل الذي يبشر بتحيين الحدث المسيحاني.

إن موضوع البشارة يتعلّق بحلول الله الأخروي. سوف يشهد المعمدان لانتظار مجيء الله الوشيك. والبلاغ الموجه إلى مريم مفاده أنه قد حان وقت تحقيق هذا المجيء. يصف القسم الأول من البلاغ يسوع (الآيات ٣٠ - ٣٣) بأنه المسيح المنتظر. ويستعمل لوقا الآية

المألوفة في التبشير بالولادة، وربما يستقيها لوقا من أش ١٤/٧، إذ إن الملاك يعد بأن الطفل سيملك على عرش داود أبيه (أش ٦/٩). أما سؤال مريم (٣٤) الذي تفسره الآية (٤٥) بكونه إيماناً، يطلب الاستنارة، فإنه إنفتاح مريم على مزيد من الكشف. سيكون يسوع «ابن الله» لأنه سيولد بواسطة تدخل إلهي فريد: ذلك بأن الروح القدس سيحلّ على مريم وأن قدرة العلي التي تجري المعجزات ستظلّ لها^(١١).

وإلى ذلك العمل الإلهي يشير أيضاً وصف الطفل بـ «القدوس»: أمومة مريم العجيبة تنبئ بحقيقة يسوع: إنه قدوس، وهذا وصف الهي، وأقدم تعبير عن الوهية المسيح في تقليد الكنيسة الرسولية (رسل ٣/١٤/٤/٢٧، ٣٠). وإنه ابن الله، وهذا وصف المسيح، لن يتضح معناه الكامل إلا بعد القيامة^(١٢).

إن البشارة لمريم تتضمن حقيقتين: الأولى هي أن الطفل هو المسيح المنحدر من نسل داود، ولكنه أيضاً آدم الجديد. وتتخذ أمومة مريم البتولية معناها الكامل^(١٣). والثانية هي أن مجيء الرب الذي بشر به الأنبياء يتحقق في المسيح بالذات.

وهكذا فإن سرّ يسوع يُكشف عنه بكماله، منذ البشارة لمريم. ولكن علينا أن ننتظر أحداث الفصح وتبشير بولس ليشهد إنسان بأن يسوع هو ابن الله (رسل ٩/٢٠ و ١٣/١٣).

٢ - ميلاد يسوع (١/٢ - ٢١)

إن رواية ميلاد يسوع وختانته توازيها قصة ميلاد يوحنا المعمدان (١/٥٧ - ٦٦). وبينما رواية ميلاد يوحنا تشدد على ختان الطفل (في الاتفاق غير المنتظر بين الیصابات وزكريا على اسم يوحنا)، فإن الإهتمام بيسوع ينتقل إلى ميلاده، كما يفسره بلاغ الملائكة.

قرأ النقاد رواية الميلاد وأعطوها تفسيرات متضاربة تتباين ما بين الذين يُعطونها طابعاً أسطورياً يرون فيها قصة مستوحاة من القصص

الفرعونية المتعلقة بولادة اله^(١٤)، والذين يلجأون إلى الهجادة اليهودية المتعلقة برواية ولادة الشخصيات البارزة في العهد القديم. وهناك من يقر بوجود أساس تاريخي، وقد توسعت فيه أولاً الجماعة الرسولية، ثم جاء الكاتب لوقا وأدرج المشهد في إنجيله.

إن ابتكار لوقا في هذه الرواية هو في مقارنته ميلاد يسوع بمولد يوحنا. التباين قائم بين الميلادين. فمن جهة، يوحنا يولد في بيت ويرحب به الجيران والأقارب ويتحدث به جميع الناس. أما يسوع فولد أثناء سفر، ولم يكن لمريم ويوسف موضع، فوضع في مذود للحيوانات. ولكن مجيئه هو بشرى الفرح المسيحاني للشعب كله. إنه «المخلص». المخلص هو الله (تث ٣٢/١٥، عش ٤٣/١١ هو ١٣/٤) ... أو من يقيمه الله مخلصاً بإسمه. ولقب «المسيح الرب» هو ابتكار من لوقا^(١٥). ومن جهة أخرى يقوم هدف هذه الرواية على إثبات ولادة يسوع في بيت لحم. ويضيف لوقا أن بيت لحم هي «مدينة داود».

إن لوقا ينفرد في روايته للميلاد في المفردات التي يستعملها. إننا نلاحظ ورود عبارات مثل «بشر»، و«فرح»، وموضوع «التعجب»، وهذه مواضيع هامة عند لوقا.

٣- الأناشيد عند لوقا

أ- نشيد مريم (٤٦/ - ٥٥): يذكر نشيد مريم بنشيد حنة، أم صموئيل (١ مل ١/٢ - ١٠)، وبأناشيد مماثلة في العهد القديم (صف ٣/٢ - ٤، مز ١٠٣، تث ٦/٧، تك ١/١٥، ١/١٧). إنه نشيد الجماعة المسيحية الأولى في أورشليم، وضع على لسان العذراء تعبيراً عن شكرها وعن شكر الجماعة المسيحية كلها، ممثلة بمريم. ورأى مفسرون آخرون أن لوقا نقل نشيداً يهودياً تنشده ابنة صهيون التي أذلها الرب وامتنحها، ثم رفعها وجعلها أمّاً لجماعة الله التي تنتظر المسيح المخلص (أش ١/٥٤، ٧/٦٦ - ١٢، مي ٤/١٠، ار ٣١/٤)، وقد جعلها أمّاً للمسيح (أش ١٤/٧)، (مي ١/٥ - ٢).

لدينا تكامل ما بين بشارة الملاك لمريم وما بين تحققها في هذا النشيد. إن النشيد يوحي إلينا أن على صنيع الرب لمريم أن يُفهم إنطلاقاً من أعمال الله وصفاته عبر تاريخ الخلاص. ليس صنيع الرب لمريم أمراً يهم مريم فردياً، بل علينا أن ننظر إلى هذا الحدث الذي تعيشه مريم إنطلاقاً من مواعيد الرب لإبراهيم.

ب - نشيد الملائكة: النشيد قسمان في أكثر المخطوطات: «المجد لله في العلى» «والسلام في الأرض للناس أهل رضاه»، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: «المجد لله في العلى»، «والسلام في الأرض»، «لناس أهل رضاه». وقد جاء في الترجمة السريانية «الرجاء الصالح لبني البشر». قد يكون نشيد الملائكة هذا نشيداً مسيحياً قديماً كنشيد زكريا ومريم، وقد يكون قسماً من نشيد (لو ١٩/٣٨).

يرى جان دانيالو في نشيد الملائكة نوعاً من «ليتورجية الملائكة»، ويقارنها مع ما ورد في مخطوطات البحر الميت. «فموضوع مشاركة جماعة الصدوقيين بالتسبيح مع تسبيح جماعة الملائكة هو موضوع مألوف. وكان ذلك أسلوباً للتعبير عن أن الجماعة هي مكان تواجد الله». فحضور «جند السماء» أثناء ولادة يسوع ما هو إلا طريقة للتعبير عن حضور الله في طفل المذود. فنحن إذاً إزاء إثبات لاهوتي رئيسي، ألا وهو إثبات الوهية الطفل. أما الصيغة التي يعرض فيها هذا الإثبات فتعود إلى تصوّرات مستمدة من الأدب الرؤيوي القمрани. وليست هذه هي الحالة الوحيدة التي يرتبط فيها، من الناحية الأدبية، المدراس المستعمل من قبل لوقا، بالوسط الصدوقي^(١٦).

إننا نجد صيغة موازية للوقا ٣٨/١٩ في امتداد لاستشهاد من المزمور ٢٦/١١٧. نجد الكلمتين «السلام» و«المجد»، وترتبط التعابير بالحدث المسيحاني. لدينا هنا، ومن دون شك، صدى لصلاة الجماعة الأولى.

ج - نشيد زكريا (١: ٦٨ - ٧٩): يشبه نشيد العذراء، ونشيد سمعان الشيخ، وهو نشيد شكر ورؤيا مستقبلية. قد يكون هذا النشيد

يهودياً، أو مسيحياً في كنيسة أورشليم، وقد وضعه لوقا على لسان زكريا، وهو يقرأ في تاريخ شعبه.

إن لكلمة «أفتقد» دلالة خاصة، لا سيما في كل مرة يتدخل الله في حياة الشعب، أي زيارته آياه زيارة نعمة وبركة. يستعمل هذا الفعل خاصة في مجال الحديث عن الخلاص المسيحاني الأخرى^(١٧).

إن نشيد زكريا يشبه نشيد مريم من حيث إنه مؤلف إستناداً إلى عبارات ومواضيع واضحة من الكتاب المقدس. إلا أن هذا النشيد يختلف عن نشيد مريم على أنه يصعب ضبطه في بنية أدبية متكاملة. فيوحنا هو الشخصية الرئيسية والحديث في الآيتين هو عنه فقط.

د - نشيد سمعان: يشبه أناشيد العهد القديم، ولا سيما أناشيد خادم الله المتألم (أش ٤٢/٦، ٤٩/٦)، يرى المفسرون صعوبة في تفسير نبوءة سمعان، وهي آخر نبوءة في رواية الطفولة. إن بنت صهيون ستألم، وفي ذلك إشارة إلى آلام يسوع وإلى تاريخ شعب الله المتمزق من جرّاء هذا الحدث.

إن مريم هي في قلب هذا الصراع إلا أن مريم تخرج منه كام لإسرائيل الجديد، وتقوم وسط الكنيسة (رسل ١/١٤). إن لوقا يشير بشكل واضح إلى مكانة مريم وحضورها في قلب الكنيسة.

ما يميّز سمعان هو الإنتظار، إنتظار تعزية إسرائيل. والتعزية هي من علامات الزمن المسيحاني، كما جاء في أشعيا (١/٤٠) والمعزي هو لقب من ألقاب المسيح. هو الروح القدس كما ملأ اليصابات وزكريا، فهو نزل عليه وجعله يرى في يسوع الطفل المخلص المنتظر «مسيح الرب» (١ صمو ٢٤/٧). هذا الذي شارفت حياته عتبة الموت يحمل على ذراعيه رجاء الأمم وحياتهم.

ينشد سمعان ما سوف يقوم به يسوع. إنه يرى بعينه ما وعد الرب به لشعبه، فقد انتهى إنتظاره ويستطيع أن يقول «الآن أطلق، يا

سيد، عبدك بسلام». إن سمعان رأى الخلاص الآتي من لدن الله، خلاصاً أخبر عنه أشعيا (أش ٥/٤٠). هذا الخلاص ليس مقصوراً على إسرائيل، بل سيصل إلى جميع الأمم (أش ٦/٤٢ و ٦/٤٩).

- (١) راجع دليل الى قراءة الكتاب المقدس، الاب اسطفان شريتييه، ص ١٨٨.
- (٢) يشدد لوقا في الانجيل على الرحمة والغفران: في صفح يسوع عن المرأة الخاطئة (٣٦/٧ - ٥٠)، وفي مثل السامري (٣٠/١٠ - ٣٧)، وفي مثل الابن الضال (١١/١٥ - ٣٢)، وفي مثل الفريسي والعشار (١/١٩ - ١٠)، وفي صفح يسوع عن صالبيه (٣٤/٢٣)، وفي صفحه عن اللص (٣٩/٢٣ - ٤٣).
- (٣) يكثر لوقا من ذكر الفرح في انجيله: الفرح بميلاد يسوع، وفرح التلاميذ بالاضطهاد من أجل يسوع (٢٣/٦)، وفرح الجموع بيسوع (١٧/١٣)، وفرح الملائكة بتوبة الخطاة (١٠،٧/١٥)، وفرح الاب بابنه (٣٢/١٥)، وفرح زكا باستضافته ليسوع (٦/١٩)، وفرح التلاميذ بقيامة يسوع (٤١/٢٤، ٥٢).
- (٤) تصبح المشكلة التاريخية نسبية إذ إن روايات الطفولة هي عجالات يستند إليها علم اللاهوت والكريستولوجيا. هذه الروايات دفعت بالارثوذكس إلى تطوير العقيدة التي تركز على يسوع كإله وإنسان، ولا تدع مجالاً للشك في أن المسيح كان ابن الله منذ الحبل به. وكذلك يأتي وصف الولادة بحسب الجسد (هذا بالإضافة الى ما يشير الى الطفل وهو ملفوف بقمط وموضوع في مذود)، تؤكد الاصل البشري والحقيقي ليسوع.
- (٥) تمت صياغة الكرازة في وصف الآلام التي كانت تشكل رواية متتابعة حول يسوع، ولقد صب المسيحيون اهتمامهم على الاعمال والكلمات التي وصلت اليهم من التقليد حول رسالة يسوع. كان لهذا الوضع فائدة كبيرة في تعميق الايمان وترسيخه عند الذين آمنوا عن طريق اعلان الموت والقيامة. ثم تطورت مجموعة الكلمات والامثال والعجائب، واعتمد الانجيليون على ذلك وصاغوا بعدئذ دور رسالة يسوع. واتت روايات رسالة يسوع اقل تلاحماً وترابطاً من رواية الآلام. إذ إنه لم يكن احد من الانجيليين الاربعة شاهد عيان للدور رسالة يسوع. وجاء ترتيب احداث خدمة يسوع ورسالته ترتيباً منطقياً عملية كرونولوجية.
- (٦) لدينا في العهد الجديد ثلاثة أشخاص يحملون إسم هيرودس. فهيرودس المذكور في نصنا، هو هيرودس الكبير، وكان ملكاً على اليهودية. مات سنة ٤ ق.م. بدأ ملكه في السنة ٣٧ ق.م. كما ورد في متى (١/٢ - ٢٣) وفي العهد الجديد، يرد إسمه ٩ مرّات. فهو مضطهد المسيح وأطفال بيت لحم. أما الثاني فهو هيرودس انتيباس، وهو إبنه، لقد كان أميراً على الجليل (لو ١/٣) والبيريه وهي تسمية «عبر الأردن» باليونانية. فملك من سنة ٤ ق.م. إلى سنة ٣٩ م. عرف بقتله ليوحنا المعمدان (مر ١٧/٦ - ٢٩) وباشترائه في محاكمة يسوع ولو قليلاً (لو ٢٣/٦ - ١٦). أما الثالث فهو هيرودوس أغريبا، وهو حفيد هيرودس الكبير. وقد عرف كأول مضطهد للكنيسة الناشئة (رسل ١/١٢ - ٢٣) وقد قتل يعقوب اخا يوحنا وألقى بطرس في السجن، وحكم من السنة ٤١ وحتى ٤٤ للميلاد. راجع كتاب «أضواء على أناجيل الطفولة، الكاردينال جان دانيالو، سلسلة «دراسة كتابية»، ص ٥٣.
- (٧) لا بد من التمييز بين ملاك الرب والملائكة.
- (٨) يوسيفوس فلافيوس، «العادات اليهودية» (١١، ٩، ٣ - ٤).

(٩) يجمع النقاد اليوم على رأي وهو أن جماعة متى، جماعة مسيحية من أصل يهودي. إنها جماعة تأثرت بتصرفها بالتقاليد اليهودية، ولا سيما بالتقاليد الطقسية. ومن جهة أخرى، أن كاتب الإنجيل نفسه يهودي الولادة والتربية والثقافة. فإنه، بينما اقتبس وجمع الروايات والمعلومات والوثائق حول يسوع وعمله وأقواله، والتي أبصرت النور في وسط الجماعات المسيحية، فلقد برع في وضعها في إطار يهودي (راجع، دراسة في الإنجيل كما رواه متى، الأب اسطفان شربتنيه، سلسلة «دراسة كتابية»، ص ٨.

(١٠) راجع، «دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا»، سلسلة دراسات كتابية، عدد ١٥، ص ١٢.

(١١) كان الغمام الإلهي يدلّ على حضور الرب في خيمة البرية (خر ٣٤/٤٠ - ٣٥، عد ١٥/٩ - ٢٢)، وتابوت العهد والهيكل (٢ اخ ١٣/٥ - ١٤)، علامة على حضور الله الخلاصي بين شعبه.

(١٢) يحرص لوقا على ألا يصف يسوع بابن الله، في إنجيله، إلّا على لسان الأب السماوي (٢٢/٣، ٣٥/٩) ولسان الملاك هنا، ولسان الأرواح الشريرة (٣/٤)، ٩، ٤١، ٢٨/٨، وعلى لسان يسوع نفسه (٣٢/١٠، ٧٠/٢٢ و ٣٠/٢٠)، ولم يرد اية مرة على لسان بشر كما ورد في متى.

(١٣) كتب إيريناوس: «كما تكون آدم الأول من تربة بتول، كان لا بد لآدم الثاني أن يتكوّن من بتول» راجع كتابه البينات، ٣٢.

(١٤) راجع كتاب ديرفمان «من ولادة الآلهة إلى ميلاد المسيح»، باريس ١٩٩١.

(١٥) المسيح الرب: ونقرأ في بعض المخطوطات «الرب المسيح» أو «مسيح الرب»، تعبيران يترددان في العهد الجديد ويعبران عن دور يسوع التاريخي الخلاصي والإلهي: هو المسيح، أي الملك المنتظر، وهو الرب، أي الإله الذي يهب الخلاص. إن الكتاب المقدس اليوناني جعل من لقب «الرب» ترجمة لإسم الله. ولم يستعمل متى (٣/٢١) ومرقس (٣/١١) هذا التعبير إلّا مرة واحدة للدلالة على يسوع، في حين أن لوقا إستعمله ١٩ مرة في إنجيله وأكثر من ٤٠ مرة في كتاب أعمال الرسل، بعد الفصح، حيث تتجلى سيادته.

(١٦) أضواء على أناجيل الطفولة، المصدر نفسه، ص ٤٥.

(١٧) راجع تك ١/٢١ و ٢٤/٥٠ - ٢٥ وار ١٠/٢٩ ومز ١٠/٦٥ ...

* افرام عازر سقط. ولد في قرقوش في محافظة نينوى (العراق) سنة ١٩٤٨. سيم كاهناً سنة ١٩٧٢. حاز على دبلوم في الكتاب المقدس، دكتورا في اللاهوت والتاريخ من جامعة السوربون. نشر كتاب «دليلك الى قراءة العهد الجديد».

الفصل الثاني والمثرون

«مسائل رعائية» حول الاناجيل الازائية

الاب بيتر حنا مدروس*

مقدمة:

الملحوظات الاتية غيض من فيض وهي مبنية على خبرة راعوية في الارض المقدسة والاردن ومصر وقبرص وامريكا الجنوبية، منذ سنة ١٩٨٢.

الهدف الاساسي من التكريس لله ومن دراسة الكتب المقدسة هو بالتأكيد لا تقديس نفوس المكرسين فحسب بل «لاجل الذين يقدسون انفسهم في سبيلهم» على مثال السيد المسيح الكاهن والحمل (راجع يوحنا ١٧: ١٩-٢٠). ولقد قامت الرابطة الكاثوليكية للعمل الرسولي الكتابي بمحاولة رعائية لعرض العهد القديم للمؤمنين الناطقين بالضاد. وها هي في مؤتمرها الحالي تسعى لتقديم الاناجيل الازائية اي متى ومرقس ولوقا معالجة قضايا الحياة الروحانية والراعوية. وهذه الخطوة حميدة بغير شك لأنها تنقل جهود الرعاة والمعلمين الى الميدان الواقعي حيث يجد المؤمنون بعض الصعوبات التي قد تكون على الدارسين واللاهوتيين هيئة. ولكن على الراعي ان يعتني بالخراف ويهتم لهمومها. وان لنا في السيد المسيح والرسل والتلاميذ الاطهار قدوة حسنة في الاستماع الى المعترضين والسائلين والمستفسرين

والاستجابة الى استئلتهم اما عن طريق ردود ايجابية او عن طريق استئلة يوجهها المعلم الالهى بدوره كما حدث عندما سأل سائليه: «من اين معمودية يوحنا؟ امن السماء ام من عند الناس؟» (متى ٢١: ٢٥).

أ - المسائل المتعلقة بالانجيل الازائية بشكل عام:

تناولت الكتب العلمية التفسيرية الموضوع الرئيسى فى هذا المضمار وهو: الحكمة من وجود انجيل ثلاثة متشابهة ازائية وكيفية التنسيق بينها. ولكن يبدو على الصعيد الشعبى ان التساؤلات تدور حول التعددية فى البشارة اى على وجود انجيل اربعة وعلى اللغة اليونانية التى وصلت الينا بها. ولعل الاستفسارات ناتجة عن عيشنا فى بيئة غير مسيحية تقرّ كتاباً واحداً «فى لسان عربى مبين». أما اعتراضات المجتمع العبرى فتركز على لغة «الانجيل» اليونانية، اذ تعود العبرانيون المتشددون، من دهرهم، الا يقبلوا سوى العبرية (والارامية العبرية) «لساناً مقدساً» («لشون هقودش»).

عليه تنشأ المسائل المبدئية الراعية التالية:

١ - لماذا هنالك عدّة «انجيل»؟

والحق ان «الانجيل» الثلاثة او الاربعة هي صيغ متنوعة للانجيل الواحد لأنها اى الانجيل تحمل البشرى الواحدة فى مجيء المخلص الرب وتأسيسه للكنيسة «نوراً للامم». ويجب عدّ الانجيليين (وسائر الرسل والتلاميذ الذين كتبوا «العهد الجديد» بالهام الله ووحى منه) شهوداً امناء ضحوا واستشهدوا فى سبيل شهادتهم. وكلما كثر عدد الشهادات المطابقة كان الوضع أفضل من شهادة شاهد واحد.

٢ - لماذا كتبت الانجيل فى اللغة اليونانية؟

ثمة استفسار حول «اختفاء» انجيل متى الاصلي بالارامية. ففي العقلية الشعبية المتأثرة بالاديان الاخرى الموحدة لا يجدر بحرف من الكتب المقدسة «المنزلة» ان يضيع!

وينضم متى اليوناني - وهو نقل للاصل الارامي وتكييف له - الى سائر الاناجيل لي طرح قضية اللغة اليونانية التي كانت اللغة الدولية منذ فتوحات الاسكندر بن فيليبس الثاني المقدوني . وهكذا يدرك المرء ان كتابة الاناجيل في اليونانية - كقولك الانكليزية في ايامنا - اتى نتيجة للعبقرية الالهية والنبوغ الانساني اللذين امكنا كلمة الله من الوصول الى كل الشعوب المعروفة آنذاك . وان في ذلك تجديداً كتابياً لمعجزة العنصرة .

ويمكن في هذا المقام ان يبين العلم ان لغة «العهد الجديد» اليونانية ذات طابع شرقي سامي آرامي عبري (مثل العبارة «بنو العرس» وغيرها)، وانها نقل لأفكار وعواطف كان التعبير الاصلي عنها في لغة سامية (راجع كتابات كلود تريمونتان).

٣ - لماذا لا تتميز نصوص الاناجيل في العربية بالبيان والسجع؟

ينقسم المسيحيون هنا الى قسمين: احدهما يطلب بين صحيفات «العهد الجديد» ولا سيما الاناجيل اعجازاً لغوياً عربياً «غير ذي عوج» - كإثبات ان الكلمات ليست «من عند غير الله» . وعند آخرين رد فعل على العقلية غير المسيحية المشيدة بسحر البيان القرآني . تقبل الفئة الثانية ان يكون كلام الاناجيل بسيطاً غير مزخرف لا بلاغة في نثره ولا طلاوة في لفظه ولا نظماً شعرياً في متنه . ومع ان «الترجمات» الحديثة اجتهدت في ان تولي اللغة العربية عناية كبيرة، الا انها لا تقدر ان تصل الى المحسنات اللفظية من بديع وعروض يجدها المرء في كتاب أصله عربي، والسبب ان الناقلين ملزمون بالتقيد بالاصل اليوناني .

وقد يثير أسلوب القديس مرقس الساذج الشعبي استفسارات عند بعض القوم . فيعجب به قوم لأنه أصيل واقعي عاطفي لا يعرف لفاً ولا دوراناً، ويمتعت منه نفر آخرون لأنه الى اللهجات العامية أقرب منه الى اللغة القوية السليمة (راجع أسلوب مرقس البسيط في إنجيله ٥: ٢-٥) .

ردود سريعة:

- «الانجيل» تحمل «إنجيلاً» واحداً أي بشارة سارة واحدة تتفق عليها من حيث الجوهر.

- رسالة المسيح وكنيسته موجهة الى جميع الشعوب إذ امر الرب بتلمذتها وتعميدها جمعاء (متى ٢٨: ١٩). على هذا الاساس كان لا بد من وصول كلمة الله التي هي كلمة الحق والخلاص الى جميع الشعوب (الاولى الى طيموثاوس ٢: ٤) كما ان لا مانع من نقلها اي «ترجمتها» الى لغات الشعوب الاخرى ولهجاتها.

- ليس الاعجاز اللغوي بحد ذاته دليلاً على الالهام ولا على الوحي بل على ملكة في اللسان وقدرة في البيان. الشأن كل الشأن للاعجاز العقيدي والاخلاقي الذي تألفت به الانجيل وسائر العهد الجديد.

- لا يفقد الكتاب الملهمون والموحى إليهم شخصيتهم ولا أساليبهم في الكتابة. «فالأسلوب هو الانسان نفسه» (بيفون). اذا فقد الكاتب أسلوبه، فقد نفسه.

- هنالك واجب تفرضه النزاهة العلمية والادبية والاخلاقية. اذا انتقد بعض الناس أسلوب مرقس الركيك أحياناً فعليهم ان يشنوا على أسلوب الطبيب لوقا الفصيح الصحيح. ولعل مقدمة إنجيله أفصح جملة في «العهد الجديد» كله (لوقا ١: ١-٤).

- من ناحية عملية رعائية، يُقترح اصدار «ترجمة» للعهد الجديد في لغتين أي الاصلية والعربية كي تطمئن قلوب «الحرفيين التنزيليين» الى ان الكنيسة والعلم ما تلاعبا بالنصوص الاصلية. اما قضية رواج مثل تلك الطبعة فتبقى عالقة... على أي حال، سبقنا الاعاجم في طبعات «بين السطور Interlinear» للكتب المقدسة.

أكيد ان ثمة مسائل اخرى كثيرة يجدر التداول فيها. ولكن ضيق المقام والوقت يحتم العبور الى تفاصيل المسائل الراعية الناجمة عن قراءة الانجيل الإزائية.

من ناحية المبدأ يلزم مؤتمر كامل لدراسة هذه المسائل، غير ان هذا العرض يقدم رؤوس اقلام يرجى ان تصبح نقاط انطلاق لتفكير علمي رعائي رصين.

ب - تفاصيل حول بعض المسائل الراعية المتعلقة بالاناجيل الإزائية

قبل الخوض في بعض تلك المسائل يُقترح - ويرجى - ان تصدر قريباً طبعة «راعية» للعهد الجديد بحيث يكون النص الانجيلي الطاهر مطبوعاً في رأس الصفحات بأحرف كبيرة وتكون الحواشي في أسفلها، شريطة ان تأخذ الحواشي طابعاً رعائياً أي متجها لمعالجة المعضلات والتساؤلات اليه. وكان سيادة المطران سليم الصايغ النائب البطريكي اللاتيني في شرق الاردن قد اعرب عن امنية في رؤية مثل هذه الطبعة التفسيرية الراعية.

والان ينتقل المرء الى بعض المسائل التي يطرحها المؤمنون لدى قراءتهم لمقاطع من الاناجيل الإزائية:

القسم الاول: من اناجيل الطفولة:

١ - سؤالان حول سلالتي نَسَب يسوع في متى ولوقا:

لماذا سلالتان لا واحدة؟ ولماذا لا تتفقان في كل الأسماء؟

قدم الاب ماسون اطروحة دكتوراه في هذا الموضوع، في الجامعة الغريغورية في روما، في الثمانينات.

اجوبة سريعة:

- سلالة يسوع في متى (١: ١-١٧) تنطلق من ابي المؤمنين إبراهيم، في حين ان سلالة يسوع في لوقا (٣: ٢٣-٣٨) تنطلق من يوسف خطيب سيدتنا مريم العذراء وتصل الى ابي البشرية «آدم».

- ترتيب انجيل متى للأسماء اصطناعي، ممّا يفرض الغاء أسماء

اجداد. ولكن هنالك حكمة في ذلك الترتيب: ٣ سلاسل من ١٤ أسماء، لأن ١٤ هي ضعف ٧ الرقم المثالي الكامل، او لأن أسم داود بكتابته العبرية (دود) يساوي حسابياً ١٤:

$$د = ٤$$

$$و = ٦$$

$$د = ٦ = المجموع = ١٤.$$

ربّما وجد الانجيلي متى داعياً لهذا الخيار (اي رقم ١٤) ان عدد الاجيال بين إبراهيم وداود كان اربعة عشر جيلاً (راجع اخبار الأيام الاول: من الفصل الاول الى الثاني: ١-١٥). فالتزم البشير بهذا الرقم. وحسب مريم ويسوع اسمين ليكمل العدد. (راجع لويس بيرو - البير كلامير، المجلد التاسع، ص ٤).

- لا تخفى على من يقابل بين السلالتين ان للقديس يوسف لا أباً واحداً بل رجلين ابوين. يفسر المؤرخ يوليوس الأفريقي (في القرن الثالث) ان يعقوب بن متان كان شقيق عالي الذي مات بغير نسل فتزوج شقيقه يعقوب ارملة اخيه عالي التي ولدت له يوسف خطيب العذراء. هكذا كان يوسف ابن عالي شرعاً وابن يعقوب بالولادة الطبيعية (راجع اوسابيوس، التاريخ الكنسي، المجلد الاول، القسم السابع، ١٠). هذا ما يدعى قانون السلف (بكسر السين) Leviratus. ويبدو ان في حالة زوروبابل وضعاً مشابهاً: إنه ابن شألتيثيل حسب حجابي ١:١ و ١٢ وعزرا ٣:٢، ولكن حسب اخبار الايام الاول ٣:١٩ هو ابن فدايا ارملة وأنجبت له زوروبابل.

- تفاصيل سلالة يسوع في لوقا: راجع بيرو - كلامير، المجلد العاشر ص ٦٠-٦١.

- الجواب الشامل: ان الانجيليين لم يكونوا مؤرخين بالمعنى العصري للكلمة بل ارادوا ان يعطوا فكرة عن ارتباط يسوع بـ داود وإبراهيم وآدم كملك للبشرية جمعاء ومخلص وسيّد لها.

٢ - «السلام ايته الممتلئة نعمة» (لوقا ١: ٢٨)

انطلق بعض المفسرين والناقلين من اليونانية «خايرة» (اصلا: افرحي، او: كوني جميلة) و «ترجموا»: «افرحي ايته الممتلئة نعمة...» ولكن يبدو ان الصيغة هنا هي مجرد تحية او كما نقول في لغاتنا السامية «سلام». ولا بد ان الاصل الآرامي هو «شلام» او «شلوم» حسب اللفظ السرياني الغربي. عليه يفضل ابقاء الترجمة «السلام عليك...» مع تفسير اللفظة اليونانية...

- «الممتلئة نعمة» ترجمة مأخوذة من البشيطا (السريانية البسيطة). ويلحظ المؤمنون ان الطبقات البروتستنتية (واهمها طبعة فانديك) تنقل: «السلام ايته المنعم عليها»...

الكلمة اليونانية «كخاريتموني» تدل على «اكتمال» النعمة او الحظوة. اي ان العمل تم (وربما بقي مستمرا). وتجدر هنا الترجمة «المنعم عليها الانعام» التي تم فيها الانعام «بالإنكليزية» «Highly favoured one» او «You, Favoured One» بامتياز جعل مريم «المنعم عليها» المطلقة.

هناك تلاعب في ترجمة «العالم الجديد» «لبدعة» شهود يهوه «حيث الترجمة الحرفية» «Highly Favoured One» «والترجمة الرسمية» «favoured one».

٣- الفرق بين ردّي فعل زكريا والعذراء مريم عند البشارتين (لوقا ١: ٢٠ و ٣٤، ثم ٤٥)

اذا سأل سائل: لماذا عوقب زكريا بالخرس على استفساره ولم تعاقب مريم مع انها استفسرت «كيف يكون هذا وأنا لا اعرف رجلاً؟»

الجواب في قول الملاك لزكريا: «لأنك لم تصدّق كلامي الذي سيتم في اوانه»، وفي تهنئة الیصابات لمريم: «طوبى لك يا من آمنت بأن ما بلغها من عند الرب سيتم».

٤ - «من اين لي ان تأتيني ام ربّي؟» (لوقا ١: ٤٣)

يجد بعض القوم صعوبة في العبارة «ام الرب» او «ام الله» (عودة الى ما قبل مجمع افسس!) ماذا كانت اليصابات تقصد؟ مجرد «سيد» بين اسيادها ام سيدها المطلق الرب الاله؟ كذلك في قول توما المنكر المؤمن: «ربّي والهي».

مريم العذراء ام الطبيعة البشرية في المسيح لا ام الطبيعة الالهية. مثل بسيط: يقال «ام الطبيب» وهي ربما لا تفقه شيئاً في الطب! «ام الكاهن» ليست ام كهنوته بل هي ام الطفل الذي اصبح شاباً فكاهناً...

٥ - يوسف «زوج مريم» - «لا تخف ان تأخذ امرأتك مريم الى بيتك»

يصدّم بعض المؤمنين نقل كلمتي «انير» (رجُل) بلفظة «زوج» و «جيني» (امراًة) بمعنى «زوجة» في حديث الانجيلي متى عن القديس يوسف والسيدة العذراء (١٩: ١٠ و ٢٤) ويتوهمون ان العبارتين تشيران الى الاتحاد الجسدي بين مريم ويوسف.

- يجب هنا ان نوضح ان الخطيب والخطيبة في العرف اليهودي كانا يُعدّان زوجين شرعاً (راجع شتراك - بيليربك، المجلد الاول، ص ٤٥).

ويمكن الاستشهاد بممارسة «كتب الكتاب» عند المسلمين (تثنية الاشتراع ٢٠: ٧).

ومن الدلائل على عدّ الخطيبين زوجين:

- كانت الخطيبة الزانية الخائنة لخطيبها تعامل معاملة الزوجة الزانية.

- كانت الخطيبة الفاقدة لخطيبها تعدّ ارملة.

- كان لا يجوز تطليق الخطيبة - مثل الزوجة - الا بكتاب طلاق.

- كان الطفل المحبوس به وقت الخطوبة يعدّ شرعياً.

انطلاقاً من هذه النقطة الرابعة كان الحمل بيسوع شرعياً وظل يوسف الصديق سترأ للبتول والدة وللطفل الالهي المولود.

٦ - «وتبتهج روعي بالله مخلصي» (لوقا ١: ٤٧)

«تستدل» بعض الطوائف من هذا القسم من نشيد مريم الخالد «تعظم» انها ما كانت بريئة من الخطيئة الاصلية - ولا الفعلية! يقولون لك: «ها هي تعترف بأن الله خلصها!» ولكن هنالك نوعان من «الخلاص والنجاة»: الخلاص من الخطيئة وسائر ضروب الشر بعد ان المّت بالانسان (مثل خلاص يسوع من الموت بعد وفاته، راجع الرسالة الى العبرانيين ٥: ٧)، وهناك الخلاص بالوقاية أي قبل ان يتحقق الشر والخطيئة. ولنا في سيرة القديسة تيريزيا الصغيرة مثال على ذلك النوع من الخلاص بقولها: «ان الله في سبيلي ازال الحجارة اي العقبات».

٧ - «لأنه نظر الى امته الحقيرة» (لوقا ١: ٤٨ أ)

لفظة «حقير، حقيرة» مثل «وضيع، وضيعة» في العربية تعني: خسيس دنيء. لذا يستحسن تغييرها.

يرى بعض المحللين ان الكلمة اليونانية «تبينوسيس» تعني: ذل Humiliation.

٨ - «ها منذ الان تطوّبني جميع الاجيال» (لوقا ١: ٤٨ ب)

هذه الاية مفيدة جداً إذ تبيّن نبوءة العذراء عليها السلام نفسها ورغبتها المتواضعة في ان «يطوّبها» الناس. فلا يكفي ان «يكرمها» البشر من بعيد لبعيد «رفعاً للعتاب» بل يجب ان يهتئها المسيحيون الحقيقيون. والتهنئة هي الصيغة العربية ل «طوبى» الارامية. تتم التهنئة في شكلين: اما في صيغة الغائبة كقولك «طوبى لمريم البتول القديسة

لأنها حملت الكلمة المتجسدة»، او في صيغة المخاطبة: «طوبى لك يا مريم البتول».

٩ - «ثم اومأوا الى ابيه (زكريا)... فطلب لوحاً وكتب...» (لوقا ١: ٦٢-٦٣)

يبدو ان الحالة التي تصفها لفظة «سيوبوس» اليونانية في لوقا ١: ٢٠- في حديث الملاك مع زكريا هي الصم والبكم معاً.

١٠ - «تسبق (يا يوحنا) امام وجه الرب لتعدّ طريقه» (لوقا ١: ٧٦) فيسوع هو الرب. وليس فقط مجرد نبي عظيم، ومسيح منظر.

١١ - «لم يعرف يوسف مريم الى ان ولدت ابنها البكر»

ملحوظة: الرد على معظم اعتراضات البدع وارد في مؤلفات منها: «الجواب من الكتاب» وملخصه «من وحي الكتاب المقدس» للاب يعقوب حنا سعادة بمشاركة الأب بيتر مدروس، وأيضاً كتاب «شهود يهوه في الميزان» للأب جبرائيل فرح البولسي، وكتيب «الرد على الاعتراضات التي تمس بتولية العذراء مريم الدائمة» في سلسلة «الإيمان».

- يعترض بعض الناس - من اهل بدع او حتّى من كاثوليك غير مطلّعين على تفسيرات الكتب المقدس - ان المقصود من العبارة هو بدء العلاقات الجسدية بين مريم ويوسف بعد ولادة يسوع.

- تصدّى مار هيرونيمس في زمانه للمبدع «هلفيديوس» الذي اطلق تلك النظرية وأكد العلامة القديس ان صيغة «حتّى، الى ان» - بالعبرية «عاد كي» لم يعد الغراب (غراب نوح!) «عاد دي»، باليونانية «هيوس هو»- «تخبر شيئاً عن الماضي بحيث لا تنبيء شيئاً عن المستقبل الذي لحقه» اي انها نقطة وصول لا نقطة انطلاق. واعطى القديس هيرونيمس امثلة من الكتاب المقدس تفيد ان «حتّى، الى ان» لا تفيدان الا عن الحالة التي سبقتها: اما ما يلي فقد يتغير فيه الوضع او يبقى على ما كان عليه:

- «جعل الغراب يتردد الى ان جفّت المياه عن الارض» (تكوين ٨: ٧)، فهل يعني هذا أنه عاد الى السفينة بعد الطوفان؟

- دعوة الرب الاله للمسيح رب داود ان «يجلس عن يمينه حتّى يجعل اعداءه موثقاً لقدميه» (مزمو ١٠٩ (١١٠: ١) لا تفيد انه سترك يمين الآب بعد ذلك.

- نقرأ ان «ميكال لم تلد لداود حتّى ماتت» (٢ صموئيل ٦: ٢٣) فهل تعني العبارة انها انجبت بعد موتها؟ - ما يريد الانجيلي تأكيده والتشديد عليه وراء عبارته «لم يعرفها الى ان ولدت ابنها...» هو عدم وجود علاقات جسدية بينهما - مع ان لا مانع مبدئياً منها.

١٢ - «حتّى ولدت ابنها البكر...»

يستدل بعض القوم خطأ من لفظة «البكر» ان مولودين آخرين لمريم تبعوا يسوع. ولكن الكلمة «بكر» اي «الاول» تعني «الذي لا أحد قبله» ولا تعني بالضرورة الذي تبعه آخرون.

- منذ عهد المسيح وجد قبر امرأة اسمها ارسينوي ماتت وهي «تضع ابنها البكر». قطعاً ما ولدت غيره بعده.

- لفظة «بكر» لا تفيد للاقدمية الزمنية بل تشير الى شرف ومكانة. يسوع هو «البكر» par excellence (راجع عبرانيين ١: ٦).

- البكر او الاول يمكن ان يكون الاخير لكونه الوحيد.

جواب مبدئي شامل:

ان الاعتراضات على البتولية الدائمة لسيدتنا مريم العذراء تبقى سطحية ولا يجدر بها ان تمس كرامتها ولا ان تقلل من هيبتها. والحق ان بعض الطوائف تستغل تلك النصوص وتصوغ تلك الاعتراضات لا «قلقاً» منها على بتولية مريم او عدم بتوليتها بل كذريعة للتقليل من شأنها وللاستهانة بها ولتبرير عدم اكرامها وإغفال تطويبها وعدم التشفع

بها. عليه يجب إيضاح ما يلي: ان البتولية الدائمة عند سيدتنا مريم العذراء إنعام ثانوي سني، لكن النعمة الكبرى هي امومتها الالهية للمسيح الرب المخلص. واذا رفض بعض القوم ان يكرموا كبتول فليكرموا كوالدة. وان عدّوا «عدم استمرارها» المزعوم في البتولية مانعاً يحول دون تكريمهم لها فعليهم الا يكرموا اياً من امهاتهم!

١٣ - المسيح ابن الله (مرقس ١: ١)

يبدأ إنجيل مرقس بالاعلان ان يسوع هو المسيح «ابن الله». في العبارة صعوبة في بيئتنا بسبب سوء الفهم حول «آبوة جسدية» لله (أما مبدأ المورمونية الذي يدعى المسيحية فهو يقبلها!)

- لا بد من إيضاح ان «ابن الله» تعني «كلمة الله» كما ورد في اول بشارة يوحنا: «في البدء كان الكلمة... والكلمة صار جسداً ونصب خيمته بيننا» (١: ١ و ١٤). وقد يفيد القول ان «الكلمة» بنت الشفة وان السبيل يدعى «ابن السبيل» وان المصادر غير المسيحية نفسها تقرّ ان المسيح (كإنسان) هو رسول الله «وكلمته» القاها الى مريم وروح منه.

- يجب الحذر في الكلام - في كتب التربية المسيحية خصوصاً للصغار - اذ قد يخلطون بين «يسوع ابن الله» وبين «نحن ابناء الله». ربما يستحسن تأجيل هذه العبارات الى وقت لاحق يتم فيه التمييز بين البنوة بالطبيعة والبنوة بالتبني...

١٤ - زيارة المجوس للطفل يسوع (متى ٢: ١-١٢)

ربّما لا تثير الاوساط الشعبية الشرقية، عادة، قضية تاريخية «انجيل الطفولة». انكر بعض الاعاجم ذلك الطابع التاريخي في حين أكدّه غيرهم. (راجع «أضواء على انجيل الطفولة - دراسة عن طفولة يسوع بحسب انجيلي متى ولوقا» للكردينال جان دنييلو، النقل العربي على يد أ. فكتور شلحت، دار المشرق بيروت، ثم «دراسة في الانجيل كما رواه متى» للأب أسطفان شربنتيه، نقله الى العربية الأب صبحي حموي، دار المشرق، بيروت، ص ٢٤).

- جواب مبدئي رعائي :

لا مانع من المعجزات في طفولة الاله المتجسد. وهناك عبرة من كل حدث جليل.

١٥ - «بيت لحم اليهودية» (متى ١: ٢ حسب الترجمة اليسوعية القديمة)

تعود المعلمون والرعاة ان يفسروا «بيت لحم» انطلاقاً من العبرية المتأخرة «بيت ليحم» أي «بيت الخبز» (هكذا بعض آباء الكنيسة). ولكن يبدو ان الصحيح هو اشتقاقها من «بيت لحمو»، و«لحمو» هو إله حرب (من «ميلحماء») كنعاني محلي.

ليست «اليهودية» نعتاً (اي صفة) بل هي مضاف اليه كقولك «ناصرة الجليل». والمقصود: بيت لحم الواقعة في منطقة عشيرة يهوذا، جد داود الملك. اوضح البشير موقع بيت لحم ليميزها عن بيت لحم اخرى في الجليل، في اراضي سبط زبولون (راجع يشوع بن نون ١٩: ١٥).

١٦ - اوغسطس - هيرودس (متى ٢ ولوقا ٢)

جيد ان يعرف المؤمنون الاطار التاريخي لميلاد السيد المسيح الذي تم قبل وفاة هيرودس الكبير الادومي ابن انتيباتر سنة ٧٥٠ من تأسيس مدينة روما. ولا بأس في اطلاعهم على ان الراهب ديونيزيوس الصغير ارتكب خطأ ممّا يجعل هيرودس يموت سنة ٤ قبل الميلاد أي قبل الحساب الميلادي.

على هذا الاساس، في ما يتعلق بالسنوات، يفضل القول «قبل الحساب الميلادي» او «من الحساب الميلادي» على «قبل الميلاد» و «بعد الميلاد». اما في حساب القرون أي مئات السنين فلا تغيير: القرن الاول قبل الميلاد، الاول للميلاد، اذ ان خطأ الراهب المذكور شمل ستاً او سبع سنوات.

١٧ - الاحصاء او الاكتتاب «قبل ولاية كيرينيوس على سورية»
(لوقا ١: ٢)

مشكلة عويصة يثيرها قليل من المؤمنين. يرفض بعض الباحثين (مثل ارنست رينان في كتابه «اصول المسيحية» Les origines du christinisme», 1,16 (version portugaise) منقوشة في تيفولي التي تتكلم عن احصاء تيفولي التي تتحدث عن احصاءين اثنين قام بهما كيرينيوس. (خلافًا لما ورد في كتاب الأب جبرائيل فرح البولسي «يسوع في التاريخ» ص ١٣٥).

١٨ - «هذه علامة لكم: تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود»
(لوقا ٢: ١٢)

يمكن في التأمل في الميلاد وفي الايات ١-٤ و ١١-١٢ ان يدعو الرعاة المؤمنين الى التفكير في غرائب تلك الايات:

- اوغسطس قيصر - وهو انسان - يأمر رب المجد.
- يوسف من آل داود الملك وهو نجار فقير. السبب هو تدهور الاسرة المالكة خصوصاً بعد تعدد زوجات سليمان وانقسام المملكة... .

- العلامة لميلاد الرب المسيح المخلص الالهي السني المجيد هي طفل في مذود اي معلف للحيوانات!

١٩ - «كانت مريم تحفظ هذا الكلام كله وتتفكر به في قلبها»
(لوقا ٢: ١٩)

في ترجمة «العالم الجديد» المحرّفة التابعة لبدعة «شهود يهوه» تلاعب بالنص بحيث يخف المديح لمريم. بدل «كانت مريم تحفظ... وتتفكر» ترجموا: «بدأت مريم تحفظ... وتتفكر...»
«Mary BEGAN to preserve...»

٢٠ - «هوية» جديدة - او قديمة - لسمعان الشيخ (لوقا ٢: ٢٥)

ابتلينا فيما ابتلينا به في الارض المقدسة بمؤسسات «باطنية» تفسّر الانجيل وسائر الكتب المقدسة بأفكار «غنوصية جديدة» ولا تستبعد التقمص او تناسخ الارواح. بناء على إحدى تلك النظريات يكون «سمعان الشيخ» تقمصاً جديداً لإبراهيم ابي الاباء الذي قال فيه يسوع (يوحنا ٨: ٥٦): «إبراهيم ابوكم ابتهج حتى يرى يومي، فرأى وفرح». فحسب هذا التفسير «الغنوصي الجديد» الذي ينشره بعض القوم في الارض المقدسة ما «سمعان الشيخ» سوى تقمص لروح إبراهيم!

٢١ - «وانت يا بيت لحم ارض يهوذا لست الصغيرة في الوف يهوذا» أم «انت الصغيرة...»؟

ورد في ميخا ١: ٥ «وانت يا بيت لحم افراتا الصغيرة في الوف يهوذا...»، لكن في متى ٦: ٢: «لست الصغيرة...». يستنتج بعض النقاد غير المسيحيين ان «الانجيل محرّف» بسبب هذا الاختلاف (وغيره).

- التفسير المنطقي، من العقل السليم: ان كانت بيت لحم صغيرة جغرافياً وطوبوغرافياً وسياسياً، فأنها ليست صغيرة معنوياً وروحانياً لأنها ستنجب المسيح المنتظر الرب.

- التفسير العلمي: ان القديس متى، مثل ابناء عصره وقومه، كان لا يتقيّد بالحرفيّة ويأخذ المعنى العام.

- يمكن ايجاد «تفسير»: مع ان علمياً ولغوياً لا فائدة ولا ضرورة للفظ «كونك» في الاصل العبري «تساير لهيوت»- في الكلام عن بيت لحم - غير أنه يمكن، افتراض ما يلي: مع كونك الصغيرة غير ان منك يخرج المدبّر... كقولك في الفرنسية «Tu as beau ETRE la plus petite; ou petite...»

- راجع الكتاب اليوناني «تفسير المواضع الصعبة في الكتاب المقدس»، لنقولا سوتيروبولوس، المجلد الاول، ص ١٥-١٨، اثينا ١٩٨٥.

٢٢ - «اخبروني كي اذهب انا ايضاً وأسجد له» (متى ٢: ٨)

«اسجد له»: الفعل اليوناني هو «بروسكينيو» يشير الى السجود، ولكن الترجمة المحرّفة لـ «شهود يهوه» تشوه الفعل في كل مرة يكون فيه السجود ليسوع وتضع بدله «ادّوا (ليسوع) الولاء Did obeisance to him». ولكن عندما يدور الكلام عن الله - يهوه (الذي ليس يسوع في نظرهم) او حتى الشيطان نفسه يترجمون الفعل بـ «سجد» (راجع ترجمتهم «العالم الجديد» ل متى ٩: ٤ حين يطلب المجرب الخبيث ان «يسجد» له - «Se prosterner, faire un acte d'adoration». كذلك في مواضع اخرى كثيرة.

٢٣ - «كي يتم ما قيل بالأنبياء: انه يدعى ناصرياً» (متى ٢: ٢٣)

ان قول الانجيلي «الأنبياء» في صيغة الجمع يدل على انه لا يستشهد بنص واحد معيّن بل انه يلخص ما ورد في نبوات شتى. اية نبوات؟

ان لفظة «نزورا يوس» اليونانية قد تشير الى:

أ- «نزير» بالعبرية اي «المنذور» حسب قضاة ١٣: ٥-٧

ب - «نيتسر» «اي فرع» من شجرة يسمّى حسب نبوءة اشعيا ١١: ١.

ج - «نيتسار» «اي» «حرس»، حسب اشعيا ٦: ٤٢ و ٨: ٤٩، ومنها «نتسار» = البقية.

٢٤ - «لما بلغ يسوع اثنتي عشرة سنة» (لوقا ٤: ٢٢)

ربما يفيد الحديث عن طقس ال «بار ميتسباه» عند اليهود. عندما يبلغ الفتى تقام له احتفالات خصوصية ويسلم ملف التوراة دلالة على

انه اصبح رجلاً ذا مسؤولية في الجماعة الدينية والمجتمع الانساني . قد يكون في كلام الانجيلي اشارة الى هذه الحفلة للفتى يسوع . . .

٢٥ - «ان اباك وأنا كنا نطلبك متوجعين» (لوقا ٢: ٤٨) . هذه الكلمات تدل على حكمة سيدتنا مريم العذراء التي تخفي عن «طفلها» او «صبيها» حبها البتولي وتنعت مار يوسف بأنه «اب يسوع» .

٢٦ - اين ذهب يسوع من سن ١٢ الى ثلاثين سنة؟

للرد على هذا السؤال راجع كتاب جورج لمزا (تعريب إبراهيم سلامة خوري): «السنوات» «الخفية» في حياة سيدنا يسوع المسيح السنية .
ايضاً مقال للأب مدروس: «التفسير» «الباطني» للكتب المقدسة . . .

٢٧ - لماذا نعتمد ونحن صغار والمسيح تعمّد كبيراً؟
الرد: في «الجواب من الكتاب» وملخصه «من وحي الكتاب المقدس» . . .

ب - حياة يسوع العلنية:

١- يوحنا المعمدان: صوت صارخ للملكوت

اولاً- هوية يوحنا ابن زكريا:

مسألة اثبتت: هل كان يوحنا من «الاسينيين»؟ هنالك عناصر تحبذ هذا التقارب مثل وجود المعمدان حول البحر الميت وتكشفه وزهده . . . ولكن ما القول في معموديته؟

كانت جماعة قمران مكثرة من الوضوء ولكن معمودية يوحنا موجهة الى الخاطئين . وكان الاسينيون بشكل عام - على تبتلهم وحرصهم على النقاوة الخارجية والداخلية شديدي الاحتقار للخطاة وذوي العاهات وما كانوا يقبلوهم في الجماعة . وربما كان هذا الفرق جوهرياً قاطعاً في شأن انتماء يوحنا الى الاسينية او ربما ثار هو على ذلك الاحتقار . . .

ثانياً - «صوت صارخ في البرية...»

يجب تشكيل اولى الكلمتين لأن المؤمنين قد يقرأونها: «صوت صارخ» (بالتنوين في الحالتين) ولكن الصحيح هو: صوت رجل صارخ يصرخ.

القديس متى تبع هنا «ترقيم» الترجمة السبعينية اليونانية التي تضع وقفة بعد «في البرية» فيصبح مجري الكلام: صوت صارخ في البرية... في حين ان النص العبري الاصلي في اشعيا ٤٠: ٣ يقف قبل «صوت صارخ في البرية».

- حل توفيقى: ان يوحنا المعمدان يصرخ في البرية ويطلب كما ورد في اشعيا ان يعدّ الناس ولا سيما الخاطئون طرق الرب في البرية فيأتوا اليه في الصحراء المادية ويستمروا في استعدادهم لمجيء الرب في «البرية» المعنوية اي التقشف والتوبة...

ثالثاً - «توبوا»:

هذا هو السبيل الامثل لإعداد طرق الرب. من الجميل تبيان اصل هذا الفعل وهذه العبارة في سبيل حياة روحانية عميقة عند المؤمنين. الاصل الارامي «توب» «والعبري» «شوب» اي «رجع تاب آب تاب» اي ارتد عن الشر وقفل راجعاً الى الله والى الخير ولسان حاله قول الابن الشاطر: «اقوم (فالخطيئة ركود ورقاد، خمول وتخدير وسبات) وأمضي (= اي اعود) الى ابي» (لوقا ١٥: ١٧).

اما الفعل اليوناني فهو «ميتانوين» المكوّن من «ميتا» اي «تغيير إنقلاب» و«نوين» وهو التفكير والاحساس الوجداني. معنى الفعل «توبوا» هو «اقلبوا افكاركم وتصرفاتكم» اي غيروا مفاهيمكم: ما تضعونه في الاول - مثلاً الامور المادية - ضعه في الاخر، وما لا تعيرونه اهتماماً من شؤون الروح ضعه في رأس قائمة عنايتكم...

٢ - «ملكوت السموات» (متى ٣: ٣)

الله هو الملك والمسيح المنتظر. هو الملك كما ستهدف الجماهير مَرَحَبَة يسوع يوم النخل (مرقس ١١: ١٠ لوقا ١٩: ٣٨).

«ملكوت» الله. تعني هذه العبارة تسلطه بالمحبة والنعمة لا بالاكراه ولا بالوعيد - على قلوب الناس وعقولهم، بما انه «ملك العالم» وسيّد الخليقة التي اشتراها او افتداها بدمه (كولسي ١: ١٥ وتابع).

هذا الملكوت يأخذ صيغاً كثيرة منها:

- حياة النعمة في النفوس
- حفظ شريعة الإنجيل
- انتشار الإنجيل بين الشعوب (متى ١٣) اي الكنيسة...
- «ملكوت السموات»: نجد هذه العبارة فقط في انجيل متى. إن السماء لا تعني هنا الجلد الذي فوق اعيننا ولكنها كناية عن الله، تجنباً لذكر اسم الجلالة (راجع شتراك - بيلربيك، المجلد الاول ص ٢٤٥). نقول احياناً في العربية «استجابت السماء».

خاتمة

كانت هذه بعض نقاط سريعة ويا ليت الوقت يسمح بالأستمرار في جميع فصول الأناجيل الإزائية. وربما انعمت علينا العناية الإلهية سريعاً بأن نكشف الغامض من الآيات لمجد الله وخير النفوس. فعلاً، الكلام الذي كلّمنا به يسوع «روح وحياة».

* بيتر حنا مدروس. ولد في القدس سنة ١٩٤٩ رسم كاهناً سنة ١٩٧٢
حاز على اجازة في علوم الكتاب المقدس، على دكتورا في اللاهوت
الكتابي، على دكتورا في علوم الكتاب المقدس.
يدرس الكتاب المقدس في اكلييريكية بيت جالا (الاراضي المقدسة).
نقل المزامير الى العربية. وألف: الجواب من الكتاب (مع الاب يعقوب
سماده)، تحريف شهود يهوه للكتاب المقدس، من وحي الكتاب
المقدس، بولس الرسول والانسان...

الفصل الثالث والعشرون

الأبانا في تفسير تيودوروس المبسوطي

الأب موسى الحاج*

مقدمة

الكلام عن آباء الكنيسة يعود بنا الى القرون الاولى للمسيحية، أي من القرن الثالث وحتى اوائل القرن الثامن. هؤلاء الآباء هم لؤلؤة ناصعة في جبين الكنيسة، ورثوا عن الرسل والتلاميذ الكتاب المقدس وتقليد الكنيسة وتعاليمها، فكانوا علماء ولاهوتيين ورعاة وأيضاً آباء روحيين.

هؤلاء الآباء ارتكزوا أولاً وآخرأ على الكتاب المقدس، فاستوحوا تعاليمهم فدرسوها بعمق بهدف ايصالها الى الناس من أجل تثقيفهم للوقوف بوجه الاخطار الفلسفية واللاهوتية الخاطئة كذلك بالتصدي للبدع والهرطقات. منها على سبيل المثال حول الثالوث في القرن الرابع وحول سر المسيح الاله - المتجسد في القرن الخامس.

ماذا نعني بآباء الكنيسة؟

إنهم ينتمون الى عدّة مدارس، منها مدرسة الاسكندرية ومنها

مدرسة انطاكية، وهناك أيضاً الآباء السريان وآباء الكبادوك والآباء اللاتين. أما المدرستان الكبريان في تلك الحقبة فهما مدرستا الاسكندرية وانطاكية وكانتا على خلاف فكري وفلسفي بينهما. فكلّ منهما تبنت طريقة خاصة في تفسير الكتاب المقدّس، ممّا اذى الى سوء التفاهم والى التباعد. في انطاكية كان اللاهوتيون والمفسّرون أكثر ميلاً الى النظرة الارسطوطالية، ومهتمين بالحقائق الملموسة المرئية ويعتمدون على التفسير الحرفي للكتاب المقدّس باللجوء الى المعلومات التاريخية والتحليل العقلي والمقارنة بين اقوال الكتاب المقدّس والنظريات الفلسفية. ففي اقرارهم بالوهية المسيح كانوا ينظرون الى حياته الانسانية الارضية.

أما مدرسة الاسكندرية، فكانت أكثر ميلاً الى الافلاطونية والى التفسير التأويلي الرمزي للحقائق. فالأمر الذي كان يشدّ اهتمام اساتذة الاسكندرية في المسيح كان لاهوته أكثر من ناسوته. وكان هذا الاختلاف في الاسلوب المدرسي يزداد حدة بسبب النعرة العنصرية والتنافس على الكراسي الاسقفية.

القسم الأول: تيودوروس

أ - من هو تيودوروس المبسوطي (اسقف المصيصة)؟

لقد اخترت الاسقف تيودوروس لأسباب عديدة:

١ - لأنه الوجه الأكثر تمثيلاً لمدرسة انطاكية من حيث التفسير الكتابي، في حين ان صديقه القديس يوحنا فم الذهب كان الخطيب الاول لهذه المدرسة.

٢ - لأن هذا الاسقف لم يكن فقط مفسّراً وشارحاً كتابياً، بل أكثر من ذلك لأنه كان راعياً غيوراً ومحباً لرسالته ولشعبه.

٣ - لأنه في تعليمه ورعايته كان يركز على الانجيل الإزائية وعلى انجيل متى بنوع خاص. فهذا الانجيل يعطي النموذج الحي ويعلمنا كيف ننتمي ونعيش في قلب الكنيسة. وهو غني بالمواعظ

وبالتعليم ومفيد للموعوظين الذين يتأهبون لاكتشاف كل جوانب الحياة في الكنيسة.

٤ - لأن معظمنا ينتمي الى كنيسة انطاكية، اخترت تيودوروس، عارضاً طريقته التعليمية وشرحه الراعوي وبالتحديد لصلاة الابانا بحسب انجيل القديس متى.

ولكن وقبل ان نتعرّف الى شرحه للصلاة الربّية تعالوا نتعرّف سريعاً الى حياته ومؤلفاته.

ب - حياته ومؤلفاته:

أولاً - حياته

ولد تيودوروس في مدينة انطاكية سنة ٣٥٠ من عائلة غنيّة. تتلمذ مع يوحنا فم الذهب على يد لوقيانوس مدرّس البيان والبلاغة ومؤسس المدرسة الانطاكية.

اختار بعد ترّدّد الحياة الرهبانية سنة ٣٧٠ بعد ما قبل سرّ العمام المقدّس.

- سيم كاهناً سنة ٣٨٣ على يد فلابيانوس اسقف انطاكية. في فترة كهنوته، تتلمذ على يد ديودوروس اسقف طرسوس، وتشبّع من مبادئ التفسير الكتابي واللاهوتي. في هذه الفترة عُقد مجمع خلقيدونية أي سنة ٣٨١ وفيه اقرّ الالباء المجتمعون قانون الايمان كما نصّليه نحن اليوم.

- سيم اسقفاً سنة ٣٩٢ على مدينة مبسوطية او المصيصة كما نسّمّيها اليوم وهي مدينة تبعد ٣٠ كيلومتراً الى الشمال من مدينة انطاكية. بقي في الاسقفية حتى وفاته سنة ٤٢٨.

- بعد وفاته، وبسبب الجدل حول سرّ المسيح الاله - المتجسّد وبدعة نسطور الانطاكي، وبطريق القسطنطينية، اعتبر تيودوروس نسطورياً وأباً للنسطورية لأنه كان معلماً لنسطور، فهاجمه خصومه وخصوم النسطورية وحرّموه في مجمع القسطنطينية سنة ٥٥٣ أي ١٢٥

سنة بعد موته، فأحرقت كتبه اسوة بديودوروس الطرسوسي وهيبا الرهاوي.

- أمّا كنيسة فارس التي كانت تقع خارج الامبراطورية البيزنطية، فقد اعتبرت وما تزال، ان تيودوروس هو اللاهوتي الثابت الذي لا يحقّ لأحد ان يميل عن تعليمه. لذلك نجد في هذه الكنيسة اكثر المعلومات عنه وأهمّ اعماله الكتابية واللاهوتية.

ثانياً - مؤلفاته:

١ - الشروح: شرح معظم اسفار الكتاب المقدّس أي العهد القديم والجديد.

٢ - المؤلفات اللاهوتية: شرح قانون الايمان والاسرار وهي ما نسمّيها العظات التعليمية الست عشرة. وشرح كذلك سرّ التجسّد وتحدث عن الروح القدس وردّ على اصحاب البدع.

٣ - العظات التعليمية: هذه العظات تضمّ ست عشرة عظة. والعظات العشر الاولى تتطرّق الى قانون الايمان، والعظات الست الباقية تحدّثنا عن الابانا (عظة واحدة) وسرّ المعمودية (٣ عظات) والقداس الالهى (عظتان). النصّ الاساسي الذي وصلنا هو في اللغة السريانية وقد ترجم الى الفرنسية ومن ثمّ الى العربية على يد الخوري بولس الفغالي.

القسم الثاني: صلاة الابانا

١ - الابانا في عصر الآباء:

بعد شرحه لقانون الايمان يقول تيودوروس: «لقد انهينا البارحة، بنعمة الله، حديثنا عن النؤمن... واليوم يحسن ان نقول ما هو ضروري عن الصلاة التي سلّمنا ايّاها ربّنا... فهو الذي قال: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم بأسم الآب والابن والروح القدس». وزاد: «علّموهم ان يحفظوا كل ما اوصيتكم به» (متّى ٢٨: ١٩).

ويضيف: «لهذا، ارفق آبائنا النؤمن بالصلاة التي فيها تعليم كاف عن الآداب والتي اوجزها ربنا وسلّمها الى تلاميذه» (عظة ١١: ١).

صلاة الابانا او الصلاة الربّية كما سمّاها لأول مرّة القديس قبريانوس (+ ٢٥٨)، هي التي علّمها يسوع لتلاميذه بحسب انجيل متى ٩: ١٣-١٣ وهي تحتوي على سبع طلبات بالمقارنة مع صلاة الابانا عند لوقا ١١: ٢-٤ التي تحوي خمس طلبات. طلبات الابانا تقابلها من حيث المعنى والمبنى، الصلوات اليهودية ولا سيما «صلاة الطلبات الثماني عشر» التي لا يزال اليهود يتلونّها اليوم. والصلاة في انجيل متى هي من الاركان الثلاثة الى جانب الصدقة والصوم التي تقوم عليها التقوى اليهودية (فصل ٦: ١-١٧).

إن أول من شرح الابانا باسهاب هو ترتليانوس، في اوائل القرن الثالث. ومنذ ذلك الوقت أدخلت في ممارسة سرّ العمداد. وبعده القديس قبريانوس أي في النصف الثاني من القرن الثالث. كما شرح الابانا ايضاً معظم آباء القرن الرابع امثال اغسطينوس وامبروسيوس وادرجوها في اسرار التنشئة (العماد - الافخارستيا - التوبة) وكذلك في الذبيحة الالهية.

ففي قرطاجة مثلاً، كان على الموعوظين تعلّم الابانا والنؤمن غيباً واعلانها جهاراً امام المؤمنين اثناء قبول سرّ العمداد.

أمّا في اورشليم، فإن القديس كيرلس (+ ٣٨٦) كان يشرح هذه الصلاة اثناء الذبيحة الالهية، ويطلب من المؤمنين ان يتلوها بعد النافور وقبل التقدّم من المناولة.

يخبرنا دانيالو عن اهمية الابانا: في قرطاجة كان التقليد يقضي، بعد تلاوة الصلاة الربّية، بالعودة الى الذات والتوبة عن الخطايا وذلك في اسبوع الآلام.

وبما ان قاعدة الايمان لا تنفصل عن قاعدة الصلاة، وقاعدة الصلاة لا تنفصل عن قاعدة الحياة، ادرك الآباء بشكل عام اهمية

الصلاة الربية واعتبرها البعض انها مختصر الانجيل كله لأنها تعبر عن الايمان وتكون القاعدة الاساسية لعيش هذا الايمان وتطبيقه في الحياة اليومية.

٢ - الابانا في كتابات تيودوروس:

في عظمته عن الابانا، يتكلم تيودوروس عن الصلاة بصورة عامة وعن الابانا بصورة خاصة. فهي بحكم موقعها، أي بين عظات النؤمن وشرح الاسرار والذبيحة الالهية، بمثابة همزة الوصل والاساس، لأنها من جهة تتوج قانون الايمان، ومن جهة ثانية تعتبر ضرورية جداً للاستعداد لقبول اسرار العماد والتوبة والافخارستيا.

منذ بدء شرحه للأبانا، ينقل تيودوروس سامعيه الى العالم الروحاني. فأسلوبه العلمي يبدو واضحاً من خلال تفسيره هذه الصلاة للموعوظين، فيدربهم على العادات والاخلاق المسيحية لينضموا فيما بعد الى الجماعة المسيحية.

أما طريقة الشرح عنده فقوامها درس وشرح كل عبارة من الصلاة الربية وربط هذه التفسيرات بعضها ببعض لتأتي وحدة متماسكة. في هذا المقطع سوف اتناول هيكلية الابانا ولاهوتها بحسب تيودوروس.

اولاً - هيكلية الابانا الداخلية

ان أول من تناول تقسيم الصلاة الربية هو ترتليانوس الذي قال: «ما اروع الحكمة الالهية التي رتبت هذه الصلاة، فبعد أمور السماء تأتي أمور وحاجات الارض». أمور السماء يعني الطلبات الثلاث الاولى التي تتكلم عن تقديس اسم الله والملوك وعن مشيئة الله، أما حاجات الارض فهي الخبز والغفران والنجاة من الشرير.

وحده تيودوروس يعتمد تقسيماً جديداً ولو مشابهاً لترتليانوس (+ ٢٢٠) لكن الروح العلمية في التفسير الكتابي عنده تظهر هنا بوضوح. فهو يقسم الصلاة الى مقاطع ثلاثة: الاول يحوي الطلبات

الثلاث الاولى، الثاني يحوي الطلبة الرابعة فقط، والثالث يحوي الطلبتين الاخيرتين. فيقول: «في الطلبات الثلاث الاولى، يضع سيدنا تحديداً لمعنى الفضيلة، في الرابعة يثبت حدود همومنا، وفي الخامسة والسادسة يعطي يسوع الدواء لضعفنا»

من الناحية الادبية، يؤكد المفسرون المعاصرون بأن عمل الله يتم في الطلبات الثلاث الاولى حيث ان الفاعل هو إما الله وإما الانسان، بينما في القسم الاخير تستعمل صيغة المتكلم في الجمع، فتجتمع المؤمنين الأفراد في جماعة واحدة.

ثانياً - لاهوت الصلاة الربية:

- مقدمة:

يعتقد تيودوروس بأن الحياة الحقيقية يجب ان تترافق مع الصلاة الربية. لأن هذه الصلاة هي مختصر رائع لعقيدة الفداء وللحياة المسيحية. فيقول: «لقد استعمل ربنا هذه الكلمات الوجيهة وكأنه يريد أن يقول إن الصلاة لا تقوم بالكلام، بل بالممارسة والحب وفعل الخير، لأن الذي يميل الى الخير عليه أن يحيا حياته كلها في الصلاة... في سبيل تحسين السلوك» (١١: ٣).

والصلاة هي تعبير صادق عن محبتنا للآب السماوي، وتضعنا امام حقيقة ما سوف نعيشه يوماً مع الرب. فكلمة «أبانا» تؤكد ان الله بحبه الأبوي، قريب من البشر، ونعترف بقوته تعالى وبشخصه الحاضر فيما بيننا بما انه الخالق والصانع الكل.

يركز تيودوروس تعليمه في تفسيره على شخص يسوع المسيح، الانسان الذي يعمل ويأكل ويصلي ويتألم، وفي هذا تركيز على الفكر الانطاكي كما ذكرت، أي بالاهتمام بالناسوت وبحياة يسوع الانسانية الواقعية ليصل فيما بعد الى الحالة الروحية.

واللافت ايضاً في هذه التفاسير، ان تيودوروس يركز في

استشهادته على العهد الجديد. سبع آيات من اناجيل متى ولوقا ويوحنا، وثمانى آيات من رسائل مار بولس للعبانيين، أما بالنسبة الى العهد القديم، فإنه يستعمل آية واحدة من المزمور ٨١: ٦ التي تقول: «انكم الهة، وبنو العلي كلكم، ألا انكم مثل البشر تموتون».

قلة الاستشهادات في العهد القديم يعود الى اعتماد التفسير الحرفي والتاريخي الذي تمتاز بهما المدرسة الانطاكية.

٢ - الشرح اللاهوتي:

الطلبة الاولى: ابانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك.

يقول تيودوروس: «قبل كل شيء، يجب ان تعرفوا ما كنتم وما صرتم اليه، وما هي الموهبة التي نلتموها من الله وما اعظمها» (٧: ١١). يشدد على ان مسلكنا الماضي كان بالعيش تحت نير الشريعة، أما الآن فقد نلنا نعمة الروح القدس التي تجعلنا نهتف «آبا» «يا ابانا». لقد أعطينا نعمة التبني لأن لنا أباً واحداً في السماء. ويضيف قائلاً: «بعد أن فهمتم نبلكم والكرامة التي فيها تشاركون بأن تكونوا ابناء الآب، تتصرفون على هذا الشكل الى النهاية». يركز تيودوروس هنا على هذه الصلاة التي ليست عقيدة إنما هي حضور لله يتجلى من خلال عيشنا لهذا الحضور. لذلك فإنه يذكر الآية ٦ من المزمور ٨١ وهي «قلت انكم آلهة».

وعن السماوات يقول: «انها المقرّ اللائق بأبناء الله. حيث أعطي لنا أن ننقل يوماً اليها. بعد ما نلنا التبني صرنا مواطني السماء».

وعن عبارة «ليتقدس اسمك». بالنسبة اليه يتمّ التقديس على مرحلتين. الاولى بالآ نجّدف على اسم الله القدوس. والثانية بأن يستقيم سلوكنا وان نأتي اعمالاً تليق بأسم الله لكي من خلالنا يمجّد الجميع اسم الله.

الطلبة الثانية: ليأت ملكوتك.

هنا يعطي تيودوروس معنى اسكاتولوجياً للملكوت. فالصلاة برأيه

تعجل بمجيء الملكوت الذي دشنه المسيح. الملكوت يعبر عن محبة الله لنا، ولكي نستحقه، علينا ان نعمل ما يوافق حياة السماء وألاً نأبه لأمر الأرض والاهتمام بها، فيقول: «ونحن ايضاً المدعوون الى ملكوت السماوات، لا يجوز ان نهمل آداب السماء وما يليق بالحياة الاخرى لنستسلم لتجارة هذا العالم حيث اعمال الاثم. فكيف يكون هذا وكيف نتصرف تصرفاً جديراً بشرف ابينا السماوي» (١١: ١١)!

وقبل ان يشرح تيودوروس الطلبة الثالثة عن مشيئة الله يقول: «ولكن كيف نبتغي تصرفات السماء وماذا يجب ان نعمل لنمجد اسم الله؟»

طلبة ٣ - لتكن مشيئتكم كما في السماء كذلك على الأرض (١٢: ١٣-١٣)

يطرح تيودوروس سؤالاً مزدوجاً: من جهة، ماذا تعني مشيئة الآب؟ ومن جهة ثانية، لماذا التركيز على الأرض كما في السماء؟

الجواب: ما قيل عن اسم الله يقال كذلك عن مشيئته وملكوته. لا شيء يمنع مشيئة الآب من ان تتم. كل المؤمنين يطلبون ذلك من الله في صلاتهم. يرى تيودوروس ان هذه الطلبة هي ايضاً اسكاتولوجية وتجعل من الناس ومنذ الآن صانعي مشيئة الله في الحياة الابدية. ويقول: «المطلوب منا اذاً في هذا العالم، هو ان نثبت ما امكن في تميم ارادة الله ولا نحيد عنها، وكما أننا نؤمن أن إرادة الله تملك في السماء، هكذا علينا ان نتمسك بها ونحن على الأرض كما يقول بولس الرسول: «لا تتشبهوا بهذه الدنيا، بل تبدلوا بتجدد عقولكم، لتميؤوا ما هي مشيئة الله وما هو صالح وما هو مرضي وما هو كامل» (روم ١٢: ٢).

اذن هذه الطلبة هي دعاء الى الله كي نتبع المسيح بسماع كلمته والعمل بمشيئته هو. ونبقى هكذا مشدودين بين العمل بارادة الله وعامل الزمن والتاريخ. فلنثابر ولنتابع الجهاد حتى تحقيق ملكوت الله النهائي وذلك بأن نحترق أمور هذا العالم وان نجتهد ان نتمثل بأمور العالم الآتي.

طلبة ٤ - اعطنا خبزنا اليوم كفافنا (١٤: ١١)

إن تيودوروس وكذلك الخطّ الانطاكي ومعهم أغسطينوس، يأخذون بحرفيّة النص ويعتبرون ان هذه الطلبة تعني الخبز اليومي بقدر ما يعني الخبز السماوي.

ينطلق تيودوروس من حاجة الانسان الاساسية ألا وهي الخبز اليومي، ويعتبرها الطلبة الوحيدة المادية في صلاة الابانا. ربّما لأنه يشرحها للموعوظين الذين لم يقبلوا بعد سرّ العماد، فكيف يمكن ان يكلمهم عن الخبز السماوي؟

وكلمة اليوم يشرحها تيودوروس ويقول: «انها تعني الآن». فالكتاب المقدس يسمّي «اليوم» ما هو حاضر او وشيك: «اليوم اذا سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم» (عب ٣: ٧). وهذا يعني اننا ما دمنا في هذا العالم، فلنفكر أننا سامعون ابدأ هذه الكلمة. وكذلك كلمة «كفافنا» فأنها تحدّد حاجتنا اليوم الى الخبز.

طلبة ٥ - اغفر لنا ذنوبنا (١٥: ١١)

بسبب ضعف الطبيعة البشرية وضعف الارادة، يقول تيودوروس بأنه من الصعب ان نبقي دون خطيئة. لقد اعطانا الرب الدواء لهذا الضعف في طلب المغفرة. فالكتاب يعتبر ان هذه الخطايا كلها عن غير ارادة، لأن من يسعى الى الخير يهتمّ بالتخلّص من الشرّ ولا يسقط برضاه. ومن المؤكد، يقول تيودوروس، ان خطايا مثل هذا الرجل ليست عن ارادة وانه سينال حتماً المغفرة.

طلبة ٦ - كما نحن نغفر لمن اساء الينا (١٦: ١١)

يعتقد تيودوروس بأن هناك عهداً بين الله والانسان. فهو يوضح امام الموعوظين اهمية هذه الطلبة خاصة وان الآية بعد صلاة الابانا في انجيل متى تتكلّم عن ضرورة الغفران المتبادل فيقول: انه علينا ان نركع ونتضرّع لله ونستغفره، كذلك نحن ايضاً نغفر لمن اساء الينا ويستغفرونا... فلنقبل بمحبة كل الذين اساءوا الينا وآلمونا بنوع من الانواع.

طلبة ٧ - ولا تدخلنا في تجربة (١١: ١٣-١٨)

التجارب كثيرة ومنها الجسدية كالألم الجسدي ومنها الروحية كالخطايا وكلها تجارب تضعف ارادتنا. ويذكر هنا التجارب من قبل اخوة لنا في الايمان الذين يعرضون الناس للشك والخطيئة (متى ١٨: ٦) نطلب في الصلاة ان ننجو منهم ومن الشرير. والشرير هنا هو الشيطان في نظر تيودوروس، الذي يتلبس بحيل كثيرة ومتنوعة ليخرجنا ويبعدنا عن التعلق بواجبنا.

(ربما اخذ بالمفرد حسب تث ١٧: ١٢ = الشرير، والتي ترد اقل في العهد الجديد متى ١٢: ٣٥: ١ كور ٥: ١٣. هكذا فهمت كنيسة اليونان هذه الآية من صلاة الابانا)

ويختتم تيودوروس شرحه للصلاة باعتبارها الطريق نحو الكمال الادبي وما يجب ان نسعى اليه ونطلبه من الله. فكما أن الايمان يعلم التعليم المستقيم كذلك صلاة الابانا، فأنها ضرورية لاقترب الموعوظين من المعمودية لتنظيم حياتهم ليحيوها بالفضيلة بعدما سجلوا اسماءهم في مدينة الارض وعمدوها بالاخلاق المسيحية.

ثم يشدد تيودوروس في تعليمه على أن الصلاة الحقيقية هي بالضرورة ثالوثية. إنها موجهة نحو الآب مع الابن ويفعل الروح القدس.

خاتمة

ونختتم تعليم تيودوروس عن عظة الابانا بنقاط ثلاث:

- ١ - في المرحلة الاولى من تفسيره يركز على التعليم الكتابي
- ٢ - مع انه المفسر الاول لمدرسة انطاكية من حيث الخط الحرفي، نراه احيانا يستعمل الرمز اسوة باباء الاسكندرية (الحياة الروحية على الارض هي رمز للحياة مع الله)
- ٣ - تعليم الاسرار يشتمل على الكتاب المقدس واللاهوت والليتورجيا.

اذن، التعليم يبدأ أولاً بالتفسير، يتناول الواقع، توضع الحقائق واضحة امام طالب العماد ومنها: أحداث تاريخ الخلاص - عناصر الرمز، الطقوس والاسرار، كلّ هذا يقوم بالتعليم واكثر من ذلك من خلال التربية الايمانية. فلايمان يولد الرجاء؛ والرجاء يفتح آفاقنا على المحبة. وهنا يقول اغسطينوس: «كل ما تعلّمون، اعطوه (علّموه) بطريقة ان من يسمعكم يؤمن بالاصغاء، يترجى بالايمان ويحب بالرجاء».

فالمبسوطي يتبع في شرحه هذا خط القديس كيرلس الاورشليمي، أي انه يركّز على المعنى التعليمي. فنراه يكلم مستمعيه وكأنه يتوجّه الى عائلة وهو يعرف اخطاءها وانحرافاتهما. والفاظه لا تخلو احياناً من النقد اللاذع الذي وجهه ضدّ اصحاب البدع والهرطقات.

صلاة الابانا هي الصلاة التي على كل مؤمن ان يتلوها دون انقطاع. فهي لا تعطي ثمارها الا بقدر ما تلاقي صدى في مجمل حياتنا. فزمن الملكوت قد ابتدأ وسوف يكتمل يوم يعود الرب بالمجد. انها صلاة تجعلنا ندخل الحياة الابدية ونستعدّ للتحوّلات الكبيرة عندما تصبح الارض سماء حسب تعبير اوريجانوس. فعلياً منذ الآن التخلّق بخلق المسيح وان تطابق اعمالنا حياة ابناء السماء، لأن الابانا تنقلنا من عالم متحوّل وزائل الى عالم ثابت وازلي.

* الاب موسى الحاج. تلميذ رومة، وتلميذ معهد الفرنسيسكان في القدس. استاذ في جامعة الروح القدس في الكسليك وخادم رعية انطلياس وامين سر التحرير في مجلة «حياتنا الليتورجية».

الفصل الرابع والعشرون

إستعمال المعجزات في الأناجيل في أحد كتب التعليم المسيحي

الأخت أنطوانيت عربش
من راهبات القلبين الأقدسين*

يندرج التعليم الديني في سورية ضمن مناهج التعليم الرسمي ويشكّل مادة إمتحان رسمي في معظم الأقسام إبتداءً من الصف الثالث الإبتدائي وحتى الصف الثالث الثانوي (بكالوريا). وضعت محتوياته لجنةً مسكونية أوكّلت أمانة السر فيها إلى حضرة الأب فيكتور شلحت اليسوعي، وتضم ممثلين عن مختلف الطوائف المسيحية في سورية (الروم الأورثوذكس، السريان الأورثوذكس، الكنيسة الإنجيلية، والطوائف الكاثوليكية) وبتكليف من وزارة التربية. بدأت هذه المناهج بالصدور لأول مرة إعتباراً من العام الدراسي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ وما زالت متداولة في المدارس حتى يومنا هذا. كما وقامت اللجنة المركزية للتعليم المسيحي في سورية بوضع كتاب «أتعرف إلى يسوع» للصف الأول الإعدادي، أشرفت على تحقيقه وتنفيذه جمعية التعليم المسيحي بحلب وبإشراف الأب فيكتور شلحت، وقد ظهرت الطبعة المنقحة لكتاب المربّي عام ١٩٩١، ودفتر النشاطات الدينية للطلاب عام ١٩٩٢. وقد استُوحيت مفردات الكتاب من البرنامج الصادر عن مجلس بطاركة وأساقفة الطوائف الكاثوليكية في لبنان.

ورد موضوع المعجزات في الباب الثالث من كتاب «تعاليم الديانة المسيحية» للصف الأول الإعدادي الذي طُبِع لأول مرة عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣. تتوسط المعجزات المنهاج، فتسبقها بصورة عامة دروس في العقيدة المسيحية، وتليها التطويبات ثم الكرازة الرسولية. يتضمن هذا الباب دراسة أربع معجزات هذا مضمونها:

- (١) سير يسوع على المياه (متى ١٤/٢٢ - ٣٣).
- (٢) شفاء المعذّب المصاب بالصرع (مرقس ٩/١٤ - ٢٨).
- (٣) الصيد العجائبي (لوقا ٥/١ - ١١).
- (٤) قيامة لعازر (يوحنا ١١/١ - ٤٤).

أما كتاب «أتعرّف إلى يسوع» الذي تصدره جمعية التعليم المسيحي بحلب فيتضمن ١٩ لقاء، تدرج العجائب بينها في اللقاءين ١٦ و ١٧ لتوضح عمل السيد المسيح الخلاصي. وذلك بعد أن يكون الطالب قد تعرّف إليه كمخلص إنتظرته الشعوب وهيات له شخصيات العهد القديم، كمخلص أعطانا تعاليمه في الإنجيل (التطويبات) وأعلن عن حلول الملكوت بالأمثال والعجائب.

ما سنعرضه هنا هو منهاج التعليم المسيحي للصف الأول الإعدادي إنطلاقاً من الطبعتين الرسمية والخاصة.

ففي المنهاج الرسمي، يتلقن الطالب العقائد الأساسية المتعلقة بالملكوت والنعمة الإلهية والمجيء الثاني للمسيح والحياة الأبدية (الباب الأول). ثم يتعرّف الطالب إلى بعض الأمثال التي توضح علاقات الإنسان بالله وبأخيه الإنسان (المديون القاسي القلب - المدعوين إلى العشاء - الوزنات والكرامين القتلة) (الباب الثاني). بعد هذا يندرج موضوع العجائب الأربعة المذكورة أعلاه (الباب الثالث) وتليها التطويبات (الباب الرابع) وأخيراً الكرازة الرسولية (الباب الخامس). أما تسلسل اللقاءات في المنهاج الحديث فقد ذكرناه أعلاه.

لا شك في أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين موضوع العجائب وسائر

موضوعات المنهاج ولو أن التسلسل في المنهاج الحديث بدأ أكثر منطقية مما هو في البرنامج الرسمي. فالعجائب مرتبطة دائماً بتعاليم السيد المسيح (التطويبات)، وهي علامات بأن مجيء ملكوت الله وشيك لا بل إن هذا الموعد قد حلّ بمجيئه. وقد نقول: يشبه ملكوت السموات أعجوبة كذا وكذا...

كيف عالج المؤلفون موضوع العجائب؟

يبدأ الباب الثالث للكتاب بتمهيد يلخص في أربع نقاط ما تتوسّع فيه الدروس:

أولاً: ما هي الأعجوبة؟

إنها حدث خارجي وحسي يلاحظه الجميع ولا يستطيع أحد أن يفسّره تفسيراً علمياً. لا يقدر أن يأتي بها إلا الله وحده.

ثانياً: عجائب السيد المسيح

تقسم العجائب إلى أربعة أنواع:

(١) السيطرة على عناصر الكون: المشي على المياه - تهدئة العاصفة - الصيد العجائبي.

(٢) طرد الأرواح الشريرة: المعذب المصاب بالصرع.

(٣) شفاء المرضى: فتح عيون العميان، وإقامة المقعد.

(٤) إحياء الموتى: لعازر، ابن أرملة نائين.

أما أعظم عجائب يسوع ومفتاحها فهي قيامته بقدرته الإلهية من بين الأموات في اليوم الثالث ودعوته إيانا إلى حياة جديدة. وقد خصّص لهذا الموضوع لقاء موسّع لا في المنهاج الرسمي بل في الكتاب الجديد «أتعرف إلى يسوع» الذي صدر بعد عشرين سنة مثقلاً بخبرة واضعيه المنهجية والتربوية.

ثالثاً: لماذا صنع يسوع العجائب؟

(١) عجائب السيد المسيح تبيّن أنه ابن الله.

(٢) توضح أقواله وتعاليمه.

(٣) تشير إلى حضور الملكوت بين البشر.

رابعاً: العجائب والإيمان.

العجائب التي صنعها يسوع هي علامات وإشارات تدعو الناس إلى الإيمان به. إنه المسيح المنتظر، إنه ابن الله، لكنها لا تولد الإيمان بصورة آية. فلا بد من أن يكون المُشاهد لها مستعداً لقبولها مفتحاً على الله مرحباً بنعمته لكي تفعل فيه. فالسيد المسيح كان يصنع العجائب أمام الجماهير لكي يحرضَ النفوس المفتحة على الإيمان بشخصيته الإلهية، وليثبت في الإيمان من توافرت فيهم استعدادات التقرب إلى الله والإستسلام له. لقد قال لكل من شفاه: «إيمانك خلّصك، أبرأك» (لوقا ٨/٤٨). أما من لم تتوافر لديهم هذه الاستعدادات فكان يسوع يرفض أن يصنع لصالحهم أية معجزة أو آية: ففي الناصرة لم يصنع كثيراً من القوات من أجل عدم إيمانهم (متى ١٣/٥٨).

المنهجية أو الأسلوب في شرح العجائب

تكاد الخطوات الرئيسية المتبعة تتشابه في عرض العجائب الأربع التي يتضمّنُها المنهاج الرسمي. لذا سنقتصر على ذكر النقاط الهامة والمغزى المقصود من كل معجزة.

النموذج الأول: السيطرة على عناصر الكون: سير المسيح على المياه (متى ١٤/٢٢ - ٣٣)

(١) تحليل المعجزة وتقسيم النص إلى أربعة أجزاء أو مشاهد:

- أ - صلاة يسوع على الجبل ومجابهة التلاميذ للعاصفة.
- ب - سير يسوع على المياه وذعر التلاميذ.
- ج - سير بطرس على المياه وارتياحه وغوصه في الماء.
- د - إعتراف التلاميذ بأن يسوع هو ابن الله.

(٢) المغزى: يعلّمنا يسوع من خلال هذه المعجزة أموراً روحية

عديدة أهمها:

أ- إن حياة المسيحي تكتنفها الشدائد، لكن لا داعي للخوف والقلق لأن المسيح يسهر علينا.

ب- إن المسيح سيد العناصر الطبيعية والمتمكن من السيطرة عليها.

ج- إن الإيمان بالمسيح يمكن المسيحي من القيام بأمور مستحيلة في حين أن الشك فيه يوقعه في الأزمات.

د- إن المسيح هو إبن الله.

٣) الخلاصة العملية:

بعد توسيع النقاط الأربع المذكورة ينتهي الدرس بخلاصات عملية توجيهية وبعض النصائح الخلقية تليها أسئلة لترسيخ المعلومات وإتخاذ المواقف الشخصية.

لا شك في أن الأسلوب المتبع في شرح هذه المعجزة وغيرها كما في بقية الدروس، هو أسلوب تعليمي مألوف يعتمد على تلقين الطالب التعاليم الدينية التي تنطوي عليها النصوص. إلا أنه لا يترك للطالب أية فرصة لاكتشاف أبعاد الأعجوبة في حياته الشخصية، أو ما ترمز إليه في حياة يسوع وتعاليمه. فأعجوبة تهدئة العاصفة (والسير على المياه) مثلاً تبرز لنا رمزية المياه التي تجرف معها الشر وتذكرنا بانتصار الله على الخواء في التكوين، كما تذكرنا بأحداث الخروج (البحر الأحمر والأردن).

النموذج الثاني: طرد الأرواح الشريرة: المعذب المصاب بالصرع (مر ٩/١٣ - ٢٨).

١) تحليل الأعجوبة: نقسمها إلى ثلاثة أقسام:

أ- وصف حالة الصبي النفسية وعجز التلاميذ عن طرد الروح الشريرة.

ب- توسل والد الصبي إلى يسوع وإيمانه به.

ج- طرد يسوع للروح الشريرة المستولية على الصبي وسبب عجز التلاميذ.

(٢) المغزى: يتضمن أموراً دينية عديدة أهمها:

أ- إن عجز التلاميذ ناتج عن قلة إيمانهم.

ب- إن ليسوع سلطاناً على الشيطان والخطيئة.

ج- إنه لا بدّ من الإيمان والصوم والصلاة للتغلب على الشيطان في التجارب.

(٣) الخلاصات العملية والأسئلة.

هذا ما نجده في المنهاج الرسمي الذي يتبع نمطاً معيناً في عرض المواضيع.

أما في الكتاب الحديث «أتعرف إلى يسوع»، فنلاحظ أن الأسلوب المتبع يختلف تماماً عن سابقه، لكن المغزى واحد في جوهره، حياتي في انعكاساته.

فبعد تحديد الهدف في عرض هذه الأعجوبة وهو أن يلمس التلميذ قدرة يسوع على روح الشر والخطيئة، وأنه لا بدّ من الإيمان والصوم والصلاة للتغلب على الشيطان في التجارب، يتبع المربي خطوات اللقاء بأسلوب حيوي يعتمد طرح الأسئلة مفتاحاً لمشاركة الطالب في فهم النص الإنجيلي وانعكاس صده في حياته الشخصية.

(٤) عناصر الموضوع:

أ- حالة المريض المصاب بالصرع.

ب- عجز التلاميذ الناتج عن قلة إيمانهم وتأنيب السيد المسيح لهم.

ج- ثقة الأب بالسيد المسيح وأهمية الإيمان للحصول على نعمة المعجزة.

د- المعجزة وحالة المريض المعافى حيث يبين المربي أن معجزة يسوع دليل على حضور الملكوت بيننا بقدرته على السيطرة على روح الشر والخطيئة، وعلى اشاعة الحياة والفرح.

هـ- الصوم والصلاة شرطان أساسيان للتغلب على الشر والخطيئة.

وأخيراً يحمل المربي التلميذ تدريجياً ومن خلال الأسئلة والنشاطات المختلفة على إستخراج.

الخلاصات العقائدية: إن يسوع هو المسيح إبن الله، وله سلطان مطلق على الشر والخطيئة، وإن ملكوته حاضر بيننا.

والخلاصات الحياتية: قد يكون في كل واحد منا روح أبكم، فماذا يشعر لو يقف أمام يسوع ليحدثه عن هذا الروح ويستقبل خلاصه في حياته.

نلاحظ من عرض الأعجوبة ذاتها في المنهاجين الرسمي والخاص أن هناك إختلافاً في الأسلوب فقط. ولا عجب من ذلك، لأن المنهاج الرسمي المعد منذ أكثر من عشرين سنة له طابع مدرسي يخضع الطالب فيه للإمتحان الخطي وتحصيل العلامات، وقد يوكل تعليم المنهاج إلى معلمين غير مختصين (وغالباً غير ممارسين دينهم) ان على الصعيد الديني أو المنهجي والتربوي والكرازي. أما المنهاج الخاص وقد أعد مؤخراً بعد سنين طويلة من الخبرة والممارسة، فهو عبارة عن لقاءات يحضرها بصورة واضحة كل من المربي والتلميذ ويشتركان معاً في اكتشاف المغزى الروحي والكتبي والحياتي للأعجوبة أو المثل... بالإضافة إلى ذلك لا توكل مهمة تنشيط الدروس إلا لمن تهيأ لمثل هذه المهمة في إطار مركز تأهيل ديني تشرف عليه السلطة الكنسية من خلال اللجنة المركزية للتعليم في سورية وما ينبثق عنها من جمعيات أو لجان محلية.

النموذج الثالث: الصيد العجائبي (لوقا ٥/١ - ١١)

ترتبط أعجوبة الصيد العجائبي، وهي الثالثة في المنهاج الرسمي، بدعوة التلاميذ الأولين وترتبط بإطار التبشير: إزدحم الجمع على يسوع لسماع كلمة الله. ولما انتهى تمت الأعجوبة في إطار هذا التعليم لتعزّزه، وتبين لنا قدرة كلام يسوع وسلطانه المطلق.

(١) أجزاء الأعجوبة: تلخص في ثلاثة مشاهد:

- أ - بطرس ورفاقه يكدّون طوال الليل دون أن يُصيبيوا شيئاً.
- ب - بناءً على كلمة يسوع يلقون الشبكة، ويصيبون سمكاً كثيراً.
- ج - يسوع يعدّ بطرس بأن يجعله صياداً للناس فيترك التلاميذ كل شيء ويتبعونه.

(٢) المغزى: تعلّمنا الأعجوبة أموراً دينية أهمّها:

- أ - قدرة كلمة يسوع وأهمية الإصغاء إليها.
- ب - الثقة بيسوع والطاعة لأوامره.
- ج - ضرورة إتباع يسوع الذي يدعونا لنساهم معه في نشر ملكوت التوبة والمحبة والسلام.

(٣) الخلاصة العملية: يسوع يدعوك... عليك أن تستجيب لدعوته وتعمل معه لبث روح المحبة والأخوة والتسامح في محيطك.

هذا ما ورد في المنهاج الرسمي، أما إذا ذهبنا إلى العمق فنحن نكتشف أن كلمة الله هي الفاعلة لا بل المسيح هو «كلمة الله» الفاعلة ولا أخرى سواها. «لقد تعبنا الليل كله... لكن بكلمتك القوي الشبكة». ونتساءل: ألم يكن السمك الكثير علامة تدل على مجانية الخلاص ووفrته لمن يسمع كلام الله ويعمل به؟

النموذج الرابع: إحياء الموتى: قيامة لعازر (يوحنا ١١/١ - ٤٤).

(١) الأجزاء: تقسم الأعجوبة إلى ثلاثة أقسام أو مشاهد:

- أ - يسوع يؤجّل ذهابه إلى بيت عنيا.
- ب - يسوع يتحدّث مع مرتا ومريم.
- ج - يسوع يقيم لعازر.

٢) المغزى: يركّز على ثلاثة نقاط:

أ- إنسانية يسوع. إنه الصديق المحب الذي يؤاسي أصدقاءه ويساعدهم. لقد بكى على لعازر وتأثر لمنظر أرملة نائين، وأعاد الطمأنينة والثقة إلى تلاميذه بعد القيامة.

ب - يسوع هو القيامة والحياة وله سلطان مطلق على الموت والحياة. فهو يُخرج لعازر من القبر، ويقيم ابن الأرملة، وينهض ابنة القائد يائير فوراً بعد أن لفظت النفس الأخير. «فكما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الإبن يحيي من يشاء»، (يوحنا ٥/٢١). «أنا القيامة، من آمن بي وإن مات فسيحيا».

ج - يسوع هو القيامة وضمن لقيامتنا. وهنا ندخل في جوهر إيماننا المسيحي الذي يصبح باطلاً إن لم نؤمن بقيامته. فقيامة لعازر إشارة مسبقة إلى قيامة السيد المسيح لا سيّما وأنها جرت بضعة أيام قبل الصلب والموت والقيامة.

يسوع يربط بين القيامة وبين الإيمان به: «أنا القيامة». «من آمن بي». يسوع يحض التلاميذ على الإيمان به: «إني أفرح أني لم أكن هناك لتؤمنوا». إنه القيامة، إنه مرسل من الآب: «قلت هذا لأجل الجمع الواقف حولي ليؤمنوا أنك أنت أرسلتني».

لم يتطلّع السيد المسيح فقط إلى قيامة لعازر بل أراد في هذه المناسبة أن يعلن لتلاميذه وللجمع أنه هو القيامة، وأنه مرسل من الآب، وأن عليهم جميعاً أن يؤمنوا به لتكون لهم الحياة.

على هذه التعاليم القيمة يطوي المؤلفون صفحات الباب الثالث للكتاب ليفتحوها على باب التطويبات دون أية إشارة إلى الارتباط القائم بين عجائب السيد المسيح وحدث قيامته العجيبة الذي يعطي هذه العجائب معناها الصحيح. هذا ما نجده موسعاً في الكتاب الجديد «التقي بيسوع»، في اللقاء السابع عشر.

النموذج الخامس: عجائب يسوع والحياة الجديدة.

(١) الهدف: أن يفهم التلميذ ان القيامة مفتاح يكشف عن المعنى الحقيقي لأعجوبة خروج الشعب من أرض مصر، وأن يدرك مدى العلاقة بين القيامة وعجائب يسوع، وبين القيامة والعجائب المستمرة في الكنيسة.

(٢) خطوات اللقاء:

- حدث حياتي، وأسئلة، وتدوين أجوبة.

- القيامة وعلاقتها بخروج الشعب من مصر: إن خروج يسوع من القبر يذكرنا بخروج شعب الله من أرض مصر، وهو رمز لقيامة المسيح مع كل ما تحمّل من أجل خلاصي. إنه خروج الشعب من الموت إلى الحياة، وتجسيد لمحبة الله التي لا تكتفي بأن تنقله من أرض إلى أخرى، إنما تسعى إلى إحياء ما في قلبه من جوانب ميتة ونقل قلبه من حالة الظلمة إلى حالة النور.

الأضواء التي تسلطها القيامة على عجائب يسوع

أ- قيامة يسوع عمقت إيمان الرسل بشخصه وشهرت عجائبه: «يا رجال إسرائيل، إن يسوع الناصري الذي أيّده الله لديكم بما أجرى عن يده بينكم من المعجزات والأعاجيب... أقامه الله وأنقذه من أهوال الموت» (أعمال ٢/٢٢).

ب- القيامة جعلت الرسل يشهدون جهاراً للمسيح ولمحبته للبشر التي ظهرت من خلال عجائبه: تسكين العاصفة، السير على المياه، الولد المصاب...

ج- القيامة أعطت الكنيسة القدرة على قراءة الآيات وفق إحياءات الروح المتنوعة: «وأما قائد المائة والرجال الذين معه يحرسون يسوع فإنهم لما رأوا الزلزال وما حدث، خافوا خوفاً شديداً وقالوا: «كان هذا ابن الله حقاً» (متى ٢٧/٥٤).

د- القيامة أعطت الناس الذين عاشوا مع المسيح الإيمان ليعترفوا جهاراً أنه ابن الله حقاً.

القيامة والحياة الجديدة: القيامة والصعود - القيامة والعنصرة.

(١) في ضوء القيامة لا بدّ من أن نرى في صعود المسيح، وهو خروجه من هذا العالم إلى الآب، فعل محبة غايته منح المؤمنين نعمة التمتع بالحياة ورؤية مجد الآب: «وأنا ان ارتفعت عن الأرض جذبت إليّ الجميع» (يو ١٢/٣٢). ما هو هذا المجد؟

- هو قدرة الله على غفران الخطايا: ولقيه يسوع في الهيكل فقال له: «قد تعافيت فلا تعد إلى الخطيئة لئلا تصاب بأسوأ» (يوحنا ١٤/٥) بهذا الغفران يتمتع الإنسان.

- هو القدرة على إرواء الجوع والعطش الروحيين: «أنا خبز الحياة من يقبل إليّ فلن يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يوحنا ٦/٣٥). وسيفرح المؤمن بهذا الإرتواء.

- إنه نور الآب الذي يتمتع به الإبن والذي نراه من خلال أعمال يسوع: «ما دمت في العالم فأنا نور العالم» (يوحنا ٩/٥).

- إنه إتحاد الإبن والآب كما عاشه المسيح على الأرض وأثبت حقيقته من خلال أعماله فأعطى المؤمن أن ينعم بهذا الإتحاد: «إن أحبني أحد حفظ كلامي فأحبه أبي ونأتي إليه فنجعل لنا عنده مقاما» (يوحنا ١٤/٢٣).

(٢) أعجوبة العنصرة هي من أجمل ثمار القيامة. كان لها من القوة والفاعلية ما جعل التلاميذ يحظون بسلطان المسيح على صنع العجائب.

الحياة الجديدة هي حياة العنصرة المستمرة في الكنيسة والتي تتجلّى بمحبة القديسين العمالة وبتوبة المؤمنين المستمرة، وكلّها إشارات إلى إستمرارية العجائب.

الخاتمة

(١) أعجوبة لا معجزة: نلاحظ في الكتابين الرسمي والخاص أن واضعي المنهاج آثروا كلمة عجائب، أعجوبة، على كلمة معجزة. وهذا اختيار إيجابي لأنه يغيّر تماماً ما اعتقدناه طويلاً بأن العجائب اختراق لقوانين الطبيعة. فعندما يقوم الله بعجوبة (أو يسمح بها) فإنه لا يخترق القوانين التي وضعها هو نفسه، بل يستخدمها: فالعجوبة تغيّر، تكثّر، وتشفي، لكنّها لا تخلق. إنها تسمو على قوانين الطبيعة، لكنّها لا تخترقها. ومن هنا نفهم أن المعجزة هي عمل خارق يعجز البشر على أن يأتوا بمثله. أما العجوبة فليست مجرد عمل خارق. إنما هي الإشارة إلى ما يثيره العمل الخارق في الإنسان من تعجب وتساؤل، وهي تدعو إلى الانتقال من واقع الحدث إلى ما قبله وإلى ما بعده، وإلى الإستفسار عن معناه، عن مصدره، وعن هدفه. فمع التعجب يوضع المشاهد المؤمن في موضع الحوار في حين أن المعجزة^(١) تُفحّمه وتضعه في موضع الصمت. فالعجوبة ليست برهاناً بقدر ما هي آية وعلامة وإشارة.

(٢) الأعجوبة والإيمان

للإيمان دور أساسي في الحصول على الأعجوبة. لقد وردت في العديد من العجائب عبارة «بحسب إيمانك» (متّى: ١٣/٨؛ ٢٩/٩؛ ٢٨/١٥) وهي تربط بين الطلب وكلام الشفاء. يظهر الإيمان في الطلب فيلبتيّ يسوع بكلامه الشافي: «ليكن لك بحسب إيمانك». وغالباً ما يظهر هذا الإيمان إشتراكاً في قدرة المسيح العجائبية: أي الإيمان الذي ينقل الجبال (متّى ١٧/٢٠ - ٢١). هذا الإيمان لا يأتي بعد الأعجوبة، بل يسبقها لأنه إتكال على القدرة العجائبية ودافع إلى التقرب من يسوع بالرغم من العقبات التي تعترضه.

وهل العجائب غريبة عن عالمنا ما دام هناك إيمان وطيد بأن الرب هو صانع المعجزات فينا؟

٣) العجائب والملكوت والحياة الجديدة

«ملكوت الله في داخلكم».

هذا الملكوت تعيشه اليوم الكنيسة بواسطة الأسرار التي ترافق حياة المسيحي منذ ولادته الأولى بالمعمودية إلى عبوره إلى الحياة الخالدة مزوداً بنعم الخلاص. فكل ارتداد إلى الله، وكل فعل محبة يبني الإنسان الحي الذي يمجد الله. وكل عمل إنساني أو رسولي يقرب الإنسان من أخيه الإنسان ومن الله هو خطوة نحو الملكوت وتجسيد لخلاص الله فينا وبنا.

كلّنا نحمل بذور هذا الملكوت في آنية خفية، ونحن معرضون دوماً للعواصف وتلاطم الأمواج على سفينتنا في بحر هذا العالم. لكن الرب يسوع يقول لنا اليوم: «لا تخافوا أنا هو». فالأعجوبة الكبرى التي صنعها يسوع تدلّنا على أنه مقيم معنا: «ها أنا معكم حتى إنقضاء الدهر» (متى: ٢٨/٢٠).

لقد جعل نفسه غذاء لنا في سر الافخارستيا. هو حاضر يغذي كرمته لتعطي ثماراً أكثر وتكون لها الحياة أوفر. ثم انه أعطانا روحه القدوس ليقيم معنا فننتقل من حياة بشرية إلى حياة أبناء الله.

* الأخت انطوانيت عريش. ولدت في يبرود (محافظة دمشق) سنة ١٩٤٢.

- حازت على ماجستير في الآداب العربية والفرنسية من جامعة إكس في فرنسا.

- عملت في الجزائر والمغرب قبل أن تجعل إهتمامها في حقل التعليم المسيحي في سورية.

الفصل الخامس والعشرون

الإنجيل والقرآن

بطرس مراياتي*
مطران حلب وتوابعها
للأرمن الكاثوليك

القسم الأول: العلاقة بين الإنجيل والقرآن.

إذا قرأت القرآن تجد فيه كلمة «إنجيل» إثنى عشرة مرة في ست سور:

- «وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى الناس» (٣ آل عمران ٣).

- «ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل» (٣ آل عمران ٤٨).

- «يا أهل الكتاب لم تحتاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلّا من بعده أفلا تعقلون» (٣ آل عمران ٦٥).

- «وقفينا على إثرهم بعيسى ابن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التوراة وآتينا الإنجيل فيه هدى ونور» (٥ المائدة ٤٦).

- «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (٥ المائدة ٤٧).

- «ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون» (٥ المائدة/٦٦).

- «قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم» (٥ المائدة ٦٨).

- «إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علّمتك الكتابة والحكمة والتوراة والإنجيل» (٥ المائدة ١١٠).

- «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر» (٧ الأعراف ١٥٧).

- «وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهد من الله» (٩ التوبة ١١١).

- «ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار» (٤٨ الفتح ٢٩).

- «وقفينا على إثرهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعون رأفة ورحمة» (٥٧ الحديد ٢٧).

هذا وتجد في القرآن آيات عديدة في مختلف السور تشير إلى الإنجيل دون ذكر إسمه مباشرة. مثال على ذلك: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» (٢ البقرة ١٣٦).

وقد استخدم القرآن أكثر من خمسين مرة كلمة «كتاب» للدلالة على الإنجيل. «قال (عيسى): إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً» (١٩ مريم ٣٠).

ويفسّر المسلمون كلمة «إنجيل» كما يفسرها المسيحيون. فهي لفظ يوناني «إيفانجليون» معناه البشري أو البشارة. ثم أطلقت الكلمة واستعملت للدلالة على كتاب المسيحيين المقدس، وفي هذا المعنى وردت في القرآن لتدل على كتاب عيسى الذي أنزله الله عليه، كما أعطى موسى التوراة ومحمداً القرآن.

بعد هذه المقدمة نسعى إلى البحث عن مكانة الإنجيل في القرآن ثم نتطرق إلى موقف القرآن نفسه من الإنجيل، ومن ثم نعرض ملخصاً لمواقف المفسرين المسلمين من الإنجيل، لكي نصل في نهاية القسم الأول من دراستنا إلى رسم لوحة موضوعية عن الإنجيل في عرف القرآن والمسلمين دون الدخول في بحث علمي أو نقاش ديني.

١ - الإنجيل في القرآن

إليكُم أهم ما يلفت إنتباه دارس الإنجيل وهو يطالع القرآن:

١ - إحتفظ القرآن بكلمة «إنجيل» بلفظها ومعناها الأجنبي اليوناني ولم يعرّبها، لأنها كانت مستعملة بشكل عام قبل نزول القرآن للدلالة على كتاب المسيحيين (دروزة القرآن ص ٥٥).

٢ - جاء ذكر الإنجيل في معظم الآيات مرتبطاً بالتوراة التي تسبقه.

٣ - الإنجيل كما جاء ذكره في القرآن هو كتاب عيسى ابن مريم حصراً.

٤ - إن الله عز وجل هو الذي أنزل الإنجيل وفيه هدى ونور.

٥ - غالباً ما يدعو القرآن اليهود والمسيحيين مجتمعين أو منفردين «بأهل الكتاب».

«لا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتي هي أحسن» (٢٩ العنكبوت ٤٦).

٦ - سُمّي القرآن المسيحيين خاصة بأهل الإنجيل.

٧ - يستخدم القرآن كلمة «الإنجيل» بصيغة المفرد ولا يذكر كلمة «أناجيل» بصيغة الجمع مطلقاً. ولا يتعرّف على سائر أسفار العهد الجديد.

٨ - لا يذكر القرآن الحواريين سوى خمس مرات ولا ينسب إليهم كتابة إنجيل أو أناجيل أو رسائل.

٩ - وردت في القرآن أسماء شخصيات إنجيلية وأسماء أشخاص من العهد القديم ذكرها الإنجيل، وأسماء مذكورة في الأناجيل المنحولة مثل:

زكريا - يحيى (يوحنا) آل عمران (يواكيم)
 مريم - عيسى - آدم - نوح
 ابراهيم - اسحق - يعقوب - موسى
 داوود - سليمان - الياس - يونس (يونان) - هارون - أيوب . . .

١٠ - إن القرآن خصّ عناوين بعض السور بأسماء ومواضيع كتابية مثل: آل عمران - المائدة - مريم - القيامة - يونس - يوسف - إبراهيم - الأنبياء - التوبة - النور - الملك - نوح - الأعلى - الزلزلة . . .

١١ - يذكر القرآن أحداثاً إنجيلية مثل: بشارة زكريا بيحيى وبشارة مريم وميلاد عيسى وعجائب المسيح: «واتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس» (٢ البقرة ٨٧ و ٢٥٣) «وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله» (٣ آل عمران ٤٢ - ٦٤).

١٢ - يتوسّع القرآن في عرض بعض الوقائع المذكورة في الأناجيل المنحولة مثل: قصة آل عمران وإمرأته (يواكيم وحنة)، وميلاد مريم البتول (ابنة عمران)، ويذكر معجزات عيسى «ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . . . ورسولاً إلى بني إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله . . .» (١٣ آل عمران ٤٢ - ٦٤).

١٣ - نجد في القرآن بعض المصطلحات والتعابير الدينية المتشابهة مع النصوص الإنجيلية مثل: الملائكة - السماء - جهنم - الجحيم - الصلاة - الصدقة - الأجر - اليوم الأخير - الفصل بين الأبرار والأشرار . . .

١٤ - ذكر القرآن مثلاً مأخوذاً عن الإنجيل وهو مثل حبة الخردل: «ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ

فاستوى على سوقه يعجب الزراع» (٢٩/٤٨) ووجد الدارسون في القرآن أمثالاً وآيات أخرى متشابهة مع الإنجيل.

١٥ - يرفض القرآن رفضاً قاطعاً المواضيع الإنجيلية المتعلقة بالوهية المسيح أو بنوته لله أو بصلبه.

٢ - موقف القرآن من الإنجيل

من يطالع القرآن يجد فيه موقفين مزدوجين:

أولاً: نلاحظ أنّ القرآن يطلب من أتباعه أن يؤمنوا بجميع الكتب التي نزلت قبله على أنبياء الله ورسله:

صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داوود، وإنجيل عيسى: «قل آمناً بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد ومنهم ونحن له مسلمون» (٣ آل عمران ٨٤، ٢ البقرة ١٣٦ وأيضاً ٢ البقرة ٢٨٥ و١٤ النساء ١٦٣).

ثانياً: يقابل هذا الموقف الإيجابي موقف آخر سلبي إذ إنّنا نقع على آيات عديدة يهاجم فيها أهل الكتاب فيقول: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين» (٥ المائدة ١٥).

وهناك آيات يوبّخ فيها اليهود والنصارى لأنهم حرّفوا وزوروا كتبهم المقدسة ملبسين الحقيقة ثوب الباطل: «لا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون» (٢ البقرة ٤٢ و٣ آل عمران ٧١).

كما أنّه يتهمهم بتحريف ألفاظ كلمات الكتاب ليهنوا للناس أن ما يقولونه موجود حقيقة: «وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» (٣ آل عمران ٧٨ وأيضاً ٥ المائدة ١٤).

نكتفي بالإشارة إلى هذين الموقفين المتناقضين في القرآن ونتقل إلى موقف المسلمين من الإنجيل لفهم أيضاً كيف يفسّرون هذا التناقض الظاهر في موقف القرآن.

٣- موقف المسلمين من الإنجيل

مما لا شك فيه أن موقف المسلمين من الإنجيل لا يمكن أن يكون مخالفاً لموقف القرآن. ولكنهم في معظم الأحيان يعتمدون على المفسرين الذين بدورهم يستندون إلى الأحاديث النبوية ومصادر أخرى لشرح هذه المواقف التي تتأرجح بين التشدد والإعتدال، ولكنها تلتقي في المواضيع الجوهرية.

نكتفي بعرض المبادئ دون الدخول في النقاش:

١- الإنجيل هو كتاب النصارى. ويفسّر المسلمون معنى كلمة «كتاب» شرعاً بأنه كلام من كلام الله تعالى فيه هدى ونور يوحى الله به إلى رسول من رسله ليبلغه للناس. فكلمة كتاب تشمل إذن كل ما أوحى به الله لفظاً ومعنى وكتابة مهما اختلفت اللغات التي نزل فيها (حبنكة ج ٢ صفحة ٢٥٣).

٢- إلا أن جميع هذه الكتب كانت تستمد معلوماتها من نبع واحد هو الكتاب الكبير أو اللوح الكبير المحفوظ في السماء. وليس هذا اللوح المحفوظ في الحقيقة سوى القرآن ذاته: «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» (٨٥ البروج ٢١ - ٢٢).

٣- يميّز المسلمون بوضوح بين كتاب يسمونه «إنجيل عيسى» والأنجيل الأربعة المتداولة في الأوساط المسيحية. فهم يؤكدون بالإجماع أن هذا الإنجيل قد نزل على عيسى من عند الله، فهو كتاب الوحي الإلهي إذ لا بد لكل مرسل أو نبي من كتاب: «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» (٢ البقرة ٢١٣).

٤- ويؤكدون أيضاً أن إنجيل عيسى المذكور في القرآن، وهو

الأصل الإلهي، قد ضاع وفُقد. أما الأنجيل المعتمدة من قبل المسيحيين فليست الإنجيل الذي يستشهد به القرآن، فهم يطالبون دائماً وتكراراً «بإنجيل عيسى». ولا يصحّ بنظرهم الاعتقاد بأي كتاب من العهدين القديم والجديد على أنه كتابٌ من عند الله أو أنه يحوي الوحي الإلهي.

٥ - يفهم المسلمون دعوة القرآن إلى الإيمان بالكتب التي سبقته فقط من حيث العقيدة ذاتها التي يعترف بها القرآن، وتلخص بتوحيد الله والإخلاص له وبآيات الأخلاق «فهذه الأسس لا تختلف باختلاف الرسل والأمم» (حبكه ص ٢٧٠).

٦ - أما سبب رفض المسلمين للأنجيل الأربعة فيستند على رأيهم بأنها غير منزلة من الله بل هي تأليف الحواريين. والحواريون هم الصالحون وأنصار المسيح ولكنهم ليسوا من الأنبياء، لذلك فهم ليسوا بمعصومين وليسوا أيضاً رسل الرب، بل تلاميذ أرسلهم لكي يبشروا بما ورد في إنجيله. لذا فهذه الأنجيل هي عبارة عن ذكريات أو كتب تحدث عن حياة وأعمال وتعاليم المسيح، فهي ليست سوى أعمال بشرية محضة، وليست كما يدّعي المسيحيون كتباً دُوّنت بإلهام الله، ولا تحوي كل ما ورد في إنجيل عيسى.

٧ - كما يشكك معظم المسلمون بصحة وتاريخية الأنجيل الأربعة وخاصة إنجيل يوحنا. وإذا اعتمدها بعضهم فما ذلك إلاّ للكشف عن الآيات التي بحسب رأيهم، تشير إلى أنّ المسيح ليس إلهاً، أو إلى أنّ الروح القدس «الفراقليط» هو محمد.

٨ - إن تشكيك المسلمين بالأنجيل الأربعة يستند أيضاً إلى إنقطاع التواتر بين الإنجيليين (مرقس ولوقا) والمسيح. وعلاوة على ذلك يقولون إن هذه الأنجيل ملأى بالاختلافات والتناقضات من حيث المكان والزمان ورواية الحدث الواحد وللبرهان على أقوالهم يعمدون إلى مقارنة النصوص الإنجيلية فيما بينها.

٩ - هذا ويتهمون المسيحيين بأنهم حرّفوا وزوّروا وبدّلوا الكتب

المقدسة كما يؤكدون أنهم قد محوا وأخفوا وحذروا كل ما يتعلق برسالة محمد: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين» (٥ المائدة ١٥).

ولكي تُعتبر هذه الكتب مقبولة، لا بد من أن تشمل نبوءة مجيء محمد المرسل إلى الناس كافة كما ذكر القرآن: «الذي تجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر». (٧ الأعراف ١٥٧).

١٠- إن معظم المسلمين يثقون بإنجيل برنابا أكثر من الأناجيل الأخرى لأنه يذكر محمداً ويتماشى مع الأفكار الواردة في القرآن.

١١- ولكننا نجد بعض المسلمين المعتدلين الذين قبلوا تاريخية الأناجيل واعتمدوا النصوص باحترام بالغ، ولكنهم ظلوا في نطاق علم التاريخ أو التأمل الشخصي، ولم يقبلوا بأنها ملهمة أو أنها تحوي الوحي الإلهي. (أمثال عباس محمود العقاد وخالد محمد خالد).

١٢- إن الكتاب الروائيين المسلمين الذين كتبوا سيرة المسيح لجأوا إلى الأناجيل المحرّفة غير القانونية أيضاً، واعتبروها على قدم المساواة مع الأناجيل القانونية. (أمثال عبد الحميد السّحار).

١٣- إن جميع المفسرين المسلمين ينتهون إلى إعتبار القرآن الكتاب الأوحد لأنه يحوي الوحي الإلهي بأجمعه الذي أعطي إلى الأنبياء لأنّ دين الله واحد، وهو يفوق جميع الكتب السابقة، لا بل ينسخها لأنه «خاتم النبوة».

١٤- وبالنسبة لهم يبقى القرآن الميزان الثابت والمعيّار الأوحد لقبول أو رفض أي نص من الكتاب المقدس، وإليك القاعدة التي يتبناها المسلمون: «إن مضمون كل نص من نصوص كتب أهل الكتاب الحالية سواء أكانت خبراً تاريخياً أو حقيقة علمية أو حكماً شرعياً، إن صدّقه القرآن أو صدّقه السنة فهو مقبول عندنا يقيناً، وإن كذبه القرآن

أو كذّبه السنّة فهو مردود عندنا يقيناً، وإن سكت القرآن وسكت السنّة عن تصديقه أو تكذيبه فإننا نسكت عنه، فلا نصّدق ولا نكذّب لاحتمال الصدق والكذب فيه إلّا إذا دلّت دلائل العقل أو دلائل الواقع على تصديقه أو تكذيبه فإننا نتبع حكم هذه الدلائل من تصديق أو تكذيب» (حينكه ص ٢٩٦).

٤ - موقف المسيحيين

بعد أن عرضنا مواقف القرآن والمسلمين من الإنجيل، والتي تتأرجح بين التشدّد والإعتدال، نتساءل عن ردة الفعل لدى المؤمنين المسيحيين.

من البديهي أن تكون ردة الفعل في الطرف المسيحي موازية من حيث التشدّد والإعتدال. ونستطيع أن نلخص المواقف المتعلقة بدراسة الإنجيل والقرآن في ثلاثة تيارات:

١ - تيار يدافع عن صحة الإنجيل وتاريخيته، ويدحض كل الاتهامات الموجهة ضد العقائد المسيحية مثل الثالوث الأقدس والتجسد والفداء منزهاً إياها من الشرك، ومؤكّداً وحدانية الله، لا بل يقدم براهين من القرآن نفسه تثبت ألوهية المسيح «كلمة الله وروح منه» (راجع كتابات دره الحداد وغيره).

٢ - تيار يشكك في تنزيل القرآن وأصالته، فيخضعه للنقد العلمي والأدبي واللغوي والتاريخي ويدرسه في إطار البيئة التي نشأ فيها، ويبحث عن مصادره على ضوء علوم مقارنة الأديان. وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول: إن الإسلام هرطقة مسيحية أو شيعة إبراهيمية. ومنهم من توصل إلى أبعد من ذلك فرأى القس (ورقة بن نوفل) وراء النبي (محمد)، والإنجيل العبراني (وسائر الكتب الدينية السابقة) وراء القرآن العربي، والنصرانية (الأيثيونية خاصة) وراء الإسلام. (راجع كتابات الحداد وأبو موسى الحريري وغيرهم).

٣ - تيار معتدل يتحاشى التجريح والتحدّي فيدرس نصوص القرآن

والأحاديث النبوية باحترام ويعرض العقائد الإسلامية بشكل موضوعي تاريخي دون الدخول في نقد أو نقاش، وذلك بغية التقارب والحوار الإسلامي المسيحي. (راجع كتابات يواكيم مبارك - ميشال حايك - جورج قنوتاي - منير خوام - وغيرهم). هذا لا يعني أنهم يعترفون بوحى القرآن وتنزيله.

إنطلاقاً من هذا التيار الأخير ظهرت في السنوات الأخيرة مدرستان هدفهما البحث العلمي في تفسير الإنجيل والقرآن سعيًا وراء فتح أبواب جديدة للدخول في حوار بين المسلمين والمسيحيين:

١ - مدرسة تفسيرية بلاغية: لا تهدف هذه المدرسة إلى المقارنة بين معاني النصوص المتنوعة الإنجيلية والقرآنية والنبوية، بقدر ما تهدف البحث عن مقومات بلاغية وتأليفية مشتركة في نصوص تنتمي كلها إلى تراث سامي أصيل واحد على مستوى الشكل والأسلوب. وقد حمل ذلك الباحثين على الاعتقاد أن ما يجمع بين هذه النصوص (الكتاب المقدس والحديث النبوي الشريف) العائدة إلى أزمنة مختلفة هو نوع فريد ومبتكر من البلاغة تتميز إلى حد بعيد في أنماطها وأساليب تعبيرها عن البلاغة اليونانية/ اللاتينية التي يعتمد عليها معظم البحاثة الغربيين. (راجع دراسات أهيف سنو ونائلة فاروقي ولويس بوزيه ورولان مينية من جامعة القديس يوسف، في «المشرق»، العام ١٩٩١ - صفحة ٢٨٣، و«المشرق»، العام ١٩٩٢ - صفحة ٩٥).

٢ - مدرسة تفسيرية لاهوتية: لا تهدف هذه المدرسة أيضاً إلى المقارنة بين الإنجيل والقرآن للبحث عن التشابه والتقارب والصلات والمصادر المشتركة، وإنما تهدف من خلال دراستها للنصوص الكتابية والقرآنية (خاصة القصص وسير الأنبياء)، إلى إبراز البعد اللاهوتي الذي يقودها فيميزها ويعطي لكل كتاب لحمته الداخلية وتماسكه، مما يظهر أصالته الفريدة (راجع كتابات «أرنلذ» ودراسة أنطوان اودو حول قصة يـوسـف في: PROCHE ORIENT CHRETIEN, T.

بشارة مريم

انجيل لوقا - الفصل ١

سُورَةُ مَرْيَمَ

^{١٦} وفي الشهر السادس ، أرسل الله الملاك جبرائيل إلى مدينة في الجليل اسمها الناصرة ، ^{٢٧} إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، وأسم المذراء مريم .
^{٢٨} فدخل إليها فقال :

«إفرحي ، أثبتها الممتنة نعمة ، الرب معك .» ^{٢٩}

^{٢٩} فدخلها لهذا .

الكلام اضطراب شديد وسألت نفسها ما معنى هذا السلام .

^{٣٠} فقال لها الملاك : «لا تخافي يا مريم ، فقد نلت حظوة عند الله .

^{٣١} فتسحبلين وتلدين ابناً فسمي يسوع . ^{٣٢} سيكون عظيماً وأبن العلي

يُدعى ، ويؤليه الرب الإله عرش أبيه داود ، ^{٣٣} وتسلمك على بيت

يعقوب أبداً الدهر ، ولن يكون لملكه نهاية .

^{٣٤} فقالت مريم

للملاك : «كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً؟»

^{٣٥} فأجابها

الملاك : «إن الروح القدس سيبزل عليك وقدرة العلي» ^{٣٦}

تظللوك ، لذلك يكون المولود قدوساً وأبن الله يدعى .

إِنَّ الَّذِي كَوَّنَ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ ، ^{٣٧} وسئل أنا

فَسَمِيَ يَسُوعُ . ^{٣٨} لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ . (مر ٢٧/١)

^{٣٩} وها إن

نَسَبَتُكَ الْيَصَابَاتِ قَدْ حَلَّتْ هِيَ أَيْضاً بِأَبْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا ، وهذا

هو الشهر السادس لتلك التي كانت تدعى عاقراً . ^{٤٠} فما من شيء

يُعجز الله .

^{٤١} فقالت مريم : «أنا أمة ، الرب ، فليكن لي

بِحَسْبِ قَوْلِكَ .» وَانصرفت الملاك من عندها .

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ^{٤٢} فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيّاً ^{٤٣}

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ^{٤٤}

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ

رَبِّكَ لِأَهْبَ لَكَ عَلَماً زَكِيّاً ^{٤٥}

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي

عَلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشِيرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ^{٤٦}

قَالَ كَذَلِكَ

قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً

مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيّاً ^{٤٧}

إِنَّمَا الْمَسِيحُ يَسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ

اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، أَلْعَنَهَا إِنْ سَرِمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ^{٤٨} (سورة النسا)

"إنجيل يعقوب" المنحول

فاخذ الكاهن زكريا البتة .
وقبلها ، وباركها قائلا : " عظم الرب اسلم في جميع الأخيان .
ثم اجلسها على الدرجة الثالثة من مذبح الرب ، وأمر
الله نعمته عليها
"اخذت مريم جرتها وخرجت تستقي الماء . وادا بدور
يصيح ويقول : " السلام عليك يا مريم يامتثلته نعمة الرب منك
مباركة انت في النساء " . فنظرت البتول يمنة ويسرى وحولها
لتعرف مصدر الصوت (٠٠٠) فعادت مرتجفة الى بينها ووضعت
جرتها ، وعادت تغزل الأرجوان . وادا بلاك الرب اسلم
امامها ، قائلا : " لا تخافي يا مريم لانك بلب حظوة السيد
السيد الكلبي الاقدار ، وستحبلين بكلمته .

ان يسوع تكلم وهو

في المهد صبيا وحين 260 كان له سنه واحده قال لامه يا مريم
انا يسوع بن الله 261 الذي ولدتنى كما بشرك جبريل الملك
(إنجيل الطفولة العربي ، ٣٦)

" فلما سمعت هذا

الكلام أجابته مريم مترددة : " اذا حبلى بالسيد له الحياة .
فهل يكون حبلتي كسائر النساء ؟ "
فاجابها ملاك الرب :
" كلا ، يا مريم ، لان قوة السيد تظللك ولذلك المولود منك
الجزيل القداسة ، يدعى ابن العلي وتسمينه يسوع ، وهو انيس
يخلص شعبه من خطاياهم " .

فاجابته مريم : " ها انا انا

الرب ، فليكن لي بحسب قولك " .

سُورَةُ الْاَنْعَامِ

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْغُرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْزِجُ مَنِ الْاَلْبِ هَذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يَمْزِجُهُ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰكَ وَطَهَّرَكَ
وَاصْطَفٰكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٢٨﴾

إِذْ قَالَتِ

الْمَلٰٓئِكَةُ يَمْزِجُهُ اِنَّ اللّٰهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اَسْمُهُ الْمَسِيْحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٢٩﴾
وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٣٠﴾

قَالَتْ رَبِّ اَنۡىَ يَكُوۡنُ لِيۡ وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِيۡ بَشَرٌ

قَالَ كَذٰلِكَ

اَللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ اِذَا قَضٰى اَمْرًا اِنَّمَا يَقُوۡلُ لَهٗ كُنْ فَيَكُوۡنُ ﴿٣١﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْاِنۡجِيْلَ ﴿٣٢﴾

وَالَّتِىۡ اَخۡصٰتُ فَرۡجَهَا فَتَقۡفَحُ فِيهَا مِنْ رُّوۡحِنَا
وَجَعَلْنٰهَا وَاَبۡنَآءَهَا نَابِۃً لِّلْعٰلَمِيْنَ ﴿٣٣﴾ (سورة الانعام)

ولما كنّا نعتقد أن هذه التجربة الأخيرة هي الأنجح وأن هذا الأسلوب هو الأنجح لدراسة قصص الإنجيل والقرآن، في سياق الكلام والإطار الديني الذي وجدت فيه، فإننا نحاول تقديم دراسة تحليلية لرواية بشارة مريم، من حيث الأبعاد اللاهوتية التي تخضع لها النصوص.

القسم الثاني: رواية بشارة مريم في الانجيل والقرآن

ينفرد القديس لوقا بالحديث عن البشارة نسبةً لبقية الانجيليين (لوقا ١/٢٦-٣٨)، أما القرآن فيروي لنا بشارة مريم العذراء يسوع (عيسى) في سورتين هما ٣ آل عمران (٤٥-٤٩) و١٩ مريم (١٦-٢١) ويبدو أن النص الثاني أي سورة مريم المكية هو أقدم من الأول.

أ- تشابه واختلاف

من يقرأ النصوص لأول وهلة يجد تشابهاً كبيراً بينها:

١ - الشخصيات الأساسية في الرواية واحدة:

أ - مريم: وهي فتاة اصطفاها الله فبقيت عذراء طاهرة لم يمسه رجل. ويرجح مفسرو الإنجيل أن يكون معنى هذا الاسم «السيدة». أما مفسرو القرآن فيقولون: معناها: «العابدة»، هذا وقد ورد اسم مريم في أحداث إنجيلية أخرى من حياة يسوع، أمّا في القرآن فلا تُذكر إلا في روايات طفولته.

ب - الملاك جبرائيل: وهو المرسل من قبل الله ليخاطب مريم ويبشّرها بمهمة سامية. وقد أجمع مفسرو القرآن على أن «الملائكة» و«الروح» الذي تمثل بشراً ما هم إلا الملاك جبرائيل نفسه.

٢ - الرسالة التي بلغها الملاك واحدة: إن مريم ستكون أم المسيح عيسى وذلك بصورة عجائبية دون تدخل البشر.

٣ - تسلسل الرواية واحد:

أ - ظهور الملاك: الإنجيل لا يشير إلى ظهور جسماني للملاك، أمّا في سورة مريم القرآنية فهو على شكل البشر.

ب - اضطراب مريم: في الإنجيل سبب الاضطراب يعود إلى معنى السلام والكلام، أما في القرآن فهو مرتبط بحضور رجل غريب.

ج - الملاك يبلغها الرسالة: ولكن يسبق ذلك في سورة مريم القرآنية أن الملاك يعرف بنفسه «أنا رسول ربك».

د - استفسار مريم البتول عن كيفية الحمل: في الإنجيل استفسار يدل على أنها لم تكن تعتزم الزواج وأنها نذرت البتولية «لا أعرف رجلاً». أما في القرآن فالاعتراض يأتي من حيث الاخلاق والشرف «لم يمسنى بشر ولم أك بغيا».

هـ - الحمل المعجزة: يشدد الإنجيل على أصل يسوع الإلهي من خلال حبله وولادته العجائبية بينما القرآن يرى في ذلك قدرة الله فقط «لنجعله آية للعالمين».

٤- الأسلوب الأدبي متشابه: من حيث سرد الحدث والتعبير، إلا أن الإنجيل يقدم رواية البشارة متحدثاً عن الله بصيغة الغائب وكأنه يحكي قصة عنه. أما في سورة آل عمران القرآنية فالله هو يملئ الحدث وهو الذي يبشّر. وفي سورة مريم، بالاضافة إلى كون الله هو المتكلم «اذكر في الكتاب... أرسلنا...»، تجدر الإشارة إلى أسلوب السجع المقفى الرائع الذي يمتاز به النص.

٥ - الفن القصصي متشابه أيضاً من حيث الشخصيات والحوار، ولكن قد يختلف النص القرآني عن الإنجيل في سياق الرواية ليصبح أكثر شبيهاً مع الأناجيل المنحولة: «الرزق في الهيكل - ملاك في هيئة بشر - يكلم الناس في المهد - يخلق من الطين كهية الطير...» هذا وإن الأحاديث النبوية التي تذكر رواية البشارة هي أقرب إلى الأناجيل المنحولة. ولكننا في دراستنا لن نعتمد الأناجيل المنحولة أو الأحاديث النبوية، إنما نكتفي بالنصوص الإنجيلية الرسمية والآيات القرآنية. نخلص إلى القول بأن الشبه واضح بين رواية البشارة في الإنجيل والقرآن بالرغم من الاختلافات الظاهرة البسيطة. ولكن لما كان هدفنا

ليس مقارنة النصوص وإنما البحث عن النظرة اللاهوتية الكامنة وراء النصوص، فإننا نتقل الآن إلى عرض هذه المفاهيم اللاهوتية التي تُظهر الاختلاف في الرؤية الدينية الجوهرية.

ب - الأبعاد اللاهوتية:

بعد أن قرأنا النصوص في بنيتها الخارجية من حيث الرواية ومضمونها وشخصياتها وفنّها الأدبي، نحاول الآن الدخول في عمق النص محافظين على وحدته وقرائنه مع سائر النصوص، ونهدف من ذلك استنباط الفكر اللاهوتي الخاص بكل كتاب.

١ - هدف البشارة

أ - في الإنجيل

إذا سألنا النص الإنجيلي عن هدف البشارة: لماذا أرسل الله الملاك جبرائيل؟

يكون الجواب: لكي يبشر مريم بمجيء المخلص. ويتضح ذلك من أسم المبيشر به: «يسوع» أي «الله يخلص». ويؤكد ذلك إنجيل متى حيث جاء فيه: «سمّه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم». والجميع يعلم أن الإسم الذي يعطيه الله لأيّ شخص في الكتاب المقدس له أهمية كبيرة من حيث الرسالة الموكلة إليه. هذا وإن الأحداث التالية في الإنجيل تثبت هذا الهدف الخلاصي من مجيء يسوع.

وإذا تابعنا السؤال وقلنا: من هو هذا المخلص المبيشر به؟

يجيب إنجيل البشارة: هو «ابن الله العلي». ويؤكد ذلك متى الإنجيلي: «تلد ابناً يدعي عمانوئيل أي الله معنا». وجاء في مطلع إنجيل مرقس: «بدء بشارة يسوع المسيح ابن الله» ويقول يوحنا الرسول: «فرأينا مجده، مجد الإبن الوحيد الذي أتى من لدن الآب» (يو ١/١٤).

ولا بد من متابعة سؤال نص البشارة الإنجيلي: كيف يولد ابن الله؟

ويأتي الجواب: لكونه ابن الله فسيولد بصورة عجائية من فتاة عذراء التي ستحبل به دون رجل وبقوة الروح القدس. ولذلك نالت مريم حظوة عند الله وكانت ممتلئة نعمة.

وهكذا يتضح لنا أن هذا النص هو ملخص لأهم العقائد المسيحية: أسرار التجسد والفداء والثالوث الأقدس.

١ - سر التجسد: «فلما تمّ الزمان أرسل الله ابنه مولوداً لامرأة، مولوداً في حكم الشريعة» (غل ٤/٤). «ومع أنه في صورة الله لم يعد مساواته لله غنيمة بل تجرد من ذاته وصار على مثال البشر وظهر في هيئة إنسان» (فل ٨/٢). «والكلمة صار بشراً وسكن بيننا» (يو ١٤/١)

«إن الله بعدما كلم الآباء قديماً بالأنبياء مرات كثيرة، كلمنا في آخر الأيام هذه بأبن جعله وارثاً لكل شيء وبه أنشأ العالمين» (عبرانيين ١/١).

٢ - سر الفداء: «إن الله أحب العالم حتى إنه جاد بأبنة الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣/١٧). «فلا خلاص بأحد غيره. لأنه ما من أسم آخر تحت السماء أطلق على أحد الناس فنال به الخلاص» (رسل ٤/١٢، ٥/٣١، ١٣/٢٣). «إن الذي أسلمه الى الموت من أجلنا جميعاً، كيف لا يهب لنا معه كل شيء» (راجع الرسالة الى أهل روما ٨/٣١ الخ).

٣ - سر الثالوث الأقدس: في النص الإنجيلي إشارة واضحة الى الثالوث الأقدس: الله العلي - ابن الله - الروح القدس. وهذا التأكيد هو صدى لسائر النصوص في العهد الجديد. وجاء في آخر إنجيل متى: «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بأسم الآب والإبن والروح القدس».

ب - في القرآن

إن سألنا نصوص القرآن: لماذا أرسل الله الملاك؟

يكون الجواب لكي يبشّر مريم بغلام زكي اسمه المسيح عيسى . فهو طفلٌ ذكر، ويكون زكياً أي طاهراً من كل الذنوب وصالحاً، أو نبياً، أو نامياً على الخير، يترقى سنة بعد سنة على الخير والصلاح، لأن كلمة «زكياً» تشمل الزيادة الحسية والمعنوية. فلا نجد في رسالة المبشّر به ما يشير الى الخلاص، حتى إن تعريب إسم «يسوع» «بعيسى» أفقده معناه الخلاصي .

وإذا تابعنا السؤال وقلنا: من هو هذا الغلام الذكي المسيح عيسى ابن مريم؟

فيجيب القرآن: هو «كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم». ولكن عبارة «كلمة» بنظر المفسرين لا تعني شخصية إلهية «LOGOS» وإنما سمّي المسيح «بالكلمة» لأنه كان بكلمة من الله، أي بغير واسطة أب او مادة معتادة، وهو قوله: «كن فيكون». ويؤكدون ذلك استناداً الى الآية: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩/٣). «فكلمة الله» هي كلمة «كن» الخالقة والمخلوقة.

وعبارة «روح منه» لا تعني ذات الله او الروح القدس، إنما المقصود من الروح في القرآن، كما يقول المفسرون، هو إحياء أو خلق الروح فيه، أي إن الله أعطاه الروح التي هي ملك الله والتي لا يعرف كنهها سواء وذلك ليدل أنه خلق مباشرة بدون واسطة أب. ومن هنا استخدم القرآن عبارة «نفخنا من روحنا» للدلالة على الإحياء وإفاضة الروح. «والنفخ» يشير دوماً الى الخلق كما نفخ الله في آدم.

في هذه الحال لا نستطيع أن نسأل القرآن: كيف يولد ابن الله، فهو يعترف بالوهية «الكلمة». «الله لم يلد ولم يولد..». ولذلك نسأله: لماذا الحبل المعجز والميلاد المعجزة واصطفاء مريم وعيسى اللذين لم يمسهما الشيطان؟ ويكون الجواب: «لنجعله آية للناس ورحمة منا». ولكي «يعلمه الكتب والحكمة والتوراة والإنجيل» «ومصدقاً لما بين يديه..»

ومن هذه النصوص المتعلقة بالبشارة، رغم قصرها، تتضح لنا النظرة اللاهوتية من حيث التجسد والفداء والثالث الأقدس.

١ - المسلمون لا يقبلون بتجسد الله، إذ انهم يرون في ذلك مساً لجلال ومهابة الله. فهو يحط من قدره ويعارض وحدته ووحدانيته وسموه ويدخل في كيانه التغيير والتبديل، فالله لم يتخذ ولداً من جوهره ليكون وريثه. وهذا ما ورد أيضاً في الآيات التي تنفي امكانية وجود ولد لله في المعنى المطلق إذ ليس له حاجة: «بديع السماوات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له حاجة وخلق كل شيء وهو لكل شيء عليم». (٦ الانعام ١٠١).

٢ - المسلمون لا يقبلون بحقيقة الخلاص عن طريق وسيط بين الله والانسان. فقد صفح الله عن آدم بسبب توبته وأصبح آدم نبياً، وبذلك أصبح المثال الذي يجب اتباعه، فإن أخطأ الانسان فعليه بالتوبة والعودة الى خالقه أن يطلب الصفح ولن يتأخر الله عن العفو لأنه الرحمن الرحيم - فلا وجود لخطيئة موروثه لأن الله صفح عن خطيئة آدم، وانما التشديد يأتي على المسؤولية الفردية أي إن كل إنسان مسؤول عن أعماله الخاصة وهو وحده يتحمل نتائجها. وهكذا يقوم القرآن بدور المخلص اذ يدعو الناس الى التوبة. ومن هنا رفضهم للصلب والفداء. «الا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان الا ما سعى» (٥٣ النجم ٣٨-١٧ الاسراء ١٥).

٣ - المسلمون يرفضون رفضاً قاطعاً كل ما يوحي بحقيقة الثالث الاقدس ولا يعطون لعبارة «كلمة منه» «وروحاً منه» أبعاد اللاهوتية، فهم يرفضون ألوهية المسيح وبنوته لله وألوهية الروح القدس (الذي يخلطونه أحياناً مع مريم أم المسيح). ويستشهدون بهذه الآيات القرآنية: «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق.. لا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله واحد» (٤ النساء ١٧١). «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد» (٥ المائدة ٧٣). وكذلك قوله: «وإذ قال الله يا عيسى ابن

مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلتَه» (٥ المائدة ١١٦).

وخلاصة القول إنّ هدف البشارة بالذات يختلف لاهوتياً في مفهوم الإنجيل والقرآن. فحيث الإنجيل يشير الى أنّ اصطفاء مريم وعصمتها عن الخطيئة وحبلها البتولي وولادتها المعجزة هي دليل على ألوهية المسيح، كلمة الله الازلي المتجسد بفعل الروح القدس، المولود غير المخلوق لأجل خلاص البشر، نجد القرآن لا يبتغي من عرض هذه الظواهر الخارقة سوى تأكيد وحدانية الله وقدرته المطلقة ورحمته الفائقة، ويختم الرواية بدعوة الانسان على لسان عيسى الى عبادة الله: «إنّ الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» (٣٦/١٩).

هذه هي أهم الخلافات في المنظور اللاهوتي لرواية البشارة التي تظهر مباشرة من خلال مقارنة النصوص، ولكننا لا نكتفي بذلك، بل سننتقل الى خلافات أخرى ليست أقل أهمية، وهي تثبت أنّ لكل من الانجيل والقرآن مفاهيمه اللاهوتية الخاصة.

٢ - الزمان

أ - في الانجيل

١ - يبدأ إنجيل البشارة بتحديد الزمان: «في الشهر السادس» أي الشهر السادس من حبل اليصابات بيوحنا. وكأنّ الله يدخل في تاريخ البشرية في زمان معروف وتوقيت محدد.

٢ - ويأتي نصّ البشارة مرتبطاً بالنص الذي يسبقه عن بشارة زكريا بيوحنا، وكأنّيّ به همزة وصل بين الحدث السابق والحدث الذي سيتبع ألا وهو مولد المسيح.

٣ - أضف الى ذلك أنّ ورود نص البشارة في بداية انجيل لوقا له أهميته فهي جزء من تاريخ زمني متسلسل ولا يجوز ايرادها في موضع متأخر.

٤ - وفي نصّ البشارة نفسه يظهر بوضوح الارتباط الزمني بين الماضي والحاضر والمستقبل:

- الماضي: مريم كسائر الشعب تنتظر ما تحدّث عنه الانبياء ولأجل ذلك نالت حظوة.

- الحاضر: يبشّرها الملاك ويحل عليها الروح القدس فتحبل.

- المستقبل: تلد ابناً - سيكون عظيماً - ويوليه الرب عرش أبيه داوود ولن يكون لملكه انقضاء.

فبالنسبة للإنجيل، الزمان المحدد والمتتالي له قيمة لاهوتية نابغة من سر التجسد، فلا عجب إذا وجدنا في الإنجيل أو الرسائل التعابير التالية: لما تمّ الزمان - «وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر» «وجرى هذا الإحصاء إذ كان قيرونوس حاكم سوريا» «ولما انقضت ثمانية أيام» «وفي اليوم الخمسين...».

ب - في القرآن

أمّا في نصوص القرآن التي تتحدث عن البشارة فإننا لا نجد ما يشير إلى الزمان. وكأنّ هذا الحدث لا علاقة له بزمان محدد. وحتى السورة التي ذُكرت فيها البشارة لا تشير إلى علاقة زمنية مع السور السابقة أو اللاحقة. فالمهم بالنسبة للقرآن هي الحقيقة، والحقيقة ليست في حاجة إلى إطار زمني معيّن لأنّ الله لا يحدّه زمان.

وثمة دراسة لأرنلدر يبيّن فيها أنّ أداة «إذ» الزمنية في القرآن «تكثّف الزمان في لحظة، وتفجّر خارج الزمان الحقيقة الدينية البحتة التي يريد الله أن يعلمها».

ومن هنا يتضح لنا أنّ القرآن لا يعرف لاهوت الزمان من حيث الماضي والحاضر والمستقبل في مخطط الله، وإنما الزمان فيه هو ديمومة واستمرارية، هو زمان مطلق لا حدود له، فكيف يمكن للزمان أن يحد من أبدية الله.

٣ - المكان

أ - في الإنجيل

إنّ حدث البشارة كما يذكر انجيل لوقا، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكان، فقد تمّ ليس فقط في زمن محدد وإنما أيضاً في موقع جغرافي محدّد، وهي الناصرة إحدى مدن الجليل. فعندما يتجسد الله بين الناس فإنه يتكيّف مع بيئة معينة في محيط معروف.

إنّ للمكان قيمة ومعنى في الانجيل، لأن فيه تتحقّق الوعود وفيه يتجلّى تدبير الله الخلاصي.

وهذا التدبير له سلسلة من الاستعدادات والتحضيرات قام بها الأنبياء في انتظار مجيء المخلص. فلا عجب إذا قرأنا في الإنجيل استشهادات كثيرة من أسفار الأنبياء تؤكد أهمية المكان: «واستخبرهم أين يولد المسيح فقالوا له: في بيت لحم اليهودية، فقد أوحى الى النبي فكتب: وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا فمّنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل» (متى ٢/٥) «ليتّم ما قال الرب على لسان النبي: من مصر دعوت ابني» (متى ٢/١٥)، فتمّ ما قال الرب على لسان النبي ارميا: «صوت سمع في الرامة بكاء ونحيب شديد» (متى ٢/١٧) «وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسكن فيها ليتّم ما قيل على لسان الأنبياء، انه يدعى ناصرياً» (متى ٢/٢٣) «وصعد يوسف ايضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داوود التي يقال لها بيت لحم...» (لوقا ٢/٤). «وُلد لكم اليوم مخلص في مدينة داوود وهو المسيح الرب» (لوقا ٢/١١).

ب - القرآن

أمّا في القرآن فهذه النظرة اللاهوتية للمكان لا وجود لها. وكأن أسماء الأماكن والمدن والمعطيات الجغرافية غائبة تماماً. فالأحداث قد تحصل في كلّ مكان وفي أيّ مكان.

وهذا ما نكتشفه في نص البشارة القرآني، ففي سورة آل عمران لا ذكر للمكان مطلقاً، أما في نص سورة مريم فهناك إشارة واضحة الى «مكان شرقي»، ولكنه يبقى مبهماً وليس له أي علاقة بموطن أو ببلد معين، بل يشير الى مكان الصلاة باتجاه الشرق، أو المحراب، أو أنها كانت في شرقي الدار أو المحراب، وحتى حدث «تمثل الروح بشراً» يبقى غير متمثل في مكان أو بيئة معينة والسبب في ذلك واضح أيضاً لأن الله أكبر من أن يحده مكان.

٤ - النسب

أ - في الإنجيل

تظهر في نص البشارة الإنجيلية شخصية هامة لا وجود لها في القرآن وهي شخصية يوسف. وهو عنصر الربط مع سلالة داوود. وهذا النسب ضروري وهام في الإنجيل لتحديد مولد المسيح في إطار مخطط الله الخلاصي، فهناك أحداث وشخصيات سبقت لا بل هيأت لمجيئه. وقد بدأ متى إنجيله بوضع نسب يسوع واصلاً اياه بداوود عن طريق يوسف.

وفي نص البشارة أيضاً نلاحظ أهمية النسب في رسالة المسيح المنتظر: «يوليه الرب الإله عرش ابيه داوود ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر».

ب - في القرآن

أما في نص القرآن فلا وجود لمثل هذا اللاهوت المتعلق بالنسب والانتظار، وكأن المسيح يظهر فجأة، ولا نسب له سوى أنه خلق من الله مباشرة مثله «كمثل آدم»، يظهر دون جذور أو تحضير لدخوله في تاريخ البشرية.

لا شك في أن سورة آل عمران تشير إلى نسب عيسى ابن مريم، فهو من ذرية اصطفاه الله ومنها آل ابراهيم ونوح الى آدم: «إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران: ذرية بعضها من بعض...».

إذ قالت امرأة عمران (حنة امرأة يواكيم) ربّ إني نذرت لك ما في بطني» (٣ آل عمران ٣٣) ولكن هذا النّسب ليس له أي معنى خلاصي. فالأشخاص ليس لهم أي دور في التدبير الالهي، وإن ذُكرت أسماؤهم أو سيرتهم فما ذلك إلا لكي يكونوا «قدوة» أو «عبرة» «لقد كان في قصصهم عبرة». (١٢ يوسف ١١١).

٥ - النبوءات

أ - في الإنجيل

إن للنبوءات دوراً هاماً في تحضير مجيء المسيح. ونلاحظ في البشارة أنّ ولادة يسوع هي تحقيق لوعده وتكميل لمشروع بدأ من زمن بعيد.

فلا نستطيع أن نفهم الآية التالية: «ويوليه الرب الاله عرش أبيه داوود ويملك على بيت يعقوب...» إلا إذا قرأناها على ضوء خطبة بطرس الاولى متحدثاً عن يسوع الى الجموع: «أيها الاخوة إنّ أبانا داوود كان نبياً فعلم أنّ الله أقسم يميناً ليقمّن ولداً من صلبه على عرشه...» (رسل ٢/١٤-٣٦). فالأنبياء حضروا الطريق والآتي سيكون من السلالة الملكية الداوودية.

وإنجيل الطفولة مليء بالأشارات الى تحقيق النبوءات كما ذكرنا في حديثنا عن أهمية المكان في الاستشهادات النبوية.

ب - في القرآن

أمّا في النص القرآني فليس ما يشير الى ترابط مع نبوءات سابقة، فلكلّ نبي رسالته الخاصة وشخصيته المتميزة ولا علاقة له بمن سبقه، ربما يمكن القول إنّ الغلام الذكي عيسى بن مريم المبشّر به هو أيضاً نبي من سلالة آل عمران التي ضمت أنبياء آخرين مثل زكريا ويحيى، ولكن القرآن يؤكد أنّ لا علاقة لواحد مع الآخر من حيث النبوة والرسالة. كما أنّ الانبياء الأسبقين لم يبشروا بقدوم عيسى، بل هو يسوع ذاته قد سبق فبشر بمجيء محمد حسب قول القرآن: «واذ قال

عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين» (٦١ الصف ٦).

٦ - الملوكية

أ - في الإنجيل

إن نص البشارة الإنجيلي يشدد على فكرة الملوكية. «يوليه على عرش ابيه داوود (الملك)، ويملك على بيت يعقوب، ولن يكون لملكه نهاية».

لن نتوغل في البحث عن لاهوت الملوكية في الإنجيل، ولكننا نشير في هذه العجالة الى ذلك الخيط الرفيع الذي يربط الأحداث منذ البشارة الى مجيء المجوس الى الصليب حيث كتب «يسوع الناصري ملك اليهود».

ب - في القرآن

إن النظرة الملوكية غير واردة مطلقاً في نص البشارة القرآني. وإذا ذكر القرآن كلمة «عرش» (٢٢ مرة) فيعني بها دوماً عرش الله، وإذا قال: مَلِكٌ يعني بها الله. «فتعالى الله المَلِكُ الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم» (٢٣ المؤمنون ١١٦). وإذا قال: «مُلْكٌ»، يريد ايضاً مُلْكُ الله: «تبارك الذي بيده المُلْكُ وهو على كل شيء قدير» (٦٧ الملك ١). وإذا جاءت كلمة «ملكوت» فيعني بها ملكوت السموات والارض وكلها بيد الله. «فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون» (٣٦ يس ٨٢).

٧ - لاهوت التاريخ

من يقول زمان ومكان ونسب وملكية يقول أيضاً: تاريخ. ومن يقول نبوءات وتجسد وخلاص يقول: تاريخ مقدس.

والإنجيل هو شاهدٌ لأهمّ مرحلة من مراحل هذا التاريخ ألا وهو

تجسّد الإله في التاريخ البشري ومن هنا كانت قدسية هذا التاريخ، كما عبّر عن ذلك خير تعبير بولس الرسول: «إنّ الله، بعدما كلم آبائنا قديماً مراتٍ كثيرةً بلسان الانبياء كلاماً مختلف الوسائل، كلّمنا، في هذه الأيام وهي آخر الايام، بلسان الابن الذي جعله وارثاً لكل شيء وبه أنشأ العالمين» (عبر ١/١).

- إن نصّ البشارة يدفعنا الى قراءة التاريخ قراءة لاهوتية:
- الله يتدخل مباشرة في التاريخ: «أرسل الله ليس فقط ملاكه وإنّما ايضاً ابنه الوحيد»
- الله يوجد أميناً لوعوده السابقة: «يوليه الاله عرش ابنه داوود»
- الله يفتح صفحة جديدة في تاريخ البشرية: «لن يكون لملكه انقضاء»
- الله يسخر البشر في صنع التاريخ: «ها أنا أمة الرب»
- الله يتجاوز حدود التاريخ وقوانين الطبيعة: «فما من شيء يعجز الله»
- الله سيد التاريخ: «فليكن لي بحسب قولك»

ولكن إذا كان الله سيد التاريخ، فهذا لا يعني أنه يسيّره بشكل حتمي خاصة إذا كانت الامور تتعلق بالانسان. فهو الذي قد خلق الانسان حراً وترك له مجالاً واسعاً ليلعب دوره في هذا التاريخ سلباً او ايجاباً. ومن هنا كانت حكمته تعالى أن يترك للانسان حقّ المشاركة في صنع التاريخ المقدس.

ومن خلال نصّ البشارة نكتشف أيضاً دور الانسان في صنع التاريخ المقدس:

- هو الإنسان الذي يكتب التاريخ ويحكمي عن تدخل الله ويخبر بمحبته الفائقة ويسرد الوقائع.
- هو الانسان (مريم) التي يدعوها الله لرسالة تاريخية ويترك لها حرية الاختيار والحوار (كيف يكون هذا)
- هو الانسان (مريم) التي تقبل وتجيّب والكلمة الاخيرة لها: «فليكن لي بحسب قولك»

- الله يعطي الانسان (مريم) آيةً ليعبر عن صدقه ويساعدها على القبول: «ها إن اليصابات...»

وعندما نقول: الله سيد التاريخ وأنه يتحكم به كما يشاء، نفهم بذلك التاريخ المقدس من حيث خلق الانسان ورعايته وخلصه وهذا ما نسميه بمخطط الله الخلاصي، وكل تدبير من قبله يصدر عن محبته اللامحدودة.

ب - في القرآن

إن القرآن لا يتجاهل التاريخ، فالبشرية من آدم الى محمد الى القيامة، وهذه النظرة القرآنية الى التاريخ الديني نظرة طويلة مستقيمة في مداها لا دائرية وهي قريبة الى النظرة المسيحية. أضف الى ذلك أن أحداث التاريخ القرآني (القصص وسير الانبياء) تسير جنباً الى جنب مع أحداث الكتاب المقدس، وإن اختلف المصدران في تأويلهما لهذه الأحداث.

وهنا تختلف القراءة اللاهوتية للتاريخ كما يبدو جلياً في نص البشارة القرآني:

- الله يتدخل في تاريخ البشرية فقط بواسطة رسله الانبياء ليوجهوا الناس.

- لا يوجد في التاريخ القرآني تطور تقدمي او مراحل تحضيرية فهو التاريخ المطلق.

- الله خلق البشرية بآدم وجددها بمحمد فلا وسيط بين الله والناس.

- الله هو الذي يوجه التاريخ لا بل يسيّره حتمياً والكل مسلمون.

- الله يتعدى التاريخ ولا شيء يعجزه ولكنه لم ينخرط في مصير الانسانية بالشكل التجسدي.

- الله سيد التاريخ المطلق والحتمي: يقول له كن فيكون.

من هذه الرؤية اللاهوتية للتاريخ يظهر بوضوح أن دور الانسان

فيه يقتصر على الرضوخ «والاسلام» لله . وإذا اختار الله بعض الأشخاص المرسلين والأنبياء فدورهم يقتصر فقط على الارشاد والتوجيه ولا يتعدى حد المثل الصالح . فليس هم الذين يشاركون في تسيير التاريخ وإنما الله وحده يصنع التاريخ . وهذه الحدود التي لا يتجاوزها الانسان نجدها في نص البشارة القراني :

- الانسان لا يكتب التاريخ بل هو الله الذي يمليه وهو المتكلم والفاعل : «أرسلنا روحنا» .

- الانسان (مريم) لا تجد نفسها أمام دعوة أو أمام الاختيار : «كان أمراً مقضياً»

- الانسان (مريم) لا تجيب بل تُسلم ، كل شيء مقرّر بدون إرادتها : «إذا قضى أمراً...»

فإنما يقول له «كن فيكون» فالكلمة الأخيرة هي لله . كلمة «كن» هي من خصائص الله وليست من جواب الانسان كما وردت في الإنجيل على لسان مريم «فليكن لي» .

- ليس من الضروري أن يعطي الله آيةً ليُعبّر عن مصداقية البشارة . ولذلك لا نجد في نص بشارة مريم «آية» كما هو الحال في نص بشارة زكريا : «قال ربّ اجعل لي آية» ، قال : «آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوية» .

نخلص إلى القول : إنّ القراءة اللاهوتية للتاريخ في القرآن تختلف عن الإنجيل . وإذا حاول بعض المسلمين إعادة النظر في قراءة القصص الديني (راجع محمود شحرور= الكتاب والقرآن قراءة معاصرة) فإن ذلك يبقى ضمن إطار ربط القصص القرآني مع تاريخ البشرية . وهذه القراءات المعاصرة لا تتجاوز حدود النظرة القرآنية للتاريخ من حيث العلاقة بين الله والانسان : فهي لا تعترف بوجود تطور ديني ديناميكي ، ولا تقبل بإعطاء الانبياء دوراً فعالاً في تحقيق مخطط الله ولا تعطي الانسان حرية كاملة في الاختيار الروحي ، كما هو شأن اللاهوت المسيحي .

واليكم ما يقول في هذا الصدد الشيخ طبارة: «التوراة قصدت الى التاريخ، اما القرآن فلم يقصد إلا العظة والعبرة، وإلى البشارة والانذار، وإلى الهداية والارشاد» (ص ٢٧).

الخلاصة العامة

من خلال نص واحد في الانجيل، بشارة مريم، يظهر اللاهوت المسيحي بكامله: إن الله دخل التاريخ بشخص ابنه يسوع المسيح «الكلمة» فتجسد مولوداً من عذراء بواسطة الروح القدس ليخلص البشر من خطاياهم. كما ان الله كشف بذلك عن سرّه فهو محبة في ذاته: أب وابن وروح قدس، وهو محبة تجاه الانسان. وإذا خصّ مريم بميزات فريدة وحبل معجز فما ذلك إلا لأنها ستكون أمّاً لأبنة المنتظر المسيح الإله.

هذا وإن التاريخ المقدس والكتب الملهمة تشهد على علاقة الانسان بخالقه عبر الزمن الماضي والحاضر والمستقبل.

بالمقابل يظهر لنا لاهوت مختلف في نصوص القرآن المتعلقة ببشارة مريم: إن الله يتعدى التاريخ ويتسامى فوق البشرية فلا يمكن أن يُصبح إنساناً أو أن يلد ابناً، وليس بحاجة الى وسيط ليخلص البشر فقد خلصهم منذ عفوه عن آدم. وإنما يرسل أنبياء ليلغوا الناس ما يجب ان يفعلوه وعلى الانسان ان يؤمن ويسلم. وإذا خصّ عيسى بمولد فريد فما ذلك الا ليكون آية بينة تشير الى قدرة الخالق، ومثله كمثّل آدم الذي ولد بمعجزة ليس فقط من دون أب وإنما ايضاً من العدم. وإذا خصّ أيضاً مريم بأسمى الامتيازات فما ذلك الا لتكون آية للعالمين وقدوة لسائر المؤمنات.

قراءتان مختلفتان لرواية واحدة. وكل قراءة تكشف لنا عن نظرة لاهوتية مختلفة ومتماسكة من حيث طبيعة الله العلي القدير، ومن حيث العلاقة بين الله عز وجل والانسان، ومن حيث دور المسيح وأمه في تاريخ البشرية.

هذا ومن خلال رواية البشارة أيضاً نكتشف اللاهوت المريمي في الإنجيل والقرآن، إذا صح التعبير.

ف نجد الإنجيل والقرآن يلتقيان من حيث اصطفاء مريم وطهارتها الرفيعة وبتوليتهما الفريدة وحبلها العجائبي وكونها أم المسيح عيسى «كلمة الله وروح منه». وقد سميّ عيسى ابن مريم بخلاف التسميات السامية التي تُنسب الابن الى أبيه مما يدل على ولادته المعجزة بدون تدخل رجل.

ويلتقي الانجيل بالقرآن الذي يرفض تأليه مريم فهي مخلوق كسائر المخلوقات.

أضف الى ذلك أنّ مكانة مريم الخاصة في القرآن دفعته الى تبرئة طهارتها ضد اتهامات اليهود «وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً» (١٥٦/٤) ولا ننسى أنّ مريم هي المرأة الوحيدة التي ذُكر اسمها في كل القرآن. ولا ننكر أيضاً أنّ اسم مريم ذُكر في القرآن مراراً (٣٤ مرة)، أي أكثر مما ذكر في الإنجيل (١٧ مرة). هذا والحق يقال أنّ نظرة الاسلام الى مريم وفضائلها وبراءتها من كل خطيئة ومسّ من الشيطان ومثالها الفريد في تاريخ البشرية، هي أفضل بكثير من موقف بعض المذاهب المسيحية او الشيع التي تدعي المسيحية.

إلا أنّ الفكر اللاهوتي الاسلامي يرفض تسمية مريم «بوالدة الاله» لأنهم لا يعترفون بدور المسيح الخلاصي. أو أن تكون «شفيعه» لأن لا شفاعه إلاّ الله وحده. وإنما يجد القرآن فيها، قدرة للمسلمات وآية للعالمين، وجاء في الحديث أنّها «سيدة نساء أهل الجنة» (الترمذي)، «خير نساء الارض» (مسلم)، و«كمال النساء» (البخاري).

الخاتمة

لقد قمنا بمحاولة متواضعة لقراءة نموذج من النصوص المتشابهة بين الانجيل والقرآن بمنظور جديد. فقد سعينا الى إبراز الابعاد

اللاهوتية التي تكمن وراء النصوص المقارنة، مع المحافظة على وحدة كل من الكتابين وأصالتها المتميزة وتماسكهما الداخلي، كما أشرنا الى ذلك في بداية البحث.

وهذه المحاولة هي صدى لما يقوله يواكيم مبارك في كتابه عن «الاسلام»:

«فبالرغم من أهمية النصوص التي تؤكد وجود صلة قرابة بين القرآن والاسفار المقدسة اليهودية والمسيحية القانونية منها وغير القانونية يجب الاعتراف بأصالة النص القرآني القاطعة التي يستحيل ارجاعها جزئياً او كلياً الى النصوص المذكورة.

إن أوجه الشبه الكثيرة او النقاط العديدة التي تدني القرآن من الانجيل او سائر الكتب المقدسة يجب أن تفصح عن شخصية القرآن ووجهه الصحيح. فهذه محاولة صادقة يتقبلها المسلمون اما البحث عن «مصادر» القرآن فيبقى عقيماً بلا جدوى في الحوار الاسلامي المسيحي» (ص ٢٧ و ٢٨).

كما ان هذه المحاولة تتماشى أيضاً مع فكرة «غارديه» الصائبة: إنه من الخطأ أن نفرض على المسلمين أن يطبقوا أساليب التفسير المسيحي على القرآن، كما لا يصح أن يُفرض على المسيحيين تفسير إسلامي للأناجيل. وإنما لا نستطيع ان نقرأ القرآن بروح الإنجيل، ولا الإنجيل بروح القرآن، قبل أن نقرأ القرآن بروح القرآن نفسه».

علّ هذه المحاولة، بالرغم من نقائصها، تكون لبنة في بناء صرح الحوار الاسلامي - المسيحي المنشود.

الفصل السادس والعشرون

«الإنجيل بحسب برنابا»

الأب متري هاجي اثناسيو*

التعريف بالكتاب

يتصدّر النسخة الإيطالية عنوانُ الكتاب، هذه ترجمته: «الإنجيل الصحيح ليسوع المسمّى المسيح - نبي جديد أرسله الله إلى العالم - بحسب رواية برنابا رسوله».

وُجِدت نسختان لـ «الإنجيل بحسب برنابا»، واحدة إيطالية وأخرى إسبانية.

١ - النسخة الإيطالية

عثر كرامير، أحد مستشاري ملك بروسية، على مخطوطة باللغة الإيطالية سنة ١٧٠٩ في مكتبة أحد مشاهير مدينة امستردام، من أعمال هولاندا. ثم انتقلت إلى خزانة كتب البلاط الملكي في فينا سنة ١٧٣٨، حيث لا تزال هناك حتى اليوم. وتقع المخطوطة في ٢٣١ صحيفة، وتتضمن ٢٢٢ فصلاً؛ (من ١ إلى ٢٧) معنونة تعبّر عن محتوى الفصل، أما الفصول الأخرى (من ٢٨ إلى ٢٢٢) فهي مرقّمة لا غير. وقد تبين بعد التدقيق أن ناسخها من أهالي البندقية، نسخها في القرن السادس عشر أو أوائل القرن السابع عشر، ويرجح أنه أخذها عن نسخة طسكانية أو عن نسخة بلغة البندقية. وقيل أن النسخ حدث نحو سنة ١٥٧٥.

٢ - النسخة الإسبانية

وُجِدت نسخة أخرى للإنجيل بحسب برنابا باللغة الإسبانية في أوائل القرن الثامن عشر، وهي معاصرة تقريباً للإيطالية. تقع في ٢٢٠ فصلاً و٤٢٠ صحيفة. عرفها المستشرق الإنكليزي جورج سال سنة ١٧٣٤، ووصفها، ونقل منها مقاطع في المقدمة التي صُدِّرَ بها ترجمته للقرآن إلى اللغة الإنكليزية. وهي تنطبق حرفياً على الإيطالية، مع اختلافات طفيفة قليلة. وهي، بحسب سال، منقولة عن الإيطالية بقلم مسلم أوغوني يسمّى مصطفى العرندي، و«مصدرة بمقدمة يقص فيها مكتشف النسخة الإيطالية - وهو راهب لاتيني غربي يسمّى الأخ (فرا) مارينو - كيفية عثوره عليها» في مكتبة البابا سكستوس الخامس (١٥٨٥ - ١٥٩٠) وهي قصة ملفّقة، القصد منها تغطية تأليفه هذا الكتاب للتركيز على «اكتشافه» فحسب. ثم نقلها الدكتور منكهوس إلى الإنكليزية حوالي سنة ١٧٨٤. وسرعان ما فقدت النسخة الإسبانية، في زمن غير محدد، وطُمس خبرها وامحى أثرها.

المؤلف

وضع الراهب الأخ (فرا) مارينو الذي مرق إلى الإسلام هذا الكتاب؛ وقد حرّمته الكنيسة ونبذته فحاول تبرئة نفسه بتأليف هذا الإنجيل المنحول. وترجمه مساعده مصطفى العرندي الأندلسي إلى الإسبانية.

الترجمات

١ - الترجمة الإنكليزية

نُشر في أوكسفورد النص الإيطالي سنة ١٩٠٧، مصحوباً بترجمة إنكليزية، مع مقدمة مسهبة التزم فيها المترجمان الإنكليزيان النقد الحديث. واهتمت الأوساط العلمية في الغرب لإنجيل برنابا، فمَحَصَه النقد العلمي، شكلاً ومضموناً، مصدراً وترجمة، جملة وتفصيلاً، وأوضح العلماء المتناقضات فيه، وفندوا تعاليمه، مبينين الضلالات

المتعمدة والتزوير المستهدف، ومشيرين إلى أخطائه الجسيمة: التاريخية مخها والجغرافية والكتابية واللاهوتية والروحية. وقد استنفد النقد العلمي في الغرب مضمونه الشامل استنفاداً يكاد يكون تاماً وكاملاً. وقال فيه بولس ماسينيون، المستشرق الفرنسي العظيم الشغف بالاسلام، انه «كتاب منحول بدون أدنى ريب» (مجلة العالم الإسلامي - بالفرنسية - سنة ١٩٠٩)، كما أن كولدزيهر المستشرق الألماني، صرّح بأنه محض «بلفة» لا غير (في كتابه سنة ١٩٢٠).

٢ - الترجمة العربية

وصلت الترجمة الإنكليزية الى الشرق الأوسط، فأولاهها المسلمون اهتماماً مفراطاً، مما حمل محمد رشيد رضا، منشئ مجلة «المنار» في مصر، على الإنفاق على نقلها إلى العربية وطباعتها. وقد تولى الترجمة الدكتور خليل سعادة. فظهرت الطبعة الأولى في القاهرة سنة ١٩٠٨، «مصدّرة بمقدمة للناقل ينكر فيها على «إنجيل برنابا» صحته، ويؤكد أنه كتاب منحول، وبأخرى للناشر محمد رضا يحاول فيها إثبات صحة الكتاب. وفي سنة ١٩٥٨ جُددت طباعة هذا الكتاب بدون تغيير البتة.

ما إن نُقل هذا الكتاب إلى العربية حتى انبرى بعض الكتاب المسلمين يعتمدونه إنجيلاً صحيحاً، مكذّبين به الأناجيل القانونية التي يتداولها النصارى. وقد أصبح هذا الكتاب مصدر تفسير قرآني. أما ما دفع بعض المسلمين إلى هذا التهافت المنكر فهو تصريح محمد رشيد رضا، حيث قال: «إنه (إنجيل برنابا) يحكم لنا في المسائل الثلاث الخلافية: التوحيد، عدم صلب المسيح، ونبوّة محمد». وبلغ غلوهم في أمر الكتاب حتى تحدّث المسيحيين في إبطال دعوى هذا الإنجيل. ثم تناولته حلقات التدريس في الجامعات، وعُقدت عدة أحاديث تلفزيونية ولقاءات إذاعية لنقل دعوته وتسفيه مضمون صحة الأناجيل الموثوقة.

ولكن لزمّت فئة ضئيلة من الكتاب المسلمين حدود التعقل

والتبصّر، منهم الأستاذ ديب عبّاس، محمود العقاد، الذي كتب في جريدة «الأخبار» (٢٦/١٠/١٩٥٩): «... تتكرر في الإنجيل بعض أخطاء لا يجهلها اليهودي المطلع على كتب قومه، ولا يرددها المسيحي المؤمن بالأناجيل المعتمدة في الكنيسة الغربية، ولا يتورط فيها المسلم الذي يفهم ما في إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن... وليس من المألوف أن يكون السيد المسيح قد أعلن البشارة أمام الألوّف باسم «محمد رسول الله» ولا يسجّل هذا الإعلان في غير صفحات هذا الإنجيل (إنجيل برنابا)». وكتب المؤرخ محمد شفيق غربال، رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب، الذي أشرف على دائرة المعارف العربية الميسّرة، في كلمة «برنابا» أو «إنجيل برنابا»، ما يلي: «إنجيل مزيف وضعه أوروبي في القرن الخامس عشر. وفي وصفه للوسط السياسي والديني في القدس أيام المسيح أخطاء جسيمة، كما أنه يصرح على لسان عيسى أنه ليس المسيح، إنما جاء مبشراً بمحمد الذي سيكون المسيح».

أما من جهة المسيحيين المشرقيين، فقد حاولوا الرد على التخرصات والاتهامات والتزوير والافتراءات التي ألصقت بإنجيلهم المعتمد والقانوني للنيل من صحته. فصدرت بعض المقالات والكتيّبات وأذيعت لتبيان كتاب «إنجيل برنابا» شهادة زور على القرآن بالذات ونقض للإنجيل والقرآن معاً.

المخطط والمضمون

يتبع كاتب هذا «الإنجيل» الإطار العام الذي نجده في الأناجيل الإزائية:

أ) التقديم أو الفاتحة، يذكر فيها المؤلف باعثه على كتابة «الإنجيل»: إفساد العقيدة، ومواقع هذا الإفساد ثلاثة: إسناد الألوهة إلى يسوع الذي يدعى المسيح، ورفض الختان، وإباحة الأطعمة المنجّسة.

(ب) طفولة يسوع وحداثته (الفصول من ١ الى ٩).

(ج) دعوة يسوع: يركّز هذا القسم الطويل من «إنجيله» على الفكرة الأساسية التي جعل منها قضية الكتاب ومحوره، وهي أن يسوع محض إنسان، وأنه نبي لا غير، يمهد الطريق للمسيح الموعود الذي سيأتي بعده، وأن هذا المسيح الموعود هو محمد نبي الإسلام. ويتضمن هذا القسم حياة يسوع من بدء الدعوة إلى غروبها.

١ - السنة الأولى من دعوة يسوع (تتضمن الفصول من ١٠ إلى ٤٦)، وفيها التصريح الأول بمجيء محمد.

٢ - السنة الثانية من رسالة يسوع (تتضمن الفصول من ٤٧ إلى ١٩١)، وهم المؤلف تجريد يسوع من صفة الألوهة ثم من صفتيّ المسيحية والملكية، مؤكداً أنه مجرد إنسان أرسل في آل إسرائيل نبياً، وأنه في مزاولته النبوة يمهد السبيل للمسيح، ورسول الله، محمد. «... في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء يعرفه أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم...» (٦٢).

٣ - آخره يسوع على الأرض (تتضمن الفصول من ١٩٢ - ٢٢٢). يذكر المؤلف في هذا القسم الأخير، الذي يتضمن الأسابيع الأخيرة من حياة يسوع، بعث لعازر من بين الأموات، ثم إعلان يسوع الحاسم بأن المسيح الموعود هو من ذرية إسماعيل. «فيجرّ عليه هذا الإعلان مؤامرة السلطات اليهودية الأخيرة. ويقود يهوذا الجند للقبض عليه ولكنه بمعجزة ينزل عليه شبه يسوع فيؤخذ ويحاكم ويصلب. ويقابل يسوع لآخر مرة أمه والرسول ثم يُرفع إلى السماء».

محور مضمون الكتاب

يتمحور «إنجيل برنابا» حول الفكرة الرئيسية وهي أن المسيح هو محمد بن عبدالله (أو محمد هو المسيح الحقيقي المنتظر) أما يسوع (عيسى) ابن مريم فهو السابق الممهّد للمسيح (محمد) والمنتبىء

عن ذلك الذي سيأتي بعده أي محمد. ويطبق هذا الكتاب على يسوع بعض ما ورد عن يوحنا المعمدان في الإنجيل بحسب لوقا البشير. ويضرب صفحاً عن وجود زكريا وأليصابات وابنهما يوحنا، ذلك لأن الكاتب يبدّل الأدوار في كتابه: المسيح هو محمد، وسابق المسيح هو يسوع نفسه. ومن ثم فلا داعي لإقحام يوحنا المعمدان في حياة يسوع، هذا وقد أفضى غياب يوحنا المعمدان عن المسرح إلى إغفال اعتماد يسوع على يده.

فَمَنْ سيكون عيسى ابن مريم في إنجيل برنابا؟ ومن هو المسيح المنتظر بحسب هذا الإنجيل؟

يصرح يسوع لرسله الحواريين: «أما من خصوصي فأني قد أتيت لأهيب الطريق لرسول الله الذي سيأتي لخلاص العالم. ولكن إحدروا أن تُعْشُوا لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامي (يؤولونه) وينجسون إنجيلي» (١٠/٧٢ - ١١). ويصرّح أن المسيح هو محمد بن عبدالله على ثلاث مراحل:

- أولاً لرسله الحواريين: (١٢/٧٢ - ٢٤) وهناك علامات أربع لظهور المسيح الحقيقي، محمد بن عبدالله: إبطال الإنجيل، انتقام النبي الآتي من المسيحيين، سقوط الأصنام، الاعتراف بيسوع بشراً لا أكثر.

- ثانياً للشعب ولرؤسائه (٩١ - ٩٨) «... أجاب يسوع: إن اسم المسيح (ماسياً) عجيب... إن اسمه المبارك: محمد. حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله أرسل لنا رسولك. يا محمد، تعال سريعاً لخلاص العالم» (١٣/٩٧ - ١٨).

- ثالثاً في محاكمة يسوع (١٩٤ - ٢٠٨) وقد جرّده الكاتب من ألوهته ومسيحانيته وملكيته (١٢٦ - ١٣٨).

يأخذ محمد شخصية المسيح في التوراة، فيحرّف المؤلف الكتاب والإنجيل - في المعطيات والأقوال والأحداث والشخصيات - لبلوغ

مآربه. كما أنه يكذب كل نبوة: «ما لي أتكلم عن كتاب موسى وكتاب داود؟ لقد فسدت كل نبوة» (١٨٩/١٠ - ١١). ويؤكد يسوع لتلاميذه أن الأنبياء قد جاؤوا كلهم إلا رسول الله الذي سيأتي بعدي لأن الله يريد ذلك حتى أهىء طريقه» (٣٦/٦). وفي بدء دعوته يصرح يسوع: «الحق أني لست مسيًا» (٤٢/٥). ويضع الكاتب على لسان يسوع كلام يوحنا المعمدان: «أنا صوت صارخ في اليهودية كلها يصرخ: أعدوا طريق رسول الرب...» (٤٢/١٠ - ١١ = يوحنا ١/١٩ - ٢٧).

وبحسب كاتب الإنجيل اسماعيل هو ابن الموعد لابراهيم، ابن أمه هاجر؛ لا إسحاق، ابن زوجته الشرعية سارة؛ والذبيحة المحرقة هو الوحيد اسماعيل (١٣/١٥؛ ١٩١).

ويضع نص الشهادة الإسلامية في بدء الخليقة مع آدم: لما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس، نصها: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، وكذلك كتب الله على ظفر إبهام يد آدم اليمنى: «لا إله إلا الله»، وعلى ظفر إبهام اليد اليسرى: «محمد رسول الله». وعند خروج آدم من الجنة رأى فوق بابها: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» (٣٩/٢٣ - ٢٦؛ ٤١/٣٠).

ويجعل المؤلف من نفسه في كتابه أحد الإثني عشر، بل أقربهم إلى يسوع وأفضلهم. فيلعب الدور الأول بين الرسل، ويحل المؤلف برنابا محل بطرس، ويحل نفسه الثالث بين الرسل في قائمة الرسل (١٤/١٠ - ١٧)، وهو وحده يأمره يسوع بكتابة الإنجيل الصحيح «... يا برنابا عليك أن تكتب إنجيلي حتما...» (٢٢١/١).

التحريف والتزوير في «إنجيل برنابا» المنحول

إن الأدلة على التحريف والتزوير في هذا الإنجيل كثيرة حتى لا تُحصى. ونذكر هنا أهمها:

- تبين من تحليل نوع الحبر الذي يتخلل ورق الكتاب وكذلك

من نوع الخط الإيطالي المستعمل في المخطوط أن الإنجيل لا يرتقي إلى أبعد من القرن السادس عشر.

- كل الأناجيل المنحولة المعروفة وُضعت بلغات شرقية، وحده إنجيل برنابا وُضع باللغة الإيطالية وهو غير مترجم بل أصلي.

- أسلوبه إنشائي تابع لحقبة دانتي الشاعر الملحمي، ويستعمل لغة طوسكانا الإيطالية، مع تعابير لغة البندقية.

- ناهيك عن الأغلاط التاريخية - والتزوير التاريخي المتكرر - والجغرافية العديدة المتكررة والتعابير التي تفضح هوية الكاتب وجهله للبيئة المعاصرة للمسيح وللتاريخ القديم (للأحداث وللأشخاص). فهو بعيد عن الأحداث في صحتها التاريخية، وغير ملم بتاريخ الأمة اليهودية وعاداتها في الدين والدنيا، وهو متعثر في شؤون جغرافية بلاد فلسطين، وهو غريب عن هذا البلد، جاهل، فلا يمكن التعويل عليه، متعمد الفساد، ويوجب الحذر والنبد.

إنه يجهل أوضاع عصر يسوع، فيتعثر في الشؤون المجتمعية والسياسية والعسكرية. فنجد في هذا الإنجيل الخلط في تقسيم فلسطين، وبين المدن ومواقعها (فالناصره على البحر، وكفرناحوم على المرتفعات (٢٠؛ ٢١؛ ١٤٧ - ١٥٢)، والخلط في واقع السكان الإنثني (١٤٢؛ ٩؛ ٢١؛ ٢١٧) وفي حقيقة الفرّيسيّين وتاريخهم (٦٩؛ ١٤٤؛ ١٤٥ - ١٥٠)، وفي النقود المستعملة في عهد المسيح (٩٨)، وفي هوية السلطات المدنية والدينية (٢١٧؛ ٢١٤)، وفي العادات الدينية اليهودية: سنة اليوبيل (٨٣) التي تقع كل ١٠٠ سنة والصيام الأربعيني، وعيد المظال (١٥ و٣٠)، وساعات الصلاة (١٥٥ - ١٥٦)...

- إنه شديد الارتباط ببيئة العصور الوسطى: في فلسفته (إنه أسير فلسفة الأرسطوطاليسية المنتشرة في الغرب في القرن الثاني عشر فما بعد)، فالأوضاع والتعابير الفلسفية التي ترد على لسان يسوع في هذا الإنجيل متأثرة ومشبعة من العصر الوسيط، كاستعمال الغاية والحركة

والعرض (٣٠/٨٣)، وتقسيم النفس من حيث العمل والجوهر، وإلى حاسية ونباتية وعقلية (٣/١٠٦) الخ. ونستشف من صوفيته سمات وتعابير ذاك العصر: ظاهرة البكاء عند الصالحين والتائبين، وطريقة الكلام على الرء والمرائين، والخطيئة (١٥٣) ونظرية الخطايا الرئيسة السبع (١٣٥)، وكذلك تقسيم الجحيم إلى سبع منازل، وهكذا قسم دانتي (١٢٦٥ - ١٣٢١) منازل الجحيم في كتابه «الكوميديا الإلهية»، ووصف اليوم الآخر، الخ.

ويستخدم الكاتب، في سياق كتابه، أسلوباً للتأثير، كثيراً ما نجده في القصص الأسطوري، بتضخيم الأرقام:

- حراسة يسوع مضمونة بـ ١٠٠٠ ألف ملاك؛
- يخلق الله التراب الذي سيصنع منه الإنسان ثم يدعه يرتاح ٢٥ ألف سنة (٦/٣٥ - ٧)؛
- خلق الله روح رسول الله قبل كل شيء بـ ٦٠ ألف سنة (٨/٣٥)؛
- يغلب إبليس مخائيل بضربه ١٠٠ ألف ضربة بحربته (١/٥٧ - ٣)؛
- المُعْتَرَى فيه ٦٦٦٦ شيطاناً (٦/٢١)؛
- عدد الأنبياء ١٤٤ ألفاً (٢١/١٧)؛ (٨/٣٥)؛
- يعد جبريل يسوع بالف الف من الملائكة يحرسونه، الخ.
- ويستعمل تعابير الترجمة اللاتينية المعروفة بـ «فولغات» (أي الشعبية).

إنجيل برنابا طعن في صحة القرآن وصدق رسالة محمد

إن دعاة «إنجيل برنابا»، بتشبههم وتهوّرهم، يفتحون ثغرات في بنيان الإسلام ويسددون ضربات إلى صحة القرآن وصدق رسالة محمد. وإذا ما اعتمدوا هذا الكتاب للطعن في حقيقة المسيح وصحة المسيحية، فإن بعض النّبل، التي يسدها لإنجيل برنابا إلى المعتقدات المسيحية، ترتدّ، عن علم منهم أو عن جهل، على الإسلام بالذات

للنيل من المعتقدات الإسلامية، مما يؤدي إلى تخطئة القرآن وتسفيه وتكذيب ما جاء في الإنجيل والقرآن معاً حول قضايا إيمانية صميمية مشتركة. فإذا كان مؤلف هذا الإنجيل لم يرحم المسيحية والمسيحيين، فهو، من حيث لا يدري، لم يرق أيضاً بالإسلام والمسلمين في قضايا تتعارض مع معطيات القرآن والمعتقدات الإسلامية. ونشير باقتضاب، في هذه العجالة، إلى بعض منها، بل إلى أهمها:

- القول بأن المسيح هو محمد بن عبدالله، لا عيسى ابن مريم، هو شهادة زور على الإنجيل والقرآن معاً.

- تجاهله شخص يحيى (يوحنا المعمدان) والإشاحة عنه، مناقض للقرآن وتزوير في شخصية الأنبياء ورسالتهم.

- اعتماده أسطورة الشبه («شبه لهم») التعليم الصحيح عن آخرة السيد المسيح وإسنادها إلى يهوذا الإسخريوطي (٢١٥ - ٢٢١) دليل واضح تضليلي قد وضع حتماً بعد الإسلام؛ فقد شاعت هذه الأسطورة بعد القرآن بزمن بعيد. وفي تاريخ المسيحية، قبل الإسلام، لم يقل أحد بمقالة الشبه. وعلاوة على ذلك فإن أقوال المسلمين متضاربة حول الموضوع، وقد حسم الرازي كل جدل مستنتجاً أن موت المسيح عيسى ابن مريم حدث تاريخي لا سبيل إلى إنكاره. وأبان الرازي الإشكالات الستة في إلقاء شبه المسيح على الغير. والسؤال المطروح: هل المسلمون أشد حرصاً على سلامة ما جاء في القرآن من المسيحيين على سلامة ما جاء في إنجيلهم حول هذا الموضوع وغيره؟!

- دعوة إنجيل برنابا لوحدة الزواج (١٨/١١٥) مناقضة للقرآن والإسلام.

- وكذلك دعوته للزهد والكفر بالجسد من الرهبانية المسيحية؛ ومعروف أن «لا رهبانية في الإسلام».

- كلامه عن الخطيئة الأصلية والفضاء والقدر تنكّر لمقالة الإسلام.

١ - ناهيك عن الأمور الأخرى الخاطئة والمغلوطة التي يتطرق إليها هذا الإنجيل المشحونة بالتحريف الديني التاريخي...

يتضح من الأدلة الموضوعية والأسلوبية أن إنجيل برنابا منحول مزوّر، يخطيء الإنجيل والقرآن، ويسفه تعاليم هذا وذاك، وينقض عقيدة المسيحيين والمسلمين على السواء. فلو أدرك دعاة هذا الإنجيل ما يشحنه من مغالطات ومناقضات وتكذيب وتزوير لما أقدموا ولا تجرأوا على اعتماده للطعن في المقدسات والعقائد المسيحية. إنه كتاب مدسوس، مغلوط، لا يجوز أبداً الأخذ بتعاليمه لكونه يستهدف في النهاية النيل من القرآن والكتاب، ومن المسلمين والمسيحيين. والأفضل أن يشتهر به ويرفض وينبذ، ليبقى قابلاً في زوايا المكتبات، بعيداً عن عيون القراء...

كتب المترجم، خليل سعادة، في مقدمة إنجيل برنابا: «إنه لم يرد لهذا الإنجيل في كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء في الأعصر القديمة أو الحديثة، حتى ولا في مؤلفات من انقطع منهم إلى الأبحاث والمجادلات الدينية، مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم في مثل تلك المناقشات، وليس ذلك فقط، بل لم يرد لهذا الإنجيل في فهارس الكتب القديمة عند الأعراب أو الأعاجم أو المستشرقين الذي وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة».

وهذا الكتاب، الأصلي في نصه الإيطالي، هو إنجيل منحول لم يكتبه برنابا تلميذ بولس الرسول، بل وضعه الأخ مارينو، الذي تذكره مقدمة الترجمة الإسبانية، ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر.

* الأب متري هاجي اثناسيو. ولد في دمشق. حاز على دكتورا في اللاهوت من لوفان (بلجيكا)، ودكتورا في الفلسفة من السوربون (باريس). نشر ثلاث سلاسل. واحدة للمثقفين (١٩ كتاباً)، وأخرى، سير القديسين (١٠ كتب)، وثالثة للأولاد (٨ كتب). أمين لجنة الكتاب المقدس في سوريا.

الفصل السابع والعشرون

الأدب البيبلي في لبنان وسوريا في القرنين التاسع عشر والعشرين

الأب جورج باليكي البولسي*

- قدّم الأب باليكي محاضرة، ربّما ستكون جزءاً من كتاب. وها نحن نقطف منها ما يتعلّق مباشرة بالأدب البيبليّ في القرنين التاسع عشر والعشرين من أدب بيبلي.

مقدمة

إن موضوع الأدب البيبليّ، أي أدب الكتاب المقدّس في ترجماته وأبحاثه وتفسيره لموضوع شيق للغاية، ولكنّه في آن معاً، بحر واسع الأطراف، لا يمكن أن يحده حدّ ولا أن يستقصي الإنسان جميع معالمه، أو يلمّ بجميع أحداثه.

القسم الأول: الترجمات

أ- ترجمات الكتاب المقدس في القرن ١٩

قبل القرن التاسع عشر كانت محاولات ناجحة ولكن مكثّلة بقيود إنحطاط اللغة العربية في ذلك العصر، فلم تف بالمرام ولم تكن بالحقيقة أهلاً بكلمة الله القدّوسة. وكانت محاولات جزئية، قلّما طالت الكتاب المقدّس بأكمله، بل ترجمت أجزاء منه كالتوراة أو سفر المزامير أو بعض الإنجيل...

١ - الترجمة البروتستنتية

وكان المرسلون الأميركيون قد أسسوا في جزيرة مالطة مطبعة عملت زهاء عشرين عاماً (١٨٢٢ - ١٨٤٣)، ونقلوا منها، في العام ١٨٣٠، إلى بيروت جزءاً أخذوا يتوسعون فيه شيئاً فشيئاً لسد حاجاتهم إلى الكتب للوعظ والتعليم والتبشير. فكانت المطبعة الأميركية ببيروت تنشر الكتب العلمية والطبية واللغوية تلبية لحاجات المدارس البروتستنتية التي أسسها المرسلون في بيروت والجبل وصيدا. وكانت تطبع أجزاء كثيرة من الكتاب المقدس، طبقاً للترجمة التي قام بها المطران الرزي وطبعت، العام ١٦٧١، برومة باللغتين اللاتينية والعربية. ولم يأنفوا من استخدام أي ترجمة تداولها المسيحيون الشرقيون حتى الكاثوليك منهم. ولكن لتضلعهم من اللغات التي كتب فيها الكتاب المقدس وتثقفهم الحديث من العربية، لاحظوا أن بعض الترجمات السابقة ناقصة أو مبهمة أو ركيكة، مبنى ومعنى.

فقرر مجلس العمدة، في العام ١٨٣٧، المباشرة بإعداد ترجمة جديدة للكتاب المقدس بأكمله، إلى اللغة العربية.

وفي السادس من آذار ١٨٤٤، قدّم الدكتور عالي سميث تقريراً إلى سبعة من أعضاء عمدة الإرسالية الأميركية ببيروت منهم الدكتور روفس أندرسون، والدكتور جويل هاوس، وأطلعهم على ما طرأ من أعمال وتحضير للترجمة، منذ قرار العام ١٨٣٧. فتشكلت على الفور لجنة قوامها السيد وايتينغ والدكتور عالي سميث والدكتور كرنيليوس فان ديك، وكلّفت درس المشروع برمته. وبعد ثلاثة أعوام، في كانون الثاني ١٨٤٧، قرّرت الإرسالية الأميركية ببيروت رسمياً ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية. وأوكلت إلى الدكتور سميث إدارة المشروع، فينصرف حالاً إلى العمل ويكرّس له حياته.

وفي السنة عينها، أرسلت اللجنة إلى الولايات المتحدة تقريراً تشرح فيه أهمية العمل الذي تقوم به إرسالية بيروت الأميركية، ومستقبل الكتاب المقدس باللغة العربية. وفي رؤية نبوية، تطلّعت

الجماعة إلى ملايين القراء الذين سيردون هذا ينبوع الحيّ ويجدون فيه الخلاص.

بالرغم من تضلّعه من اللغة العربية وبعض اللغات الساميّة الأخرى، أثر الدكتور عالي سميث الاستعانة بالمعلّم بطرس البستانيّ والشيخ ناصيف اليازجي. فكان الأول ضليعاً من اللغة العربيّة والعبريّة معاً؛ أما الثاني فكان نحويّاً قديراً يحسن ضبط اللغة.

وما داهمت المنية الدكتور عالي سميث في ١١/١/١٨٥٧ إلاّ وقد أتمّ ترجمة أسفار موسى الخمسة والعهد الجديد وأجزاء متفرّقة من أسفار الأنبياء، وكانت المطبعة قد أنجزت في حياته طبع الإصحاحات العشرة الأولى من سفر التكوين فقط.

لم تثبّط هذه المصيبة من عزيمة المرسلين وأن توقف عمل الترجمة وقتاً ما، بل سارعوا وعهدوا بالأمانة والرسالة إلى الدكتور كرنيليوس فان ديك، معاون سميث.

٢ - الدكتور كرنيليوس فان ديك (١٨١٨ - ١٨٩٥)

بادر فان ديك أولاً إلى إعادة النظر في جميع ما ترجم سلفه سفيراً سفيراً، وصفحة وصفحة. ولكي يتأكد من صدق الترجمة ومطابقتها كان يرسل نحواً من ثلاثين نسخة من كل جزء قبل طبعه إلى مشاهير العلماء وأفذاذ اللغة من مسيحيّين ومسلمين، عرباً كانوا أم أجنب، في مصر وسورية ولبنان وأحياناً إلى ألمانيا. وبعد استرجاع المسودات، كان يقابل الانتقادات والتصحيحات، ويتقيّد بالمستحسن منها ويعمل بموجبه. فحقّ أن تسمّى تلك الترجمة الأولى للكتاب المقدّس إلى اللغة العربيّة ترجمة «مسكونيّة» قبل أن يدرج التعبير، إذ شاركت في وضعها عقول كثيرة من وطنيّين وأجنب، من مسيحيّين ومسلمين.

وكان الفراغ من ترجمة العهد القديم في ٢٢/٨/١٨٦٤ في عبيه، وتمّ طبعها للمرّة الأولى في ١٠/٣/١٨٦٥. وكان فان ديك قد فرغ من مراجعة ترجمة العهد الجديد في ٩/٣/١٨٦٠، فوضعها بين أيدي

اللجنة المدقّقة في ٢٨ منه. وصدرت آخر صحيفة من الكتاب المقدّس بالعربيّة من تحت الطبع في ١٨٦٥/٣/٢٩.

وتتالت الطبعات المختلفة، بشواهد وبدون شواهد، بحركات وبدون حركات، وبأحجام وأشكال مختلفة بلغت الإثنين والسبعين، فواصل الدكتور فان ديك عمله التدقيقي ولم يعتبر قطّ أنه بلغ الكمال، بل كان في كل طبعة جديدة يجري ما يلزم من تصحيح، حتى يوم وفاته في ١٨٩٥/١١/١٣.

وكان قد وزّع من الكتاب المقدّس إلى حينه ما يقارب الخمسين ألف نسخة تحدّثت بعظائم الله إلى المسيحيين الناطقين بالضاد، وإلى مواطنيهم المسلمين في الأقطار العربيّة^(١).

ويتبيّن من النسخات الموجودة في مكتباتنا الجامعيّة الكبرى:

١- أن العهد القديم قد «ترجم حديثاً من اللغة العبرانيّة»، أو «من اللغات الأصليّة وهي اللغة العبرانيّة واللغة الكلدانيّة واللغة اليونانيّة، وأن العهد الجديد قد ترجم من اللغة اليونانيّة».

٢- أن الطبعة الأولى (١٨٦٥/٣/٢٩) قد طبعت بأحرفها في بيروت. أما الطبعات الأخرى فلقد إصطنع لها صفائح في أوروبا أو أميركا: «وكان الفراغ من اصطناع صفائحه في شهر آب من أشهر سنة سبعة وستين وثمان مئة بعد الألف مسيحيّة، في مدينة نيويورك؛ «وقد طبع في مطبعة المدرسة من مدينة أكسفورد، في سنة ١٨٧١ مسيحيّة»؛ «طبع بنفقة الجمعيّة البريطانيّة والأجنبيّة لأجل انتشار الكتب المقدّسة، في مطبعة المدرسة من مدينة أكسفورد، في سنة ١٨٧١ مسيحيّة».

٣- أن العهد الجديد قد «طبع في بيروت وكان الفراغ من طبعه في شهر نيسان سنة ١٨٦٤ مسيحيّة»، أي زهاء السنة قبل العهد القديم، «وقد طبع بنفقة الجمعيّة البريطانيّة والأجنبيّة لأجل انتشار الكتب المقدّسة، سنة ١٨٦٤».

أصدر المرسلون الأميركيون (١٨٦٥) الترجمة العربية الجديدة للكتاب المقدس، فبادر إلى توزيعها البروتستانت والروس وحتى السريان والكاثوليك. فدبّ الحماس في قلوب المرسلين اليسوعيين، فأقروا «في غرة ١٨٧٢، في بيروت، المباشرة بترجمة عربية جديدة للعهد القديم».

٢ - ترجمة اليسوعيين

يقول الأب سامي خوري اليسوعي: «وكان الأب جوزف روز (١٨٣٤ - ١٨٩٦) اليسوعي الفرنسي من أشد المتحمسين للمشروع، فأناط به الرؤساء مسؤولية هذا العمل الطويل المدى، يعاونه الآباء جوزف فان هام (١٨١٣ - ١٨٨٩) اليسوعي الهولندي، وأغوستين روده (١٨٢٨ - ١٩٠٩) اليسوعي الفرنسي، وفيليب كوش (١٨١٨ - ١٨٩٥) اليسوعي الفرنسي، وأقله في المرحلة التحضيرية الخوري يوسف البستاني (١٨٩٦).

«وأجمع الرأي على الاستعانة بالشيخ إبراهيم اليازجي لصياغة هذا النص الجديد: تهيم اللجنة ترجمة حرفية تبرز دقائق الأصول بأمانة كلية فيضفي الشيخ عليها ديباجته العربية الفخمة».

أما مراحل إعداد ترجمة الآباء اليسوعيين فكانت التالية:

- «بأشر الآباء تجهيز الترجمة في بيروت في شهر آذار ١٨٧٢، فكانوا يسلّمون الشيخ النصّ الحرفي، دفتراً دفتراً، فيكتب الديباجة... ثم يجتمع الآباء للفحص والموافقة».

- «إنتهت المرحلة الأولى من تحضير الجزء الأول في ١٠/١/١٨٧٤، فانتقل اليازجي مع اللجنة إلى غزير حيث أكتبوا على العمل بين ١١ نيسان و٨ تموز. وقد رافق الشيخ إبراهيم أخواه عبدالله وخليل، لتبويض النصّ النهائي وتشكيله، على ما نقدّر».

- «باشرت المطبعة في كانون الثاني طبع الجزء الأول، بعد تنحيه

بغية الاحتفاظ بالنصّ الجاهز لإعادة طبعه عند اللزوم... أنجز الطبع في كانون الأول من السنة عينها.

- «وحصل الخلاف المعروف في أواخر تلك السنة، وعولج بروح الفطنة فلم تنقطع العلاقات بين الفريقين «اليسوعيين واليازجي»، وإن جفّت المودة لحين، واقتصرت التعاون على إتمام الجزء الثاني من العهد القديم...»

- وكان الطلب ملحاً على كتاب العهد الجديد. وكان قد حصل بعض التأخير في ترجمة الجزء الثاني وتديجه بسبب صعوبة النصوص الشعرية والحكمية في الأسفار المقدسة، وكذلك، على ما نظنّ، لتوقيف العمل حيناً على أثر الخلاف الحاصل.

- فبدأ الآباء طبع المجلّد الثالث على الثاني. وكانت قد تمّت ترجمة الثالث على يد الأديب جرجس زوين (١٨٣٠ - ١٨٩٢)، فباشروا بالطبع في بدء ١٨٧٧ وأنجزوه، فصدر الكتاب في ٨ أيار ١٨٧٨.

- «وباشرت المطبعة بدون إبطاء بتنفيذ الجزء الثاني من العهد القديم، وكان مخطوطه جاهزاً فأشرف الشيخ إبراهيم على طبعه صحيحاً، على غرار الجزء الأول، وأنجز العمل سنة ١٨٨١»^(٢).

ب - طبعات الكتاب المقدس في القرن ٢٠

١ - ترجمات «مسكونية»

ومن الخطوات العملية على طريق الوحدة، كانت دعوة الأب والتر أبتو اليسوعي، ممثل دائرة العمل الكتابي الموحد في الفاتيكان، إلى ضرورة ترجمة موحدة للكتاب المقدس باللغة الإنكليزية. وتجنّدت الفكرة في فرنسا ترجمة مسكونية تجنّد لها نحو مئة اختصاصي من مختلف الطوائف المسيحية، أي الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستنت، فاتفقوا على النص والتفسير والمقدمات.

أمّا في لبنان فلقد انعقد في فندق «هوليداي بيتش» - نهر الكلب

مؤتمر استمرّ ثلاثة أيام (٢٨ - ٣١/١/١٩٦٩)، وضمّ ١٨ ممثلاً للكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية في الشرق الأوسط.

وقد أسفر المؤتمر عن التوصية التالية:

«نحن أعضاء مجلس مندوبي الكنائس الذي أنشئ رسمياً الآن ليكون حلقة الاتصال بين كنائسنا وبين جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، لإقرار المخططات اللازمة للقيام بترجمة موحّدة للكتاب المقدس إلى اللغة العربية - بعد الرجوع إذا اقتضى الحال، إلى السلطات المسؤولة في الكنائس التي نمثلها - نسجل هنا تأييد كنائسنا لهذا المشروع من بدايته الرسمية في هذا المؤتمر. ونتعهد باسم كنائسنا بتقديم كل معونة ممكنة للمشروع حتى إتمامه. ونوكل إلى جمعيات الكتاب المقدس المتحدة أمر تنفيذ هذا المشروع، كما نفوض إليها البتّ في جميع المسائل التنظيمية والمالية المتعلقة به».

وانعقدت دورة ثانية للمؤتمر في برمانا، من ٩/١٥ إلى ١٠/٤/١٩٦٩، لمتابعة دراسة مشروع الترجمة العربية. وعلى مرّ السنوات تبدّل الأعضاء العاملون في اللجنة والمنتدبون إليها من الكنائس المحلية، ولكنهم عملوا وجدّوا فأصدروا من الكتاب المقدس العهد الجديد.

وجاء في المقدّمة «أن الغاية من هذه الترجمة الجديدة للعهد الجديد، هي إعادة النظر في الترجمات العربية القديمة على هدى المعرفة المستجدة، خلال المئة السنة الأخيرة، في تفسير النصوص، والإفادة منها مع اعتماد أسلوب عربيّ بليغ يكون في الوقت ذاته مبسطاً واضحاً، وقريباً من الكلام العادي».

«... ونختتم بالقول إن هذه الترجمة الجديدة التي استغرق وضعها نحو ست سنوات، هي أول ترجمة عربيّة وضعتها لجنة مؤلفة من علماء لاهوتيين ينتمون إلى مختلف الطوائف المسيحية، من إنجيلية وكاثوليكية وأرثوذكسية»^(٣).

٢- ترجمة العهد الجديد للآباء البولسّين - حريصا

منذ أوائل الخمسينات، أخذ الأب جورج فاخوري البولسي على عاتقه ترجمة العهد الجديد عن اليونانية مباشرة، قال: «وقد اعتمدنا كأصل للترجمة أحدث نص ضبطه علم النقد الكتابي، واستجلينا معانيه الشريفة ما ظهر منها وما استتر والصريح منها والضمني، على ضوء القرائن السابقة واللاحقة، وعلى ضوء روح الكتاب إجمالاً وتفصيلاً، وعلى ما فهم الآباء القديسون شرقاً وغرباً متوكلين على جميع الترجمات العربية وعلى أحدث الترجمات الأجنبية، ولم ندع وسيلة في اليد إلاّ استغللناها لكي يكون فهمنا للمعنى على أدق وجه ممكن، وأدينا ذلك على غير زيادة ولا نقصان مؤثرين البساطة على غير ضعف، متحرّين الانسجام واللين منكبين عن كل تعقيد، متقيدين ببيان اللغة العربية وعبقريتها، وما خرجنا عمّا ألفته الأسماع إلاّ إضطراراً».

وظهرت ترجمة الأب جورج فاخوري، في طبعتها الأولى، العام ١٩٥٣. وتكرّرت طبعاتها سنوياً حتى تاريخه دون أي تعديل فيها، إلاّ إضافة بعض الفهارس. «وكان همه الكبير في الشهور الأخيرة من حياته أن يعيد النظر في ترجمته للعهد الجديد ويضيف إليها بعض الشروحات والتوضيحات...» ولقد فعل وانتهى إلى الموضوع في أعمال الرسل الذي يقول فيه: «ثم خرج ومضى إلى موضع آخر» (١٧/١٢).

٣- ترجمة اليسوعيين الجديدة

وفي السنة ١٩٤٩، أخذت الرهبانية تعيد النظر في النص لتفيده مما وصلت إليه الدراسات الكتابية وأساليب الترجمة وفنون الإخراج والطباعة. فصدرت في السنة ١٩٦٩ ترجمة للعهد الجديد، قام بها الأب صبحي حموي اليسوعي والأب يوسف قوشاقجي، بالتعاون مع الأستاذ بطرس البستاني الذي شارك في صياغتها الأدبية.

وفي السنة ١٩٨٠، إنتقل العمل إلى أسفار العهد القديم، وعهد

به إلى الآباء اليسوعيين أنطوان اودو ورنيه لافنان وصبحي حموي، وسار على المبادئ الأدبية التالية: الأمانة للأصل العبري ونصّ الترجمة القديمة قدر المستطاع، لا سيما في استعمال المفردات الكتابية المسيحية المألوفة، والبساطة في اختيار الألفاظ، والمحافظة على أسلوب إبراهيم اليازجي وعلى الإنشاء العربي التقليديّ.

وتميّزت هذه الطبعة الجديدة بمداخل تنصدر كل سفر، وحواش في ذيل الصفحات تساعد في تفهم المعاني، وبأرقام إزاء الفقرات والآيات في هوامش الصفحات، تدلّ على ما في سائر الكتاب من مراجع تشبهها، وبجداول وفهارس.

٤ - الكتاب المقدّس، العهد الجديد: الإنجيل - أعمال الرسل -

الرسائل - رؤيا يوحنا، بحسب الكتاب السرياني فشيطنو، ترجمة الخوري يوسف عون، ١٩٨٢، ١٠٧٢ صفحة.

أصدر صاحب الترجمة أولاً، في ١٩٧٨، الأنجيل الأربعة. وفي هذه الطبعة أنجز أسفار العهد الجديد كلّها. وقد أرادها «ترجمة حديثة، بسيطة صحيحة التعبير، موسيقى الأداء، سهلة التجويد».

وتتميّز هذه الترجمة بأنها «مالت عن النص اليوناني الغامض أحياناً، إلى النص السرياني الواضح والدقيق والأمين» (عن كلمة المترجم، ص ٦).

٥ - «نقل» العهد الجديد، للرهبانية اللبنانية المارونية

عرفت الكنيسة المارونية في الشرق ترجمات عديدة للكتاب المقدّس قام بها أفراد. وكان لا بدّ «لكلية اللاهوت الحبرية» (جامعة الروح القدس - الكسليك) من أن تتحرّك وتطلع على مسيحيي الشرق بترجمة جديدة أقلّه للعهد الجديد. فجاءت على مرحلتين: الأولى، الإنجيل وأعمال الرسل (١٩٨٧)، والثانية الرسائل والرؤيا (١٩٩٢).

كل ما في هذه الترجمة الجديدة لافت للنظر: فهي أولاً لا تقول «ترجمة» بل «نقل»، ولقد تعمّدت صدم القارئ بتعابير وألفاظ لم

يعهدها من قبل، فيستغربها ويستنكرها بالرغم مما يرافقها في الهوامش من شروحات وتفسيرات استفاض فيها «الناقلون» والشارحون، وهم كثر: الآبائي بطرس قزي، والخوري يوحنا قمير، والآباء يوحنا الخوند واسعد جوهر وروفايل مطر، وجاء إخراجها من أروع ما صدر حتى الآن في اللغة العربية: ورق فاخر وطبع بلونين، ولوحات قديمة وخرائط بالألوان، وتجليد فني... قراءتها مريحة وعناوينها واضحة، وشروحاتها وتعليقاتها مستفيضة.

هذا وقد استغرق العمل في الجزء الأول قرابة العشر سنوات، وفي الجزء الثاني الثلاث سنوات.

ج - متنوعات

قبل أن ننتقل إلى تفاسير الكتاب المقدس، لا بدّ من أن نذكر «الديايطسرون» و«الإزائية الإنجيلية» في طبعاتهما القديمة والحديثة:

١ - الديايطسرون

ظهر هذا الكتاب القديم في طبعتين، وجدنا نسخاً منهما في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين ببيروت، الأولى تحت عنوان: «ديايطاسارون الذي جمعه ططيانوس من المبشرين الأربعة».

أما الطبعة الثانية فظهرت سنة ١٩٣٥، تحت هذا العنوان: «الأب أ.س. مرمجي الدومنيكي، أحد أساتذة المدرسة الكتابية والآثارية الفرنسية في القدس: الديايطسرون، أي الرباعي وهو الإنجيل الذي جمعه ططيانوس من المبشرين الأربعة. يحوي نصّه العربيّ مصحّحاً، مستخرجاً إلى الفرنسية، معارضاً بالترجمات السريانية القديمة مزيلاً بأناجيلية ديايطسرية سريانية، مضافاً إليه أربعة روايز (لوحات) خارج النصّ».

٢ - الإزائية الإنجيلية

- «الإزائية الإنجيلية، نظمها باليونانية والفرنسية، الأبوان لاكرانج

ولافيرن الدومنيكيّان. نقلها عن نصّها الفرنسيّ إلى نصّ عربيّ الأب مرمجيّ الدومنيكيّ.

٣ - «كتاب القلادة الدرّية من الأربعة الأناجيل السنيّة»

وهي نظام يضم كل ما ذكره الأربعة الإنجيليون ، في سيرة السيد له المجد قد جمعه ورتبه أحد المرسلين اليسوعيّين .

القسم الثاني : تفاسير الكتاب المقدّس

١ - نستهل هذا القسم الثاني من الدراسة بعرض الفهارس والقواميس :

أ - «كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدّس الثمين» : لا ذكر للمؤلف أو المطبعة، طبع في بيروت سنة ١٨٥٢ مسيحيّة، ٥٢٤ صفحة، وله طبعة ثالثة (١٨٦٩) من ٦٤٨ صفحة تحتوي على إضافات كثيرة وتبويب جديد.

ب - «فهرس الكتاب المقدّس»، وهو قاموس يستدل به من الفاظ الكتاب المقدّس الرئيسيّة على مواضع آياته. جامعه جورج بوست عفي عنه. الجزء الأول: النكرات (من أ إلى ص) ٣٦٦، + صفحتا تصحيح أخطاء. شرع في طبعه سنة ١٨٧٣، وانتهى في آخر ١٨٧٥. الجزء الثاني: النكرات (من ض إلى ي)، من ص ٣٧١ إلى ٦٥٦، يليه باب الإعلام (ص ٦٥٧ - ٧٠٢). شرع في طبعه، أول سنة ١٨٧٦.

هذا، وقد أعيد طبعه مراراً، حتى تاريخه، وفي مجلّد واحد. ومن المؤسف أنه لا يحوي مراجع الكتب القانونيّة الثانية، إنسجاماً مع مبدأ التقليد والعقيدة البروتستنتيّة.

ج - «قاموس الكتاب المقدّس»، ترجمة وتأليف الدكتور جورج بوست عفي عنه. مجلّد أول: (من أ إلى ش)، ٦٥٦ صفحة، طبع في مطبعة بيروت الأميركانية سنة ١٨٩٤، مجلّد ثان: (من ص إلى

(ي)، ٥٦٠ صفحة، + ١٢ خارطة بالألوان، طبع في بيروت في المطبعة الأميركية سنة ١٩٠١.

هذا وقد أعيد طبعه مرّات متتالية كان آخرها في عام ١٩٥٨. وشكلت لجنة من الاختصاصيين، من عدّة كنائس، فأعادت النظر في قاموس جورج بوست، على ضوء الدراسات الحديثة والاكتشافات الجديدة، ووضعت قاموساً جديداً، هيئة تحريره الدكتور بطرس عبد الملك والدكتور جون ألكساندر طمسن والأستاذ ابراهيم مطر.

وفي عام ١٩٦٧ أنهت مكتبة المشعل الإنجيليّة في بيروت التابعة للسينودس الإنجيلي الوطني طبع هذا القاموس الجديد. ولمّا تمض ثلاث سنوات حتى نفذت الطبعة الأولى، فأدرك مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ضرورة إصدار طبعة ثانية. فكان ذلك في العام ١٩٧١. وقاموس الكتاب المقدّس مجلّد فخم من القطع الكبير، في ١١٣٠ صفحة ومزدان بالرسوم التوضيحية (عن مقدمة الطبعة الثانية).

د- «كلمة الله ينبوع حياة»، تأليف القس بطرس الحائك البجدرفلي، الراهب الماروني اللبناني. القسم الأول (ص ٦ - ٤٦٥): آيات الكتاب المقدّس التي هي مواضيع أدبية وحقائق دينية (حسب الترتيب الأبجدي)، القسم الثاني (ص ٤٦٦ - ٤٩٢): في الوعظ وشرفه وغزارة فوائده، وكيفية تأليفه، فهرست (ص ٤٩٣ - ٥٠٠). المطبعة الكاثوليكية في بيروت، سنة ١٩٢٦.

هـ- «آيات الإلهية في الأقوال المسيحية»، جمعها عبد المسيح الغلويري قسّ، سنة ١٩٢٨م.، طبعت بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)، ١٩٢ صفحة.

و- «مرشد الوعّاظ والكتّاب إلى كنوز آيات الكتاب»، للأرشمندريت بطرس ابي زيد، الراهب الباسيلي المخلصي، خادم الرعية الرومية الملكية الكاثوليكية في بوسطن (أميركا) عفي عنه. الجزء الأول (من أ إلى ض) ٣٦ + ٦٦٤ صفحة. إنتهى المجلد الأول من الكتاب بعون الملك الوهاب في ٣٠ ك ٢ سنة ١٩٣١، عيد الثلاثة

الأقمار (في الكنيسة اليونانية)، الجزء الثاني (من ط إلى ي) ٥١٨ صفحة. إنتهى المجلد الثاني من هذا الكتاب. وكان الفراغ من تبييضه وطبعه قبيل عيد الميلاد الشريف في ك ١ سنة ١٩٣١، والحمد لله أولاً وآخراً، مطبعة القديس بولس في حريصا.

ز- «الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية»، وهو فهرس وقاموس يوناني - عربي وعربي - يوناني للعهد الجديد، صنفه القسّ غسان خلف. صدر عن دار النشر المعمدانية، ص. ب ٢٠٢٦، بيروت - لبنان، ١٩٧٩، ١٠٢٢ صفحة.

ح- لجنة من المعرّبين، معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت (لبنان)، ١٩٨٦، ٩٠٧ + ٣٧ صفحة.

«عمل فريد من نوعه، لم تسبقه كتابات أخرى في اللغة العربية لها الروح نفسها في البحث والدقة في العمل»... هدفه الأول كان «معجماً لغوياً لمفردات الكتاب المقدس، فإذا به معجم لاهوتي للكتاب المقدس» يعرض الكلمات والأوضاع حسب الترتيب الأبجدي، ويعطيها معانيها وأبعادها الروحية واللاهوتية التي اكتسبتها، على مرّ العصور والأجيال، كما فهمها الأقدمون وطبقها اللاحقون.

يجد القارئ في هذا الكتاب: مقدّمة (١ - ١٧)، المعجم (١٩ - ٨٨٥)، ملاحق لفهارس أبجدية متنوعة (٨٩١ - ٩٠٧، ١ - ٣٧).

٢- وننتقل إلى ما صدر منذ القرن التاسع عشر، والطباعة في أوائلها، من كتب تختصر الكتاب المقدس أو التاريخ المقدس وتضعه مبسطاً بين أيدي الشعب، لخدمة الأسر المسيحية والشبان والطلاب:

أ- «مختصر التاريخ المقدس»، قد استخرجه من اللغة اللاتينية إلى اللغة العربية ميخائيل ابن المرحوم فرنسيس المسابكي الماروني، تلميذ مدرسة الأباء اليسوعيين التي في غزير ومصصح مطبعتهم الكاثوليكية التي في بيروت. وهو ٢٠٩ مقاطع، بالحرف العربي القديم، وفي ١٣٦ صفحة. طبع طبعة ثانية في المطبعة المذكورة (١٨٦٣).

ب- «أخبار العهد العتيق»، قد استخرجه من اللغة الإفرنسية إلى اللغة العربية الأب بطرس فرماج اليسوعي. طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت، سنة ١٨٧١. وله طبعة ثانية في سنة ١٨٧٣. وهو في ١٨٣ فصلاً، في ١٥٠ صفحات.

ج- «منتخبات من الكتاب المقدس»، القسم الأول (١٦٢ صفحة)، طبع في مطبعة المرسلين اليسوعيين في بيروت، سنة ١٨٧٦.

د- «التاريخ المقدس للعهد القديم»، وفي ذيله ١٢٠ صورة، إستخرجه من اللغة الروسية اسكندر جبرائيل كزما، لمنفعة أولاد المدارس الأرثوذكسية برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة. طبع في بيروت في المطبعة الأدبية سنة ١٨٨٨. وهو في ٨٦ فصلاً، في ٢٠٦ صفحات + ٣٦ صفحة للصورة. وله طبعة ثانية، سنة ١٩١٣ (وفي ذيله ست وثلاثون صورة).

هـ- «مختصر التاريخ المقدس - العهد العتيق»، جمعه ورتبه العبد الفقير إلى ربه يوسف اليان سركيس، لفائدة أولاد المدارس في سورية. طبعة جديدة بمكتبة مار منصور دي بول في بيروت لصاحبها يوسف الياس سركيس، سنة ١٨٨٩. طبع في المطبعة التجارية في بيروت. وهو ١٢٣ مقطعاً في ١٣٢ صفحة. كل صفحة مذيّلة بأسئلة من المقطع.

و- «مختصر التاريخ المقدس» باللغتين العربية والفرنسية، هذبه وترجمه إلى اللغة الفرنسية أحد مرسلي الرهبنة اليسوعية، ٢٨٦ صفحة. طبعة خامسة سنة ١٨٨٤، وطبع طبعة سابعة بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت، سنة ١٨٩٦، برخصة معارف ولاية بيروت الجليلة. وهو كتاب المسابكي الآنف الذكر، وقد ترجم إلى الفرنسية والصفحة منه تحوي مقطعاً بالعربية، وتحتة الترجمة الفرنسية.

ز- «كتاب التاريخ المقدس»، تأليف العالم العامل ميخائيل عبد الله غبريل الشباي، أستاذ الفلسفة والخطابة في المدرسة اللبنانية مار

يوسف. برخصة نظارة المعارف العموميّة الجليّة، نمرة ١١٨، تاريخ ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣١٥/٤ نيسان سنة ١٨٩٨. يباع في مكتبة المعارف خاصة موسى صفير، طبع في المطبعة الأدبية. وهو بشكل سؤال وجواب عن العهدين العتيق والجديد، في ٢٤٠ صفحة.

ح - «مختصر التاريخ المقدّس»، لمنفعة أولاد المدارس الابتدائية الأرثوذكسية إستخرجه من اللغة الروسيّة اسكندر جبرائيل كزما الدمشقي، برخصة مجلس معارف بيروت الجليّة في ٢٥ أيار سنة ٣٠٧ (?) نومرو ٢٥٧. طبع طبعة خامسة بالمطبعة العلميّة ليوسف صادر في بيروت، سنة ١٩٠١. وهو مجلّد في ٢٤٨ صفحة.

ط - «مختصر التاريخ المقدّس»، مستفاد من التعليم المسيحي لقداسة أبينا وسيّدنا البابا بيوس العاشر المالك سعيداً. تعريب الآباتي القس افرام حنين الديراني، المدبر الثاني في الرهبانية الحلبية اللبنانية المارونية ورئيس رسالة دير القمر. طبع في المطبعة الأدبية في بيروت، سنة ١٩٠٨ مسيحية، ٨٨ صفحة.

ي - «تاريخ الكتاب المقدّس للمدرسة وللعائلة»، عن العلامتين شوستر وماي، للسيد العلامة المطران يوستوس كنيخت، معاون أبرشية فريبورغ. مزين ببعض تصاوير، ترجمة الأبوان دونكيل وعلوان اللعازريان. مطبعة الاجتهاد بيروت سنة ١٩٢٣، مجلّد في ٢٨٨ صفحة. وله طبعة ثانية منقحة.

٣ - وحال صدور الكتاب المقدّس بالعربية تناوله الشراح والنقاد بحثاً وتدقيقاً من الوجهة العلميّة وإمكانية توافق العلم والدين. فظهرت في ذلك بعض الكتب، نورد أهمها:

أ - «كتاب التوفيق بين العلم وسفر التكوين»، بقلم جناب الفاضل رشيد أفندي الخوري الشرتوني، أملاه عليه بالفرنسية حضرة الأب دي كوييه اليسوعي. بيروت، بالمطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين، ١٨٩١، في ١٦٦ صفحة.

ب- «كتاب مطابقة العلم للفصل الأول من سفر التكوين»، ترجمه إلى العربية القس مخايل شحود الرومي الكاثوليكي الحلبي. بمطبعة الآداب لصاحبها أمين الخوري في بيروت. (بدون التاريخ)، ١٢٤ صفحة.

ج- «سفر التكوين»، بحث نظري فلسفي تشريحي لبيان من هو كاتب هذا السفر؟ الذي هو أقدم سفر تاريخي في العالم والغاية من كتابته. تأليف الأستاذ جبر ضومط، ب.ع.م.ع. بالجامعة الأميركية في بيروت، مطابع قوزما، (بدون تاريخ: لربما سنة ١٩٢٩).

د- «كشف النقاب عن حقيقة الكتاب»، هو كتاب تاريخي انتقادي للأسفار الإلهيّة أو مدخل في الكتاب المقدّس. المجلّد الأول من الكتاب الأول من الجزء الأول، المؤلف الأخ الياس تابت الراهب الحلبي اللبناني. مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية - لبنان، ١٩٣٣، في ٧٤ صفحة، المجلّد الثاني من الكتاب الأول من الجزء الأول، ١٩٣٤، في ١٤٨.

٤- وفي علم تفسير الكتاب المقدّس توقفنا عند العديد من المؤلفات منها العريق في القدم، ومنها تطبيق باللغة العربيّة لما توصل إليه العلماء في الغرب، فاستبقينا منها الكتب التالية:

أ- «كتاب تفسير بشارة القديس يوحنا الإنجيلي الثاولوغس»

لأبينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب رئيس أساقفة مدينة القسطنطينيّة. قد استخرجه من اللغة اليونانيّة إلى اللغة العربيّة عبدالله بن الفضل الأنطاكي. وهو يشتمل على ثمان وثمانين موعظة وتقدمهم مقدمة الكتاب ثم تنبيه وفهرس العظات، ويقسم إلى مجلدين: المجلّد الأول، ٣٢٠ صفحة (وتنقصه المقالة الثانية والثلاثون)، أما المجلّد الثاني فلم نعر عليه. وينتهي المجلّد الأول بالنصّ التاريخي التالي:

«اعلم فقد تم طبع هذا الكتاب بنفقة الشماس غبريل المدعو غبروس القبطي الذي من الصعيد من بلدة ابوتيج من بيت أبو رويس

بإذن الرؤساء في دير القديس يوحنا النبي الصابغ الملقب بالشوير من معاملة كسروان بعمل الرهبان القانونيين الباسيليين. وطبع حسب النسخة الأصلية التي قدمت لهم من الفاحصين المقامين من السيد البطريك كيريو كير مكسيموس الكلي الطوبى المذكورين أنفاً. تحت ختمهم حرفاً فحرفاً من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير حسب مطلوبه. وذلك سنة ألف وثمان مائة وست وثلاثين للتجسد الإلهي».

ب - «تحفة الجيل في تفسير الأناجيل»

قد جمعه الخوري يوسف الياس الدبس الماروني اللبناني من تفاسير العلماء الأفاضل كرنيليوس الحجري ويوحنا ملدوناتوس ويعقوب تيريني اليسوعيين، مترجماً من اللاتينية إلى العربية. وقد طبع الآن باهتمامه واهتمام صديقه الخواجه رزق الله خضرا، في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٦٨. وهو في ١٠٠٠ ص من القطع الكبير + ٢٥ ص فهارس أبجدية + ٦ ص إصلاح خطأ.

ونورد هنا ذكر كتاب طبع في مصر، لأنه في مقدمته يأتي على ذكر الكتاب الأنف الذكر:

ج - «تفسير المشرقي، أي القس أبو الفرج، للأربعة أناجيل». طبع في عهد وإذن قداسة الأقدس الأنبا كيرلس الخامس، بابا الكرازة المرقسية المعظم الماية والثاني عشر من خلفاء مار مرقس الرسول.

حقوق الطبع محفوظة لمهذب عبارته ومصححه وواضع حواشيه يوسف منقريوس، ناظر المدرسة الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، وصاحب مجلة «الحق». طبع بمطبعة التوفيق، سنة ١٦٢٥ للشهداء، وسنة ١٩٠٨ ميلادية.

جاء في مقدمة الكتاب ما يلي:

«المؤلف، هو أبو الفرج عبدالله ابن الطيب العراقي: راهب مسيحي عالم متضلّع في الفلسفة والطب اليوناني وشارح كتب ارسطاطاليس وغلان. توفي سنة ١٠٤٣م. وكان قساً نسطورياً وكاتباً

سريّاً للبطريرك ايلياس الأول، وقد تخرّج عليه عدة تلامذة امتازوا بالفضل والتبحّر في العلوم، منهم ابو الحسن المستشار. وله مؤلفات كثيرة في الطب والفلسفة واللاهوت وهي باقية مخطوطة في جملة مكتبات.

«... ثم إنني لدى مقابلة أفكار وآراء هذا التفسير بآراء ومذاهب التفسير الموسوم (تحفة الجيل في تفسير الأنجيل) الذي جمعه الخوري يوسف ايلياس الدبس الماروني اللبناني من تفاسير العلماء الأفاضل كرنيلوس الحجري ويوحنا ملدوناتوس ويعقوب تيريني اليسوعيين، مترجماً عن اللاتينية، وجدت تشابهاً واتفاقاً في كثير من المسائل إلا في بعض الأمور العقائدية التي تختلف فيها الكنيسة الباباوية عن الكنيسة الأرثوذكسية. والفرق بين التفسيرين أن كتابنا يورد آراء أكثر ويزيد في التوضيح والبيان. أما كتابهم فأوجز وأقل إيراداً للآراء المختلفة. فاتضح لي من ذلك أن المورد العذب الذي استقى منه عالمنا الشرقي، وأن أنفاس الآباء الأولين كانت هي البدر المنير الذي استضاء منه عموم علماء العصور المتأخرة في التفسير.

«... إن البطريرك اسطفانوس الدويهي الأهدني روى أن العلامة المذكور (أبو الفرج ابي عبدالله بن الطيب) كان قساً مارونياً من أهل جبل لبنان، إلا أنه مال إلى القائلين بالمشيئة الواحدة في ربنا يسوع المسيح بسبب مطالعته لكتاب سعيد بن بطريق وتغربه في بلاد العراق».

يحتوي الجزء الأول على مقدمات (ص ١ - ٤٧)، وتفسير إنجيل متى (ص ٤٨ - ٥٠٩)، وتفسير إنجيل مرقس (ص ٥١٠ - ٦٠٢). طبع بمطبعة التوفيق سنة ١٦٢٦ للشهداء، ١٩١٠ ميلادية.

أما الجزء الثاني فيحتوي على مقدمة (ص ٢ - ٣)، وتفسير إنجيل لوقا (ص ٤ - ٣٦٨) وتفسير إنجيل يوحنا (ص ٣٦٩ - ٦٧٤). وكان النجاس من تبييضه وطبعه يوم الأربعاء الموافق ٣ كيهك سنة ١٢٦٨ للشهداء الأظهار، و١٣ دسمبر سنة ١٩١١ ب.م.

د- «كتاب العنوان العجيب في رؤيا الحبيب»، تأليف يوسف القس الحلبي الماروني. طبع في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٧٠، باهتمام الخوري يوسف الدبس والخواجه رزق الله خضرا. وهو في ٦٢٤ صفحة: ٥٩٨ صفحة منها للشرح و٢٥ صفحة لفهرس الأبوكاليسيس.

ه- «تيسير الوسائل في تفسير الرسائل»، اقتطفه عن بعض مشاهير المفسرين الخوري يوسف العلم، أحد الكهنة المرسلين اللبنانيين عفي عنه. طبع في بيروت بالمطبعة العمومية بنفقة جناب صديقه الخواجه رزق الله ميخائيل خضرا، سنة ١٨٧٣، وله طبعة ثانية، بعد إعادة النظر عليه (هكذا) من مقتطفه بنفقة جناب صديقه الخواجه رزق الله خضرا، سنة ١٨٧٨. والكتاب مجلد في ٩٢٦ صفحة.

و- «كتاب رحلة الفيلسوف الروماني»، يتضمن سيرة المسيح وتفسير الأناجيل المقدسة. تأليف الفقير اليه تعالى جرمانوس معقد مطران اللاذقية. طبع في المطبعة الشرقية، الحدث «لبنان» سنة ١٩٠١. وهو في قسمين، الأول خلاصة تاريخ السلالة الآدمية الأدبي (ص ٥ - ٦٣)، والثاني سيرة السيد المسيح (ص ٦٤ - ٨٠٤). يليهما فهرس الفصول (ص ٨٠٥ - ٨٠٨)، وفهرس هجائي (ص ٨٠٩ - ٨٠٨)، ثم إصلاح غلط (ص ٨٢٥ - ٨٣٢). وكان الفراغ من تأليفه في آخر يوم من كانون الأول خاتمة القرن التاسع عشر في قرية حريصا من مقاطعة كسروان.

يعتبر هذا الكتاب فاتحة، قبل الآوان، لعلم التفسير وأسلوب التطرق إلى عوامل البيئة والعناصر التاريخية والجغرافية لفهم آيات الكتاب المقدس.

ز- «حجة المبشرين بحقائق الدين». مطبعة القديس بولس حريصا ١٩٢٩. الجزء الأول، وهو في ٣٣٢ صفحة يحتوي على ٥٣ عظة من الأحد الأول قبل الميلاد للأحد ٢٤ ب.ع. أما الأجزاء ٢، ٣ و٤ فهي في مجلد واحد من ٤٤٠ صفحة: يحتوي الجزء ٢ على ١٣

إرشاداً تتلى في بعض الآحاد، والجزء ٣ على ٢٢ موعظة تتلى في الأعياد وفي بعض حفلات أخرى غيرها، والجزء ٤ على ١٦ موعظة تتلى في أيام الرياضات.

ح - «الحق المبين في تاريخ إنزال الدين»، للأب موريس بوفه. نقله إلى العربية عن طبعته الفرنسية الرابعة (١٩٢٨) (المرسلون البولسيون) سنة ١٩٣٤. لا ذكر فيه للمطبعة ولا للناسر. وهو في ٢٠ صفحة للعنوان والمقدمة والفهرست + ٦٩٢ صفحة + ٤ خرائط.

وندخل مرحلة النصف الثاني من القرن العشرين وكان الغرب - الكاثوليكي والبروتستنتي - قد قطع أشواطاً في علم الكتاب المقدس ترجمة وتدقيقاً وتفسيراً، على أثر الاكتشافات والأبحاث التي توصلت إليها المعاهد البيبليّة الكبرى.

وكان نصيب الشرق منها وافراً بالنسبة إلى ما يتمتع به من إمكانات وأخصائيين.

١ - نقدّم أولاً ما يمكن أن يسمى مداخل إلى دراسة الكتاب المقدس وتحضيراً له:

أ - رهبنة دير مار جرجس الحرف: دروس ألقاها الأرشمندريت أندريه سكريما «مدخل إلى الكتاب المقدس»، ٢٠ شباط ١٩٨٧، بيروت، منشورات النور، ١٥٢ صفحة.

ب - «مدخل إلى الكتاب المقدس»، تأليف الأب يوسف درغام، ٧٢ صفحة، منشورات «كلمة الحياة»، (بدون تاريخ).

ج - «كيف أقرأ الإنجيل؟»، عدد خاص من مجلة «نور وحياة»، تأليف مجموعة من الباحثين الأخصائيين في الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٧٣، ٦٤ صفحة مصوّرة. وله طبعة ثانية (١٩٨٦). - «كيف أقرأ العهد القديم؟» لمؤلفين عديدين، بيروت، ١٩٧٤، ١٠٠ صفحة مصوّرة.

د - «دليل إلى قراءة الكتاب المقدس»، بقلم الأب اسطفان

شربنتيه، نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي. دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣، ٢٤٤ صفحة. يعتبر من أهم الكتب الحديثة التي تسهّل على الباحث باللغة العربية فهم الكتاب المقدّس في قرائنه التاريخية والجغرافية، وفي علاقاته مع الآداب الشرقية السابقة لعهد.

٢- ومن السيّر التي كتبت عن حياة السيّد المسيح، نذكر التالية:

أ- حياة سيّدنا يسوع المسيح، تأليف حضرة العالم العامل الأب لاكمي الفرنسي، الملفان في اللاهوت والوكيل الأسقف. ترجمها إلى العربية الخوري بطرس مبارك الماروني اللبناني، مدير الدروس في مدرسة الحكمة عفي عنه. طبع في بيروت في المطبعة الأدبية، سنة ١٩٠١، ٥١٢ صفحة.

ب- «يسوع ابن الإنسان»، بقلم جبران خليل جبران، نقله إلى العربية الأرشمندريت أنطونيوس بشير. طبع أولاً في مصر سنة ١٩٢٣، وأعاد طبعه مكتبة صادر - بيروت (بدون تاريخ)، ٢٣٢ صفحة.

ج- «إنجيل يسوع المسيح»، الحاوي قصة حياته وتعاليمه ومعجزاته. تأليف الأب م.ج. لكرانج الدومنيكي، تعريب الأب أ.س. مرمرجي الدومنيكي. مطبعة المرسلين اللبنانيين جونية (لبنان)، ١٩٢٨، ٥٥٢ صفحة.

د- «حياة يسوع المسيح»، بقلم الأب جورج فاخوري البولسي، المطبعة البولسية، حريصا (لبنان)، ١٩٤٩، ١٧٢ صفحة مصوّرة، و٨ صور ملوّنة خارج النصّ.

هـ- «حياة السيّد المسيح»، بقلم فاروق الدملوجي. دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٩٤٩، ١٢٨ صفحة.

و- «حياة سيّدنا يسوع المسيح»، تأليف الخورأسقف اسطفان رحال، نائب عام مطرانية السريان الكاثوليك بدمشق. الجزء الأول: الحياة الخفية، ١٩٥٨، ٢١٠ صفحات + ٨ لوحات خارج النصّ.

ز- «حياة يسوع المسيح»، بقلم جرجس المارديني، منشورات الرابطة الكهنوتية لبنان، ٥٨٤ صفحة + لوحات ملوّنة خارج النصّ.

ح- «يسوع المسيح، حياته ورسالته وشخصيته»، بقلم الياس نجمه، من هدايا مجلة «المسرة»، حريصا (لبنان)، ١٩٦٢، ٤٢٤ صفحة + ١٥ صفحة للصور + خارطتان بالألوان.

ط- «المسيح ابن مريم»، تأليف جاك جوميه، دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة باريس، وسامي اليافي، ليسانس في الآداب من جامعة القاهرة، سلسلة «دائرة المعارف المسيحية» تحت إشراف دار السلام بإدارة الأب يواكيم مبارك. دار الكلمة، بيروت، ١٩٦٦، ٣١٦ صفحة.

ي- «مع المسيح»، تأليف بولس سلامه. منشورات الرسل، ١٩٦٨، ٢٤٤ صفحة.

ك- «في خطى المسيح»، تأليف نصري سلهب، رئيس المجلس الأعلى للجمارك. منشورات المطبعة الكاثوليكية في بيروت، ١٩٦٨/١٢/٢٠، ٤١٦ صفحة + ٨ لوحات بالألوان، خارج النص، لائحة الفن البيزنطي والغربي. مجلد تجليداً فاخراً.

ل- «أيام ابن الإنسان»، للأب بولس الياس اليسوعي. منشورات المطبعة الكاثوليكية - بيروت، ١٩٦٨، ٢١٦ صفحة.

م- «يسوع في زمانه»، لدانيال روبس، نقله إلى العربية الأب حبيب باشا البولسي. المنشورات العربية، ١٩٦٩/٧/٢٠، ٥٢٠ صفحة + فهرس الأعلام (ص ٥٢١ - ٥٥١) + جدول توقيتي (٥٥٣ - ٥٥٨) + فهرس بعض القضايا الهامة والمسائل المناقشة (٥٥٩ - ٥٦٠) + ٣ لوحات بالألوان خارج النص.

ن- «من وحي المسيح»، بقلم ميخائيل نعيمه. مؤسسة نوفل، بيروت - لبنان، ١٩٧٤، ٢٢٦ + لوحتان بلون واحد + لوحتان بالألوان وكلها خارج النص.

٣- وما بنا الآن نفضي إلى المجموعات الكتابية، أي إلى الدراسات عن الكتاب المقدس التي تؤلف في أجزاءها العديدة سلسلة

متكاملة يقتنيها المؤمنون لمزيد من الاطلاع والفائدة، ولتنمية حياتهم الروحية وإذكاء تثقفهم الكتابي.

أ - تعتبر مجموعة «مصادر الوحي الإنجيلي» - «دراسات إنجيلية» من أهم تلك المجموعات الكتابية وأولها. فقد صدرت تبعاً، منذ العام ١٩٦٧ عن المطبعة البولسية - جونية (لبنان) لمؤلفها الأرشمندريت يوسف درّه الحداد. وفي تقديم لها، قال فيها الأب جورج فاخوري البولسي ما يلي:

صدر عن المطبعة البولسية الجزء الأول من «مصادر الوحي الإنجيلي»، بعنوان «الدفاع عن المسيحية»، وهو الحلقة الأولى من حلقات موسوعتين كبيرتين كما يظهر من سلسلة عناوينهما. والحق الذي لا مرأى فيه أن هذه «الدراسات الإنجيلية» فتح مبین في المكتبة العربية التي كانت أفقر ما يكون الإفتقار إلى مثلها.

فالموسوعة الأولى «مصادر الوحي الإنجيلي» هي دراسة إستقرائية تحليلية، في أربعة أقسام:

(١) «الدفاع عن المسيحية» في الإنجيل بحسب متى والإنجيل بحسب مرقس.

(٢) «تاريخ المسيحية» في الإنجيل بحسب لوقا وفي سفر أعمال الرسل، ٦٥٦ صفحة (طبعة ١٩٦٧).

(٣) «فلسفة المسيحية» (أي الكلام المسيحي) في رسائل بولس الرسول وسائر الرسل، ٤٩٤ صفحة.

(٤) «صوفية المسيحية» في الإنجيل بحسب يوحنا، (١٩٨١)، ٥٤٨ صفحة، وفي سفر الرؤيا مع تقديم لها في رسالة يوحنا الأولى، (١٩٨٦)، ٢٨٨ صفحة.

ومنذ العام ١٩٨٨، أخذت منشورات المكتبة البولسية على عاتقها إعادة طبع مجموعة «مصادر الوحي الإنجيلي» تحت عنوان واحد: «دراسات إنجيلية» وفصلت كل واحد من الأجزاء الأربعة إلى كتابين، ونقحتها وزادت في أعلى الصفحات ما يلزم من عناوين تسهل الرجوع إلى دراسة الفصول. فظهر منها حتى الآن:

- الجزء الأول: الدفاع عن المسيحية: (١) في الإنجيل بحسب متى، ٣٣٦ صفحة؛ (٢) في الإنجيل بحسب مرقس، ١٩٢ صفحة.

- الجزء الثاني: تاريخ المسيحية: (١) في الإنجيل بحسب لوقا، ١٩٩٠، ٤١٤ صفحة؛ (٢) في سفر أعمال الرسل، ١٩٩٠، ٢٨٨ صفحة.

ب - سلسلة «دروس كتابية» تصدر عن إدارة المركز اللوثيري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، ص.ب. ٢٤٩٦ - بيروت (لبنان).

- شعب الله، تتناول تعامل الله مع البشر منذ بدء الخليقة، ١٢٨ صفحة مصورة.

- حياة السيد المسيح، ١٦٤ صفحة مصورة.

- رجاء العالم، تتناول الملامح الرئيسية لشخصية السيد المسيح، أعد هذه الدراسة قدس الأب بطرس المعلم البولسي، ١٣٢ صفحة مصورة.

- حياة بولس الرسول، سفراته الكرازية ورسائله، ١٩٢ صفحة مصورة. تتميز هذه المجموعة بسهولة منالها، وجمال تقديمها، وطرحها في النهاية صفحات من الأسئلة، على القارئ أن يجيب عنها خطياً ليتملك مما قرأ وطالع، فيستزيد من الكتاب المقدس قراءة ومطالعة وروحانية. جميع الأجزاء طبعت في المطبعة البولسية - جونية (لبنان).

ج - سلسلة «دراسات في الكتاب المقدس»، بإدارة الأب أنطوان أودو اليسوعي. صدرت تباعاً منذ العام ١٩٨٦ حتى تاريخه، عن دار المشرق، بيروت (لبنان). من أجزائها ما هو موضوع، ومنها ما هو مترجم عن مجموعة «دفاتر إنجيلية» الفرنسية.

أما الأبحاث التي ظهرت فهي التالية:

١ - الكاردينال جان دانيالو، أضواء على أناجيل الطفولة (دراسة

عن طفولة يسوع بحسب إنجيلي متى ولوقا)، نقلها إلى العربية الأب فيكتور شلحت اليسوعي، ١٩٨٦، ٨٨ صفحة.

٢- الأب بيار غرولو، من أنت أيها الإنسان؟ (الفصول الأحد عشر الأولى من سفر التكوين)، ١٩٨٧، ٦٨ صفحة.

٣- مجموعة من المؤلفين، المعجزات في الإنجيل، نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، ١٩٨٧، ٧٢ صفحة.

٤- الأب اسطفان شربنتيه، المسيح قام! نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي ١٩٨٧، ٧٢ صفحة.

٥- الأب جاك ديبون، رسالة التطويات، نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، ١٩٨٧، ٨٠ صفحة.

٦- مجموعة من الباحثين، رؤيا القديس يوحنا، نقله إلى العربية الأب بولس الفغالي ١٩٨٧، ٦٨ صفحة.

٧- الأب دونسيان مّلا اليسوعي، قراءات في إنجيل يوحنا، نقله إلى العربية الأب حليم عبدالله، ١٩٨٧، ١٢٤ صفحة.

٨- مجموعة من الباحثين، أعمال الرسل، نقله إلى العربية الأب بولس الفغالي، ١٩٨٧، ٧٢ صفحة.

٩- الأب اسطفان شربنتيه، تعرّف إلى الكتاب المقدّس، نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، ١٩٨٨، ٨٨ صفحة.

١٠- الأب الان مرشدور، الموت والحياة في الكتاب المقدّس، نقلته إلى العربية الأم ماري - هنرييت غانم (من راهبات القلبين الأقدسين)، ١٩٨٨، ٦٤ صفحة.

١١- الأب البير فانوا اليسوعي، دراسة في الرسالة إلى العبرانيين، نقله إلى العربية الأب انطوان اودو اليسوعي، ١٩٨٨، ٦٤ صفحة.

- ١٢- الأب اسطفان شربنتيه، دراسة في الإنجيل كما رواه متى، نقلها إلى العربية الأب روفائيل خزام اليسوعي ١٩٨٨، ٨٠ صفحة.
- ١٣- رويير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، ١٩٨٨، ١٣٦ صفحة.
- ١٤- جان دلورم، دليل إلى قراءة الإنجيل كما رواه مرقس، نقله إلى العربية الأب بولس الفغالي، ١٩٨٩، ١٠٤ صفحات.
- ١٥- أوغستينس جورج، دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا، نقلها إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، ١٩٨٩، ٨٠ صفحة.
- ١٦- جان ليفيك، أيوب، الكتاب ورسالته، نقله إلى العربية الأب يوسف قوشاقجي، ١٩٨٩، ٨٨ صفحة.
- ١٧- الأب فاضل سيدراوس اليسوعي، مدخل إلى رسائل القديس بولس، ١٩٨٩، ١٠٤ صفحات.
- ١٨- الأب فاضل سيدراوس اليسوعي، تكوين الأناجيل، ١٩٩٠، ٨٠ صفحة.
- ١٩- يسوع ماريّا اسورمندي، أشعيا (١ - ٣٩)، نقله إلى العربية الأب يوسف قوشاقجي، ١٩٩٠، ٧٦ صفحة.
- ٢٠- مجموعة من الباحثين، خلق الإنسان والعالم، في نصوص من الشرق الأدنى القديم، ١٩٩٠، ٨٤ صفحة.
- ٢١- الأب أتيان شربنتيه، من الأناجيل إلى الإنجيل، نقله إلى العربية باسيل قوزي، ١٩٩١، ١٢٠ صفحة.
- ٢٢- الأب لويس مونلوبو، أنبياء العهد القديم، نقله إلى العربية الأب يوسف قوشاقجي، ١٩٩١، ٨٠ صفحة.
- ٢٣- الأب ادوار كوتنه، رسالتا بطرس، نقلهما إلى العربية الأب يوسف قوشاقجي، ١٩٩١، ٧٠ صفحة.

٢٤ - مجموعة من الباحثين، إله المساكين، نقله الى العربية الأب ألبير أبونا، طبعة ثانية منقحة، ١٩٩٢، ٧٤ صفحة.

د - مجموعتان للخورى بولس الفغالي.

يعتبر الخوري بولس الفغالي اليوم من أئمة الباحثين في الكتاب المقدس والعاملين على انتشاره بالتعليم والتدريس والنشر. فيمنذ عقدين ارتبطت حياته كلها بالكتاب المقدس: فهو إذا علم، فيعلم الكتاب المقدس، وإذا ألف أو ترجم أو وعظ أو بشر، فمحور عمله الكتاب المقدس، وحتى إذا سافر، إلى القريب أو إلى البعيد، فلكي يحاضر في الكتاب المقدس أمام الإكليروس أو العلمانيين، أو ليشارك في مؤتمرات عن الكتاب المقدس، إقليمية كانت أم دولية.

لذا فلقد صبّ مجهود حياته كلها في الكتاب المقدس فأصدر سلسلتين من الكتب: الأولى: «المجموعة الكتابية»، من منشورات المكتبة البولسية، جونية وبيروت (لبنان)، وهي تتألف من ١٤ جزءاً، صدر منها حتى الآن:

الجزء ٢ - تاريخ الكون والإنسان (سفر التكوين)، ١٩٨٨، ٤٤٨ صفحة.

الجزء ٣ - من العبودية إلى العبادة (سفر الخروج واللاويين)، ١٩٩٠، ٤٠٨ صفحات.

الجزء ٥ - التاريخ الاشتراعي (أسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك)، ١٩٩٢، ٥٤٤ صفحة.

الجزء ٦ - التاريخ الكهنوتي (أسفار الأخبار وعزرا ونحميا والمكابيين)، ١٩٩٣.

الثانية: «دراسات بيبليّة»، تصدرها «الرابطة الكتابية».

الجزء ١ - القراءة المسيحية للعهد القديم، وهو حصيلة المحاضرات التي تليت في مؤتمر لارنكا الكتابي الثاني، ٨ - ١٣ فبراير (شباط) ١٩٨٨، صدرت الطبعة الأولى في ١٩٩١، ٤٥٦ صفحة.

الجزء ٢ - إنجيل يوحنا، دراسات وتأملات، ١٩٩٢، ٦٥٢ صفحة.

الجزء ٣ - إنجيل لوقا، الجزء الأول، ١٩٩٣، ٦٧٤ صفحة.

هـ - سلسلة «من الكتاب المقدس»

رأت إدارة منشورات المكتبة البولسية (لبنان) أنه لا بدّ من تثقيف الصغار أيضاً بسلسلة مصوّرة ومبسّطة تدخلهم شيئاً فشيئاً في مراحل الكتاب المقدس بعهديه، القديم والجديد. فحصلت على امتياز ترجمة مجموعة للصغار للإنكليزية*. وعهدت إلى أخصائيين في علم النفس للصغار وإلى مترجمين، فنقلوا حتى الآن ٢٨ قصّة من أصل ٥٢، ثلاثين منها من العهد القديم، وإثنين وعشرين من العهد الجديد.

وهي كلّها مصوّرة بألوان زاهية وواضحة، ومجلّدة تجليداً فاخراً. وكل قصة من ٣٢ صفحة.

ولجزيل فائدة هذه السلسلة تعهدت جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بترجمة ما يظهر منها بالعربية إلى اللغة الأرمنية.

و - مجموعة «الكتاب المقدس المصوّر لجميع الأعمار».

منذ العام ١٩٧٩، أخذت دار منهل الحياة ببירות تصدر، ولعدة طبعات حتى الآن مجموعة مصوّرة ملوّنة عن الكتاب المقدس بشكل ما درج من «روايات - فوتو». فظهر منها:

١ - بداية العالم، ١٣٦ صفحة.

٢ - وصايا الله العشر، ١٢٨ صفحة.

٣ - الملوك والأنبياء، ١٢٨ صفحة.

٤ - السبي إلى بابل، ١١٤ صفحة.

٥ - حياة يسوع، ١٣٦ صفحة.

٦ - الكنيسة، ١٢٠ صفحة.

الخاتمة: دور الكتاب المقدس

فيما العالم قد دخل العقد الأخير من القرن العشرين وتهاياً للولوج في الألف الثالث للمسيحية، وفيما نرى أنّ في نقاط عديدة من قاراته، تمزّقه الحروب والصراعات العرقية والعقيدية، وتشرّد أهله آفاتُ الجوع والعطش والأوبئة يتبيّن أن لا خلاص له إلّا بالعودة إلى الكتاب المقدس ينهل منه المحبة والتسامح والعطاء والمشاركة في الخيرات، الخيرات الروحية وخيرات الأرض.

كثرت ترجمات الكتاب المقدس إلى أكثر من ألفي لغة ولهجة ولسان، ووزع منه في العالم أجمع مئات الملايين من النسخ ولكن قل السائرون على نهجه وتعاليمه وروحه. نرى أن «بواسطة الكتب المقدسة يبادر الآب الذي في السماوات، بنحو عظيم، إلى لقاء أبنائه والتحدث معهم. وإن كلام الله هذا يحمل قوة وعزماً عظيمين حتى إنه يصبح ركناً للكنيسة وعزّة، ولأبناء الكنيسة منعة إيمان، ولنفس المؤمنين غذاء، ولحياتهم الروحية معيناً دائماً الجريان». فهل نساءل أمام الله وأمام ضميرنا عمّا فعلنا بهذا الكنز، وتلك الوديعة التي أوثمتنا عليها جماعات وفردى! ألسنا بعد حتى الآن نتفرق شرّاذم سعيّاً وراء كيفا، وأبلس، وبولس، فيما الله يدعونا إلى الوحدة في ظلّ الكتاب المقدس؟

إنّا نحمد الله أن بواذر اتحاد ومشاركة وتعاون قد ظهرت في الشرق المسيحي، بواسطة الكتاب المقدس. فها إنّنا نرى الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستنت يتعاونون لنشر الكتاب المقدس، ترجمة ودراسة وتوزيعاً، تحت لواء «جمعية الكتاب المقدس» التي نعرب لها هنا عن تقديرنا ونجل ما تقوم به من أعمال جبّارة يعجز الآخرون عنها.

كما إنّنا نشير باعتزاز إلى الموقف الموحد الذي وقفته كنائس الشرق كلّها في وجه الذين يستغلون آيات الكتاب المقدس، لأغراض

سياسية وتوسعية على حساب الشعوب الآمنة صاحبة الحق؛ أو في وجه البدع والشيع التي تستغل الضعف البشري والعوز والفاقة والجهل لتهدم صرح الإيمان المسيحي والكنيسة نفسها.

وإن كان لنا أمنية نسوقها في ختام هذا الحديث فهو أن نستخدم التقنيات الحديثة والاختراعات ووسائل الإعلام والكمبيوتر وطاقاته الجبارة حتى تصل كلمة الله إلى الخمس مليارات من البشر المتواجدين على سطح الكرة الأرضية فتنفذ إلى عقولهم وقلوبهم وتجعل منها جميعاً أبناء الله الواحد.

*** LION STORY BIBLE, LION PUBLISHING, TRING (ENGLAND) ***

- (١) بشأن ما وزّع من الكتاب المقدّس «المعروف بطبعة فان ديك»، وما كان للترجمة من أثر في العالم العربيّ والمحيط المسيحيّ، راجع مقدمة بالإنكليزية للدكتور هوسكنز صدرت بها طبعة العام ١٩١٥. ونشير أيضاً إلى أن الإرساليّات البروتستنتيّة، وبخاصة الإنكليزية منها قد استخدمت، بانتظار الطبعة الأميركيّة، الكتاب المقدّس التّالي عنوانه: «كتاب المقدّس المشتمل على كتب العهد العتيق الموجودة في الأصل العبراني، وأيضاً كتاب العهد الجديد لربنا يسوع المسيح»، طبعه العبد الفقير وليم واطس في لندن المحروسة، سنة ١٨٦٠ المسيحيّة، على النسخة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١، لمنفعة الكنائس الشرقية. وهو في ٤٠٧ صفحات. وسبقت تلك الطبعة، طبعة في العام ١٨٣١، بنفقة رجارد واطس... هذا ما يسمى «ترجمة الشدياق» التي أعيد طبعها في طرابلس سنة ١٩٨٧.
- (٢) نلفت النظر إلى أن ترجمة الآباء اليسوعيين قد لاقت إستحساناً منقطع النظير، في الشرق والغرب، لدى الكاثوليك والبروتستنت والأرثوذكس، المسيحيين والمسلمين على السواء. «وكاد العلماء الألمان في الكتاب المقدّس يطرونها، لولا بعض ما ورد في المقدّمة أعلاه. وفي معرض باريس الدوليّ (١٨٧٨) عرضت نسخة من المجلدين الأولين (العهد القديم)، مجلدة تجليداً فاخراً، فنالت الميدالية الذهبية لما تميّزت به من روعة وجمال في الحرف والطباعة والإخراج، فاقت بهما سائر ما طبع باللغة العربيّة حتى تاريخه». (راجع في ذلك (Les Jésuites en Syrie (1831 - 1931), Univ. St.Jos., vol. VI, Les Oeuvres de Presse - Beyr., éd. Dillen, Paris, pp. 35 - 38).
- (٣) عن المقدمة، صفحات بدون ترقيم. نشير إلى أن هذه الترجمة الموحدة قد أشرف على تهذيب عبارتها الشاعر يوسف الخال (١٩١٧ - ١٩٨٧). تمّ التعاون مع الأنبا انطونيوس نجيب مطران المنيا (مصر) للأقباط الكاثوليك فيما يخص العهد الجديد وسيتمّ التعاون مع الأب بولس الفغالي (منذ سنة ١٩٨٠) فيما يخص العهد القديم.

*** الأب جورج باليكي. ولد سنة ١٩٣٢ في المزعة، بيروت.**

إرتسم كاهناً سنة ١٩٥٩.

كان مدير المطبعة البولسية ومدير المكتبة البولسية وهو الآن مدير مجلة المسرة.

الفصل الثامن والعشرون

حلقات المشاركة*

تنظمت حلقات المشاركة في ثلاثة مجالات: القراءة الرموزية^(١) مع الأخت وردة مكسور، القراءة السردية^(٢) مع الأب جان عزام، القراءة الروحية مع الأخت جهاد الأشقر. وكانت حلقة رابعة قرأ فيها الأب يوسف فخري المزمور ٢٢ على ضوء آلام يسوع المسيح في إنجيل مرقس. رأى في هذا المزمور صلاة كل إنسان يعيش مرارة الألم، كما رأى فيه تعبيراً عن الرجاء بأن الله سيفعل.

١ - القراءة الرموزية

أ - درس نظري

هذه طريقة من ثماني طرائق وهي: الطريقة التاريخية النقدية^(٣)، الطريقة البنيوية^(٤)، الطريقة الاجتماعية السياسية^(٥)، الطريقة الروحية، الطريقة النفسية^(٦)، الطريقة النفسانية^(٧)، الشعرية، الرموزية.

أما الطريقة الرموزية أو السيمياء فلا تستند إلى معلومات الإنسان، كما لا تستند إلى رأي الكاتب. إنها تنبع من المشاركين. هي تقوم على عملية القراءة، لأنها عمل القارئ. فالقارئ يستند إلى تفاصيل النص، يعتمد على تركيبات النص، ويحاول تنسيق المعلومات والعلامات أو الرموز.

إن هذه الطريقة تساعدنا على اكتشاف المعنى الخاص بكل نص. لهذا لا أقابل نصاً بنص، بل أحاول حل الصعوبات داخل النص نفسه. أنا أتعاطى مع هذا النص فلا يحق لي العودة إلى نص آخر.

وهنا تبرز أهمية الأشخاص والمكان والزمان، وتنظيم هذه الظروف وتمركزها وعلاقاتها بعضها ببعض. وهذا ما يفتح المجال للدخول في العمق ولاكتشاف حقيقة الكلمة.

وتعتمد هذه الطريقة محطات أربع:

الأولى: قراءة علنية يقوم بها أحد الأشخاص، والآخرين يسمعون دون أن يفتحوا الإنجيل.

الثانية: إعادة بناء النص غيباً.

الثالثة: زيارة النص. ماذا نسينا منه حين أعدنا بناءه؟

الرابعة: التركيز على الأشخاص، والزمان والمكان.

نتوقف أولاً عند المحور الإخباري (الهدف، السبب، إمكانية الوصول إلى الهدف)، ثم ننتقل إلى المحور التعليمي.

ب - تطبيق عملي

أولاً: مت ٤: ١٢ - ١٧: رجوع يسوع إلى الجليل

- الزمان: اعتقال يوحنا، ترك الناصرة، اقترب.

- المكان: الجليل، الناصرة، كفرناحوم، شاطئ البحر، زبولون ونفتالي.

جليل = جليل الأم

بلاد = أرض

شاطئ = طريق

بقعة الموت، الظلمة، ظلال

في المكان الذي كانت فيه الظلمة، ظهر النور

- الأشخاص: يسوع، يوحنا، المقيمون، الشعب المقيم،

الأشخاص الذين يبشرهم يسوع.

يسوع سكن فيها. سكن معهم فأصبح المكان نوراً.

يسوع جلس معهم ليتم ما قيل بأشعيا النبي.

- الرموز: الظلمة تقابل النور. ثم الظلمة والنور معاً.
ملكوت السماوات يرمز إلى النور = يسوع.
هنا فئتان من الشعب: الشعب المقيم في الظلمة، المقيمون في
بقعة الموت وظلاله.
زبولون وفتالي. هذا ما يدل على الشعب اليهودي.
طريق البحر. هذا ما يدل على الانفتاح.
جليل الأمم يشير إلى الوثنيين.
إنطلاق من اليهود إلى البحر، إلى الأمم.
هناك انتقال من مكان إلى آخر. وهذا ما يدل على شمولية تعليم
المسيح.

ثانياً: مر ٥: ٢٥ - ٤٣: شفاء المنزوفة وإقامة ابنة يائيرس.
المستويات: مستوى الشفاء. مستوى جسدي (اللمس، وضع
اليدين).
مستوى عودة الحياة.
مستوى نفسي: النازفة خجولة خائفة. لا نعرف اسمها. جاءت
من خلف.

مستوى اجتماعي: دخل يسوع مع الأب والأم.
مستوى الإيمان: «إيمانك خلصك». «أمن فقط».
كافاً يسوع رئيس المجمع على إيمانه وكذلك النازفة.
مستوى ألوهية يسوع: قومي
هناك انتقال من المستوى الجسدي إلى المستوى الروحي...
أنفقت كل ما تملك ولم تصل إلى ما تريد إلا بواسطة يسوع.
في أي مستوى نقف نحن؟

ثالثاً: مر ١: ٢١ - ٢٨: يسوع يعلم ويقتهر الشيطان
التركيز على الأمكنة: كفرناحوم (المدينة)، المجمع (موضع
مقدس).

الزمان: السبت (هو يوم مقدّس).

دخل يسوع المجمع وأخذ يعلم هناك كمن له سلطان، لا مثل الكتبة. إن تعليم يسوع يختلف عن تعليم الكتبة بل هو يقع خارج هذا التعليم التقليدي. هو يعيش ما يقول، ويقدم كلامه في أسلوب شخصي.

ودخل شخصٌ نجس إلى المكان المقدس (المجمع) في يوم مقدس (السبت). الوضعان يتعارضان. هناك اختلاف أساسي: ما لي ولك؟ إدعى الروح أنه يعرف الله وأنه بالتالي يستطيع أن يسيطر على الله، أن يمتلك الله. ولكن ظهر سلطان المسيح، فانتهدت مملكة الشيطان، وعادت إلى المجمع قدسيته وإلى السبت طهارته.

٢ - القراءة الروحية

الموضوع: درس الإنجيل مع فريق من الأطفال

المبدأ الأساسي: إيصال كلمة الله بصفاتها إلى الأطفال، من دون تشويه. نحاول أن نخلق التشويق فنستعمل أسلوب التضخيم أو التأثير على المشاعر.

أ - التحضير البعيد

التعرف إلى أسماء الأطفال وظروف حياتهم. تحضير الإنجيل مسبقاً، تحضير المكان.

ب - قبل اللقاء

فسحة من اللعب والجو المرح للتعارف. انتقال إلى المكان المحضّر للإنجيل بتطواف، والأولاد يحملون الإنجيل والشموع وينشدون مثلاً: كلمتك مصباح لخطاي...

ج - اللقاء

إشارة صليب واضحة تُتلى على مهل.

صلاة أولى انطلاقاً من واقع معاش أو من وحي النص .
قراءة النص كما هو . لا نخرج عن النص ولا نحاول أن نرويّه
فتزيد عليه .

تقنيات لفهم النص . إعادة بنائه ، تمثيل المشهد ، أسئلة صور . . .
تعميق بعض المحاور وربطها بأمثلة من الحياة .
إنتقال تدريجي إلى الصلاة .
إختتام اللقاء بصلاة تستعيد ما قاله الأطفال .

د - بعد اللقاء

قد يصبّب اللقاء في القداس ، وهكذا يعيش الأطفال خبرة الكنيسة
المجتمعة حول الكلمة .

٣ - القراءة السردية

هناك عدة مستويات لدراسة النص . من اكتشاف الرموز ، إلى
العرض الرعوي (إلى ماذا يوصلنا النص؟)
وفي الأسلوب السردى نحاول أن نكتشف عناصر الإنجيل . وذلك
في ثلاث مراحل .

الأولى : العرض الأول : الأشخاص ، الأمكنة ، الزمان .
الحركة في النص .

الثانية : العقدة أو اكتشاف القضية مع التطور الديناميكي للرواية .
هل دخل أشخاص جدد؟

الثالثة : الحل . يمكن أن يكون الحل مأساوياً .

في العرض يكون الموقف حيادياً ، بدون إصدار حكم .
في الحل ، هناك دينامية ودخول فيه حوار ، وقد يصبح مجابهة .
المهمّ أن نكتشف أبطال الرواية (كيف فهموها؟) ، سامعي
الرواية ، الكاتب والقارىء .

* وتدارس المشاركون مثل الأمناء (لو ١٩ : ١٢ - ٢٧) .

هناك مرحلتان. آ ١٢ - ١٤: عرض المشهد.

آ ١٥ - ٢٧: عودة الملك ومحاسبة العبيد.

* ثم تدارسوا إحياء ابن أرملة نائين (لو ٧: ١١ - ١٧).

كيف أبرز لوقا دور يسوع في المعجزة (خلالها، ما قبل، ما بعد)؟

للأشخاص الآخرين دورهم وقد يكون مهماً جداً.

ولكن الأمر هو الدينامية: فعلة يسوع، كلام يسوع.

هناك العرض (آ ١١ - ١٢): المشهد الأول. جماعتان. واحدة تتبع الميت وثانية تتبع الحي.

الحركة (آ ١٣ - ١٥): المشهد الثاني. أهمية الأفعال (دنا، لمس).

النتيجة على المشاهدين (آ ١٦ - ١٧): المشهد الثالث

إن آ ١٧ تقابل آ ١١.

وكذا نقول عن آ ١٢ وآ ١٦.

وفي الوسط يسوع.

دور الأشخاص. دور يسوع. هو الدور الأساسي والآخرين يتبعونه.

رأى. هذا أول عمل. وهو مهم في لوقا. يرى النبي أي يدخل

في عالم الأشخاص الذين يريد أن يعمل فيهم.

رق، أشفق: تعبير عن الشعور العميق.

دنا، قرب. هنا نجد حركة.

قم. هذا ما قاله يسوع للشباب.

دفعه إلى أمه. انتهى كل شيء. هو وحيد أمه وقد عاد إلى أمه.

مسيرة يسوع ودخوله إلى المدينة. صارت الجماعتان جماعة

واحدة. والحي حمل الحياة إلى الميت.

قام فينا نبي... بروز شخص جديد: مجدوا الله... تدخل

المسيح فتمجد الله...

وكان الانتشار... ما حدث هنا يحدث في كل مكان، ويصل
مجد الله إلى أقاصي الأرض وبعد هذا تبرز الناحية الرعائية.

* لعازر والغني (لو ١٦: ١٩ - ٣١)

نقرأ النص وكأننا نقرأه للمرة الأولى... نقرأه مرة ثانية ونعطي
رأينا بشكل سريع قبل أن نكتشف العرض والعقدة والحل.

العرض الأول (آ ١٩ - ٢١) لوحة مزدوجة.

الانتقال ووصول شخص جديد. هو الموت.

تعارض بين الموت والحياة، بين فوق وتحت.

بدا العرض الأول من دون دينامية. هو وصف وحسب.

اللوحة الثانية وهي أكثر دينامية من الأولى (آ ٢٢ - ٢٣).

ويبدأ الحوار فندخل في صلب الحلّ (آ ٢٤ - ٢٣).

أهمية آ ٢٦ لأنها تغيّر الموضوع. هناك ممثلون آخرون وإن كانوا
غائبين.

لا دور للفقير. فالحوار يتمّ من خلال ابراهيم. نلاحظ اللغة:
أبتاه، أبت، يا ولدي، يا بني.

ويظهر دور الراوي. هو يتدخل لشرح... ومن خلال سرده
يجتذبنا إلى شخص من الأشخاص.

* استند الأب فغالي الى التقارير المختلفة وقدم هذا النص الذي يحتاج
إلى تعمّق أكثر وتطبيق أشمل.

(١) Sémiotique

(٢) Narrative

(٣) Historico-critique

(٤) Structurale

(٥) Socio-politique

(٦) Psychologique

(٧) Psychanalytique

الفصل التاسع والعشرون

الكلمة الأخيرة

الأب لودجر فلدكمبر*

سادتي الأساقفة، إخوتي، أخواتي
حسن لنا أن نبقي هنا!

سمعنا في هذا الصباح كلمات الإنجيل هذه بحسب القديس لوقا.
ولكن يسوع وتلاميذه نزلوا من الجبل، جبل التجلي. وعلينا نحن أيضاً
أن ننزل. وسأكون أول من ينطلق ويحمل إلى الآخرين ما عشتُه معكم
في هذه الأيام.

أمرني الأب بولس الفغالي، وأنا أطيع فأقول بضعة كلمات في
لغتي الفرنسية المحدودة. أقدم أولاً بعض الملاحظات حول هذا
المؤتمر. ثم أحدد موقع هذا المؤتمر في سائر مجهودات الرابطة في
كل أقطار العالم.

أ - بعض الملاحظات

فرحتُ وارتحتُ جداً لهذا التنظيم الرائع الذي جمع الدقة التي
نعرفها في أوروبا إلى المحبة والإصغاء إلى كل واحد من الحاضرين.
شكراً للذين عملوا: الأب فغالي، الأب أيوب، الأخت ورده ومجموعة
كل الذين شاركوا في الإعداد. شكراً لراهبات الصليب في سيده البيير
وجميع العاملين.

فرحت حين رأيت بأم العين التطور الحاصل بين مؤتمري لارنكا

ومؤتمر سيدة البير: أعضاء جدد، نتاج مهم (كتب، ببلييا، حياتنا الليتورجية، هلوليا...) مشاركة في العمل.

كل مرة أشارك في مؤتمر من هذا النوع، يلفت انتباهي تجند المشاركين من أجل كلمة الله. ولهذا أرى أن الفائدة الأولى من هذه الاجتماعات هي تنشيط متبادل بين المشاركين وتعارف وحماس.

كل اجتماع من هذا النوع يتم تحت مظلة رابطتنا. ولكن الذين ينظمونه هم أهل الإقليم أو أهل المنطقة. حاول مكتب شتوتغارت (ألمانيا) في الماضي أن ينظم بأمانته العامة مثل هذه المؤتمرات ففشل. الرابطة لا تحل محل الأعضاء، بل تضع نفسها في خدمتهم.

لهذا السبب، فكل اجتماع له وجه خاص به، تحدده الضرورات والإمكانات المحلية. نحن نريد أن نعمل في الرسالة البيبلية في إطارها المكاني الخاص بالبلد وبمجموعة البلدان. هذا من جهة. ومن جهة ثانية، نحن نرى أهمية تبادل الخبرات بين مختلف أقاليم الرابطة ومناطقها.

ب - مجهودات الرابطة

١٩٩٣ هي سنة خاصة. هي سنة الكتاب المقدس. نعيّد فيها مئوية رسالة لاوون الثالث عشر (١٨٩٣): عناية الله. ونعيّد خمسين سنة لرسالة بيوس الثاني عشر (١٩٤٣): بفيض من الروح القدس. كلنا يعلم أن هاتين الرسالتين هيأتا الطريق لدستور الوحي الإلهي. ولهذا كان موقع هذا المؤتمر في أفضل موضع. ويقال أيضاً أن البابا يوحنا بولس يهيء رسالة جديدة حول الكتاب المقدس، وهو المولع بالمناسبات والأعياد.

١٩٩٣ هي منتصف الفترة التي تفصل جمعية بوغوتا (١٩٩٠) عن الجمعية العامة المقبلة التي ستعقد سنة ١٩٩٦. ومن المفيد أيضاً أن نعرف أن أميركا اللاتينية تجتمع في هذا العام في كيتو (اكوادور)

حول «قراءة البيبليا قراءة أمينة». وهناك اجتماع في بانكوك (تايلاندا) حول موضوع: «التجاوب مع كلمة الله في آسيا اليوم». ويجتمع إقليم أوروبا اللاتينية في تولوز (فرنسا) خلال شهر تشرين الأول (أكتوبر) وإقليم أوروبا الوسطى في فيينا خلال شهر أيلول (سبتمبر). كما أن منطقة أوروبا والشرق الأوسط تجتمع في فيينا خلال شهر أيلول. وهناك مشروع اجتماع أساقفة أوروبا وقد دُعيت الرابطة إلى المشاركة فيه من أجل توعية المؤمنين والكهنة والأساقفة على أهمية الكتاب المقدس.

ما زال الأعضاء يسعون إلى تنفيذ مقررات بوغوتا، وخاصة في ثلاثة مجالات. الأول: أحد (أو أسبوع) الكتاب المقدس. ويبدو أن سورية قرّرت تنفيذه سنة ١٩٩٤. الثاني: قراءة البيبليا قراءة أمينة. لا ننسى هنا كلمات البابا بولس السادس في «إعلان البشارة»: هناك أمانتان. أمانة لتعليم ننقله ولا نشوّهه أو نبذّله. أمانة للناس الذين نحدّثهم اليوم. قد نهتمّ بالأمانة الأولى وننسى الثانية. ولكن يسوع حمل البشارة إلى الفقراء. وطلب منّا المجمع الفاتيكاني الثاني أن نجعل البيبليا في متناول الجميع. لن نقول فقط إن البيبليا هي «كلمة الله في كلام بشري». بل نزيد: «من أجلنا ومن أجل خلاصنا». لا يكفي أن نتكلّم عن الكتاب المقدس في تأويل عظيم يدلّ على طول باعنا في هذا المجال، بل يجب أن نحدّث الناس بلغتهم ونقدّم إليهم غذاء كلمة الله.

والمجال الثالث: الكتاب المقدس والعلمانيون. هذا كان موضوع مؤتمرٍ سيول (كوريا الجنوبية) سنة ١٩٩١، وسنغفورة سنة ١٩٩٢. قمنا باستقصاء في هذا المجال وسننشره في نشرتنا «كلمة الله». أما بالنسبة إلى عملنا الرعائي البيبلي، فهناك بعض العناصر التي لا بدّ من الإشارة إليها.

نلاحظ جوعاً كبيراً إلى كلمة الله، خصوصاً وسط العلمانيين. لهذا يجب علينا أن نعد طعام الكلمة للمؤمنين. هل يعني هذا أن

ندخل المؤمن في دراسة علمية للكتاب المقدس؛ ولكن يسوع لم يقل: طوبى للذين يدرسون البيبليا ويعرفونها. بل: طوبى للذين يسمعون كلمة الله (ويتأملون فيها في قلوبهم ويصلونها مثل مريم) ويحفظونها (يعملون بها). إذن، نساعد المؤمنين على الصلاة برفقة كلمة الله، على عيش كلمة الله، على تحقيق كلمة الله في حياتهم. هذه هي الرعاية البيبلية في نظري.

حين نعمل على مقدمة غذاء الكلمة للمؤمنين، لا نظنّ أنهم لوحة لم يكتب شيء عليها. فلهم خبرة الحياة وحسّ الإيمان. وهم يستطيعون بالتالي أن يتجنّدوا في مشاركة بيبلية مسؤولة ومثمرة، وإن كانوا لا يعرفون قواعد التأويل العلمية. والمشاركة البيبلية (أي الاقتراب من البيبليا) ليست من الدرجة الدنيا بالنسبة إلى التأويل والتفسير. المشاركة البيبلية أي القراءة الروحية المشتركة (أو: القراءة الربية) توازي الاقتراب التأويلي. وكلاهما يكمل الآخر. بما أن البيبليا هي كلمة الله في كلام بشري من أجلنا ومن أجل خلاصنا، فلا الاقتراب التأويلي يكفي ولا الاقتراب الروحي يكفي وحده. فعلى المفسرين الذين يساعدون المؤمنين على أخذ غذاء كلمة الله، أن لا يعطوهم حجراً بدل خبز الكلمة.

إنه لمن الضروري والمهم أن نفتح البيبليا للعلمانيين، أن نعطيهم طعام الكلمة لأن للعلمانيين دعوة خاصة بتحويل واقع هذا العالم (الاقتصاد، العلم، الفن)، إلى واقع ملكوت الله بقوة كلمة الله. لا وقت لي حتى أتوسع في هذه الفكرة. ولكن يكفي أنني أشرت إليها.

لأجل كل هذا، قرّر أصدقائنا في آسيا (ت ٢، نوفمبر) أن يرسل كل عضو كامل ثلاثة مسؤولين، يكون أحدهم علمانياً.

خاتمة

أطلت الكلام. ولكنني أحببت أن أجعل هذا المؤتمر في إطار ما

تعيّشه الرابطة من نشاط ومجهود. سأتكلم عن هذا المؤتمر، عن هذه الخبرة في عدة مناسبات. أما أنتم فقد كان لكم هذا المؤتمر حدثاً له مدلوله وأهميته. أنا أتمنى، وأنا أتيقن أن ما زرع في هذه الأيام سيعطي ثماراً في الأيام المقبلة.

وفي النهاية أقول لكم مرة أخرى، أنتم الذين شاركتكم وأنتم الذين نظمتكم هذا المؤتمر بصورة رائعة، أقول لكم: شكراً، شكراً.

* تحدث في اللغة الفرنسية، ونقل الأب بولس الفغالي الكلمة إلى العربية. قدمت للحديث الأخت ورده مكسور (راهبة من راهبات القلبين الأقدسيتين، تعمل في المعهد الديني للتربية الدينية التابع لجامعة القديس يوسف).

- وقدم المؤتمر تذكّاراً من خشب الأرز للأب فلدكمبر كما سبق له وقدم للأب صابو. وقدم كذلك تذكّاراً لجميع المحاضرين والضيوف وسيدة البير والمؤسسة اللبنانية للإرسال وصوت المحبة والمركز الكاثوليكي للإعلام ولفسان مسعد منسق الفيديو.

ملحق

كلمة الأخت وردة مكسور في وداع الأب لودجر فلدكمبر

وقعت عليّ القرعة كما وقعت في الماضي على يونان، فعُينت
لأشكر الأب فلدكمبر باسم هذه الجماعة المثابرة على سماع كلام الله.
ولكنني لم أكن مثل يونان، بل قبلت المهمة بفرح وإن نقصت
كلماتي البلاغة.

فباسم الحاضرين هنا، وباسم المنسق والفريق الذي هيا هذا
المؤتمر، وباسم المعهد الذي أمثل، وباسمي الشخصي أقول لك أيها
الأب العزيز: شكراً.

هي كلمة بسيطة ولكنها تنبع من القلب، من قلوبنا جميعاً. شكراً
خالصاً لمشاركتك في هذا اللقاء، لعملك على استقبال لبنان في الرابطة
الكتابية العالمية، لمبادرتك في تعيين الأب بولس الفغالي، رغم كل
الصعوبات، منسقاً للشرق الأوسط. وقد قلت في الإنكليزية: أنا سعيد
وسعيد جداً بأن أرى ثمرة لقاءتي بالأب بولس منذ سنتين في باريس
وتعيينه منسقاً لإقليم الشرق الأوسط. أنت سعيد بأن ترى حبة الخردل
التي زرعت سنة ١٩٨٥، في أول مؤتمر كتابي في الشرق الأوسط، قد
صارت شجرة تتقبل طيورَ السماء في أغصانها.

شكراً يا حضرة الأب فلدكمبر لحضورك بيننا حضوراً خفياً ولكن

فاعلاً. شكراً لمثابرتك على السماع في لغة لا تفهمها، مع الشكر لترجمانك الأب نعمة الله خوري، وعلى الاهتمام بكل ما يقال في هذا المؤتمر.

لقد لاحظنا أن صعوبة اللغة العربية لم تمنعك أن تحس بنفسك وكأنك في بيتك ووطنك، وهذا لنا ينبوع فرح وشكر. ونحن نرجو أن تسقي هذه الشجرة باهتمامك وصلاتك وبحضورك. ونحن نتمنى أن تنمو هذه الشجرة في القامة والحكمة أمام الله وأمام الناس.

كل مرة نفكر فيك نتذكر لقاء تلميذي عماوس، فيضطرم قلبنا بانتظار لقاء جديد.

أنت تتركنا الآن، لأن لقاءات أخرى تنتظرك. وأنت فرح بأن تلاحظ هذا الجوع إلى كلمة الله التي نسعى لنجعلها في متناول الجميع.

باسم هذه المجموعة، نقدم لكم تذكراً من بلد الأرز، هذه الهدية الصغيرة من خشب الأرز مع تاريخ مؤتمرننا. إنها تحمل عطور الأرز وكل الرموز التي تحملها التوراة إلى أرز لبنان.

شكراً أيضاً وإلى اللقاء.

ملحق

الجدال في الصوم لوقا ٢٢: ٥ - ٢٩

الآباتي بولس التنوري*

أصحاب السيادة
آباتي الأجلاء
أيها الاخوات والاخوة

يسعدني أن أستقبلكم هذا المساء في رحاب هذا الدير بإسم رهبانه
كما بإسم الرهبانية الأنطونية التي تتشرف اليوم باستقبالكم وقد
خصصتموها بزيارتكم هذه. وإنني شخصياً لا أعبر فقط أمامكم عن
إعتذاري لعدم تمكني من متابعة مؤتمركم بل أعترف بالإنقاص الذي
أشعر به بسبب هذا الغياب.

أما، والكلمة في الكنيسة هي أولاً كلمة الله كما يبلغها الروح،
فلنصغ إلى ما يوحى إلينا روح الرب على ضوء ما سمعنا من كلامه في
الإنجيل المقدس:

أين الجديد ينادينا الروح؟
أين الثوب الجديد وأين الآنية الجديدة؟
خمر الرب هي دائماً جديدة فأين الإنسان الجديد؟
ترى إلى من نقاد؟ إلى المطالبين بالصيام الذين يفوتون عليهم،

وبقصدهم أن يحرموا الآخرين أيضاً، عذوبة اللقاء وفرصة الحضور مع الرب لأن ممارسة الصيام أهم؟ أم نقاد إلى الروح الذي يدعونا للانضمام إلى الوليمة حيث لا تفرقة بين فريسي وعشار، بين بار وخاطيء؟

نحن في مجتمع يحب التقاليد، يتقيد بالعادات والممارسات، هذا هو مجتمعنا الشرقي وربما كان هنا بعض غناه. ولكن أين الروح من كل هذه؟ أين تعليم الرب، أين خمرته الجديدة من ممارساتنا وعاداتنا وتقاليدنا؟

المؤمن عندنا ربما تعود على الثوب القديم والإناء القديم، هل هو حاضر بما فيه الكفاية لاستقبال جديد الرب؟

هل تساعد طوائفنا وكنائسنا بممارساتها وأنظمتها المختلفة على تحضيره لاستيعاب الجديد أم تحاول أن تبقى ضمن هذه الأطر، إنساناً قديماً يخاف على الممارسات والتقاليد أكثر من خوفه أن لا يكون من عداد تلاميذ المعلم وأصدقاء العروس؟

من منطلق إنجيلي أصيل، تراودني اليوم هذه الأفكار. وأنا أتساءل: ترى ألا يحق للمؤمنين في البيئة الواحدة أن يتخطوا عتبة التقاليد والممارسات «الطائفية» ليجتمعوا ويصلوا معاً بلغة وأسلوب تتناسب مع الروح الجديدة فنكون أبناء كنيسة واحدة من دون تفرقة؟

إنني مؤمن بعمل الرب في الكنيسة ولذلك أترك لكم أن تتأملوا وتفكروا بدفع الروح الذي يجمعنا وبالشجاعة التي بقدرة الروح وحده أن يمنحها لنا:

يسوع يطلب الثوب الجديد والآنية الجديدة.

هل كنائسنا تتجاوب مع إرادة يسوع؟

هل هي حقاً جديدة وهل تطيب خمر الرب فيها مع الزمن أم أصبحت خوابي مشقة من دون خمر؟ وبالتالي لا تقدر أن تملأ قلوب المؤمنين فرحاً ورجاء، فتكتفي بالممارسات والتقاليد.

كنيستنا نحبّها. لتكون كما يريدّها الرب كنيسة المحبة والأخوة والفرح.

* الأبائي بولس التنوري هو خريج المعهد الببلي البابوي في رومة. كانت رغبته أن يشارك المؤتمرين في العمل. ولكن ظروفًا حالت دون ذلك، فكان لنا منه هذه الكلمة التي تعبّر عن الجديد الذي ينتظره شرقنا العزيز، ولا سيّما في مجال الكتاب المقدس.
- هو الرئيس العام على الرهبانية الانطونية منذ سنة ١٩٨٧.

خاتمة

هذه محطة ثانية في عملنا المشترك في رسالة الكتاب المقدس. كانت المحطة الأولى «قراءة مسيحية للعهد القديم» في إطارنا الشرقي العربي. إجتمع عدد من العاملين في حقل الكتاب المقدس، في فندق لوردوس بيتش في لارنكا (قبرص) وقدموا حصيلة أبحاثهم، بعد أن كانوا تعرّفوا إلى بعضهم وإلى أعمالهم وصعوباتهم. كان ذلك في شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٨٨. واجتمعوا في شهر شباط أيضاً من سنة ١٩٩٣ وتطرقوا إلى الأناجيل الإزائية. جاءت أبحاثهم متفرقة وأعمالهم مبعثرة. إختار كل واحد ما يوافق الدراسات التي يقوم بها، فما استطاعت اللجنة أن توحد المواضيع وتركزها. لهذا حصلنا على سلسلة من أبحاث ولم نصل إلى قاسم مشترك. فالأخصائيون في الكتاب المقدس قليلون في الشرق، وهم بسبب أشغالهم المتعددة لا يستطيعون أن يتفرغوا للبحث الكتابي، كما يفعل زملاؤهم في أوروبا وأميركا. كان بوسعنا أن ندعو العاملين في رسالة الكتاب المقدس، ولكننا تراجعنا لألف سبب سبب. فقد نتعلم في المرة القادمة إن شاء الله. وقد تعلّمنا منذ الآن حين اقترحنا لمؤتمر سنة ١٩٩٥ موضوعاً محدداً: أعمال الرسل. وتعلّمنا حين بدأنا إجتماعات المنشطين لضبط المواضيع وتوحيدها لكي تفي بالغرض المطلوب، ولتوضيح الهدف من مؤتمرنّا وتحديد هوية الأشخاص الذين يشاركون فيه.

حاولنا التحدّث عن الأناجيل الإزائية، فدرسنا أكثر ما درسنا إنجيل متى وأموراً مشتركة بين الإزائيين، وكاد مرقس ولوقا أن يغيبا عن دراستنا. وقدمنا محاضرات عامة، محاضرات تقدم نظرة شاملة ولا تتوقف عند التفاصيل والنصوص إلّا قليلاً. وسعينا في الحلقات

المشتركة أن نقدّم «طرائق» لقراءة النص الإنجيلي. ولكنها بدت حيية وخجولة. وضاق أماننا الوقت فما كان استعداد المشاركين لها كافياً.

هذا يعني أن المؤتمر يمكن أن يكون خاتمة لأبحاث جرت في الماضي وتكريساً لاختبارات سابقة. ويعني أنه يمكن أن يكون إنطلاقاً لعمل جدي في حقل الكتاب المقدس. هي دعوة توجّه إلى الأخصائيين في الكتاب المقدس، وإلى جميع العاملين في رسالته، بل إلى كل شعب الله: من أجل الدرس والمطالعة، والبحث والتأمل. من أجل تنظيم لقاءات وحوارات. وهكذا يصبح الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد شاغلنا الشاغل وهما الأكبر.

وفي النهاية، ورغم كل شيء، تعلّمنا الكثير بعضنا من بعض وتعزّفنا بعضنا إلى بعض. فهما أهمية التعاون من أجل نشر كلمة الله، واكتشفنا غنى كل بلد من بلداننا، كما اكتشفنا غنى كل واحد منا، مهما كان مستواه العلمي أو الرعائي أو الروحي.

خبرة فريدة عشناها، وكم نتمنى أن يبقى الرب معنا يفسّر لنا الكتب، فتبقى قلوبنا مضطربة لسماع كلماته، مشتاقة إلى كسر خبزه

وهكذا نصل الى نهاية الكتاب «الأنجيل الإزائية». تعرفنا بعض الشيء الى ما كتبه كل من متى ومرقس ولوقا، وفتحنا آفاقاً أخرى في عالم الكتاب المقدس، ودخلنا في جو الرابطة الكتابية التي لا تسعى فقط الى البحث العلمي، بل تود أن تُدخل كل شعب الله في عالم الكتاب المقدس.

سنة أيام عشناها، وقد جئنا من بلدان الشرق العربي. وقدمنا أبحاثاً ودراسات في اللغة العربية. ستة أيام سبقتها سنة وبعض السنة نستعد للمؤتمر الكتابي الثالث. ومنذ اليوم بدأنا الاستعدادات للمؤتمر الكتابي الرابع الذي سيعقد سنة ١٩٩٥ ويكون موضوعه: أعمال الرسل.

مواضيع فيها البحث العلمي والدراسة الرعاوية، لأننا لا نريد أن

نكون فقط أصحاب اختصاص. فما قيمة اختصاص يقف حاجزاً بين الكتاب المقدس وشعب الله؟ ولكننا لا نريد أن نقطع عن الاخصائيين في العالم البيبلي. ولهذا كان اقتراح أول بأن يكون اجتماع علمي يجمع فقط الاخصائيين على أن يكون مؤتمر ١٩٩٥ جامعاً بين البحث العلمي والامتداد الرعاوي.

هذا هو كتابنا «الأنجيل الإزائية»، وهو يرغب أن يكون مدمكاً آخر في اقليم الشرق الأوسط للرابطة الكتابية. سبقه كتاب آخر هو «القراءة المسيحية للعهد القديم». ونرجو أن يتبعه ما نكون قد درسناه في سفر أعمال الرسل.

فإلى سنة ١٩٩٥، وإلى لقاء آخر نسمع فيه ما يقوله الروح القدس للكنائس، ما يقوله لكنائسنا، لجماعاتنا ولكل واحد منا.

المؤتمر الثالث

الأناجيل الإزائية، متى - مرقس - لوقا

سلسلة دراسات ببليية ٤

١٩٩٣

- ٠١ الخوري بولس الفغالي، تقديم
- ٠٢ الأب لودجر فلدكمبر، الرابطة الكتابية الكاثوليكية
- ٠٣ الأب بولس الفغالي، أهداف الرابطة، أعمالها وتطلعاتها
- ٠٤ الأب لاسلو صابو، المحاضرة الافتتاحية
- ٠٥ المطران يوسف ضرغام، تلميذا عمّاوس
- ٠٦ المطران يوسف ضرغام، إنجيل متى
- ٠٧ الخوري مكرم قزاح، جماعة متى
- ٠٨ الأب يوحنا الخوند، الخطب في إنجيل متى
- ٠٩ الخوري نعمة الله الخوري، الأمثال في إنجيل القديس متى
- ١٠ الأب أيوب شهوان، متى يقرأ العهد القديم
- ١١ الخوري بولس الفغالي، يسوع المسيح في إنجيل متى
- ١٢ الخوري بولس الفغالي، مدخل إلى إنجيل مرقس
- ١٣ الأرشمندريت نيقولا انتيبيا، المعجزات في إنجيل مرقس
- ١٤ الخوري يوسف فخري، الآلام بحسب إنجيل مرقس
- ١٥ الخوري بولس الفغالي، مدخل إلى إنجيل لوقا
- ١٦ الخوري جان عزّام، المسيح في إنجيل لوقا
- ١٧ الخوري داود كوكباني، تعليم الامثال في إنجيل القديس لوقا
- ١٨ الاخت جهاد الأشقر، التوجّه إلى الفقراء في إنجيل القديس لوقا
- ١٩ الخوري بولس الفغالي، المسألة الإزائية
- ٢٠ المطران أنطوان أودو، يوحنا والإزائيون
- ٢١ المطران كيرلس سليم بسترس، اللاهوت الأخلاقي في الأناجيل الإزائية
- ٢٢ الأب كميل وليم سمعان، البعد الكنسيّ في تعليم الأناجيل الإزائية
- ٢٣ الخوري بولس الفغالي، الأناجيل الإزائية والتاريخ
- ٢٤ الأب افرام سقط الدومنيكي، إنجيل الطفولة
- ٢٥ الأب بيتر حنا مدروس، مسائل رعائية حول الأناجيل الإزائية

- ٢٦ الأب موسى الحاج، الأبا نا في تفسير تيودوروس المبسوطي
- ٢٧ الأخت أنطوانيت عريش، إستعمال المعجزات في الأناجيل في أحد كتب التعليم المسيحيّ
- ٢٨ المطران بطرس مرايا تي، الإنجيل والقرآن
- ٢٩ الأب متري هاجي اثناسيو، الإنجيل بحسب برنابا
- ٣٠ الأب جورج باليكي البولسيّ، الأدب البيبليّ في لبنان وسوريا في القرنين التاسع عشر والعشرين
- ٣١ حلقات المشاركة
- ٣٢ الأب لودجر فلدكمبر، الكلمة الأخيرة
- ٣٣ كلمة الأخت وردة مكسور - في وداع الأب لودجر فلدكمبر
- ٣٤ الآبائي بولس التنوري، الجدال في الصوم لوقا
- ٣٥ خاتمة